قضايا الخلاف وسط الحركة الماركسية ـ اللينينية المغربية

قام بتجميعها وتحقيقها وضبطها ووضع هوامش لها الرفيق فؤاد الهيلالي

دجنبر 2018

منشورات موقع ٣٠ غشت

www.30aout.info

محاور الكتاب

الجزء الاول: ملف وجهة نظر المنظمة الماركسية اللينينية المغربية "إلى الأمام"
الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية اللينينية . وثيقة شبه جماهيرية.
الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية اللينينية . وثيقة داخلية.
لنبن الحزب الثوري تحت نيران العدو.
الندوة التحضيرية للقطاع الطلابي
نحو تهيئ شروط قيادة النضال الدفاعي للحركة الجماهيرية
من أجل خط ماركسي لينيني لحزب البرولتاريا المغربي . نقاش منظمتنا مع الفصيل الثالث.
الخط الجماهيري و دور المنظمة الجماهيرية . خطة عملنا داخل "جمعية المغاربة بفرنسا"
الجزء الثاني: ملف اليمين الجديد من الإصلاحية إلى خط الردة
بيان من داخل السجن المركزي بالقنيطرة . إلى الشباب المغربي و الرأي العام الديمقراطي (المشتري بلعباس . عبدالله المنصوري....)
حول بعض التاملات النقد الذاتية الأولية لسنة 1979 . أبراهام السرفاتي
حول بيان المرتدين . الانتهازية ... و الكذب في خدمة الارتداد عن طريق الثورة المغربية . مناضل
ملحق: تعميم داخلي . تنبيه . المنظمة الماركسية اللينينية المغربية "إلى الأمام"
الجزء الثالث: ملف الخط اليسراوي العفوي الجديد
الحملم و منظمة"إلى الأمام" و قضايا الحزب و الوحدة و الحركة الجماهيرية
حول أزمة اليسارالجديد
إعادة البناء في مواجهة العفوية و الفوضوية
الجزء الرابع: ملف جماعة نظرية "العوالم الثلاث"
نظرية العوالم الثلاث: الوضع الدولي والإقليمي والمحلي

الجزء الأول

ملف وجهة نظر المنظمة الماركسية ـ اللينينية "إلى الأمام"

الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية-اللينينية

6 أبريل 1973

وثيقة شبه جماهيرية

تشتد حاجة الماركسيين-اللينينيين في مثل الظروف التي تجتازها إلى تقييم شامل للوضع الراهن و لمهامهم، يفوق حاجتهم إلى ذلك في أي ظرف آخر، و يحتاجون إلى ذلك بأكثر ما يمكن من الوضوح و الدقة. ففي مثل هذه الظروف حين تطرأ على الوضع العام تحولات جديدة

كالتي نعيشها حاليا، يكون الماركسيون-اللينينيون أشد عرضة لاحتمالات الانزلاق في التحليل و تحديد المهام، و ارتكاب الأخطاء. و يكون لزاما عليهم حينئذ إعادة تدقيق رؤيتهم و تحليلهم للوضع و تقييم التحولات الطارئة عليه و تحديد المهام المطلوبة، و ذلك بطريق التشبث بالمنهج الجدلي العلمي في التحليل.

هذا ما أثبته بشكل قاطع عديد من الآراء الخاطئة التي تروج داخل حركة اليسار الماركسي -اللينيني حاليا، و بشكل خاص حين انطلاق عمليات الجناح الاتحادي البلانكي التي جرفت عديدا من الرفاق إلى الإعجاب و التبني و حتى إلى محاولة اتهام اليسار ب"الانتظارية" و"الإصلاحية".

و تزداد هذه الحاجة إلحاحا حين تكون الحركة الماركسية-اللينينية في طور النشوء والتبلور، و يكون الخط السياسي العام و الوضوح النظري لمختلف قضايا الثورة في بلادنا ما يزال في أطواره الأولى، حيث يكون بناء تكتيك سديد لهذه المرحلة بأكملها في المسيرة الثورية أشد صعوبة.

و بصفة عامة فإن معظم التحاليل السابقة لليسار الماركسي-اللينيني لم تكن تتوفر فيها شروط الوضوح الدقيق للمرحلة التاريخية الراهنة من نمو الصراع الطبقي ببلادنا، فهي غالبا ما تظل مطروحة على مستوى الأحداث اليومية و الأحداث الرسمية بصفة خاصة، و في رد انفعالي بها، دون أن تربط الأحداث الجارية بالعلاقات الطبقية التي تعبر عنها الأحداث، و لهذا فهي تتخذ شكل التحليل الصحافي، و تكون وقتية، لأنها لا تنظر إليها ضمن مرحلة تاريخية من نمو الصراع الطبقي لا تكون الأحداث إلا تعبيرا عنه، ليس بشكل مبسط و مباشر و لكن بشكل معقد و ملتوي، و هذا النقص كثيرا يضطر الرفاق إلى محاولات الربط بين الأحداث بشكل متعسف و إيجاد الخطوط و العلاقات الوهمية التي تشدها بعضها إلى بعض.

إن الرؤية التي سنسوقها في الصفحات التالية للوضع الراهن، و بصفة خاصة لمهامنا العاجلة، هي محاولة للإسهام في الجهود المبذولة داخل اليسار الثوري من أجل الوصول إلى رؤية أوضح للوضع الراهن و للمهام التي يتطلبها، و بذلك فهي استمرار في نفس العمل الشاق الذي بدأناه من أجل قفزة كيفية في خط و ممارسة الحركة الماركسية-اللينينية بصفة عامة.

أولا : ميزات الوضع الراهن

يمكن إجمالها في المميزات الرئيسية الأربعة التالية : أزمة النظام – انحلال البرجوازية الوطنية – اندحار الجناح البلانكي البرجوازي الصغير – الحركة الجماهيرية.

ا - أزمة النظام

تشكل أزمة النظام التي ما انفكت تتعمق باستمرار الميزة الرئيسية الأولى للوضع الراهن، عن آراء مخالفة داخل الحركة الماركسية-اللينينية تطمس هذه الأزمة و تطمس تناقضاتها، و ترى أن الاتجاه الأساسي للنظام هو جمع قواه و حل تناقضاته و التفاف مختلف القوى الإمبريالية حوله و تدعيمه، و تصعيده للإرهاب و البطش الذي يمارسه ضد نمو الحركة الجماهيرية، و ضد اليسار الثوري و الجناح البرجوازي الصغير البلانكي[1]. و في رأينا أن هذه النظرة خاطئة جدا، و هي بعيدة النتائج حول تحديد مجمل الوضع الراهن و مهام الحركة الماركسية-اللينينية و هي غير جدلية كما سنرى لأنها لا ترى أزمة النظام و تناقضاته، في أساسها الموضوعي، و في ربطها بتناقضات الإمبريالية من جهة، و الحركة الجماهيرية من جهة أخرى.

1. لقد تردد كثيرا في تحاليلنا الأخيرة أن النظام قد اختار الطريق الفاشي. إن هذه الموضوعة صحيحة تماما، تؤكدها سياسة النظام تجاه الحركة الجماهيرية في الأسابيع الأخيرة التي تميزت بشراسة لم يسبق لها مثيل، فمن قمع الحركة الطلابية و حل منظمتهم المناضلة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب (أ.و.ط.م) و اعتقال مناضليها، إلى الطرود البريدية الملغومة، و عشرات الاختطافات و الاعتقالات، إلى إعدام الضباط، إلى الاعتقالات الأخيرة في صفوف اليسار الثوري و الجناح الاتحادي الانقلابي و توقيف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، بالإضافة

1 . البلانكية هي تيار نشأ في بداية الحركة العمالية يرى أن الثورة هي من عمل أقلية نشيطة و واعية تنوب عن الجماهير في الاستيلاء على السلطة.

إلى حجز و قمع الحريات العامة (حجز الصحافة المعارضة، منع التجمعات ...)، كل هذا في الوقت الذي يقوم فيه النظام بعملية تدعيم و بناء جهاز بوليسي فاشي خبراء الإمبريالية الفرنسية بصفة خاصة (تأسيس إدارة "حماية الأراضي الوطنية" بقيادة البصري، و "إدارة الوثائق السرية" بقيادة الدليمي). بيد أن هذه الموضوعة لا تطرح إلا كوصف لسياسة النظام الإرهابية تجاه نمو الحركة الجماهيرية دون أن ترقى إلى مستوى التصنيف العلمي الذي تضمنته كلمة الفاشية تاريخيا، و هذا ما يتطلب مزيدا من دراسة النظام و تناقضاته الداخلية و ارتباطاته بالإمبريالية، و تعميق طبيعة هذا الاختيار الفاشي و علاقاته بتناقضاته و بنمو تجذير الحركة الجماهيرية و حدوده ضمن أزمة النظام الراهنة و استراتيجية الإمبريالية و تناقضاتها.

2. لقد نشأت الفاشية تاريخيا في السنوات العشرين من هذا القرن، كحل للأزمة الشديدة للرأسمالية الاحتكارية، من جراء انطلاق المد الثوري البروليتاري الهائل الذي كان يهدد بالعصف بها، و الذي دشنته ثورة أكتوبر 1917 الكبر. و حين عجزت الرأسمالية ببنيتها الليبرالية أن تقف في وجه الزحف الهائل للبروليتاريا ابتداء من أكتوبر 1917، وضعت سياسة الإرهاب و البطش وسيلة لحل هذه الأزمة في صورة الدكتاتورية الاستبدادية. هذه الأزمة المتعاظمة أيضا بفعل التطاحن بين مختلف الإمبرياليات، فالبرجوازية الألمانية كانت قد عجزت عن فرض إعادة تقسيم "عادل" بالنسبة لها في تقاسم المستعمرات، كما أن البرجوازية الإيطالية و اليابانية كانت تبحث عن حل جديد لنموها، و إعادة تقسيم جديد للمستعمرات يناسب مطامحها، في وجه الإمبريالية البريطانية و الفرنسية و الأمريكية، كل هذا تطلب بناء هذه الدكتاتورية الاستبدادية. و قد استندت الفاشية بشكل أساسي إلى الطبقات الوسطى التي كانت تعاني من البؤس و تفاقم وضعيتها، و استطاعت هذه الفاشيات أن تكسب طابعا وطنيا شوفينيا، و أن تملك جذورا اجتماعية أكثر ثباتا و أساسا جماهيريا، حين طرحت نفسها بديلا لحل الأزمة الثورية الناشبة التي لم يكن بمقدور البروليتاريا الأوربية أن تحسم فيها نتيجة خيانات الأممية الثانية.

3. كما أن الفاشية الجديدة و النامية في عدة بلدان داخل ما يسمى "العالم الثالث" تملك هذه الجذور، فهي تدخل ضمن الاستراتيجية الجديدة للإمبريالية الأمريكية بصفة خاصة في بناء أنظمة إرهابية قوية، تلعب دور الإمبريالية في قمع و سحق نضالات الشعوب المتنامية، مثل البرازيل داخل أمريكا اللاتينية و إيران في منطقة الخليج العربي و جنوب إفريقيا و تركيا ... و هذه الأنظمة ترتكز إلى

تدعيم برجوازيات هذه البلدان، ذات الطبيعة الكمبرادورية، بحيث تتحكم في كل موارد البلاد، و تعتمد إلى جيش قوي و جهاز بوليسي إرهابي منظم، يديره خبراء الإمبريالية بطريق غير مباشر عن طريق عملاء CIA أو "كتائب السلام"، و تدعمها اقتصاديا بالمساعدات و القروض و البعثات ... و تستند هذه البرجوازيات إلى نخب عسكرية منظمة تشكل أساس هذه البرجوازيات الكمبرادورية.

4. في بلادنا نمت الطبقة الحاكمة، بشكل مضاد للبرجوازية الوطنية نفسها، و في اتجاه نسف أساسها الاقتصادي الموضوعي، بارتباط مباشر بالنهب الاستعماري الجديد. إن إحدى الميزات الرئيسية لدينامية الصراع الطبقي في بلادنا هي الانحلال و التفسخ المتزايد للبرجوازية الوطنية اقتصاديا و سياسيا، و تمركز كل موارد اقتصاد البلاد في يد أقلية تتقلص قاعدتها الاجتماعية باستمرار من المعمرين الجدد و وسطاء الرأسمال الأجنبي و على رأسهم الملكية المغربية التي تشكل رمز هذه الأقلية الحاكمة و ضامن وحدة و تماسك فئاتها.

إن هذا الاتجاه في نمو هذه الطبقة الحاكمة يرجع إلى الاستراتيجية الموضوعة في ايكس ليبان في إطار استراتيجية الإمبريالية في الاستعمار الجديد، فقد استطاعت الإمبريالية الفرنسية أن تصحح خطأها بالتحالف من جديد مع الملكية و الطبقة الحاكمة و البرجوازية الوطنية في شكل الاستعمار الجديد، و ذلك حين بدأت الثورة الشعبية المنطلقة تحمل بذور نمو جذري لحركة شعبية-ديمقراطية مسلحة تهدد بنسف مستقبل مصالح الإمبريالية الفرنسية في بلادنا كلية، كانت تلك الاستراتيجية تقوم على بناء الطبقة الحاكمة العميلة و على رأسها الملكية الإسمنت الذي يلحم مختلف فئات الطبقة الحاكمة. و تبع ذلك تكسير و تفتيت المنظمات الشعبية ذات الأفق الجذري المتزايد (المقاومة، جيش التحرير) بالقمع الدموي من جهة، و المناورات السياسية من جهة أخرى، في غياب أي استراتيجية و فراغ سياسي هائل لدى هذه المنظمات، و تبع ذلك إفراغ منظمة العمال النقابية الاتحاد المغربي للشغل (ا.م.ش) المنبثقة في إطار المعركة الوطنية من مضمونها النضالي على يد بيروقراطية نقابية. كل هذا تحت الضمانات الأكيدة للبرجوازية الوطنية بكل أجنحتها، و بتنفيذ من حكوماتها الوطنية، و تحت غطاء الوحدة الوطنية و الحماس الوطني ...، و توج هذا بلفظ البرجوازية الوطنية من الحكم على مرحلتين في 1960 و 1962، و الشروع بشره لا مثيل له في عملية تصعيد النهب الاستعماري الجديد و تفقير و تشريد الجماهير الكادحة.

5. و يشكل نمو جهاز الدولة الطفيلي و فساده أيضا الوجه البارز لعملية اشتداد النهب و بشكل لا مثيل له، حيث يتوسع و يتضخم جهاز الدولة و نفوذه و هيمنته على كل القطاعات عن طريق ما يسمى المكاتب الوطنية بصفة خاصة؛ مكتب التسويق و التصدير، مكاتب الزراعة، مكتب الري، مكتب الشاي و السكر ...).

و تشكل سياسة السدود القائمة على تطوير الرأسمالية في البادية بانتزاع الأراضي من أيدي الفلاحين الفقراء و تحويل المغرب إلى مزرعة لأوربا، و نمو قطاع السياحة الذي يضمن أرباحا سهلة و سريعة و دون مصاعب للرساميل الأجنبية، أبرز مظاهر مجالات نشاط سياسة الطبقة الحاكمة الاقتصادية القائمة على التبعية المطلقة للإمبريالية ومعاداة التصنيع الحقيقي للبلاد و التحرر الاقتصادي.

و يبلغ نمو جهاز الدولة الطفيلي إلى الحد الذي يمتص في ميزانية 1972 ما يقرب من 600 مليار فرنك قديمة من مجموع 1500 مليار تشكل كل الدخل الوطني السنوي، إن نتائج هذه السياسة هي تمركز الثراء و البذخ لدى الطبقة الحاكمة و تمركز البؤس و الفقر و البطالة و الجوع و الجهل لدى الجماهير الكادحة. فالنظام عاجز عن أي تحسين لوضعية الجماهير و لو في حدود تخفيف حدة البطالة الشديدة أو تعميم جزئي للتعليم من أجل امتصاص مؤقت لنقمتها، و ينتج عن ذلك تعمق الأزمة الاقتصادية الدائمة للنظام و تسرع به نحو الإفلاس الاقتصادي، و أبرز النتائج لهذه الأزمة :

1. تراكم الديون بشكل مستمر لتغطية الأزمة.
2. الارتكاز على إرهاق الجماهير الكادحة بالضرائب المباشرة و غير المباشرة.
3. العجز الدائم في الميزان التجاري.

و تؤدي سياسة النظام هذه إلى تفكيك و تفقير البرجوازية الصغيرة المتوسطة و خنقها اقتصاديا، و دفع أقسام منها إلى صف الجماهير الكادحة، ثم دمجها اقتصاديا و تحويلها إلى أطر في جهاز الدولة المتضخم باستمرار، ثم تفكيكها و دمجها سياسيا.

كل هذا يفقد النظام الأساس الموضوعي لبناء نظام فاشي ذو جذور اجتماعية وطيدة، و ليس في مقدوره إلا الأساليب الفاشية في القمع و الإرهاب، لوقف زحف الجماهير المسحوقة.

6. كما أن محاولات النظام الرامية إلى عملية بناء أساس إيديولوجي لنظام فاشي ، تمنحه المشروعية في أعين الجماهير، محكوم عليها بالفشل.

إن ارتكاز هذه العملية في عملية الانبعاث الإسلامي، و الهيبة الدينية الشعبية"لأمير المؤمنين" "الإمام"، و خلق جماعات الإخوان المسلمين، هذه العملية التي يقودها الكاهن المكي الناصري تفتقد أسسها الموضوعية، لأنها ترمي إلى إعطاء المشروعية إلى نظام يعيش يوميا على قمع و امتصاص دماء الجماهير الكادحة، إن النجاح النسبي الذي لاقته حركة الإخوان المسلمين قبل 1952 بصفة خاصة، داخل الجماهير العربية في الشرق يرجع لكونها كانت إيديولوجية معارضة، إيديولوجية تنطلق من موقع نقد الأنظمة الخائنة و المتخاذلة في الشرق، كما أن أفراد الطبقة الحاكمة هم أول من يسيء إلى الدين في سلوكهم اليومي. و الأوتوقراطية التي تزرع الاضطهاد في كل مكان و لا تحصد إلا الحقد على الطبقة الحاكمة، أصبحت -بحكم رغبة الحسن و عبد الله في تحويل المغرب إلى ضيعة لهما- مفاهيم "أمير المؤمنين" و"الإمام" تفقد مفعولها الإيديولوجي لدى الجماهير الكادحة، و هذا ما أعلنه ضباط 16 غشت بشجاعة داخل المحكمة، و على لسان الجلاد أوفقير.

7. إن كون النظام المتعفن قد عجز عن وقف المد الجماهيري المتنامي مما يعرض مستقبل المصالح الإمبريالية للتحطيم، بحكم تضارب مصالحها في الوطن العربي و في منطقة غرب البحر المتوسط ذات الأهمية الحاسمة بالنسبة لمختلف الإمبرياليات. و هذه التناقضات ترتبط بتناقضات الطبقة الحاكمة بحكم عمالتها و تفانيها في خدمة مختلف المصالح الإمبريالية ببلادنا.

إن جوهر التناقض يكمن في الخلاف بين الإمبريالية الفرنسية التي تتمركز مصالحها الاقتصادية الضخمة في بلادنا عن طريق الأبناك الكبرى (و ضمنها بنك روتشلد الصهيوني الكبير) و الإمبريالية الأمريكية التي يمثل المغرب بالنسبة لها في الدرجة الأولى موقعا استراتيجيا هاما في إطار الصراع حول مناطق النفوذ مع التحريفية السوفياتية و قمع كفاحات الشعوب المتنامية.

كما أن عملية نهب الصحراء الغربية الغنية بالمواد الأولية الهامة و ذات الموقع الاستراتيجي الهام هو أحد عوامل هذا التناقض، هذه المنطقة التي تتراكم عليها المؤتمرات من كل جانب، فقد تم اكتشاف حقول ضخمة تعادل نفس الحقول الكبيرة في الخليج العربي، و في شروط مناسبة للاستخراج، و ظل هذا الاكتشاف سريا حتى تسوية وضعية المنطقة سياسيا[2].

و بالرغم من كون الإمبريالية الفرنسية، التي كانت تنهج في زمن ديغول سياسة شبه مستقلة عن الإمبريالية الأمريكية، قد بدأت تعود تدريجيا ضمن الهيمنة الإمبريالية الأمريكية التي تقود المعسكر الإمبريالي، فإن ثقل المصالح الاقتصادية للرأسمالية الفرنسية في بلادنا، و ضعفها النسبي من جهة أخرى يجعل منها السند الأساسي للنظام الملكي من أجل إصلاحه و دفعه في طريق ليبرالي أكثر، من أجل امتصاص حركة الجماهير المتصاعدة و نقمة فئات الطبقة الحاكمة نفسها، و هذه هي استراتيجية الإمبريالية الفرنسية داخل كل العالم الثالث.

أما الإمبريالية الأمريكية فبحكم دورها في قيادة المعسكر الإمبريالي في الصراع ضد المعسكر الاشتراكي و كفاحات الشعوب المتنامية، نتيجة الآلية الاقتصادية و العسكرية الضخمة التي تتوفر لديها، يجعل استراتيجيتها تنبني من جهة أخرى على بناء أنظمة عسكرية فاشية كما أوضحنا سابقا تكون قادرة بقوة الدعم الإمبريالي، على وقف زحف الجماهير الكادحة و ضمان المصالح الإمبريالية و القيام بدور الإمبريالية في سحق و قمع بلدان أخرى مجاورة و تستند في ذلك إلى تدعيم و تقوية برجوازيات هذه البلدان سياسيا و اقتصاديا، و بناء نخب عسكرية ذات جهاز فاشي ضخم يكون قادرا على تكسير الحركات الثورية و سحق انتفاضات الجماهير، و على امتصاص سخط الجماهير في إطار إصلاحات "وطنية" لا تضر بالمصالح الاستراتيجية للإمبريالية، و الأمثلة الشهيرة واضحة في هذا المجال.

في هذا الإطار يجب وضع انقلابي 10 يوليوز 1971 و 16 غشت 1972، التي ليست إلا تعبيرا عن استراتيجية الإمبريالية الأمريكية في قلب أوتوقراطية الحسن العاجزة عن القيام بدورها المطلوب في ضمان المصالح الإمبريالية الأساسية، بوقف نمو الحركة الجماهيرية التي

2 . بدأ اكتشاف البترول في إقليم طرفاية على يد الإيطاليين في زمن ماتي MATTEI ابتداء من سنة 1960، ثم تخلوا عنه لشركة إيسو (ESSO) في إطار مساومة بينهما التي أعادت التنقيب منذ 1965، و أدى ذلك إلى اكتشاف حقول ضخمة يبلغ طول أحدها 100 كيلومتر داخل ساحل البحر و تمتد إلى داخل الصحراء االغربية، و رفضت إيسو البدء في هذا الاستخراج سنة 1968 و حتى تسوية المنطقة سياسيا، في الوقت الذي يتقدم فيه التنافس حول مناجم الفوسفاط في بوكراع.

يتحول تدريجيا شعار الجمهورية إلى مطمحها المباشر[3]. فالأوتوقراطية المتعفنة، و هي رمز الطبقة الحاكمة و ضامن وحدتها، لم تعد قادرة على القيام بدورها المطلوب في تجذير الحركة الجماهيرية، و توازن و التحام فئات الطبقة الحاكمة، حيث يقوم حسن و عبد الله بشره مخيف بعملية تحويل المغرب إلى ضيعة لهما و تضيق الخناق أمام البطون المتوحشة لكمشة الطبقة الحاكمة، مما يزيد في رغبة الطبقة الحاكمة في إزاحة عرقلة الأوتوقراطية الطفيلية، و تعويضها بدكتاتورية عسكرية فاشية تضمن مصالح الطبقة الحاكمة و ضمان الهيمنة الإمبريالية و توقف الزحف الجماهيري و نمو القوى الثورية المتزايد.

8. على مستوى الوطن العربي ، فإن عزلة النظام تتعمق بحكم كونه أحد الأنظمة الرجعية التي تمارس التآمر خفية ضد الثورة الفلسطينية طليعة الثورة العربية، أما مهزلة إرسال الجيش إلى سوريا فلن تستطيع ستر خياناته للثورة العربية، و لا مهزلة الثوري الإفريقي تستطيع ذلك. و تزداد هذه العزلة على مستو المغرب العربي، أمام تخاذل حسن و اتجاهه للمساومة على الصحراء الغربية مع الاستعمار الأسباني، مما يدفع النظام الجزائري و الموريطاني الذين يعتبران أنفسهما من الأطراف المعنية باستثمار خيرات المنطقة، إلى الابتعاد عن النظام و بصفة خاصة النظام الجزائري (حيث طار خدام الحسن بعد انطلاق عملية البصريين، الذي يتشكك في مساعدة النظام الجزائري لهم و تسربهم من حدودها إلى المغر)، و بالرغم من التحركات الأخيرة (زيارة وزير خارجية الحسن إلى واشنطن ...) لتمزيق طوق العزلة، و البحث عن علاقات اقتصادية و مساعدات من الاتحاد السوفياتي هي محاولات محكوم عليها بالفشل، و لن تحد من غضب كل الأطراف على نظام الحسن المتعفن.

9. كل هذه العوامل تجعل من النظام العميل، موضوعيا، مركز تناقضات متزايدة تتعمق باستمرار، و قابلة للانفجار و العصف به، و تجعل من عملية تغطية وجهه بقناع ليبرالي مزيف محاولة فاشلة، و قد عدل حسن نفسه عن اللعبة البرلمانية بعد أن انكشف زيفها. إلا أن اشتداد هذه التناقضات و انفجارها، لا يمكن أن يتعمق و يتوسع إلا بمقدار نمو الحركة الجماهيرية و جذريتها، و اشتداد قوى الثورة العربية

3 . لا يجب أن ننسى ملاحظة أوفقير التي صرح بها أمقران في قاعة المحكمة العسكرية بالقنيطرة (يمكن لجماعة مسلحة أن تأخذ الحكم في المغرب)، و تأثير هذا أيضا على الجناح الاتحادي الانقلابي.

في المنطقة، مما يقرب نهاية النظام، و يجعل من مصلحة كل القوى الإطاحة به، و هو الاتجاه الذي بدأت تظهر بوادره لدى الإمبريالية الفرنسية نفسها (التهديد الأخير من طرف النظام بإعادة النظر في المصالح الفرنسية و حملته على الأساتذة الفرنسيين ...)، و عدم اعتبار هذه العلاقة، يجعل الكثيرين يرون النظام في حد ذاته قويا و بدون تناقضات، لمجرد أنه يستطيع القمع و البطش و الإرهاب، لا يكفي أن النظام مفككا و ضعيفا، بل إن نمو حركة الجماهير حتى يتم تعميق أزمته وعزلته، وهذا هو اتجاه الأحداث، وما دامت ساحة الصراع لم تفرز القوة البديلة للنظام و لكل الطبقة الحاكمة، فالبرجوازية الوطنية لا يمكنها أن تكون تلك القوة، في الوقت الذي لم تبلغ فيه الحركة الجماهيرية: حركة الطبقة العاملة و الفلاحين مرحلة القدرة على الحسم في الصراع مع النظم، فإن الطبقة الحاكمة سترمي بنظام الحسن العاجز، و ستوفر الشروط لتخفيف استراتيجية الإمبريالية في المنطقة، في سحق مد الثورة العربية المتنامي هنا في الجناح الغربي للوطن العربي.

II . انحلال البرجوازية الوطنية

1. تقدم البرجوازية هذه الأيام دعما سياسيا سافرا للنظام بصورة لم يسبق لها مثيل، في الحملة الفاشية المتصاعدة للنظام ضد الحركة الجماهيرية و قواها المناضلة، ابتداء من اليسار الماركسي -اللينيني إلى الجناح الاتحادي البلانكي ، و إلى الحد الذي تساهم فيه البرجوازية في حفلات النظام دون خجل، فمنذ أيام حين كان مناضلو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية يعذبون في الفيلات السرية، على أيدي جلادي النظام، لم يجد عبد الله إبراهيم أي حرج، و هو الزعيم المزعوم للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، في حضور حفلة زفاف "أمينة" علانية و مصافحة حسن المجرم، و حين كان المقاومون الحقيقيون يذوقون صنوف التعذيب الجهنمي كان علال الفاسي المهترئ، يجلس إلى مائدة عصمان في حفلة تأسيس المقاومين-العملاء و البوليس[4]. و قبل ذلك قامت صحافة حزب الاستقلال بالتحريض و التغطية الدعائية لعملية الحكم في تصفية اليسار الثوري، و بعملية تهجم شديد ضد الفكر الثوري، و البحث عن أفضل الصيغ القانونية لحل منظمة الجماهير الطلابية المناضلة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، ثم بالصمت المتواطئ في تصفية المناضلين الاتحاديين في الأيام الأخيرة

4 . ساهم البشير الفكيكي الذي يدعي لنفسه "الماركسية"، و كذلك سعيد بونعيلات و آخرين في عملية التأسيس.

و توقيف حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، أما البيروقراطية النقابية فإنها تقوم بالدور الموكول إليها في تكسير نضالات الطبقة العاملة و إجهاضها بأشد الطرق الفاشية، و بشكل يغدو معه من المستحيل على طبقتنا العاملة إذا هي أرادت أن تحتل موقعها التاريخي في قيادة كفاح شعبنا أن تفصل بين النضال ضد الباطرونات و البوليس و بين النضال ضد عصابات البيروقراطية النقابية.

إنه الانحلال الذي تعرفه البرجوازية الوطنية منذ صفقة إيكس-ليبان المخزية، الانحلال الذي يجعل من هؤلاء السادة في نهاية المطاف قوة احتياطية أخيرة للنظام، كلما احتاج إلى التنفيس عن أزمته المتنامية.

2. إن الأساس الموضوعي لهذا الانحلال هو التفكيك الاقتصادي الشديد للبرجوازية المتوسطة، و هي التي تسمى عادة بالوطنية أو الليبرالية، في بنية النظام التبعية، و هذه إحدى الميزات الرئيسية لدينامية الصراع الطبقي ببلادنا، ففي نظام التبعية للإمبريالية تنعدم الأسس الموضوعية لنمو وازدهار البرجوازية المتوسطة، بحكم هيمنة المصالح الإمبريالية الاحتكارية و تحويلها بلادنا إلى مصدر للمواد الأولية و سوق لمنتوجاتها الصناعية، و استيلاء الكمشة الحاكمة على موارد البلاد و اقتصاده. إن نسف الأساس الاقتصادي و تفكيك الأوصال السياسية للبرجوازية الوطنية، كان الشرط الأول بالنسبة لاستراتيجية الاستعمار الجديد منذ استقلال 1956 الشكلي. و بحكم التخطيط الاقتصادي للاستعمار الجديد لم يكن للبرجوازية المتوسطة إلا مجال هامشي تحت مراقبة جهاز الدولة الطفيلي يتم تضييقه باستمرار يتكون من بعض الصناعات الخفيفة و التحويلية و قطاع الخدمات ... ينتهي إلى الاندماج تدريجيا في جهاز الدولة الذي يتوسع احتكاره و هيمنته على كل اقتصاد البلاد، و يقلص قاعدة البرجوازية المتوسطة و يدفع بأقسام منها إلى خدمة جهاز الدولة في شكل برجوازية تقنوقراطية، و أقسام أخرى منها إلى صف البرجوازية الصغرى و حتى الجماهير الكادحة، أما عملية توزيع الأراضي فلا تؤدي مطلقا إلا إلى نموها لأن هذه الأراضي تبقى في ملك الدولة بشتى الأشكال (التعاونيات، القروض ...) و لا تؤدي إلا إلى نمو فلاحين متوسطين هم من البرجوازية الصغرى، يلعبون دور صمام أمن بالنسبة لاستحواذ الملاكين الكبار على الأراضي.

3. ذلك هو الأساس الموضوعي لهذا الانحلال، و الذي يعبر عنه تقلص الأجهزة السياسية البرجوازية إلى فئات من المحترفين السياسيين، لا مستقبل لهم إلا في إطار خدمة النظام كأطر له، و تحولهم كقوة احتياطية له.

في بلدان عديدة مما يسمى بالعالم الثالث استطاعت بعض البرجوازيات الوطنية أن تحقق نموا نسبيا مستقلا، في الإطار التبعي لنفسه، وفقا لشروط خاصة، مثل الهند و الشيلي ... و بنسبة أقل تونس، و استطاعت هذه البرجوازيات نتيجة لذلك أن تقطع أشواطا في بناء أنظمة ليبرالية نسبيا، بحكم أن هذه البرجوازيات لم تستنفذ شعاراتها الوطنية نهائيا. في بلادنا كما أوضحنا سابقا تنعدم هذه الأسس بتاتا، و تنعدم تبعا لذلك أسس تطور ليبرالي في إطار النظام الحالي، و تنعدم تبعا لذلك أسس النضال الديمقراطي الليبرالي، هذا ما تظهره المحاولات اليائسة لبرجوازياتنا في تحقيق ذلك، و هو ما يظهر عبث هذه المحاولات الآن، تلك التي يريد من خلالها عبد الله ابراهيم أن يجعل من نفسه "ألندي" المغرب، تحت ستار تحليلاته العلمية، و ما يظهر أيضا سخافة أوهام علال في ملكية دستورية تحت ظل الحسن و نظامه. إن هذا الانحلال يؤدي بخروج الأجزاء الجذرية من هذه البرجوازيات كما هو الحال في العمليات الأخيرة للجناح الاتحادي البلانكي و في الطريق الإرهابي المسدود، أما تلك المتحجرة و المتعمقة منها التي تظل سجينة أوهامها "الإصلاحية" و الليبرالية فهي ستتحول إلى خدمة النظام في نهاية المطاف، و هو التحول الذي تبدو بوادره منذ الآن.

III . اندحار الجناح البلانكي البرجوازي الصغير

1. يشكل اندحار المحاولة المغامرة الجديدة للجناح البلانكي البرجوازي الصغير، المدعو بجناح البصري الميزة الأساسية للوضع الراهن، بسبب ما تفرضه على اليسار من تقويم لاختياراته وخطته، و بسبب ما يتركه على وعي وتطور الحركة الجماهيرية من آثار سلبية، و ما يفرضه على النظام تحويل في سياسته تلك التقديرات المتسرعة التي أفقدت عديدا من المناضلين الرؤية الاستراتيجية السلبية، و واضح أن هذا المأزق لا تسببه أخطاء عسكرية، و لا عدم اختيار الشروط السياسية المناسبة لانطلاق العمل المسلح، بل يرجع في العمق على التصور الطبقي البرجوازي الصغير للثورة، الذي يقود إلى النهج التآمري المغامر، يقفز عن حركة الجماهير الثورية و قدرتها على صنع الثورة خلال مسيرة الحرب الشعبية في تحطيم العدو الطبقي و أسياده الإمبرياليين.

2. لم تحمل هذه العمليات تحولا جديدا في النهج الإصلاحي-البلانكي المزدوج لدى هذا الجناح الجديد هو تمكن الشبكات هذه المرة من إنجاز بعض عمليات مهما كان حجمها و فعالياتها، فقد اعتادت المخابرات البوليسية للنظام اصطياد هذه الشبكات بسهولة كبيرة

قبل اكتمال نموها، هكذا كان الحال في 1936 و في 1969 وفي غشت 1972 أن كثيرا من الرفاق يحاولون تخطئة تحليلنا السياسي السابق حول مراهنة هذا الجناح، حول البرلمان والانتخابات، وفي الحقيقة فإن هذا الجناح كان يزاوج دائما بين خط إرهابي تآمري في شكل البحث عن الانقلاب أو تنظيم شبكات تقنية مسلحة يمكن أن تقلب الحكم، و بين خط إصلاحي انتهازي تفاوضي يستعمل كواجهة و تغطية للخط الأول، و هو في الحقيقة توفيق بين فئتين، كل منهما يستخدم الآخر لتنفيذ خطته. و نقص التحليل السابق يكمن في عدم طرحه المراهنة على البرلمان ضمن هذه الازدواجية.

إن من بين أهم التقديرات الأساسية التي قادت مجموعة البصري الذي لا يستفيد من الدروس أبدا، إلى المأزق المأساوي الراهن، الذي يعرفه إرهاب البرجوازيين الصغار في كل مكان و زمان و هي :

أ. المراهنة على خلق ظرف ثوري، سيجر الجماهير إلى معمعان النضال لإسقاط الملكية و إقامة الجمهورية.

ب. المراهنة على انفجار التناقضات داخل الجيش، في شكل انقلاب يحمل المجموعة إلى السلطة، أو في شكل انضمام قوات الجيش إلى المجموعات المقاتلة.

3. هل يمكن أن تخلق هذه العمليات وضعا ثوريا مناسبا أو "الثورة" كما تصرح بذلك إذاعة الجناح من ليبيا؟

ما هو أولا بوجه عام الظرف الثوري؟ أن يتميز أولا بأزمة خانقة للطبقة الحاكمة بحيث تكون غير قادرة على الاستمرار في الحكم بأي من الوسائل. أن يتفاقم بؤس الجماهير الكادحة و يشتد تفاوتها أكثر من المألوف ثانيا، و أن تكون هذه الجماهير الثورية ثالثا بحكم نضال طويل ومتعاظم في شكل الحرب الشعبية في مرحلة القوة التاريخية القادرة على استلام السلطة، هذه هي الشروط الموضوعية الثلاثة الأولى. و أن تكون الطبقة الثورية القائدة الطبقة العاملة هي طليعة الكفاح الطويل والشاق لتحطيم العدو الطبقي و إرساء الجمهورية الديمقراطية الشعبية كشرط ذاتي رابعا.

4. قد لا نحتاج إلى تحليل عميق لندرك انهيار هذه المراهنة، فأي من الشروط التي ذكرناها، (و التي تشير غليها الماركسية بوضوح التي تلخص دروس أكثر من قرن وربع قرن من كفاح الحركة العمالية) لا يتوفر بنفس الحجم المطلوب، و الذي يشكل فيه عامل نمو حركة الجماهير و تجذرها و تمرسها في النضال وصولا إلى الكفاح المسلح و تحطيم العدو الطبقي وأسياده الإمبرياليين عبر الحرب الشعبية الطويلة

المدى الشرط الأساسي، و هي المسيرة التي تفرض قيادة البروليتاريا من خلال ممثلها السياسي الحزب الثوري، الذي لا يتبلور إلا من خلال عمل سياسي و تنظيمي طويل النفس في قلب الحركة الجماهيرية، و يتقوى ويتصلب عبر مرحلة الكفاح المسلح نفسه في مقدمتها الطبقة العاملة و الفلاحين الفقراء. و إن تعويض هذا الشرط بإلهاب حماسة الجماهير عن طريق إذاعة مهما بلغت درجة بلاغتها الثورية، أو من خلال حزب سياسي منخور تتحكم فيه ممارسة إصلاحية انتهازية لا يمكن أن تقود إلا إلى المأزق الحالي.

لقد رأينا سابقا أن أزمة النظام لا يمكن أن تأخذ حجمها الكامل كما يستوجب الظرف الثوري، إلا بقدرة الحركة الجماهيرية على التنامي والتجذير بطاقات متعاظمة باستمرار.

و في ظل غياب هذه الشروط، و غياب الوعي الثوري المقترن بوجود الطليعة البروليتارية المنظمة، فإن هذه العمليات ستترك آثارا سلبية على وعي الحركة الجماهيرية، التي رأت فشل كل المحاولات الفوقية لقلب النظام العميل، و يزكي في وعيها الحسي رسوخ النظام و قوته الزائفة، في نفس الوقت الذي لم تدرك فيه بعد طاقاتها و قدرتها على تحطيم النظام وإقامة الجمهورية الديمقراطية-الشعبية : جمهورية مجالس العمال و الفلاحين الفقراء و الجنود الثوريين. و ستعجز هذه العمليات حتى عن إعطاء المثال الملموس للكفاح المسلح كما يزعم البعض لأن إدراك الجماهير لضرورة العنف الثوري كشكل ضروري لتحطيم عدوها لا يأتي إلا عبر التجربة الملموسة للجماهير و إدراكها الملموس لطاقاتها في النضال الثوري أولا، يقترن ذلك بعمل سياسي دعائي واسع و منظم للطليعة الثورية ثانيا.

5. إن التدخل السريع والفعال لقوات النظام القمعية وقدرتها بسرعة على عزل المقاتلين وتصفيتهم يرجع إلى سوء تقدير النظام، و احتقار دور الجماهير في بناء طريق الثورة.

فرغم ضعف النظام و تزايد أزمته، إلا أنه لا يعاني انقساما بين فئاته و صراعا مسلحا بينها، يفقد النظام سرعة التدخل و الحركة في تصفية المجموعات المسلحة، و يسمح لهم ببناء قواعد صغيرة محررة مستغلة ظروف التطاحن بين فئاته كما وقع في الصين في إقامة مناطق السلطة الحمراء الأولى في السنوات الأولى للثورة الصينية، إن هذه الظاهرة لم يعرفها الحكم في المغرب إلا بساعات قليلة يوم 10 يوليوز 1971. فالنظام ضعيف ولكنه مركزي في الوقت الذي لم تزل فيه حركة الجماهير غير قادرة على تعميق هذه الأزمة وتفجيرها، و من

المؤكد أنه لن يعرفها مستقبلا، و أن طابع الصراع بين فئاته سيأخذ طريقة الحسم السريع (الانقلاب العسكري بصفة خاصة)، بحكم الشروط الملموسة لبلادنا، و في مقدمتها اهتمام الإمبريالية ببلادنا بحكم موقعها الاستراتيجي الهام والمتمركز في المنطقة عبر قواعدها داخل بلادنا أو قواعدها الضخمة في أسبانيا، و هذه استراتيجية الإمبريالية في عصر اندحارها على نطاق عالمي كما تبرره أمثلة كوريا والفيتنام و الدومينيكان، و العدوان الحاصل الآن في الكامبودج و اللاووس ... كل هذه الشروط تجعل من تكتيك حرب العصابات المتنقلة كما وقع في كوبا، يمكن أن تجر الجماهير إلى الكفاح و الاستيلاء على السلطة (حيث اقترن في الواقع الكفاح السياسي بالكفاح المسلح) طريقا غير صائب بالنسبة للثوريين، و يؤدي بها حتى في حالة استمرارها على عزلها و حصرها في المناطق الجبلية الوعرة التي لا تسمح بتنمية الكفاح الثوري الجماهيري في المناطق الرئيسية التي يتمركز فيها الصراع الطبقي.

إن هذه الشروط تظهر بشكل قاطع صحة طريق الحرب الشعبية، الطريق الوحيد للثورة في بلادنا، طريق بناء الطليعة البروليتارية، و بناء جبهة العمال و الفلاحين الفقراء المعتمدة على نضال الفلاحين في الاستيلاء على الأرض و تصفية المعمرين الجدد، و تأسيس الكتائب الأولى من الجيش الأحمر في شكل القواعد الحمراء المتحركة لتجنب سرعة تدخل قوات العدو، و توسيع و تعميق نضال الجماهير الشعبية في المدن، وصولا إلى بناء المناطق المحررة الأولى لجمهورية مجالس العمال و الفلاحين، و توسيع جبهة الكفاح في المنطقة إلى معركة التحرر الوطني في الصحراء الغربية و كفاح الشعب الموريطاني.

هذه العمليات ليست إذن عاجزة فقط عن دفع نمو تجذير الحركة الجماهيرية و بلورة الطليعة البروليتارية، بل إنها تعطي للنظام زمام المبادرة في إنهاء أزمته وتشديد الفاشية وإرهاب الحركة الجماهيرية، من أجل إعادة بناء قواه و تصفية تناقضاته، و بناء جهاز فاشي قوي، و هي العملية التي بدأها النظام في الشهور الأخيرة في بناء البوليس و تشتيت الجيش و إرسال جزء منه إلى سوريا، و أخيرا في بناء منظمة من العملاء و البوليس و الانتهازيين، و هذا هو أساس تحركات الديبلوماسية في واشنطن والجزائر وأسبانيا، و تعجل بشكل أساسي الحل الإمبريالي الأمريكي و تدفع فئات الطبقة الحاكمة إلى التعجيل بإنهاء أزمة النظام و أمطار الانفجار التي يحملها الوضع الراهن. إن اتجاه هذا الحل و طابعه الأساسي –كما أوضحنا في تحليلنا لأزمة النظام- يرشح الحل العسكري اليميني، و قد تعلمت الإمبريالية في مثل هذه

الظروف، كيف تستوعب نقمة الجماهير و سخطها في انقلاب عسكري فاشي يزعم لنفسه إقامة جمهورية "وطنية" و إصلاحات "وطنية" و حتى "ثورية"، و الأمثلة معروفة.

6. إن مبدأ الماركسية اللينينية الأول هو أن الثورة من صنع الجماهير، إن الثورة هي ممارسة الجماهير المنتجة و المنظمة بطليعة البروليتاريا، الطبقة الثورية حتى النهاية، بتحالف مع جماهير الفلاحين الفقراء و المعدمين : الحليف الدائم للبروليتاريا ليس في الثورة الديمقراطية المعادية للإمبريالية و الإقطاع، و لكن حتى في الثورة الاشتراكية التي تهدف إلى تحطيم الرأسمالية و بناء الاشتراكية، وصولا إلى المجتمع اللاطبقي الذي تنمحي فيه كل أشكال الاستغلال، و بتحالف مع الجماهير الصغيرة و الفئات الوطنية داخل البرجوازية المتوسطة : الحليف المؤقت للبروليتاريا، في جبهة عريضة تستهدف إقامة الجمهورية الديمقراطية الشعبية : جمهورية مجالس العمال و الفلاحين و الجنود الثوريين. هذه هي طريق الماركسيين-اللينينيين الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يضعوه موضع تردد أو تحريف، ليست الثورة فقط من صنع الجماهير لأن الجماهير المنتجة و المضطهدة هي القادرة على تحطيم سلطة المعمرين الجدد و الوسطاء والرأسمال الأجنبي و الجلادين و تدمير جهاز الدولة الاستغلالي والقمعي عبر الحرب الشعبية الطويلة المدى، و لكن لضمان مسيرة الثورة و تأمين قوتها في وجه الأعداء، و القوى التي تريد الارتداد إلى الرأسمالية، و في وجه أي تحريف بيروقراطي لن يكون إلا لصالح البرجوازية، فالثورة البروليتارية هي أول ثورة في التاريخ يصنعها العبيد هذه المرة لحسابهم الخاص.

فالعنف الثوري إذن هو تتويج لممارسة الجماهير الثورية، و ليس عملا تقنيا يمكن أن تقوم به شبكات معدة أحسن إعداد، إن هذا الفهم لا يمكن أن يقود غلا إلى المآزق الدموية للمناضلين، مهما بلغت درجة تنظيمهم و تسليحهم، الشيء الذي أثبتته الأيام الأخيرة حين شملت هذه الاعتقالات كل المجموعات تقريبا (مما يظهر أن الجناح قد زج بكل مناضليه في هذا المأزق) و وصلت إلى سياسيي الحزب المسالمين، و سقوط كميات ضخمة من الأسلحة الجيدة التي لم تعرف طريق الاستعمال بعد.

يمكننا كذلك أن نضيف الخطأين التاليين من نفس المنظور السابق :

أ. لم يكن اختيار الأماكن المحددة للعمليات اختيارا مدروسا، و اختيارا سياسيا، إن قيام العمليات في أماكن معزولة لا يحدده فقط وضع جغرافي مناسب، بل حدة الصراع الطبقي في المنطقة و تمركز المصالح الإمبريالية، مما يعطي مناخا جماهيريا مناسبا لعمليات عسكرية تستهدف مصالح الأعداء الطبقيين (المعمرين الجدد) و دفع جماهير الفلاحين إلى احتلال الأرض و مقاومة قوات العدو (تادلة، الغرب، سوس ...) كما وقع بصورة عفوية و جزئية في خنيفرة.

ب. مهاجمة المخزنية و رجال البوليس العاديين، مما سيسيء إلى هذه العمليات، ما دام مطلوبا من هذه الفئات، التي هي جزء لا يتجزأ من الجماهير الشعبية، بان تحول بنادقها إلى صدر النظام بجانب الجماهير و طلائعها المسلحة، الأمر الذي لا يكون عفويا، بل من خلال عمل سياسي و تنظيمي للطليعة البروليتارية داخل هذه الفئات، و لا يمكن هذه العمليات إلا أن تفيد العدو في ضمان إخلاص هذه القوات إليه و منع أي تصدع داخل جهازه القمعي.

7. أما برنامج "الثورة" المقدم في إذاعة ليبيا، فهو نفس البرنامج الإصلاحي التفاوضي، و هو تعبير عن نفس الروح الطبقية البرجوازية التي تحرك هؤلاء في إقامة جمهورية ديمقراطية برجوازية، و تأكيدا بالتالي لفشلهم التاريخي. و هو يختلف اختلافا جذريا عن البرنامج البروليتاري، الذي يستهدف تصفية المصالح الإقطاعية و الرأسمالية و بناء نظامها الاشتراكي الحق، عبر دكتاتوريتها الحقة و تحالف الفلاحين الفقراء. إن النقطتين التاليتين كافيتان لإبراز الخلاف العميق و الأساسي بينهما :

- إن شكل الدولة في البرنامج البرجوازي، هو عين الجمهورية الديمقراطية البرجوازية في أعلى أشكالها، جمهورية المجلس التأسيسي، أما دولة البروليتاريا، فتقوم على تنظيم المجالس الشعبية التي تمارس من خلالها السلطة السياسية و الاقتصادية. المجلس التأسيسي هو تنظيم البرجوازية و دكتاتوريتها، و هي دكتاتورية الأقلية على الأغلبية، المجالس هي تنظيم سلطة البروليتاريا و حلفائها في الجمهورية الديمقراطية الشعبية، و هي دكتاتورية الأغلبية على الأقلية.

- إن الإصلاح الزراعي المقترح ليس إلا تركيز هيمنة الرأسمالية البرجوازية على جماهير الفلاحين الفقراء، أما الثورة الزراعية التي هي عماد الثورة الديمقراطية. فهي انتزاع الأراضي من المعمرين الجدد من طرف الفلاحين المسلحين و المنظمين في مجالسهم.

IV . نمو الحركة الجماهيرية

1. عرفت الحركة الجماهيرية منذ سنة 68، و بصفة خاصة منذ سنة 1970 نهوضا جديدا أعقب سنوات الركود التي تلت مارس 65 حين أسال رصاص العدو دماء الجماهير الغاضبة في شوارع البيضاء.

لقد شكلت مارس 65، منعطف تحول حاسم في نمو المسيرة النضالية لشعبنا، لا يقاس فقط بمقدار الضحايا و الدماء التي صبغت شوارع البيضاء، و لكن بسبب شعاراتها التي تنادي بإسقاط الملكية، و رفع شعار الجمهورية لأول مرة في تاريخ الحركة الجماهيرية.

لقد كانت 1965 حاصلا موضوعيا لاشتداد عملية النهب الاستعماري الجديد، بعد فشل و إبعاد البرجوازية الوطنية من الحكم، و انفراد الطبقة الحاكمة بالسلطة ابتداء من 1962، و تدشين عهد الإرهاب بشكل مباشر منذ سنة 1963، و أدت عملية النهب الشديد إلى تفاحش وضعية الجماهير بشكل لم يسبق له مثيل، جعل منها أيضا في وضعية قابلة للانفجار و بالقدر الذي كانت عليه في مارس 1965.

كانت 1965 أيضا، بعفويتها نقدا دمويا للإصلاحية التي كانت حتى ذلك الحين، في مقدمة الحركة الجماهيرية؛ إدانة لبرامجها و خطها الديمقراطي، الليبرالي، و البلانكي المتستر.

و بسبب غياب الأداة الثورية القادرة على بلورة الطاقات الثورية للجماهير الكادحة، و ضمان السير بها نحو انتزاع مكاسب من النظام، بسبب تخاذل الإصلاحية و طبيعتها المساومة و خوفها من الحركة الجماهيرية، فقد تحولت مارس 1965 إلى مذبحة، و ركزت الجمود و الركود داخل حركة الجماهير لفترة قصيرة، و دفعت النظام إلى تصعيد عملية النهب و القمع في شروط أفضل من مرحلة ما قبل مارس 1965.

لقد كانت هزيمة الأنظمة البرجوازية المتخاذلة في يونيو 1967، و نمو المقاومة الفلسطينية المسلحة عاملا لا يمكن إغفاله في نمو الحركة الجماهيرية و نهوضها. هكذا بدأت تستعيد الحركة الجماهيرية، و في مقدمتها الطبقة العاملة، طاقاتها النضالية، كما يتجلى ذلك في إضرابات عمال مناجم جرادة و خريبكة الطويلة و إضرابات التلاميذ و الطلبة. و تطورت نضاليتها بصفة خاصة ابتداء من 70، سواء داخل القطاع العمالي أو داخل جماهير الفلاحين مع انتفاضة فلاحي أولاد خليفة المجيدة وسطات، أو في حركة الشبيبة المدرسية. فالنضالات الهائلة في فبراير و مارس التي توجت بمناورة إفران التي شكلت رصيدا جديدا للإصلاحية في المساومة على ظهر نضالات الجماهير، و إضراب

الجماهير الطلابية الشامل يوم 4 مايو 1970 ضد زيارة "لويز برافو" وزير خارجية الاستعمار الأسباني، أو في نضالاتها ضد التجنيد في مايو و يونيو التي حملت معها المظاهرة كوسيلة نضالية دائمة.

2. لقد صحب هذا النمو المتزايد تجذير في نضالية الحركة الجماهيرية، تجذير شعاراتها و مطامحها، و تجذير في أساليبها النضالية.

و شكلت الشبيبة المدرسية، حركة التلاميذ و حركة الطلبة، الفئة المتقدمة داخل الحركة الجماهيرية التي حملت لواء هذا التجذير و عبرت عنه، فجماهير التلاميذ بحكم انتمائهم عضويا إلى الجماهير الكادحة يشكلون مثقفي هذه الجماهير و المعبرين عن وعيها الحسي، فهم يعكسون بداية تبلور الوعي لدى الجماهير، ابتداء من مارس 1965 و ابتداء من يوليوز 1967. و هذا ما يفسر انبثاق اليسار و حمله لخط جذري اتجاه مختلف قضايا المسيرة الثورية الجماهيرية/ من داخل طلائع حركة التلاميذ و الحركة الطلابية، و هذا الانبثاق هو التعبير الناضج عن تجذير الحركة الجماهيرية و اكتسابها طابعا أقوى باعتبار أن اليسار الثوري هو حامل مستقبل أقوى و تنامي الحركة الجماهيرية كقوة تاريخية حاسمة.

أما بالنسبة للطبقة العاملة فإن هذا التجذير، لا يمكن وضعه من زاوية مقياس الدور التاريخي الذي ستلعبه كطليعة للثورة، و لكن من زاوية الشروط الموضوعية التي تحدد وضع الطبقة العاملة، فمنذ 1968 تتواصل و تتعمق إضرابات الطبقة العاملة و بصفة خاصة منذ خريف 1971. و تواجه الطبقة العاملة في نضالها بشكل خاص ظاهرة الاستنزاف القوية، التي تعني تشريد الطبقة العاملة، و هي إحدى النتائج الحتمية لسياسية النظام التبعية القائمة على معاداة التصنيع الحقيقي للبلاد، الذي ينمي البطالة بشكل قوي في ظل تزايد السكان الهائل، و هذا يجعل شعارات الطرد و فصل العمال و إقفال المعامل تتصدر نضالات الطبقة العاملة، بالإضافة إلى شعارات الحريات النقابية و النضال ضد الممثلين النقابيين و القمع ... و هذا تحول كيفي مهم داخل نضالات الطبقة العاملة، إذا قارنا بين نضالات 1971 و ما قبلها التي كانت تتصدرها نضالات الزيادة في الأجور، و أدت إلى تحقيق رفع الأجور العام. إن هذا النمو و التجذر في نضالات الطبقة العاملة يجعلها في مواجهة جهاز القمع و يفرض تجولا في أساليبها النضالية يتجلى في احتلال المعامل و مواجهة عنف قوات القمع كما هو واضح في نضال عمال قطارة و نضالات عمال خريبكة الأخير في احتلال المساكن و نضالات عمال الكارطون في القنيطرة و نضالات عمال النسيج، و

من مظاهر هذا التحول الكيفي تحول على مستوى أساليب التنظيم، هذا ما يدشنه عمال المناجم في خريبكة و قطارة، و برز بشكل واضح في إضراب عمال السكك الحديدية البطولي الأخير حين قام العمال قاعديا بتنظيم لجن الإضراب التي نظمت الإضراب و سهرت عليه. كما أن النضالات و المظاهرات الضخمة التي قامت بها الطبقة العاملة في الخارج في الأسابيع الأخيرة تسير في نفس الاتجاه.

إلا أن البيروقراطية النقابية لا زالت تشكل عرقلة كبيرة في وجه الطبقة العاملة وتمارس تكسير نضالاتها و تفتيتها، و إجهاض ظهور الوعي البروليتاري الذي يتنامى لدى الطبقة العاملة، الشيء الذي يجعل من البيروقراطية النقابية الحليف الموضوعي للرأسمال في تشريد الطبقة و اضطهادها، مما يفرض على هذه الأخيرة ربط نضالها ضد الرأسمال و القمع بالنضال ضد البيروقراطية النقابية.

أما داخل حركة الفلاحين فإن هذا التجذير يكتسب طابعا أكثر حدة، فالجماهير الفلاحية الفقيرة تجد نفسها مباشرة في مواجهة نظام المعمرين الجدد و جهازهم القمعي، حيث تمارس عملية انتزاع أراضيهم و تشريدهم و تحويلهم إلى عمال زراعيين أو عاطلين يحالون على معسكرات الاعتقال الجماعية في مدن الزدير، و في أحسن الأحوال يصدرون إلى الخارج في شكل أيدي عاملة. و بدلا من أن تستطيع مهزلة (حسن) "الثورة الزراعية" تجميد و إخماد التمردات الفلاحية التي تتسع، فإنها خلقت جوا متوترا بسبب طرق التوزيع و وسائله مما يجعل من الأراضي القليلة الموزعة في النهاية ملكا لجهاز الدولة بعدة وسائل ... (ما يسمى بالتعاونيات، القروض الإجبارية، الضرائب، ...إلخ).

هكذا فإن شعار الأرض يتصدر نضالات الفلاحين و مطالبهم وبأساليب أكثر جدرية (احتلال الأرض) مما يضعهم في مواقع الصدام المباشر مع الجهاز القمعي، و الأمثلة معروفة في هذا المجال (أولاد خليفة، سطات أولاد تايمة، تسلطانت، أنكاد، آيت علة ...).

و تعرف جماهير البرجوازية الصغرى بدورها نموا كيفيا في نضالاتها، ليس فقط على مستوى الحركة الطلابية التي ترتبط شديد الارتباط بحركة الجماهير الكادحة و تتأثر بعدة عوامل في مقدمتها تزايد قاعدتها من أبناء الجماهير الكادحة، و تمركز متقدم للفكر الثوري و اليسار داخلها، بل كذلك قطاعات الأساتذة و المعلمين الذين شنوا هذه السنة إضرابا وطنيا موحدا و شاملا لأول مرة منذ 1965، و كذلك المهندسون و التقنيون و صغار التجار ...، الذين يتعرضون للقمع الاقتصادي و الثقافي من طرف كمشة الطبقة الحاكمة.

3. إن إحدى الظواهر الأساسية المميزة لنمو الحركة الجماهيرية، هو اتجاهها في نضالاتها نحو الوحدة، و هذه الظاهرة رغم أنها لا تزال في مرحلتها البدائية إلا أنها تكتسي أهمية خاصة في نظرنا، لأن هذه الوحدة تعني إزاحة لعراقيل التقسيم التي يمارسها الحكم و أذنابه من البيروقراطيين النقابيين و الانتهازيين، و تعطي للحركة الجماهيرية قوة أمثل. لقد بدأ ذلك يتجلى في التحام حركتي التلاميذ والطلبة، و دعم الجماهير لهما، و تبلور أكثر في الإضراب الموحد و الشامل على مستوى كل قطاع السكك الحديدية، و على مستوى إضرابات الأساتذة و المعلمين حول شعارات موحدة، وبدأ يتطور نسبيا داخل قطاع النسيج. كما أن أشكال التضامن قد بدأت تتسع و تهدد بتكسير كل العوائق و الحواجز بين مختلف فصائل الحركة الجماهيرية.

و واضح أن هذه الوحدة لا تزال عفوية و جزئية في مراحلها البدائية الأولى، فالقوى الانتهازية و البيروقراطية، و قصور الوعي الجماهيري من بين العراقيل القوية التي لا تزال تمنع هذه الوحدة من أن تأخذ طابعها المتماسك و المتلاحم الذي يخيف بحق النظام و الانتهازيين.

غياب الحزب الثوري البروليتاري القادر على بلورة الطاقات الثورية للجماهير في جبهة ثورية واحدة بقيادة البروليتاريا هو العامل الحاسم؛ فهذه الوحدة تشتد و تتماسك في ظل النضال السياسي الثوري في مواجهة النظام ولا يمكن أن تتبلور في ظل نضالات مهنية تفرض تقسيما في نضالات الجماهير بين هذا القطاع و ذاك، و هذا المعمل أو الآخر، إلا أن اتجاه الحركة الجماهيرية يحمل بذور وحدتها و قوتها.

4. نريد أن نشدد هنا على طابع هذا النمو، إن هذا النمو و التجذير داخل الحركة الجماهيرية، ليس نموا مستقيما و صاعدا في خط واحد لا انعراج فيه، بل هو نمو في اتجاه التصاعد و التجذير و الوحدة عبر النكبات و الأخطاء التي تفرضها بشكل أساسي عفوية الحركة الجماهيرية التي تظل الطابع الأساسي للحركة الجماهيرية في الوضع الراهن.

إن هذا النمو لا يقاس بتراجعات جزئية في هذا القطاع أو ذاك، بل هو طابع المرحلة التاريخية ككل ابتداء من 1968، و التي يحددها بشكل أساسي العامل الموضوعي الرئيسي : تصعيد الاضطهاد و الاستغلال من طرف الأقلية الحاكمة و تفاحش وضعية و بؤس الجماهير،

هذا التصعيد الذي يمركز في هذا القطب الثراء والبذخ، و في القطب الآخر الفقر و الجهل، و العزم على النضال أيضا، إن الواقع الموضوعي يدفع الجماهير إلى النضال بكل أخطاء هذا النضال و قصوره الناتج عن عفوية الحركة الجماهيرية. بيد أن العامل الموضوعي لا يكفي في حد ذاته، و لا يمكنه أن ينقل نضال الجماهير إلى مرحلة النضال الثوري الجذري بل إن هذا الانتقال رهين بعملية نشوء و تبلور الحزب الثوري.

نريد أن نشدد على هذه المسألة لأن نزعات متعددة قد تبلورت داخل المناضلين، بعضها يرى في الحركة الجماهيرية الخصائص التي أشرنا إليها في شكل إيجابي بشكل يدفع إلى نزعة مغامرة قد تجره إلى أخطاء قاتلة في ظل الوضع الذاتي للحركة الماركسية-اللينينية و تصاعد فاشية النظام، (نفس أخطاء البلانكيين). و أخرى تبالغ في تقدير تلك التراجعات الجزئية و تجعل منها ردة يمينية داخل حركة الجماهير و هذا التقدير يهدد بنشوء انعزالية مميتة داخل اليسار الماركسي اللينيني.

إن أخطاء هذا التقدير تقوم أساسا في نظرة ضيقة و سطحية للحركة الجماهيرية، نظرة ضيقة و سطحية في علاقة الحركة الجماهيرية بالقمع المسلط، نظرة ضيقة لتراجعات الحركة الجماهيرية و الاضطهاد في قطاعات يوجد داخلها اليسار.

فما يسمى بالردة داخل الحركة الجماهيرية لا يمكن قياسه بتراجعات محدودة داخل هذا القطاع أو ذاك، إنه مرتبط بتصاعد فاشية النظام، و هذا التصاعد نفسه هو رد فعل النظام على نمو الحركة الجماهيرية و نمو جذريتها، كما أن أخطاء اليسار الماركسي اللينيني في التوجيه، و قصوره في العمل الدعائي الثوري و في التأطير، يفرض ذلك؛ بالإضافة إلى العراقيل التي تزرعها البيروقراطية النقابية و الانتهازية في هذا النمو و التي يمكنها استغلال شروط مثل هذه لتحقيق مآربها في تكسير الحركة الجماهيرية و فرض تراجعات داخلها و الاحتفاظ بها تحت وصايتها.

إن طابع المرحلة، كما رأينا، هو النمو والجذرية، و هو نمو لا يتم في خط مستقيم وسهل، و وفق رغبات الثوريين الذاتية، إنه تجذير و نمو يفرضه واقع الجماهير المضطهدة نفسها، من خلال الأخطاء و الانتصارات، ما دام الطابع الأساسي هو العفوية بكل ما تحمله هذه العفوية من تفكك و تشتيت في قوة الحركة الجماهيرية. و ما دام تجاوز هذه العفوية مشروط في المقام الأول، بانبثاق الأداة الثورية البروليتارية، القادرة على بلورة الطاقات الثورية الجماهيرية و بلورتها كقوة متراصة وحاسمة في مواجهة العدو الطبقي و سيدته الإمبريالية،

فإن هذا يطرح بالدرجة الأولى على اليسار الماركسي اللينيني مهامه الأساسية في عملية نشوء و تبلور الأداة، باعتباره البديل الناشئ لكل القيادات الإصلاحية و الانتهازية المتعفنة و الانقلابية، و ذلك من خلال قدرته على نهج خط سليم و طرح نفسه في قلب الحركة الجماهيرية، داخل الطبقة العاملة و الفلاحين الفقراء، و قدرته على تعميق تناقضات النظام و الإمبريالية، تلك التناقضات المشروطة في تعمقها بنمو قوة و جذرية الحركة الجماهيرية.

ثانيا : مهام الحركة الماركسية - اللينينية

يشكل قصور الحركة الماركسية-اللينينية في تأطير و تنمية نضالات الحركة الجماهيرية : الطبقة العاملة و الفلاحين الفقراء و الشباب الثوري، عاملا أساسيا في تأخر تبلور الحركة الجماهيرية كقوة حاسمة على ساحة الصراع الطبقي الذي يدخل في الوضع الراهن –كمارأينا- مرحلة جديدة. فما دامت الطبقة العاملة و مجموع الجماهير الكادحة لم تفرز طليعتها البروليتارية، فسيبقى أمامها قطع مراحل طويلة في نضالها، أمام تزايد أزمة النظام و تصعيد فاشيته و أمام انحلال البرجوازية الوطنية و اندحار الجناح التآمري البرجوازي الصغير.

و على الحركة الماركسية اللينينية و هي المرشحة تاريخيا للقيام بدور حاسم في عملية بناء الأداة الثورية البروليتارية، بحكم أنها حاملة إيديولوجية الطبقة العاملة، عليها أن تحقق قفزة كيفية جديدة في خطها و ممارستها، من أجل السير قدما في عملية تبلور الأداة، و إذا لم تستطع تحقيق هذه القفزة المطلوبة بشكل حاسم، في الشروط الجديدة للوضع الراهن، الذي يتطلب تحولا جديدا في مختلف مستويات العمل الثوري، السياسية و الإيديولوجية والتنظيمية، فإنها ستعجز عن القيام بدورها في عملية انبثاق الأداة الثورية، التي هي بالدرجة الأولى عملية اندماج الطليعة الثورية المنظمة بحركة الطبقة العاملة أولا، و مجموع الجماهير الكادحة، و هي عملية كفاحية شاملة، تتطلب خطا إيديولوجيا وسياسيا و تنظيميا سديدا. إن الحزب الثوري هو حصيلة هذا الاندماج، فهو يتأسس و يتدعم كقيادة عامة لكفاح الجماهير، من خلال تقدم هذا الكفاح نفسه و تعمقه، فليس بناء الحزب الثوري عملية تتم خارج كفاح الجماهير بشكل سلمي و هادئ، ليس الحزب الثوري معطى سابقا على الحركة الجماهيرية أو نتيجة لها، إنه منتج و نتيجة لها في نفس الوقت، يتصلب و ينصهر في عنف الكفاحات الشاقة للجماهير الكادحة.

سنحاول من خلال طرح وتحديد المهام الأولية و الضرورية في الوضع الراهن معالجة وضعية الحركة الماركسية-اللينينية و قصورها، التي تشكل في نظرنا أرضية لالتقاء و تضافر جهود جميع الماركسيين اللينينيين لمواجهة حازمة لواجباتهم في المرحلة الراهنة. و يبقى واضحا أننا ما لم نواجه بنجاعة هذه الوضعية الذاتية، و ما لم ننكب عليها، فلن نستطيع إلا ترديد الشعارات الفارغة و الصراع الدائم حول القمع وفاشية النظام، أو تخلف الحركة الجماهيرية، أو خيانة الأحزاب الإصلاحية. ومعالجة وضعية الحركة الماركسية-اللينينية هو أمر لا يمكن أن يتم خارج الحركة الجماهيرية، في نقاش هادئ، بل يتم في صلب الحركة الجماهيرية، ومن خلال الصعوبات اليومية التي تثيرها، من خلال الأخطاء و القمع ذاته، و تمتين الحركة الماركسية اللينينية و تصليبها بدروس النضال ذاته.

1- الطبقة العاملة

يرتبط تبلور الأداة الثورية، بتجذر الحركة الماركسية-اللينينية داخل الطبقة العاملة، بحكم أن الطبقة العاملة هي طليعة الثورة.

ليست موضوعة : الطبقة العاملة طليعة الثورة، موضوعة عقائدية جامدة، بل حقيقة موضوعية تؤكدها نضالات الطبقة العاملة في طليعة كفاح شعبنا، سواء قبل 1955 من أجل الاستقلال، أو ما بعده وبصفة خاصة في السنوات الأخيرة، إنه الدور الذي يبرز يوميا رغم العراقيل العديدة المزروعة في وجه طبقتنا العاملة من طرف البيروقراطية النقابية ذنب الرأسمالية المتدلي داخل الطبقة العاملة، و يشكل غياب الفكر الثوري عرقلة أخرى في استمرار هيمنة البيروقراطية النقابية في تكسير نضالات الطبقة العاملة و تأخر الوعي البروليتاري الذي يشكل العملية الحاسمة في تحول الطبقة العاملة إلى بروليتاريا، إلى طليعة لكفاح شعبنا.

لهذا يتحتم على الماركسيين-اللينينيين تكثيف مجهوداتهم من أجل تبلور الوعي البروليتاري، يجب أن يأخذ شعار التجذر داخل الطبقة العاملة المكانة الأولى و الأساسية في مجالات العمل الثوري و وسائله الدعائية و التنظيمية، إلا أن هذا العمل داخل الطبقة العاملة لا يتم فقط ضمن علاقة ضيقة بالطبقة العاملة و بها وحدها فقط، بل إنه يتم من خلال إنجاز كل المهام التي سنعرضها، من خلال إنجاز الجريدة و نشر الفكر الثوري، من خلال رؤية سياسية واضحة للوضع الراهن و شعارات واضحة للنضال، من خلال ربط نضالات حركة

الشبيبة المدرسية (حركة التلاميذ و الطلبة) بالطبقة العاملة، و فضح طبيعة النظام الفاشية، و قبل ذلك بتوفر حركة ماركسية لينينية صلبة و طليعية، من أجل ذلك فإن هذا العمل لا يمكن إنجازه إلا بمراعاة الاعتبارات الأساسية التالية :

1. ينبغي أولا رفع الوعي السياسي لجماهيرنا العمالية، و لأجل ذلك يجب على الماركسيين-اللينينيين العمل على شن النضال السياسي ضد النظام، و في جميع فئات الجماهير الكادحة، من أجل فضح النظام و تعرية طبيعته القمعية و الاستغلالية، و تبيان ارتباط الباطرونات بالنظام، و ببوليسه و سجونه، و داخل أشد فئات الحركة الجماهيرية دينامية و قدرة في المرحلة الراهنة على فضح النظام و تعرية الأقنعة التي يتستر بها أحيانا، داخل حركة التلاميذ و حركة الطلبة التي تمكن من ذلك، و الدفع بها إلى الالتحام بجماهيرنا العمالية، و القيام بالدعاية و التحريض وسطها كحركات نضالية، أو لتكوين أطر مناضلة مستعدة للقيام بهذا الدور العظيم. ينبغي شن النضال السياسي في كل قطاعات المجتمع، حتى يتم تبلور الوعي الثوري لطبقتنا العاملة، لهذا ينبغي أن لا يسقط الماركسيون-اللينينيون في خطر حصر علاقتهم بالطبقة العاملة، و بها لا غير ، ذلك لأن الوعي السياسي الطبقي ، لا يمكن حمله إلى العامل إلا من الخارج، أي خارج النضال الاقتصادي، من خارج دائرة العلاقات بين العمال و أصحاب الأعمال، فالميدان الوحيد الذي يمكن أن نستمد منه هذه المعرفة هو ميدان علاقات جميع الطبقات و الفئات اتجاه الدولة و الحكومة، ميدان علاقات جميع الطبقات بعضها تجاه بعض، و لذلك فإنه على سؤال : ماذا ينبغي لحمل المعرفة السياسية إلى العمال ؟؟ لا يمكن تقديم ذلك الجواب الوحيد الذي يكتفي به في معظم الحالات المشتغلون في الميدان العملي ، فضلا عن أولائك الذين يميلون إلى "الاقتصادية"، و نعني جواب : "الذهاب إلى العمال"، ''فلكي يحمل الاشتراكيون-الديمقراطيون (الشيوعيون) إلى العمال المعرفة السياسية ينبغي لهم التوجه إلى جميع طبقات السكان، ينبغي لهم أن يرسلوا فصائل جيشهم إلى جميع الجهات.'' (لينين، ما العمل ؟ ص 105).

2. هكذا ينبغي على الماركسيين-اللينينيين التوجه إلى جميع طبقات و فئات الحركة الجماهيرية، من أجل النضال السياسي العام ضد النظام و فضحه، وهو عمل يتم في شروطنا الراهنة داخل حركة التلاميذ و حركة الطلبة، التي يمكنها، بنضالاتها المتصاعدة، أن تفضح طبيعته و أن تظهر لجماهير العمال، ارتباط الباطرونات بجهاز الدولة القمعي , وبصفة خاصة حين تنبثق جماهير هذه الحركات من

الجماهير الكادحة التي يشكلون مثقفيها، و لا يمكن أن نقلل من التأثير الذي خلقته نضالاتها في السنوات الأخيرة، و في هذه الحركة يمكن للحركة الماركسية-اللينينية أن تتزود بأطر مناضلة للقيام بمهام العمل الثوري داخل الطبقة العاملة، أطر تكون قد تمرست بالعمل الثوري، الدعائي والتنظيمي داخل حركة الشبيبة المدرسية و أصبحت قادرة على القيام بدور المحترف الثوري. كما أن نضالات جماهير الفلاحين المتزايدة و المتجذرة بشكل أساسي يشكل عاملا أساسيا في دفع الوعي داخل الطبقة العاملة و تعميقه باستمرار، مما يخلق الأسس الأولى لعمليات بناء جبهة العمال والفلاحين الثورية، لأن الطبقة العاملة في شروط بلادنا الملموسة، ترتبط بأشد الروابط بجماهير الفلاحين الفقراء، ليس فقط عمال المناجم الموجودة في قلب البادية، و لكن داخل الصناعات التي ينميها النظام في البوادي، بشكل أساسي (معامل السكر و المصنوعات التي تعتمد على الزراعة)، نفس الشيء بالنسبة لجماهيرنا العمالية في الخارج المتزايدة باستمرار، و يشكل جماهير التلاميذ السند التكتيكي الرئيسي للحركة الماركسية اللينينية في العمل داخل البادية بحكم اتساع جماهير التلاميذ من أبناء الفلاحين الفقراء.

3. في الشروط الملموسة لبلادنا، لا يشكل كفاح الطبقة العاملة ذاته القوة التي ستسقط النظام، إن هذه المسيرة لا تتم إلا في البلاد الرأسمالية المتقدمة حيث يتمركز الصراع الطبقي بشكل رئيسي بين البروليتاريا و البرجوازية، و يكون مفروضا على الماركسيين اللينينيين عملا سياسيا دعائيا طويلا، مستغلين كل الأشكال الشرعية الموجودة، إلى حين نضج شروط الانتفاضة، فيتم إزاحة البرجوازية من السلطة و استيلاء البروليتاريا عليها؛ و تشرع حالا في بناء الاشتراكية، التي تتوفر كل شروطها المادية. أما في الظروف الملموسة لبلادنا و لأغلب أجزاء الوطن العربي لا تشكل الطبقة العاملة إلا طليعة الثورة، في بنية شبه استعمارية و شبه إقطاعية، يشكل فيها الفلاحون قوة رئيسية في الثورة، و جماهير واسعة من شبه البروليتاريا، فيكون لزاما على الطبقة العاملة و حزبها السياسي بناء تحالف ثوري مع جماهير الفلاحين الفقراء و المعدمين الذين يشكلون 75 في المائة من السكان، و يكون الشكل الرئيسي للكفاح من أجل السلطة تبعا لذلك هو الحرب الشعبية الطويلة الأمد، إن هذه الشروط تفرض على الحركة الماركسية اللينينية تنظيم إرسال مناضليها إلى جماهير الفلاحين الفقراء و بصفة خاصة العمال الزراعيين الذين يشكلون محور الاتصال بين الطبقة العاملة و الفلاحين الفقراء، مما يساعد على بلورة الطليعة البروليتارية و ضمان قيادتها للثورة.

4. إن رفع الوعي البروليتاري لطبقتنا العاملة و تكوين الأطر البروليتارية، يتطلب من الحركة الماركسية-اللينينية القدرة على القيام بعمل دعائي لنشر الماركسية اللينينية، باعتبارها النظرية الثورية للطبقة العاملة، بشكل كثيف و واسع، فالطبقة العاملة تعاني من هيمنة الإيديولوجية البرجوازية التي لا تزول من تلقاء نفسها، و لا بحركة الطبقة العاملة العفوية، بل من خلال نضال الثوريين الحازم ضد مختلف أشكال الهيمنة البرجوازية على الطبقة العاملة، و بأبشع صورها المتمثلة في البيروقراطية النقابية، ولا يزال هذا العمل قاصرا جدا و متخلفا وغير قادر أمام ثقل هذه الهيمنة، الذي يجب أن يتنوع بأشكال عدة و مختلفة من المناشير إلى الكراريس إلى التحريض و الدعاية الشفوية، إلا أن الجريدة هي الشكل الرئيسي في هذه المهمة، التي ينبغي أن لا تحصر عملها في نضالات الطبقة العاملة، بل ينبغي أن تقوم بفضح النظام و طبيعته، و بالصراع الطبقي و تناحر مختلف القوى الاجتماعية، يجب أن تتوجه الجريدة إلى كل الشعب و فئاته، و أن تتوفر على شبكة توزيع و لجان القراءة و جميع التقارير في كل البلاد و قطاعات المجتمع، لقد بدأ تحقيق هذه المهمة الحاسمة مع بروز " إلى الأمام" التي يتعمق دورها بيد أنها ما تزال قاصرة عن القيام بهذا الدور على أحسن وجه، و ذلك بحكم معاملة المناضلين الثوريين لها، الذين لا يجعلون منها منبرا عاما للتشهير بالنظام و أمام الشعب كله، و ذلك عبر توزيعها بالشكل المطلوب داخل الطبقة العاملة وتنظيم لجان قراءتها ومساندتها، و جمع التقارير والأخبار و إرسالها إليها لإنجاز دورها على الوجه المطلوب.

5. إن الوسيلة الرئيسية لمهمة التجذر داخل الطبقة العاملة و الدفع بنضالاتها و تكوين الأطر البروليتارية هي اللجان العمالية السرية، إن قدرتنا على بناء اللجان العمالية بشكل كثير وتوسيعها، و القيام داخلها بعمل سياسي و إيديولوجي موسع، ينطلق من الواقع الملموس للعمال و من مشاكلهم اليومية، هو مقياس تمركزنا داخل الطبقة العاملة، إن اللجان العمالية، هي وسيلة تكوين الأطر البروليتارية التي ستشكل الطليعة البروليتارية، هي وسيلة رفع وعي العمال و تجاوز النضال النقابي، هي وسيلة إيصال الفكر الثوري وحمله إلى جماهير العمال، ليس بشكل سطحي وفوقي، بل وفق الممارسة الملموسة للاستغلال و الاضطهاد الذي يعانيه العمال، و بلغة العمال البسيطة و الرائعة، و هي الوسيلة الرئيسية في إزاحة هيمنة البيروقراطية النقابية و كل أشكال سيطرة الفكر البرجوازي، و تسيير العمال لنضالهم و فرض

المجالس النضالية القاعدية التي يمارس العمال فيها توجيه نضالهم وفق مطامحهم، و هي التي أثبت إضراب عمال السكك الحديدية الأخير ضرورتها كشكل ديمقراطي للقيام بنضالهم بأنفسهم في لجان الإضراب.

و يتم تكوين هذه اللجان العمالية السرية حسب الواقع الملموس لواقع العمال و إمكانيات عمل المناضلين معهم، فهي تتكون كحلقات للمناضلين من أجل تنظيم إضراب نقابي أو كحلقة لدراسة "إلى الأمام" أو كلجان لجمع المساعدات المادية لعمال آخرين مضربين أو مطرودين، أو لجان سياسية في حالة توفر عمال متقدمين، و يتم تحويل هذه اللجان إلى لجان ثورة، بمقدار تطور عملنا معها و بتطور هؤلاء العمال داخل هذه اللجان كأطر بروليتارية متقدمة.

ويجب أن نضع في مقدمة عملنا في بناء اللجان داخل القطاعات البروليتارية الأساسية (المعامل الكبرى + المناجم)، لأن هذه القطاعات توفر الشروط الموضوعية لبناء الأطر البروليتارية (درجة التنظيم العمالية، مستوى العمل المنتج، عدد العمال ...) ولأجل معرفة هذه القطاعات الأساسية و تحديدها يجب القيام بتحقيقات واسعة لمعرفة واقع الطبقة العاملة و تحديد القطاعات البروليتارية الأساسية.

2 . البديل الثوري : برنامج الثورة الديمقراطية الشعبية

يفرض الوضع الراهن، و كما رأينا في مهمة التجذر داخل الطبقة العاملة، على الماركسيين-اللينينيين طرح معالم البرنامج الماركسي اللينيني جماهيريا، و في مقدمة عملهم الدعائي. فمنذ عدة شهور منذ أن كانت الإصلاحية تنشر افتراءاتها المسمومة على اليسار الثوري، لم يقم الماركسيين بهذا العمل بالقدر اللازم. و في الظرف الراهن حيث يواصل الحكم و حزب الاستقلال هذه الحملة على الفكر الثوري، و حيث يروج البرجوازيون الصغار البلانكيون عبر إذاعتهم في ليبيا برنامجهم البرجوازي بكلمات ثورية، مما يشوش البديل البروليتاري في وعي الجماهير، و حيث يحمل اليسار الماركسي اللينيني بذور البديل الطلائعي الناشيء، يصبح لزاما عليه إبراز معالم البديل التاريخي للنظام المتعفن، البديل الذي تدركه الجماهير الكادحة من خلال كفاحها الشاق، و يجذب أبصارها إلى الطريق الثوري السديد.

أ. تستهدف البروليتاريا في المرحلة الأولى من كفاحها إقامة الجمهورية الديمقراطية الشعبية. فلا تستهدف البروليتاريا إسقاط الملكية فقط، لأن الملكية ليست إلا بنية سياسية لدكتاتورية الطبقة الحاكمة (المعمرين الجدد و سماسرة الرأسمال الأجنبي و كبار

البيروقراطيين) و التي يمكن أن تستمر تحت أشكال أخرى أكثر خداعا (جمهورية عسكرية فاشية ...) بل تستهدف تحطيم النظام التبعي كله القائم على دعم الإمبريالية و مساندتها للكمشة الحاكمة، إن شكل السلطة في الجمهورية الديمقراطية الشعبية سيكون هو مجالس العمال و الفلاحين و الجنود الثوريين تحت قيادة البروليتاريا، هي وسيلة ممارسة سلطتها في مراقبة كل اقتصاد البلاد و مواردها وسياستها العربية و الأممية، إن السلطة تنبثق عبر الكفاح الثوري الجماهيري في مسيرة الحرب الشعبية الطويلة، حيث تتمرس البروليتاريا و جماهير الفلاحين الفقراء من خلال النضال على ممارسة السلطة ضد أعداء الشعب.

ب. إن الثورة الزراعية هي عماد الثورة الديمقراطية، و لا يمكن أن تكون هي تحديد الملكية كما يروج التقنوقراطيون البرجوازيون، إن الثورة الزراعية هي ممارسة جماهير الفلاحين في انتزاع الأراضي من أيدي المعمرين الجدد، من طرف مجالس الفلاحين المسلحة، و تنظيمها في شكل الكومونات الشعبية في حين تقوم مجالس البروليتاريا بقيادة عملية التحرر الاقتصادي الكاملة من كل أشكال هيمنة مصالح الإمبريالية وعملائها، و تحقيق تطور القوى المنتجة، تمهيدا لعملية البناء الاشتراكي، و بعملية بناء الثقافة الجديدة، ثقافة ديمقراطية شعبية عربية، وت صفية الثقافة الاستعمارية و الإقطاعية والبرجوازية.

- تشكل الثورة المغربية جزءا من الثورة العربية الشاملة في أقصى الجناح الغربي للوطن العربي، بجانب الجماهير العربية في الصحراء الغربية، لهذا فإن جمهورية مجالس العمال و الفلاحين والجنود الثوريين ستظل مجندة في الكفاح الشاق الذي تخوضه الجماهير العربية من جنوب اليمن و ظفار في أقصى شرق الوطن العربي ، إلى الصحراء الغربية في أقصى غربه، و في طليعة كفاح الشعب الفلسطيني البطل، فالثورة العربية هي الإطار الوحيد لبناء الاشتراكية.

- و تلتزم جمهورية مجالس العمال و الفلاحين و الجنود الثوريين بالأممية البروليتارية، و الالتحام بكفاح المعسكر التقدمي العالمي المعادي للإمبريالية و الصهيونية ورجعية العالم، المتكون من الدول الاشتراكية الحقيقية و الطبقة العاملة في بلدان الإمبريالية و حركات التحرر الوطني، و تحارب التشويه و التحريف الذي تمارسه الطغمة التحريفية الحاكمة في الاتحاد السوفياتي و من يدور في فلكها، و ترفع عاليا راية الماركسية-اللينينية و راية الثورة العالمية.

الاستراتيجية الثورية والعنف الثوري

لم يعد بإمكان اليسار الماركسي اللينيني أن يتأخر أو يتردد في طرح استراتيجيته الثورية جماهيريا و في طرح مفهومه للعنف الثوري و دوره في المسيرة الثورية.

إن الأحداث الأخيرة قد برهنت بشكل حاسم عن مدى هيمنة الإيديولوجية البرجوازية الصغيرة على الجماهير الكادحة، و مدى ما تسببه هذه الهيمنة من تأخير نمو و تجذير الحركة الجماهيرية و تأخير إطلاق مبادراتها الكفاحية و تفجير طاقاتها الثورية، و ما تزكيه من مفاهيم فوقية في وعي الجماهير عن الثورة، كعمل يمكن أن تقوم به نخبة من الوطنيين المخلصين، في شكل انقلاب برجوازي صغير يقوم به "الضباط الأحرار" أو خارج الجيش عن طريق شبكة مسلحة يمكن أن تقوم بتحطيم الحكم، و يزداد هذا الثقل في تكبيل طاقات الجماهير حينما تنتهي هذه العمليات إلى نهاية مأساوية كما في الأيام الأخيرة.

و تقع على عاتق الماركسيين اللينينيين بالدرجة الأولى، مهمة إزاحة هذه الهيمنة، و إعادة توضيح دور العنف الثوري في استراتيجية الثورة، و ما لم تستطع الحركة الماركسية-اللينينية، في الشروط الجديدة للوضع الراهن، لنمو الحركة الجماهيرية، أن تدمج العنف الثوري بإحكام في خطها السياسي و في عملها الدعائي، فإنها ستحكم على نفسها، ليس فقط بالتخلف عن الحركة الجماهيرية، و لكن بأن تصبح ذيلها و تتجاوزها.

و في مقدمة ما يجب التأكيد عليه، دور الجماهير الكادحة في القيام بالعنف الثوري و مواجهة العدو الطبقي و أسياده الإمبرياليين، إن العنف الثوري هو الشكل الأعلى لكفاح الجماهير الكادحة في تحطيم العدو، و إرساء الجمهورية الديمقراطية الشعبية، شكل الكفاح الذي تمارسه في مواجهة العنف الرجعي الذي تمارس به الطبقة الحاكمة استغلال و اضطهاد الجماهير.

و بحكم التناقض في بنية شبه إقطاعية و شبه استعمارية، بين نظام المعمرين الجدد و جماهير الفلاحين الفقراء، فإن الشكل الرئيسي للعنف الثوري هو الحرب الشعبية الطويلة الأمد بقيادة الطبقة العاملة، إنها المسيرة التي تقود فيها البروليتاريا جماهير الفلاحين المسلحين عبر الجبهة الثورية إلى انتزاع الأراضي و تصفية دولة المعمرين الجدد و وسطاء الرأسمال الأجنبي طرد الإمبرياليين، و بتأسيس وتدعيم الحكم

الثوري للعمال و الفلاحين من خلال هذه المسيرة ذاتها، من خلال تأسيس مجالس العمال و الفلاحين والجنود الثوريين، و هي المسيرة التي تقودها الطليعة البروليتارية المنظمة في الحزب الثوري. و لا يمكن لهذا الكفاح العنيف أن ينفجر إلا إذا مارست الطليعة الثورية عملا سياسيا تنظيميا طويلا وسط جماهير الفلاحين و جماهير المدن، التي تدرك من خلال النضال، طاقاتها الملموسة و قدرتها على تحطيم العدو و بناء الجمهورية الديمقراطية الشعبية، فالحرب ليست إلا "امتدادا للسياسة بوسائل أخرى".

و في المرحلة الأولى من انفجار طاقات العنف الثوري الجماهيري، تقوم جماهير الفلاحين بقيادة الحزب الثوري، بعملية انتزاع الأراضي و حرثها بقوة بواسطة اللجان الثورية، و انتزاع السلاح من أيدي العدو و استخدامه في تأسيس الكتائب المسلحة الأولى للجيش الأحمر، و تتسلسل هذه النضالات العنيفة من منطقة لأخرى لتشتيت قوات العدو، في الوقت الذي تقوم فيه جماهير المدن باحتلال المعامل والأحياء الشعبية، و بتنظيم المقاومة لتفكيك قوات العدو، التي تكون قادرة على التدخل و القمع بسرعة في المرحلة الأولى و كلما تمكن الحزب الثوري من توسيع هذه النضالات في البادية و في المدن، و تحريكها من منطقة لأخرى، كلما استطاع تفكيك قوات العدو و تهييء مرحلة جديدة في الكفاح و هذه هي مرحلة القواعد الحمراء المتحركة.

و في مرحلة أعلى يتسم توسيع الكتائب المسلحة و تركيزها في مراكز حصينة، و توسيع هذه المراكز بفعل نمو الطاقات الكفاحية للجماهير، و تتحول هذه المراكز الثابتة إلى مناطق محررة، و تبدأ عملية تأسيس الحكم الجديد، حكم العمال و الفلاحين المسلحين في هذه المناطق و الشروع في تطبيق البرنامج الثوري (تسليح كل الشعب، مصادرة أملاك المعمرين الجدد و كبار الرأسماليين، تصفية مصالح الإمبريالية ...)، و في هذه المرحلة التي يحتمل فيها تدخل الإمبريالية لحماية مصالحها و تدعيم النظام المعرض للانهيار، فإن هذا التدخل لن يزيد كفاح الشعب إلا ضراوة، و بارتباط وثيق بكفاح الجماهير الصحراوية و توسيع جبهة النضال ضد الإمبريالية في المنطقة حتى النصر النهائي.

هذا هو الطريق الذي أثبتته انتصارات الشعوب في الصين أو في كوريا وظفار... و في أماكن عديدة من العالم، و تثبته هذه الأيام بشكل خاص انتصارات الشعب الفيتنامي و الشعب اللاووسي و الشعب الكامبودجي الذي يستعد هذه الأيام لتصفية آخر مواقع أعداء

الشعب. إن الحرب الشعبية هي طريق النصر في عصر اندحار الرأسمالية و انتصار الاشتراكية، و هي الطريق الوحيد لشعبنا و لكل الأمة العربية في تصفية الصهيونية و الإمبريالية و الرجعية.

إن تنظيم هذه المسيرة و تأطيرها لن يتم إلا بطليعة الحزب الثوري، حزب البروليتاريا المتحالفة مع جماهير الفلاحين، فالماركسيون-اللينينيون لا يرمون بالعنف الثوري على عاتق الحركة الجماهيرية، بل إن دور الحزب الثوري هو تأطير و تنظيم العنف الثوري و تفجيره في الوقت المناسب، أبتداء من أبسط مراحله، من المظاهرة التي ترد على قوات القمع في الأحياء الشعبية إلى تظاهرات الفلاحين في البادية، مرورا إلى المناجم و المعامل و الأراضي و حرثها بقوة، إلى تأسيس القواعد الحمراء المتحركة، المرحلة الحاسمة الأولى في الحرب الشعبية.

إن الحزب الثوري هو الذي يقود عملية إدراك الجماهير لطاقاتها الملموسة و لقدرتها على تحطيم العدو، باعتباره استراتيجيا نمرا من ورق، و هو إدراك لا يتم بعمل دعائي نظري من خلال الجرائد و المناشير والتحريض الخطابي فقط، بل بتفجير العنف من أبسط أشكاله و في أبسط مراحل النضال، في النضال النقابي من أجل الزيادة في الأجور أو من أجل إصلاح التعليم، و بتنظيم و تأطير مبادرات الجماهير، و تصعيدها وفق الشروط الملموسة و في خطة محكمة، في المعامل و الأحياء، في الدواوير والضيعات، في المدارس والكليات، إن الماركسيين-اللينينيين هم طليعة هذا النضال و هم الذين يقومون بتأطيره و تنظيمه عبر كل مراحله.

مزيدا من الصمود و التماسك و الالتحام الحقيقي بالجماهير

لقد أوضحنا أن قصور الحركة الماركسية-اللينينية عامل أساسي في تأخر تبلور الحركة الجماهيرية و انبثاق الأداة الثورية البروليتارية، و ترجع بعض الأسباب العميقة لهذا القصور إلى الأساس الطبقي البرجوازي الصغير للحركة الماركسية-اللينينية و غياب تجذر الماركسيين اللينينيين داخل الطبقة العاملة طليعة الثورة بصفة خاصة، مما يعرضهم لخطر الانزلاقات عن الخط البروليتاري السديد.

1. إن عملية بناء الطليعة البروليتارية عملية شاقة و طويلة كما رأينا، تفترض نضالا مستميتا داخل الطبقة العاملة و في كل واجهات النضال تندمج فيه الماركسية-اللينينية بنضالات الطبقة العاملة، و تبرهن فيه الحركة الماركسية على صحة خططها و برنامجها، لهذا فإن الحركة الماركسية-اللينينية مطروح عليها التشبث في ممارستها بخط الماركسية-اللينينية، و تربية أطرها و مناضليها على المبادئ الماركسية-

اللينينية، و المثابرة على استعمالها في تحليل الواقع و الصعوبات التي يثيرها، و على معالجة وضعيتها الذاتية، و أساليب عملها الجماهيري و السري، و أساليب الدعاية و التحريض بروح بروليتارية صلبة.

فإذا كان صحيحا أن الأساس الطبقي البرجوازي الصغير يعرض الحركة الماركسية-اللينينية للمزالق المتعددة، و في شروط القمع الرهيب الذي تعيشه حركتنا منذ أكثر من سنة بلا انقطاع، سواء نحو الانتهازية اليسارية و كل مظاهر الليبرالية و روح المغامرة .. فإن سلبيات و أخطاء الحركة الماركسية-اللينينية لا يجب أن تحل دفعة واحدة "بشعار الذهاب إلى العمال"، و إلى حد يصبح فيه الأساس البرجوازي الصغير وسيلة للتخلص من مسؤولية الخطأ و التوجيه، و كأن الطبقة العاملة هي المطهر التي يغتسل فيها الرفاق من أخطائهم و ممارستهم البرجوازية الصغيرة.

2. لهذا تحتاج الماركسية-اللينينية من أجل معالجة وضعيتها الذاتية و قدرتها على تنفيذ المهام الضرورية إلى شعار الصمود و الارتباط بالجماهير في مواجهة تصاعد فاشية النظام و نمو الحركة الجماهيرية.

و يفترض هذا الشعار أولا، الإيمان بنمو مقبل تتوفر شروطه الموضوعية داخل الحركة الجماهيرية، فالقول بالردة داخل الحركة الجماهيرية لن يؤدي إلا إلى التراجع و الانعزال، إن هذا النمو داخل الحركة الجماهيرية، يتطلب شروطا جديدة غير تلك التي تتطلبها الشروط السابقة، وفي مقدمتها تصاعد فاشية النظام، و هذا يعني، إيجاد أساليب تنظيمية و دعائية أكثر قوة و أكثر مرونة أمام تزايد فاشية النظام و تزايد خبرته بأساليب نضال اليسار الماركسي-اللينيني، هكذا فإن تقلص نضالية الحركة الطلابية و حركة التلاميذ، لا يعني ردة داخل الحركة الجماهيرية، بقدر ما يعني عدم قدرة الحركة الماركسية-اللينينية على القيام بتأطير حقيقي للحركتين، أمام تصاعد فاشية النظام من جهة و الاعتماد على أساليب فوقية وسطحية في تحريك الجماهير وفق شعاراتنا الذاتية بدلا من العمل المنظم والعميق و نسج أوسع العلاقات بالجماهير، و تتطلب من الماركسيين-اللينينيين نسج علاقات جديدة مع الجماهير، و الصمود في مواجهة صعوبات هذا العمل أمام القمع الرهيب للنظام.

و ثانيا، لا يعني الصمود الاندفاع في الإضرابات والقيام بتحريض واسع و فوقي و العمل الدؤوب على إنجاح الإضرابات، إن عفوية الجماهير لم تعد كافية، في الشروط الجديدة، إن الصمود يعني التحام الطليعة التحاما حقيقيا و عضويا بالجماهير، وفق شروطها الذاتية، إن شعار الصمود و الالتحام بالجماهير ليس شعارا مثاليا، إنه يستند إلى تدعيم التحولات الإيجابية و تصفية السلبيات، و طول النفس في العمل داخل الحركة الجماهيرية، "فالتنظيم القائد يفقد جميع مبررات وجوده، إذا كان غاية لحد ذاته، و إذا لم يلتحم بالجماهير في أحلك شروط العمل و أكثرها قسوة، و يعني الصمود ثالثا، عدم الانطلاق من التحليل الذاتي و التشخيص الإيديولوجي الذي يضع الأهداف السياسية في شعارات سياسية لم تعانيها الجماهير بعد من خلال نضالها الملموس، و يصبح كافيا لدفعها للنضال تبعا لذلك ببضع شحنات تحريضية سريعة، إن الشعارات تنبع من معايشة وضعية الجماهير الملموسة، و بناء على تحديد الشروط الاقتصادية و الاجتماعية والسياسية لوضعيتها و ذلك حتى يكون الصمود و الالتحام بالجماهير علميا، ينبني على المعايشة الملموسة لوضعية الجماهير لا من التحليل الإيديولوجي و السياسي العام، و هذا هو شرط انبثاق و صحة التوجيه السياسي ، و هو يعني رابعا، صمود مناضلي الحركة الماركسية-اللينينية أمام القمع الشرس بكل أشكاله، و أمام التعذيب بصفة خاصة الذي أثبت نجاعته بالنسبة للبوليس في تحطيم التنظيمات الثورية، منذ تحطيم منظمات المقاومة في 56 إلى 59، إلى تحطيم شبكات البرجوازيين الصغار، إلى حصد مجموعة من مناضلي اليسار الثوري منذ أكثر من سنة، يجب أن نعترف بهذا الواقع المر، بكونه السبب المباشر في قدرة البوليس على اكتشاف عديد من المناضلين و قمعهم، و لم يحدث قط أن كان النضال الجماهيري سببا في تحطيم بعض الأنوية، و ما لم يستطع اليسار تقوية صلابة و كفاحية مناضليه في وجه كل أشكال القمع و في مقدمتها التعذيب، فمن الأكيد أن الاعتقالات و الاختطافات ستستمر، و سيكتشف البوليس مزيدا من المعلومات الدقيقة عن الحركة و أشكالها النضالية، إن بإمكان المناضلين الصمود في وجه التعذيب كيفما كانت أشكاله، و يجب أن يصمدوا، فلم تنعدم مواجهة الحركة الماركسية-اللينينية للقمع من أمثلة مجيدة في مواجهة القمع، منذ مراحل القمع الأولى إلى الحملات الأخيرة في ضرب اليسار، أمثلة تقيم الدليل الأكيد، في وجه المزاعم البرجوازية الصغيرة باستحالة المقاومة في التعذيب، على قدرة المناضلين على الصمود بالصمت الكامل، و على ضرورته، إن الموت لا يخيف المناضل، بل هو واجب نستعد لتأديته كل ما كان ذلك

ضروريا، و يستطيع الماركسيون-اللينينيون مقاومة التعذيب، لأنهم يدركون أن تعذيبهم جزء بسيط، و بسيط جدا، من العذابات اليومية التي تعيشها الجماهير، جزء بسيط من آلاف التضحيات التي تقدمها الشعوب في كفاحاتها، في فلسطين، في الفيتنام و الكامبودج و اللاووس، في ظفار في أنغولا، في الموزمبيق، في أمريكا اللاتينية، في كل مكان، يستطيعون ذلك لأنهم يحملون معهم الإيمان بانتصار قضية البروليتاريا، لأنهم يحملون معهم وفي عضويتهم الإيمان بالجماهير و قدرتها على هزم الأعداء.

3. إن تصليب أنويتنا التنظيمية و تقويتها إذن، يشكل مركز عملنا الرئيسي في هذه المرحلة من أجل تقوية حركتنا وتقوية قدراتها على الصمود والالتحام الحقيقي بالجماهير في كل قطاعات الحركة الجماهيرية (الطبقة العاملة، الطلبة، التلاميذ ...) بهذا يترتب على المناضلين الثوريين من أجل إنجاز هذه المهمة تكثيف مجهوداتهم و طاقاتهم حول هذا العمل بالذات، ابتداء من تصفية كل المظاهر الليبرالية المتفشية بشكل خطير في أساليب عملنا اليومي، و في مقدمة هذه المظاهر تصفية التساهل و التهاون في محاسبة الأخطاء و استخلاص الدروس منها. ثم تطعيم و تقوية حركتنا بمناضلين جدد، يجددون طاقات حركتنا و يكسبونها دماء جديدة و حماسا جديدا، و تربيتهم سياسيا و إيديولوجيا، و تتطلب هذه المرحلة أيضا بشكل خاص القيام بمهمة التثقيف الإيديولوجي الحازم من طرف كل المناضلين بحكم دوره الأساسي في تصليب حركتنا و ضمان تشبثها بالماركسية-اللينينية و دمجها بواقعنا الملموس، و ضرب التخلف النظري الخطير الذي يعاني منه مناضلو حركتنا، بسبب عدم إعطائهم المكانة الخاصة للنظرية الثورية في العمل الثوري، و إهمالهم لما تصدره حركتنا من دراسات في نشراتها ("إلى الأمام"، "أنفاس"، "المناضل" التي تصدرها النقابة الوطنية للتلاميذ ... إلخ)

4. و يشكل التفاف المناضلين الماركسيين-اللينينيين حول نشرتهم المركزية "إلى الأمام" و اهتمامهم الكامل بها و ضمان تطويرها واجبا ثوريا لا مندوحة عنه في صمود حركتنا و نسج علاقات حقيقية مع الجماهير الكادحة، و في تحقيق المهام الرئيسية التي ذكرناها. لقد بدأت "إلى الأمام" في فترة قصيرة جدا تلعب دورا مهما في فضح طبقة النظام المتعفن و كشف مناوراته، و فضح الإصلاحية الانتهازية، و التعريف بواقع الحركة الجماهيرية الكادحة، و تحديد شعاراتها المرحلية الأساسية، و تربي المناضلين و ترشدهم في نضالهم الثوري اليومي، و نشر الفكر الثوري، بحكم أن المرحلة الراهنة ذات طبيعة دعائية، و بقدر ما يتسع توزيع "إلى الأمام" و وصولها إلى أعمق و أوسع قطاعات

جماهير شعبنا الكادح، بقدر ما يستحيل على البوليس حينئذ اقتلاعها من جذورها الجماهيرية الراسخة، و لا تشكل "إلى الأمام" وسيلة دعائية فقط، بل إنها عامل حاسم في إنجاز شعار الصمود و الارتباط بالجماهير، لأنها تلف حولها المناضلين و توحدهم سياسيا و إيديولوجيا، و توسع من إمكانياتهم، و تربط علاقات متينة بينهم في ظروف الإرهاب الفاشي الشديد، و تتطلب ضبط علاقات متماسكة و الحرص على توزيعها بشكل سديد، و توسيع شبكة هذا التوزيع، ثم بكتابة المقالات و التقارير حول وضعية الجماهير و نضالاتها، مما يدفع المناضلين إلى الحرص الدائم على تتبع وضعية الجماهير ونضالاتها، و يمكن من استخراج الشعارات السديدة من واقع الجماهير نفسه، لا من رغباتنا الذاتية، فهي تقوم من هذه الزاوية بدورها المنظم. و لهذا فهي تتطلب منا تقوية أساليب عملنا و علاقاتنا، و تنظيم قوانا بشكل متين، و دعمها حتى تكون في مستوى تأدية مهامها و تكون أقرب إلى التعبير الصادق عن مطامح الجماهير، و منبرا للدعاية و تعرية واقع النظام العميل، و تناقضاته، وحتى تتوسع هذه الدائرة الصغيرة من المناضلين التي تلتف حولها، و التي ينبغي توسيعها و تعميقها أشد ما يمكن من الاتساع والعمق.

في هذا الاتجاه إذن ينبغي أن تنصب جهود كل المناضلين الثوريين لا في محاولة إطفاء هذه الشرارة الصغيرة التي بدأت تمزق تلك الظلمة الحالكة التي يضربها الفكر الرجعي البرجوازي الصغير حول أبصار و وعي الجماهير الكادحة، الشرارة التي يجب أن تصبح "جزءا من منفاخ حداد هائل ينفخ في كل شرارة من شرارات النضال الطبقي و السخط الشعبي و يجعل منها حريقا عاما".

تلك بعض الوجوه الرئيسية لعملنا الثوري الذي يتوجب على الحركة الماركسية-اللينينية القيام به في هذه المرحلة، من أجل قفزة كيفية في ممارستها و خطها في شروط الوضع الراهن، حيث تنمو فاشية النظام العميل و تتعمق تناقضاته، و يتزايد انحلال و تفسخ البرجوازية الوطنية، و اندحار الجناح البلانكي البرجوازي الصغير، و نمو الحركة الجماهيرية، الذي أصبح يتطلب شروط جديدة في أساليب عملنا الثوري. و واضح أننا ما لم نستطع توفير هذه الشروط الجديدة، و في مقدمتها بناء الحركة الماركسية-اللينينية كقوة متراصة و متماسكة أشد ما يكون التماسك و التلاحم، و بوضوح كامل في الأهداف القريبة و البعيدة، و بالتحام عضوي بالجماهير، لا بروابط وهمية فوقية سرعان ما تتلاشى في القمع، فإننا لن نستطيع تأدية مهامنا الثورية بالصورة التي يفضها علينا واجبنا اتجاه قضية شعبنا و قضية الثورة

العربية التي تشكل مركزها الغربي. يجب أن تنظم هذه الجماعة الصغيرة التي تشكل اليسار الماركسي-اللينيني، و التي يحاصرها الأعداء من كل جانب، في شكل جيش صغير، و لكنه قوي و عنيد، ذو إرادة صلبة و عزيمة لا تقهر، يغير أشكاله النضالية بمرونة فائقة وفقا لتغييرات ظروف النضال، اليوم يقوم ببناء قواه و لحم صفوفه و استخراج الدروس من المعارك السابقة، و غدا يهاجم وفق شروط جديدة، و يقاتل بشراسة و روعة. إن هذا الجيش صغير و صغير جدا، و لكنه ما أن يتنظم بقوة، و يربط نفسه بأشد الروابط متانة و قوة بحركة الجماهير، و في مقدمتها الطبقة العاملة، متسلحا بخطة سديدة و استراتيجية سديدة، حتى يصبح جيشا قويا، قادرا على مواجهة الإرهاب الفاشي الشديد، الذي لا يزيده إلا إصرارا و عزما على النضال، و القيام بمهامه في تنمية حركة الجماهير، و بناء الحزب البروليتاري الثوري، الذي لا ينمو إلا من خلال كفاح الجماهير الثورية نفسها من أجل تصفية النظام العميل المتعفن و أسياده الإمبرياليين، و بناء الجمهورية الديمقراطية الشعبية؛ جمهورية مجالس العمال و الفلاحين و الجنود الثوريين.

الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية-اللينينية

6 أبريل 1973

وثيقة داخلية

(الجزء الداخلي للوثيقة الشبه جماهيرية)

إن الحزب الثوري هو الذي يقود عملية إدراك الجماهير لطاقاتها الملموسة و لقدرتها على تحطيم العدو، باعتباره استراتيجيا نمرا من ورق، و هو إدراك لا يتم بعمل دعائي نظري من خلال الجرائد و المناشير و التحريض الخطابي فقط، بل بتفجير العنف من أبسط أشكاله و في أبسط مراحل النضال، في النضال النقابي من أجل الزيادة في الأجور أو من أجل إصلاح التعليم، و بتنظيم و تأطير مبادرات الجماهير، و تصعيدها وفق الشروط الملموسة و في خطة محكمة، في المعامل و الأحياء، في الدواوير و الضيعات، في المدارس و الكليات، إن الماركسيين-اللينينيين هم طليعة هذا النضال و هم الذين يقومون بتأطيره و تنظيمه عبر كل مراحله.

كسب مواقع الصدام الأولى

مانسميه بمواقع الصدام الأولى هي تلك المناطق المؤهلة بحكم شروطها الموضوعية إلى أن تصبح مناطق الصدام الأولى حيث ستنفجر فيها الشرارة الأولى للكفاح المسلح ببلادنا، مما يطرح على الطليعة الثورية مهمة كسب مواقع سياسية و تنظيمية داخلها، و هي تلك المناطق التي تتوفر على الميزات التالية :

- تبلغ فيها حدة الصراع الطبقي مستوى أعلى، بسبب تمركز مصالح الطبقة الحاكمة و الإمبريالية، حيث يمارسون بشراسة متوحشة عملية انتزاع الأراضي و تمركز الملكيات الكبرى، و يتمركز فيها في المقابل تفقير الفلاحين و تحويلهم إلى عمال زراعيين أو تشريدهم و تهجيرهم إلى المدن ليعززوا جيوش البطالة فيها في مدن القصدير، مثال هذه المناطق: تادلة، الغرب، سوس، زمور ...

- في هذه المناطق نفسها، يتراكم رصيد عريق من النضال الشعبي، سواء ضد تسلط المخزن و ضرائبه، أو ضد الغزو الاستعماري في القرون الأخيرة، و ضد عملية انتزاع الأراضي من طرف المعمرين الجدد في مرحلة الاستعمار الجديد.

- في هذه المناطق تتوفر الشروط الجغرافية المناسبة، فهي محاطة بالمناطق الجبلية حيث تتمركز الجماهير الفلاحية الفقيرة المعروفة بعدائها للنظام، و حيث يمارس الحكم تهجير شبابها إلى أسواق النخاسة الجديدة في أوربا، و حيث تقوم المناجم مما يسهل على البروليتاريا المنجمية قيادة نضالات الفلاحين الفقراء.

في الشروط الجديدة لتطور فاشية النظام العميل، و لنمو الحركة الجماهيرية، يتعين على الحركة الماركسية-اللينينية التمركز في هذه المناطق لتأطير النمو المرتقب في الحركة الجماهيرية، و دمجه في إطار استراتيجية سليمة، بحيث يتمكن اليسار الثوري من إحداث قفزة كيفية تضيق من الفارق النوعي بين مستوى الحركة الجماهيرية و ضعف اليسار الثوري، و يسهل عليه مواجهة التحولات المحتملة داخل النظام و داخل استراتيجية الإمبريالية في هذه المنطقة، لهذا يتعين عليه تنظيم إرسال مناضليه للقيام بعمل سياسي و دعائي منظم داخل هذه المناطق، وسط العمال و وسط العمال الزراعيين بالدرجة الأولى، و القيام بتحقيقات و دراسات شاملة على مختلف المستويات، و توجيه دعايته الثورية بشكل مكثف، و تأطير حركة التلاميذ داخل هذه المناطق التي يمكنها في الشروط الحالية لليسار الثوري، خلق مرتكزات أولى للعمل المكثف الذي يستوجب عليه القيام به داخل هذه المناطق، حيث سيحتدم الصراع الطبقي، و يكون اليسار الثوري الشرارة الأولى التي ستضرم النار في السهل كله.

المدرسة العسكرية

لم يعد الإعداد العملي للاستراتيجية الثورية قابلا للتأجيل تحت أي مبرر، فالمهام التي حددناها سابقا، تطرح أهمية هذا الإعداد و ضرورته، في إطار منظمة متينة للحركة الماركسية اللينينية، إنه ليس مهمة كمالية طالما أن شروط الوضع الراهن تفرض على الحركة الماركسية اللينينية مهمة تأطير العنف الثوري و تهيئ شروطه، و تفجيره في الشروط المناسبة لتطور الحركة الجماهيرية، و في إطار مهمة كسب مواقع الصدام الأولى.

لا يعني هذا الإعداد كما يطرح كثير من الرفاق تنظيم شبكة من المناضلين الذين سيقومون بعمليات معزولة ضد قوات العدو و مصالحه، فقد استطاعت الحركة الماركسية-اللينينية و التجربة الملموسة أخيرا تشطيب هذه النزعة الخاطئة التي تميز البرجوازية الصغيرة المتسرعة، كما أن النهج العفوي الذي يرمي بمهمة الكفاح المسلح على عاتق الحركة الجماهيرية، و يطمس دور الطليعة الثورية في هذا الإعداد، قد تم تجاوزه في إطار وضوح استراتيجي أكثر.

إن الخط العسكري بالنسبة للماركسيين-اللينينين هو جزء من خطهم السياسي العام، و من النظرية الثورية العامة التي يبلورونها حول الصراع الطبقي و الواقع المحدد الذي يستهدفون تغييره، فهو ينبني أيضا على الدمج الخلاق لمبادئ الماركسية-اللينينية بالحرب، و استنتاج قوانينها وفق التحليل العملي الملموس، لهذا فإن هذا المجهود من أجل بناء الخط العسكري للثورة المغربية، الذي سيتأسس عبر ممارسة اليسار داخل الحركة الجماهيرية، لا يتطلب مجرد إعداد الكوادر العسكرية-السياسية فقط بل يتطلب إنشاء مدرسة عسكرية، تكون مهمتها بناء خط عسكري، و بناء كوادر عسكرية-سياسية، تكون قادرة على إعداد هذا الخط و تطويره، انطلاقا من تجربة شعبنا التي ينبغي أن تندمج فيه و تتعلم منه، ثم تجربة الحركة الثورية العالمية. و يمكن إجمال مهام هذه المدرسة العسكرية فيما يلي :

- الإعداد التقني العالي للكوادر العسكرية
- دراسة قوانين الحرب الشعبية في التجارب الثورية الرائدة مثل التجربة الصينية و الفيتنامية والعربية في ظفار...إلخ و النظريات العظيمة للرفيق ماوتسي تونغ و الرفيق جياب حول الحرب الشعبية. و دراسة حتى التجارب الفاشلة و استخراج الدروس منها.

- دراسة التاريخ الحربي لشعبنا، هذا الميراث الغني بالدروس و الذي يشكل الماركسيون اللينينيون ورثته الشرعيون (حروب القبائل، حرب الريف و حروب الأطلس، جيش التحرير و المقاومة...)
- إعداد الدراسات العسكرية الدقيقة المرتبطة بالوضع الطبقي في مواقع الصدام، وإعداد التخطيطات العسكرية وفق إمكانيات الانطلاقة العسكرية الأولى حين نضج شروطها.

من أجل منظمة ماركسية-لينينية موحدة، طليعية، صلبة وراسخة جماهيريا

في كل المهام التي طرحناها, والتي يتطلبها الوضع الراهن، فإن توفر منظمة ثورية موحدة, لكل الماركسيين-اللينينيين, هو الشرط الحاسم لإنجازها بالشكل المطلوب, وقد سبق أن سجلنا أن قصور الحركة الماركسية اللينينية عامل أساسي في تأخر تبلور الحركة الجماهيرية, وانبثاق الأداة الثورية البروليتارية.

ومن بين الأسباب الرئيسية التي يرجع إليها في نظرنا قصور الحركة الماركسية اللينينية نجد إثنين:

- البنية الطبقية للحركة الماركسية اللينينية، و هي بنية تستند إلى البرجوازية الصغيرة، مما يعرضها لخطر الانزلاقات عن الخط البروليتاري السديد.
- التجزئة و التشتيت، مما يجعلها قاصرة عن بلورة خط سياسي موحد، و على تركيز القوى بشكل منظم، في إطار منظمة واحدة قوية لإنجاز المهام الضرورية التي طرحناها.

1. إن عملية بناء الطليعة البروليتارية عملية شاقة و طويلة كما رأينا، تفترض نضالا مستميتا داخل الطبقة العاملة و في كل واجهات النضال تندمج فيها الماركسية اللينينية بنضالات الطبقة العاملة، و تبرهن فيه الحركة الماركسية على صحة خططها و برنامجها، لهذا فإن الحركة الماركسية اللينينية مطروح عليها التشبث في ممارستها بخط الماركسية اللينينية، و تربية أطرها و مناضليها على المبادئ الماركسية اللينينية، و المثابرة على استعمالها في تحليل الواقع و الصعوبات التي يثيرها، و على معالجة وضعيتها التنظيمية، و أساليب عملها

الجماهيري و السري، و أساليب الدعاية و التحريض بروح بروليتارية صلبة، و هذا يشترط أول ما يشترط، منظمة صلبة و واحدة لمجموع الماركسيين-اللينينيين. فإذا كان صحيحا أن الأساس الطبقي البرجوازي الصغير يعرض الحركة الماركسية-اللينينية للمزالق المتعددة، و في شروط القمع الرهيب الذي تعيشه حركتنا منذ أكثر من سنة بلا انقطاع، سواء نحو الانتهازية اليسارية و كل مظاهر الليبرالية و روح المغامرة... فإن سلبيات و أخطاء الحركة الماركسية-اللينينية لا يجب أن تحل دفعة واحدة "بشعار الذهاب إلى العمال"، و إلى حد يصبح فيه الأساس البرجوازي الصغير وسيلة للتخلص من مسؤولية الخطأ و التوجيه، و كأن الطبقة العاملة هي المطهر التي يغتسل فيها الرفاق من أخطائهم و ممارستهم البرجوازية الصغيرة.

2. لهذا تحتاج الماركسية-اللينينية من أجل معالجة وضعيتها الذاتية و قدرتها على تنفيذ المهام الضرورية إلى شعار الصمود و الارتباط بالجماهير في مواجهة تصاعد فاشية النظام و نمو الحركة الجماهيرية.

و يفترض هذا الشعار أولا, الإيمان بنمو مقبل وتتوفر شروطه الموضوعية داخل الحركة الجماهيرية، فالقول بالردة داخل الحركة الجماهيرية لن يؤدي إلا إلى التراجع و الانعزال، إن هذا النمو داخل الحركة الجماهيرية، يتطلب شروطا جديدة غير تلك التي تتطلبها الشروط السابقة، و في مقدمتها تصاعد فاشية النظام، و هذا يعني معالجة وضعية التشتت داخل الحركة الماركسية، و إيجاد أساليب تنظيمية و دعائية أكثر قوة و أكثر مرونة أمام تزايد فاشية النظام و تزايد خبرته بأساليب نضال اليسار الماركسي-اللينيني ، هكذا فإن تقلص نضالية الحركة الطلابية و حركة التلاميذ، لا يعني ردة داخل الحركة الجماهيرية، بقدر ما يعني عدم قدرة الحركة الماركسية-اللينينية على القيام بتأطير حقيقي للحركتين، أمام تصاعد فاشية النظام من جهة و الاعتماد على أساليب فوقية و سطحية في تحريك الجماهير وفق شعاراتنا الذاتية بدلا من العمل المنظم و العميق و نسج أوسع العلاقات بالجماهير، إن النضالات الأخيرة لحركة التلاميذ (مراكش، وجدة، الدار البيضاء...) تثبت طاقات الحركة و تعاظمها، و تتطلب من أنوية الماركسيين-اللينينيين إعادة تصليب تنظيماتهم و نسج علاقات جديدة مع الجماهير، و الصمود في مواجهة صعوبات هذا العمل أمام القمع الرهيب للنظام.

و ثانيا لا يعني الصمود الاندفاع في الإضرابات و القيام بتحريض واسع و فوقي و العمل الدؤوب على إنجاح الإضرابات، إن عفوية الجماهير لم تعد كافية في الشروط الجديدة، إن الصمود يعني تصليب أنويتنا و تنظيماتنا داخل الجماهير بحيث تلتحم الطليعة التحاما حقيقيا و عضويا بالجماهير، وفق شروطها الذاتية، إن شعار الصمود و الالتحام بالجماهير ليس شعارا مثاليا، إنه يستند إلى تدعيم التحولات الإيجابية و تصفية السلبيات و طول النفس في العمل داخل الحركة الجماهيرية التي هي محرك قدرة تنظيماتنا و صحة خططنا، "فالتنظيم القائد يفقد جميع مبررات وجوده، إذا كان غاية لحد ذاته، و إذا لم يلتحم بالجماهير في أحلك شروط العمل و أكثرها قسوة، وي صبح التنظيم مغلقا على ذاته في الثرثرة الداخلية، و يعني الصمود ثالثا، عدم الانطلاق من التحليل الذاتي و التشخيص الإيديولوجي الذي يضع الأهداف السياسية في شعارات سياسية لم تعانيها الجماهير بعد من خلال نضالها الملموس، و يصبح كافيا لدفعها للنضال تبعا لذلك ببضع شحنات تحريضية سريعة، إن الشعارات تنبع من معايشة وضعية الجماهير الملموسة، و بناء على تحديد الشروط الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية لوضعيتها و ذلك حتى يكون الصمود و الالتحام بالجماهير علميا، ينبني على المعايشة الملموسة لوضعية الجماهير لا من التحليل الإيديولوجي و السياسي العام، و هذا هو شرط انبثاق و صحة التوجيه السياسي ، و هو يعني رابعا، صمود مناضلي الحركة الماركسية-اللينينية أمام القمع الشرس بكل أشكاله، و أمام التعذيب بصفة خاصة الذي أثبت نجاعته بالنسبة للبوليس في تحطيم التنظيمات الثورية، منذ تحطيم منظمات المقاومة في 56 إلى 59، إلى تحطيم شبكات البرجوازيين الصغار، إلى حصد مجموعة من مناضلي اليسار الثوري منذ أكثر من سنة، يجب أن نعترف بهذا الواقع المر، بكونه السبب المباشر في قدرة البوليس على اكتشاف عديد من المناضلين و قمعهم، و لم يحدث قط أن كان النضال الجماهيري سببا في تحطيم بعض الأنوية، و ما لم يستطع اليسار تقوية صلابة و كفاحية مناضليه في وجه كل أشكال القمع و في مقدمتها التعذيب، فمن الأكيد أن الاعتقالات و الاختطافات ستستمر، و سيكتشف البوليس مزيدا من المعلومات الدقيقة عن الحركة و أشكالها النضالية، إن بإمكان المناضلين الصمود في وجه التعذيب كيفما كانت أشكاله، و يجب أن يصمدوا، فلم تنعدم مواجهة الحركة الماركسية-اللينينية للقمع من أمثلة مجيدة في مواجهة القمع، منذ مراحل القمع الأولى إلى الحملات الأخيرة في ضرب اليسار، امثلة تقيم الدليل الأكيد، في وجه المزاعم البرجوازية الصغيرة باستحالة المقاومة في التعذيب، على قدرة

المناضل على الصمود بالصمت الكامل، و على ضرورته، إن الموت لا يخيف المناضل، بل هو واجب نستعد لتأديته كل ما كان ذلك ضروريا، و يستطيع الماركسيون-اللينينيون مقاومة التعذيب، لأنهم يدركون أن تعذيبهم جزء بسيط، وبسيط جدا، من العذابات اليومية التي تعيشها الجماهير، جزء بسيط من آلاف التضحيات التي تقدمها الشعوب في كفاحاتها، في فلسطين، في الفيتنام و الكامبودج و اللاووس، في ظفار في أنغولا، في الموزمبيق، في أمريكا اللاتينية، في كل مكان، يستطيعون ذلك لأنهم يحملون معهم الإيمان بانتصار قضية البروليتاريا، لأنهم يحملون معهم و في عضويتهم الإيمان بالجماهير و قدرتها على هزم الأعداء، و إن بناء وتدعيم منظمة ماركسية-لينينية موحدة صلبة، سيمكن من تصليب و تقوية أطر الحركة و مناضليها بحكم التماسك و القوة في منظمة مهيكلة بمتانة و من أشد المناضلين صلابة و عنادا داخل كفاح الجماهير، و لأنها ستكون من المرونة في الحركة و أشكال النضال، و من الحماس و الثقة لدى المناضلين، إنها تجعل من الصمود و الالتحام بالجماهير واقعا ملموسا تدعمه و تبنيه منظمة طليعية و راسخة.

3. إن أخطار النتائج العملية للموقف الذي يرى ضرورة التراجع المؤقت للحركة الماركسية-اللينينية و انعزالها هو توقيف "إلى الأمام" و كل النشرات الجماهيرية.

لقد استطاعت "إلى الأمام" في مرحلة قصيرة جدا و بشكلها المتواضع، أن تلعب دورا هائلا في نشر الفكر الثوري و القيام بعمل دعائي واسع للفكر الثوري و خط اليسار الثوري في الأوساط الجماهيرية التي تمكنت ملامستها، و استطاعت أن تلف حولها مزيدا من المناضلين و ترشدهم في معرفة تطور الصراع ببلادنا، و في رفع الشعارات و تحديدها، و بحكم أن المرحلة الراهنة ذات طبيعة دعائية، تتطلب نشرا واسعا للفكر الثوري داخل الطبقة العاملة و في كل القطاعات الجماهيرية، و تتطلب فضحا دائما لطبيعة النظام القمعية و الاستغلالية، و التشهير بمؤامرات البرجوازية و مساوماتها، و إظهار الطريق الثوري الصحيح، و الاستراتيجية السليمة في تحقيق مطامح الجماهير و المفهوم الصحيح للعنف الثوري، فإن توقيف "إلى الأمام" سيعرقل تنفيذ العمل الدعائي الهائل الذي يتوجب على الماركسيين-اللينينيين القيام به، ينبغي أن يكون واضحا أن "إلى الأمام" لا تسبب في حد ذاتها القمع، و هي لم تسبب ذلك حتى الآن، إن الوضعية الذاتية و ممارسة الحركة الماركسية-اللينينية هي التي تسبب ذلك، فبقدر ما يتسع توزيع "إلى الأمام" و تزداد قدرتها على التعبير عن مطامح الجماهير إلى أبعد

قطاعات فئاتها، و عبر شبكة واسعة و مؤطرة، يستحيل على البوليس قمعها، بقدر ما تصبح "إلى الأمام" جريدة الجماهير الكادحة التي تعكس صوتها و مطامحها، بقدر ما يستحيل على البوليس اقتلاعها من جذورها الجماهيرية الراسخة. إن توقيف "إلى الأمام" لن يؤدي إلا إلى تشتيت هذه الدائرة الصغيرة من المناضلين و العاطفين التي بدأت تتوسع، و التي ينبغي توسيعها و تعميقها أشد ما يمكن من الاتساع و العمق.

لا تشكل "إلى الأمام" وسيلة دعائية هائلة فقط، بل إنها عامل حاسم في إنجاز شعار الصمود و الارتباط بالجماهير، لأنها تلعب دور التأطير السياسي لهاته المجموعة من المناضلين التي تلتف حولها و حول اليسار الماركسي-اللينيني، لأنها توحد شعاراتهم و تحاليلهم، و ترشدهم إلى أساليب العمل الجماهيري، و ترسخ أنوية المناضلين و تمتنها في صلب الحركة الجماهيرية، و تعلمهم ضبط علاقاتهم، و قدرة أعلى في الانضباط و السرية، و توسيع شبكة التوزيع بالقدر المطلوب، و تعلمهم كتابة المقالات و التقارير، و بالتالي تتبع وضعية الجماهير و نضالاتها لاستخراج الشعارات من معرفة و معايشة الشروط الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية لوضعية الجماهير، فهي تلعب من خلال ذلك دورها المنظم.

و لهذا أيضا فهي تتطلب بالضرورة منظمة ثورية موحدة صلبة و راسخة جماهيريا، في الوقت الذي تقوي فيه بدورها هذه المنظمة و ترسخ جذورها الجماهيرية، منظمة تكون قادرة على ضمان صدورها و بالشكل المطلوب، و قطف ثمارها في المجال الدعائي و التنظيمي، إن عددا واحدا في الشهر غير كاف، في الوقت الذي تتسارع فيه الأحداث، و هو لا يصدر إلا بصعوبة شاقة، إن شعارنا و هدفنا ينبغي أن يستهدف في المستقبل القريب إصدارها مرة كل أسبوعين، و هو هدف أثبتت التجربة أنه ليس سهلا.

في هذا الاتجاه ينبغي أن تنصب جهود الماركسيين-اللينينيين، لا في محاولة إطفاء هذه الشرارة التي بدأت تمزق تلك الظلمة الحالكة التي يضربها الفكر الرجعي و الفكر البرجوازي و البرجوازي الصغير حول أبصار و وعي جماهيرنا الكادحة.

4. هكذا تصبح مهمة توحيد جميع الماركسيين اللينينيين و جمع شتاتهم و صهر طاقاتهم و إمكانياتهم في منظمة ثورية واحدة، صلبة، طليعية و راسخة جماهيريا، هي المهمة الأولى و الحاسمة، لإحداث قفزة كيفية في خط و ممارسة الحركة الماركسية-اللينينية و

الحركة الجماهيرية في الشروط الجديدة للوضع الراهن، و كخطوة ضرورية و حاسمة في بناء الأداة الثورية البروليتارية، وفق برنامج مدقق و شامل و على مراحل متماسكة. و ما لم يضع الماركسيون اللينينيون هذه المهمة، ليس فقط في المقام الأول، و لكن كشرط أساسي لإنجاز بقية المهام، فإنهم يضعون أمام قضية البروليتاريا و احتلالها موقع قيادة الشعب عرقلة جديدة؛ كما أن شعار الصمود و الارتباط بالجماهير، و باقي الشعارات الأخرى ستظل محدودية الفعالية إذا لم يتم بناء المنظمة الموحدة، و لا يظهر حتى الآن أن هذه المهمة قد طرحت بالدرجة المطلوبة، فتلك القفزة التي تم تحقيقها في شهر أكتوبر 1972 بدأت تفقد حرارتها. و لكي تكون الوحدة حقيقية و شاملة ينبغي أن تدخل في حسابها الاعتبارات التالية :

أ. في كل مرحلة تاريخية لا يمكن أن يكون هناك إلا خط سياسي واحد سديد، لا خطوط عديدة، و بالضرورة قيادة بروليتارية واحدة، و حزب ثوري واحد، لا عدة أحزاب، و من أجل امتلاك خط سياسي واحد سديد و الوصول إليه ينبغي توفر منظمة ماركسية لينينية واحدة، فلا يحق لأي فصيل من فصائل الحركة الماركسية اللينينية أن يدعي وحده امتلاك هذا الخط، أو الحقيقة الثورية، إن هذان الادعاءان التافهين الضيقي الأفق يؤديان إلى الحلقية بكل مظاهرها، و إلى فهم التوحيد على أنه نوع من الاستيعاب و الضم، الشيء الذي لن يؤدي إلى التوحيد، لأن كل فصيل يملك هذا الادعاء، و لا أحد يجادل في أن هذه الظاهرة موجودة و تمارس بهذا الحجم أو ذاك داخل الحركة الماركسية-اللينينية.

ب. لذلك، و بسبب حداثة الحركة الماركسية اللينينية و أساسها الطبقي، ينبغي على جميع فصائل الحركة الماركسية-اللينينية أن تهدف إلى بناء خط سياسي واحد داخل الحركة الجماهيرية، و عبر النضال الملموس معها، ينبغي على الماركسيين-اللينينيين التوصل إلى نظرة موحدة لمختلف قضايا الثورة، و إلى توجيه سياسي موحد و خطة موحدة، تمكنهم من الممارسة داخل الحركة الجماهيرية، و سيصحح النضال هذا الخط، و أن تلتحم داخل هذا النضال نفسه، و لسنا في حاجة إلى ضرب الأمثلة من دروس الحركة الثورية العالمية، إن تجربة توحيد حزب العمال الألباني واضحة في هذا المجال، و قبلها توحيد الحلقات الاشتراكية الديمقراطية الروسية، و لنذكر كذلك بأن

الحزب الشيوعي الصيني لم يتوصل إلى بناء خط سياسي سديد إلا سنة 1935، أي بعد أربعة عشر سنة من تأسيسه، مليئة بالهزائم أكثر من الانتصارات.

فضلا على أن التجربة القصيرة لعملية التوحيد قد أثبتت أن الفارق في الرؤية السياسية بين مختلف الفصائل سهل التقريب، و يمكن أن يتم بسرعة أكثر من التي يتصورها البعض، و أن بعض الخلافات التي تظهر أساسية تختلط فيها الخلافات الموضوعية بمزيج من الحزازات الذاتية و الحلقية.

ج. لذلك أيضا فإن الحركة الماركسية-اللينينية تحتاج في علاقاتها أفقيا و عموديا إلى المركزية الديمقراطية، أكثر مما تحتاج إلى المركزية الشديدة أو إلى اللامركزية المفرطة بسبب أن المرحلة التي نجتازها هي مرحلة بناء الخط السياسي السديد، المركزية لتثبيت المكتسبات الوحدوية و تدعيمها و توحيد خطة النضال و المواجهة، و الديمقراطية التي تفتح حرية نقد الخطة المتفق عليها و إبراز أخطائها و إغنائها، و هذا يتطلب قبل كل شيء ضمان حق الأقلية في التعبير عن آرائها، و إلى ضرب أساليب التقيد بالمواقف الرسمية في النقاش.

د. ليس التوحيد عملية تجميع عددي لمجموع الماركسيين اللينينيين، بل هو خلاصة مركزة لمكتسباتهم السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية المتفرقة، و من أجل الوصول إلى ذلك، ينبغي على الماركسيين اللينينيين دراسة تجربتهم و تعميقها، و بالضرورة النقد الذاتي حولها، فلا ممارسة بدون أخطاء، و لا تقييم للتجربة بدون نقد ذاتي، و ينبغي على كل ماركسي لينيني أن يبدأ النقد الذاتي بنفسه، و قبل أن يوجه إليه، و هو تحديد السلبيات كما يعني تحديد الإيجابيات، و البحث عن جذورهما الطبقية، جذورهما السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية، من أجل منظمة ثورية طليعية، صلبة و راسخة جماهيريا، قائمة على قاعدة صلبة من دروس الممارسة و مرتكزة إليها.

هـ. و بسبب أن التوحيد ليس عملية جمع عددي، بل هو مسيرة نضالية، فإنه لا بد من توفر برنامج متكامل، يضمن سير عملة التوحيد من مرحلة إلى أخرى، من توحيد الرؤية و الأهداف و الخطة لكل قطاع، إلى بداية عملية الإدماج، إلى النقاش السياسي حول كل

قضايا الثورة المغربية و العربية و العالمية، وصولا إلى أطروحات موحدة و نظاما داخليا موحدا، إلى مؤتمر التوحيد الذي تنبثق عنه منظمة موحدة.

إن عملية توحيد الحركة الماركسية اللينينية هي مسيرة نضالية شاقة و لكنها أيضا ممكنة و مطلوبة في شروط الوضع الراهن الذي يتطلب من الحركة الماركسية اللينينية قفزة كيفية في خطها و ممارستها، و يشكل توفر منظمة موحدة لكل الماركسيين اللينينيين الشرط الأول لهذه القفزة من أجل خطوة جديدة في تأمين انتصار قضية البروليتاريا و جماهيرنا الكادحة، إن ذلك يتطلب قبل كل شيء من كل الماركسيين اللينينيين التشبع بالحقيقة التالية التي طرحناها دائما في الوعي كما في الممارسة : تشكل وحدة الماركسيين اللينينيين الخطوة الضرورية الأولى و الحاسمة التي لا مندوحة عنها في تأدية واجباتنا الثورية، و في طليعتها بناء الأداة الثورية البروليتارية.

لنبن الحزب الثوري تحت نيران العدو

صيف 1973

جريدة "إلى الأمام" عدد 9

إن الدرس المركزي الذي أبرزته الماركسية، كنظرية للثورة البروليتارية، منذ البداية، هو ضرورة بناء حزب شيوعي، كنواة قائدة لهذه الثورة. و ليس من قبيل الصدف، أن كان أول نص يشكل اندماج هذه النظرية الثورية بالحركة الثورية البروليتارية، يسمى ب"البيان الشيوعي".

و قد ذكر المؤتمر الثاني للأممية الثالثة المنعقد في يونيو 1920، حول دور الحزب الشيوعي في الثورة البروليتارية، بما يلي :

"لو كانت الطبقة العاملة، خلال كومونة باريز (1871)، تتوفر على حزب شيوعي منظم تنظيما محكما، مع أنها قليلة العدد، لكانت أول انتفاضة للبروليتاريا الفرنسية البطلة أكثر قوة، و لتجنبت أخطاء و أغلاطا عديدة. إن المعارك التي ستخوضها البروليتاريا، في ظروف تاريخية مخالفة تماما، ستكون لها نتائج خطيرة أكثر مما كان سنة 1871"[1].

إن هذا الدرس مقبول، بكل وضوح، من طرف جميع الثوريين الذين يرون بأن الماركسية-اللينينية، هي وحدها القادرة على قيادة النضال التحرري للبروليتاريا و الشعوب المضطهدة.

و لكن كيف يتم بناء هذا الحزب الثوري الماركسي- اللينيني، الحزب القائد للثورة ؟

كيف يتم بناؤه، عندما يحطم قمع العدو الفاشي المنظمات الثورية، بمعدل يساوي تقريبا معدل تركيبها ؟

1 . نصوص المؤتمرات الأربعة الأولى للأممية الشيوعية، الطبعة الثانية لماسبيرو،1971.

قد يرى البعض أنه للإفلات من هذا القمع المدمر، يجب بناء هذا الحزب بعمل داخلي ، و وضع تنظيماته الثورية بعيدا عن نيران العدو، باستقطاب مجموعة من الكوادر، و تثقيفها خارج كفاح الجماهير الذي يلازمه القمع، إنها نظرية بناء الحزب في السلم.

و سنتفحص بالتتابع الموقف المبدئي و الدروس التي برزت من خلال تاريخ الحركة العمالية، و سنرى ما هي ركائزها النظرية ، ثم ما هي، مع هذه الاعتبارات، مبادئ الدفاع الاستراتيجي ضد هجوم العدو.

التجربة التاريخية و موقف الحركة العمالية المبدئي

هذه بعض الأمثلة الخاصة التي تشخص تاريخ الحركة العمالية :

1. كيف كان موقف الحزب البلشفي إبان فترة القمع القيصري، الأكثر قسوة، التي عرفتها الحركة العمالية الروسية سنوات 1907 إلى 1910 ؟

لقد ختم لينين تقرير اجتماع المجلس الخامس للحزب، الذي عقد في دسمبر 1908، بما يلي : "سيعرف الحزب البلشفي، كيف يبقى اليوم أيضا حزبا طبقيا، حزب الجماهير، سيبقى الطليعة التي لن تفصل عن الجيش في أقسى اللحظات، سيعرف كيف يساعده على التغلب على صعاب هذه المرحلة الشاقة، على تقوية الصفوف ثانية، و على تكوين مقاتلين جدد باستمرار"[2].

2. في سنة 1921، كان رد الفعل الإمبريالي الشامل لكل أوربا، يدفع الحركة الثورية إلى التراجع. و تؤكد الأطروحات المنبثقة عن المؤتمر الثالث للأممية الثالثة المنعقد في يونيو من نفس السنة "أن مهمة الحزب الشيوعي الرئيسية، في الأزمة التي تجتازها، هي قيادة المعارك الدفاعية للبروليتاريا، توسيعها، تعميقها، تجميعها و تحويلها - حسب التطور- إلى معارك سياسية من أجل الهدف النهائي. و لكن إذا كانت الأحداث تتطور ببطء أكثر، بحيث تعقب الأزمة الاقتصادية الطبيعية، مرحلة من الانتعاش، و ذلك في عدد من البلدان يقل أو يكثر، فلا يمكن تفسير و اعتبار هذه الفترة، كفترة "التنظيم". و ما دامت الرأسمالية موجودة، فإن التقلبات في التطور ستكون لا مفر منها. هذه التقلبات ستصحب الرأسمالية في انحطاطها، كما صحبتها في شبابها و في نضجها أيضا[3]. و نضيف كذلك بأن الحركة الثورية خلال

2 . في الطريق الصحيح، المؤلفات المختارة،الجزء الأول، ص 576.

3 . الأطروحة 40.

المدة القادمة ستتبع سيرا إما أكثر نشاطا أو أكثر بطئا، و على الحزب الشيوعي في كلتا الحالتين، أن يصبح حزب عمل، فيكون في قيادة الجماهير المناضلة للتعبير بحزم و وضوح عن شعارات النضال، كما يفضح شعارات الاشتراكية-الديمقراطية الملتبسة المبنية دائما على التنازل. فعلى الحزب الشيوعي إذن، أن يبذل كل جهده خلال كل مراحل النضال، و أن يقوي بإمكانيات تنظيمية مرتكزاته الجديدة، عليه أيضا أن يعد الجماهير للعمليات الفعالة ، و أن يسلحها بطرق و خطط جديدة مبنية على الصدام المباشر و المفتوح مع قوات العدو[4].

3. في فبراير 1929، في الوقت الذي كانت فيه الجيوش البيضاء ل"تشان كاي تشيك" منتصرة في كل مكان، أعطت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني الأوامر لانسحاب "شوته" و"ماو تسي تونغ" من الجيش الأحمر، لكي لا يقدموا للعدو الأهداف الرئيسية، فأجاب ماو تسي تونغ حينئذ : "كلما اشتدت قسوة الظروف ازدادت الحاجة إلى حشد القوات و تركيزها ، و إلى قيام القادة بنضال حازم، و بهذه الطريقة وحدها نستطيع أن نحقق الوحدة الداخلية و نتصدى للعدو [5].

4. أثناء بناء الحزب الشيوعي الألباني، كان على المجموعات الماركسية-اللينينية ، أن تناضل خلال الثلاثينات و تحت الدكتاتورية الفاشية للملك "زوفو" ضد "نظرية تربية و حماية الكوادر".

إن "تاريخ حزب العمل الألباني" المؤلف بقرار من اللجنة المركزية لهذا الحزب (الفصل الأول) يعلمنا أنه، حسب هذه النظرية ، لا يجب على الشيوعيين أن يعملوا و لا أن يلتحموا بالجماهير و ينظموها، بل أن يظلوا منعزلين في خلاياهم و لا يهتموا إلا بالتكوين النظري"[6]. إن هذه النظرية في الواقع "ترى أن العلاقة مع الجماهير و العمل وسطها مؤذيان، لأن ذلك يعرض الكوادر للخطر"[7].

---

4. الأطروحة 41.
5. "رب شرارة أحرقت سهلا"، المؤلفات المختارة لماو تسي تونغ، الجزء الأول، ص 179.
6. نشر في "الإنسانية الحمراء" "l'Humanité Rouge" الفرنسية،1969، ص 48، تاريخ حزب العمل الألباني،الفصل الأول.
7. نفس المصدر، ص 105.

في إطار صراع سياسي طويل، انعقد المؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي الألباني في شتنبر 1941. و كما كتب الرفيق "جلبير موري" "لقد تغلبت الضرورة التاريخية على النزعة الحلقية"[8]. و من ضمن قراراته كان فضح المؤتمر بالخصوص لنظرية الكوادر كنظرية انهزامية و انتهازية، تبعد الشيوعيين عن الجماهير الشعبية و تحتفظ بهم ذيليين لها، و تحولهم إلى مجرد حلقة، تؤدي في النهاية إلى تصفية الحزب"[9].

5. لقد تكون الحزب الشيوعي الفيتنامي و أصبح محنكا تحت أسوأ ضروب القمع البوليسي و العسكري للاستعمار الفرنسي. و في سنوات 1931 إلى 1936، عرف معظم كوادر الحزب، الذي كان حديث التكوين، السجن و الأشغال الشاقة و الموت أيضا، خاصة بالنسبة لعدد من الكوادر الرئيسية. و من جديد و ابتداء من 1938 إلى حدود ثورة غشت 1945، لم يكن النضال أكثر سهولة، و هذا ما أظهره مناضل ثوري فيتنامي عضو اللجنة المركزية لهذا الحزب، حينما كان يذكر سنواته الماضية : "... كلما أحرزنا على نتائج، كلما طاردنا البوليس. و قد كانت كوادرنا الجديدة تعتقل بكل سهولة نظرا لقلة تجاربهم، حتى أن البعض كان يعتقل بعد شهرين أو ثلاثة من نشاطه. أما الأكثر ذكاء "فإنهم يستطيعون المقاومة حتى حدود ستة أشهر. و في كل مرة كنا نشعر بأن هذه الوضعية تمثل بالنسبة لنا خسارة فظيعة. و كل هذا كان يحدث بسرعة بحيث لا نتمكن من تكوين عدد من الكوادر في مستوى اتساع تنظيمنا[10]. فلم يبق أمامنا إلا حل واحد، هو تهريب المعتقلين السياسيين من السجون. و قد كان هذا أحسن ما نعتمد عليه". و نشير إلى أن "لي دوكتو" كان من بين من فروا من معتقلات الأشغال الشاقة.

أسس هذا الموقف

1. هذا الموقف الراسخ للحركة الماركسية-اللينينية يرتكز على أسس، هي نفسها ماركسية، و يرتكز بصفة أدق على المبدأين التاليين:

أ. أن الجماهير هي التي تصنع الثورة تحت القيادة السياسية و الإيديولوجية للبروليتاريا.

ب. هذه القيادة يحققها الحزب الماركسي-اللينيني، كنواة قائدة للطبقة العاملة و الجماهير الثورية.

---

8. مقدمة المؤلفات المختارة، لأنفير حجة، "في مواجهة التحريفية"، ماسيرو 1972.
9. تاريخ حزب العمل الألباني، ص 161.
10. عروض حول المقاومة الفيتنامية، ص 161، السلسلة الصغيرة ماسبيرو، 1971.

و نستنتج من هذا ، بأن عزل البذرة عن الأرض التي تغذيها يعني الحكم عليها بالهلاك و العدم.

لقد وضع ماركس في "أطروحات حول فيورباخ"، التصور البروليتاري الأساسي الذي يؤسس تلك المبادئ. إن تصور الحزب كنواة قائدة تتغذى بالنضال الثوري للجماهير، و في نفس الوقت تقودها، يظهر خاصة في الأطروحة الثالثة، حيث ينتقد ماركس التصور المادي البرجوازي للمعرفة. هذا التصور "العلماني" للمثقفين البرجوازيين الصغار، و يقابله بالتصور البروليتاري المادي الدياليكتيكي : "إن النظرية المادية التي تقر بأن الناس هم نتاج الظروف و التربية، و بالتالي بأن الذين تغيروا هم نتاج ظروف أخرى و تربية متغيرة، هذه النظرية تنسى بأن الناس هم الذين يغيرون الظروف، و أن المربي هو نفسه بحاجة للتربية. و لهذا فهي تصل بالضرورة إلى تقسيم المجتمع قسمين، أحدهما فوق المجتمع. إن توافق تبدل الظروف و النشاط الإنساني لا يمكن بحثه و فهمه فهما عقلانيا إلا بوصفه عملا ثوريا".

و نستنتج من هذا أن ليس هناك "قادة" يمتازون بامتلاك المعرفة و يقدمونها للمناضلين. و نستنتج أيضا أن تكوين منظمة ماركسية- لينينية في قلب نضال الجماهير، و في قلب ممارستها الثورية، هو وحده الذي يسمح، حتى من خلال هجمات العدو، بإعداد خط سياسي صحيح ، يدفع بدوره إلى بروز مقاتلين جدد و كوادر ثورية جديدة من وسط هذه الجماهير. و لهذا فإن أوائل المناضلين الذين مهدوا لهذه العملية، و مهما بلغت جدارتهم، ليسوا ذوي تفوق نوعي بالنسبة لهذه الكوادر الجديدة المنبثقة عن نضال الجماهير.

إن هذا التصور وحده الكفيل، عن طريق الممارسة الدائمة، التي هي أساس المركزية الديمقراطية و الانضباط الثوري، كفيل بتصحيح الأخطاء السياسية و التنظيمية، و في نفس الوقت ببناء الخط السياسي الصحيح الذي يبلور نضالات الجماهير الثورية و المنظمة الماركسية-اللينينية كنواة قائدة لهذه النضالات. هكذا، و هكذا فقط يتكون القادة "كأشخاص يربطون ما بين أعلى سلطة، و نفوذ و تجربة"[11].

2. أضافت اللينينية إلى هذين المبدأين، الذين أعادت توضيحهما و عمقتهما، مبدءا ثالثا هو : معاصرة الثورة لمرحلة الإمبريالية، و هذا ما أشار إليه ماو تسي تونغ في تصريحه في ماي 1970، بهذه العبارة : "... الآن، الاتجاه الرئيسي هو الثورة".

---

11. لينين،"مرض الشيوعية الطفولي".

و كما كتب لينين في فبراير 1909، متحدثا عن رئيس الحكومة القيصرية : "إن السيد ستوليبين، رغم حكمته العالية، لا يمكن أن يتقدم خطوة واحدة بدون أن يسرع بسقوط أوتوقراطية، هي في توازن غير مستقر"[12]. و يبقى هذا أكثر صحة بالنسبة لظلال الإمبريالية الباهتة التي تسمى اليوم : عصمان، حدو الشيكر، أو الحسن.

و من هذا المبدأ نستنتج بالخصوص، على أن الثورة الوطنية الديمقراطية، لا يمكن أن تكون بتاتا من صنع البرجوازية - حتى تلك التي سميت بشكل غريب "راديكالية"، خاصة في بلد يوجد تحت سيطرة قمع الاستعمار و الاستعمار الجديد (هذا الاصطلاح – أي الراديكالية- يناقض الماركسية التي لا تعترف إلا بطبقة واحدة راديكالية هي البروليتاريا) ، و لكن فقط بواسطة "حكم العمال و الفلاحين تحت قيادة الطبقة العاملة"[13].

كل هذا يدعم أهمية الموقف المبدئي الذي هو موقف الحركة العمالية الثورية في مواجهة العدو.

فهل يجب علينا إذن، في نفس الوقت الذي "تحرق فيه البرجوازية آخر أوراق لعبها"، أن ننزوي أم أن نحافظ و نتمسك بحزم براية النضال ؟

3. هل يمكن القول أن على الحركة الثورية أن تحدد مواقفها بالهجوم فقط، إن كان هذا ممكنا، فإنه يعني ارتكاب أفظع الأخطاء.

"من المستحيل أن ننتصر بدون معرفة علم الهجوم و التراجع"، هذا ما كتبه لينين سنة 1921، ملخصا في كتابه "مرض الشيوعية اليسارية الطفولي" التجربة التاريخية للحزب البلشفي، و متحدثا عن الفترة ما بين 1907 و 1910 بالضبط ، مضيفا كذلك بأن "علم الهجوم يجب أن يكتمل بعلم آخر : معرفة كيف نتراجع".

و لكن، هل يمكن أن نتصور أن تتراجع قيادة أركان حرب تاركة الجيش بتدبير أمره وحده؟ هل نتصور قيادة أركان حرب ،لا تنظم التراجع؟ إن هذا لا يعني معرفة و إتقان التراجع، و لكنه و بكل بساطة عدم تحمل مسؤولياتها. و هذه المسؤولية لا ينقص منها كون هذا الجيش - الذي مازال في طور التكوين- لا زال يعتمد على مجموعات من الشباب الثوري، بل بالعكس يمكننا أن نستخلص من التحليل

12. في الطريق الصحيح،المقال المذكور آنفا.

13. لي دووان، الكاتب العام الأول لحزب العمال الفيتنامي، "الثورة الفيتنامية، المشاكل الأساسية، المهام الأساسية"، ص 30، هانوي، 1970.

الملموس للواقع الملموس، أن هذه المجموعات المتقدمة بالذات هي التي ستكون أو بدأت في تكوين حلقة الوصل الجماهيرية (لا على أنها حلقة نخبوية) مع الطبقة العاملة و الفلاحين. و لكن بشرط أن نحافظ على التحام و نضالية هذه المجموعات.

وضع ماو تسي تونغ مبادئ التراجع في كتابه "قضايا الاستراتيجية في الحرب الثورية الصينية"[14]. و من الواجب دراسة الفصل الخامس المتعلق بهذه المسائل و الموجود تحت عنوان "الدفاع الاستراتيجي" لماو تسي تونغ، مع التفكير في تطبيق هذه المبادئ على المراحل السياسية من النضال التي نعيشها.

كل هذا يطرح أهمية دراسة علم الدفاع الاستراتيجي لماو تسي تونغ (الدفاع الاستراتيجي)[15].

و سنعود مستقبلا إلى دراسة نضالات هذه السنة و تقييم تجاربنا النضالية، و نذكر بخلاصات ماو تسي تونغ حول الدفاع الاستراتيجي فيما يلي : "إن التراجع الاستراتيجي يستهدف كليا الانتقال إلى الهجوم المضاد، و التراجع الاستراتيجي ليس سوى المرحلة الأولى من الدفاع الاستراتيجي، و أن الحلقة الحاسمة في كل استراتيجية هي النصر أم الفشل في المرحلة اللاحقة، مرحلة الهجوم المضاد[16].

و هذا يفرض الحرص على استراتيجية مبنية على المبادئ الثلاثة المرتبطة بينها التي ذكرنا بها فيما قبل:

- أولا، حول دور الجماهير كفاعل للثورة- ثانيا، حول بناء الحزب الماركسي-اللينيني كنواة قائدة للبروليتاريا و للجماهير الثورية – و ثالثا، حول معاصرة الثورة.

4. مبادئ نظرية لبناء الحزب الثوري

يمكننا الآن أن نفهم أحسن، التصور اللينيني للحزب الثوري، و لبنائه تحت نيران العدو.

لنقل الآن أنه لا يمكننا حتى أن ندعي الماركسية، إذا ما اعتبرنا أن المقصود هو إعادة المسيرة التي حدثت في روسيا ما بين 1895 و 1917 بصفة آلية، و لكن المقصود هو إعادة بناء استراتيجية تكون في نفس الوقت استراتيجية الثورة و استراتيجية التنظيم، و ذلك انطلاقا

14. أنظر "ستة مؤلفات عسكرية" أو الجزء الثاني من المؤلفات المختارة.
15 . ستة مؤلفات عسكرية
16. المجلد الأول ص 326.

من المبادئ الأساسية التي برزت من هذه التجربة، و من تجربة الحركة العمالية العالمية من جهة، و انطلاقا من الواقع الملموس لبلادنا سنة 1973 من جهة أخرى.

إن الممارسة الثورية لسنوات 1970 إلى 1972 المرتبطة ارتباطا وثيقا بممارسة النقد و النقد الذاتي، مكنتنا من الوصول إلى مثل هذا الإعداد (إعداد استراتيجية الثورة و استراتيجية التنظيم)، و ذلك ابتداء من النصف الأول لسنة 1972. و لقد أعطينا في نص "الوضع الراهن والمهام العاجلة للحركة الماركسية-اللينينية"، بتاريخ 6 أبريل 1973، العناصر الرئيسية لهذه الاستراتيجية الثورية.

يضاف إلى هذا، و على أساس المبادئ اللينينية، استراتيجية التنظيم، و التي سنعطي هنا عناصرها الرئيسية. سنتطرق إذن إلى :

- المبادئ اللينينية للحزب الثوري
- كيف ترتبط الاستراتيجية الثورية في المغرب باستراتيجية التنظيم
- كيف ترتبط استراتيجية التنظيم بمبادئ الدفاع الاستراتيجي المذكورة سابقا.

أ. المبادئ اللينينية للحزب الثوري

(نذكر على أنها تقوم على الأسس المذكورة في القسم الثاني)، يمكننا تلخيص هذه المبادئ كما يلي :

1. تنظيم الثوريين المحترفين و المتجذرين داخل نضال الجماهير، هي الدعامة التي يقوم عليها الحزب.
2. إن منظمة المحترفين الثوريين، تتكون من مناضلين انبثقوا من نضال الجماهير، في سيرورة مرتبطة جدليا بإعداد الخط السياسي للحزب، و انطلاقا من هذه الممارسة الثورية الجماهيرية نفسها، لا من خلال تكوين إيديولوجي داخل حلقة مغلقة.
3. إن الحزب، ليس منظمة الثوريين المحترفين المتفوقين على الجماهير، كما يدعي تقديم "ما العمل؟" في الطبعة الفرنسية لسلسلة "كتاب الجيب Livre de Poche"، بل إن الحزب مجموعة مكونة من منظمة الثوريين المحترفين، إضافة إلى المناضلين الماركسيين-اللينينيين في المنظمات الثورية الجماهيرية.
4. من هنا بالذات، و من خلال هؤلاء المناضلين، فإن الحزب يرتبط و يندمج (...) بالمنظمات الجماهيرية، في نفس الوقت الذي يقودها، على مستويات مختلفة من الوعي الثوري، و يتغذى منها.

و نجيب أولئك الذين يظنون أننا نحرف التصور اللينيني بأن الفكر اللينيني، المتماسك تماما في كتاب "ما العمل؟" لسنة 1902، يظهر بوضوح تام حين نقرأ هذا النص في مجمله، شريطة أن نكون قد استوعبنا التصور البروليتاري للعالم، الذي وضحه ماركس في أطروحته الثالثة حول فيورباخ، هذا الفكر الذي نقحه و وضحه لينين في "رسالة إلى رفيق" في 1903. و قد أعاد لينين تنقيحها من جديد و تركيزها، ضد كل معارضيه الذين يحاولون تحريفها- لنقدها أحسن في المؤتمر الثاني للحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي بروسيا، و الذي سجل بداية البلشفية. و يعطي مؤلف لينين "خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء" تحليلا مفصلا عن نقاشات هذا المؤتمر[17].

و على عكس أولئك الذين يريدون استعمال تلك الحجة الجد عادية و الجد مبتذلة، و التي يريد لينين حسبها "تحديد عدد المنخرطين في الحزب بعدد المتآمرين"، يجيب لينين : "لا يجب الاعتقاد بأن تنظيمات الحزب تتكون من الثوريين المحترفين فحسب، بل إننا نحتاج لتنظيمات جد متعددة، من كل الأنواع، من كل الدرجات ابتداء من المنظمات الأكثر ضيقا و تآمرا إلى الأكثر اتساعا و حرية"[18].

لقد تم وضع التصور اللينيني بوضوح أكثر في هذا النص نفسه بالعبارات التالية : "يمكننا أن نميز بين الأصناف التالية حسب درجة التنظيم عامة و درجة السرية خاصة : 1- منظمات الثوريين. 2- منظمات العمال الموسعة و المنوعة بقدر الإمكان (أقتصر على الطبقة العاملة وحدها و لكن أفترض أن مشاركة بعض العناصر من الطبقات الأخرى باعتبار بعض الشروط ، شيء مسلم به). و يتكون الحزب من هذين الصنفين. 3- منظمات عمالية مرتبطة بالحزب. 4- منظمات عمالية غير مرتبطة بالحزب ، و لكنها في الواقع تحت رقابته و تحت قيادته. 5-عناصر من الطبقة العاملة غير منظمة، لكنها تخضع و بصفة جزئية لقيادة الاشتراكية الديمقراطية، و ذلك على الأقل خلال المظاهرات الكبرى للصراع الطبقي"[19].

فعلى الرفاق الذين يصرون على أن نقاش و إعداد الخط السياسي هو من اختصاص نخبة معزولة، أن يتأملوا كثيرا هذا النص.

ب . استراتيجية الثورة و استراتيجية التنظيم في المغرب

17. المؤلفات المختارة، الجزء الأول.
18. مسطر من طرف لينين، "ما العمل؟"، ص 308.
19. صفحة 312.

لقد أظهر لنا لينين فيما قبل أن "تطور الوعي الثوري لدى الطبقة العاملة،لا يمكن أن يتم إلا بتحريك كل طبقات الشعب."، فبالأحرى في بلد كالمغرب، حيث يتكون ثلثا السكان من الفلاحين، و حيث لا تكون الطبقة العاملة نفسها إلا قسما قليلا من مجموع سكان المدن. إذن يمكننا الوصول إلى الهدف الاستراتيجي المتمثل في انطلاق الحرب الشعبية، التي يوجد من بين شروطها الأساسية انطلاق النضالات الأساسية و الثورية لجماهير البوادي، و يبقى نمو هذه النضالات نفسه مرتبطا بنمو النضالات في المدن، في نفس الوقت الذي يكون عاملا قويا للدفع بتبلور الوعي البروليتاري، و لبناء قيادة الطبقة العاملة في الجبهة الثورية للعمال و الفلاحين. ومرة أخرى، فإن بناء جبهة ثورية كهذه و بناء قيادة بروليتارية، ليس بناء آليا، جامعيا : إعطاء العلم من المثقفين إلى العمال، و من جماهير العمال إلى جماهير الفلاحين.

هذا البناء هو تحريك دياليكتيكي للعناصر المتقدمة أكثر التي تتأصل و تتجذر اليوم موضوعيا داخل قوى الشباب، و داخل مجموع الجماهير الثورية في البلاد، أي داخل جماهير الفلاحين، و في نفس الوقت داخل الطبقة العاملة.

و لن نتردد في الإلحاح على التأكيد بأن من إحدى الميزتين التي تجعل من بلدنا الحلقة الضعيفة في سلسلة الإمبريالية في المنطقة، زيادة على الضعف الموضوعي للنظام، هو كون الجماهير الشعبية تفرز بمعدل قل ما يوصل إليه في تاريخ المجتمعات الماقبل-اشتراكية، مثقفيها العضويين - بنفس المعنى المعمق عند غرامشي -؛ أي جماهير الشباب المدرسي المنحدر من الأحياء الشعبية بالمدن، أو من البوادي. (بالنسبة لأولئك الذين نسوا الواقع الحي لثانويات بلادنا، يمكنهم على كل حال أن يرجعوا إلى الدراسة التي صدرت في "أنفاس" الفرنسية في عددها المزدوج 20/21، سنة 1971 حول "التعليم بالمغرب منذ الاستقلال الشكلي").

و لنذكر مرة أخرى، بأهمية توطيد المنظمات الثورية للشباب المدرسي للمدن و البوادي، و تمكنها أكثر في بناء المنظمات الثورية للشباب كله، و ربطها أكثر بنضالات الطبقة العاملة و جماهير الفلاحين.

و تبعا للمبادئ اللينينية نفسها، فإن بناء منظمة الثوريين المحترفين، لا يمكنه إلا أن يتجذر و يتغذى و ينمو من هذه المنظمات الثورية للشباب، بحيث توجه نضالاتها في نفس الوقت، و من خلال المناضلين الماركسيين اللينينيين لهذه المنظمات الثورية الجماهيرية، في إطار الاستراتيجية الثورية.

و أثناء هذه النضالات، في أطوارها الهجومية و أطوارها الدفاعية على السواء، تخلق تدريجيا إمكانيات جديدة لربط علاقات بين المناضلين العمال المتقدمين و بين بعض العناصر الثورية من الفلاحين، و من البرجوازية الصغيرة بالمدن، و الذين يستنتجون دروسا من الانهزامات المتتالية للسياسيين البرجوازيين الصغار.

و لأولئك الذين يظنون أنه لا يمكن أن يوجد هؤلاء المناضلون العمال المتقدمون، إلا انطلاقا من حلقات للتكوين النظري، نذكر جملة للينين في "ما العمل؟" : "بقدر ما يصبح اندفاع الجماهير العمالية العفوي واسعا و عميقا، بقدر ما يدفع بمحرضين موهوبين إلى الأمام ، و كذلك بمنظمين و بدعاة موهوبين و "بمتمرسين" (...)، فليس ذلك التلميذ المجد في حلقة الدراسات العمالية (بالمعنى الذي يتصوره بعض الرفاق)، هو الذي سيكون الكادر البروليتاري، و لكنه ذلك المناضل العامل المتقدم في نضالات الجماهير، و الذي على المنظمة الماركسية-ا للينينية أن تساعده على التكوين كثوري محترف".

و من هنا كذلك نرى الدور الرئيسي للجريدة كمنظم جماعي –على حد تعبير لينين - و نرى أيضا أهمية "إلى الأمام" في المرحلة الراهنة، كما تظهر ضرورة تطوير هذا المكسب النضالي لا إجهاضه، و ضرورة جعلها أداة لتوجيه نضالات الجماهير، و لتكوين الكوادر البروليتارية في نفس الوقت، و ذلك بالاندماج في الحركة الماركسية-اللينينية، بالوصول إلى منظمة الثوريين المحترفين و المناضلين العمال و المناضلين المنحدرين من الشبيبة المدرسية.

ج . استراتيجية التنظيم و استراتيجية الدفاع الاستراتيجي

يجب أن نعلم، كما توضح لنا تجربة الحركة الثورية العمالية، وتجربتنا الخاصة والقاسية الآن :

1. بأنه في الوقت الذي نركز فيه مجهوداتنا لبناء حركة ثورية صلبة، فإن من المستحيل تجنب على الدوام أي اعتقال في صفوف المنظمات الماركسية- اللينينية ، كيفما كانت درجة إتقان هيكلتها العضوية.

2. بأن قدرة الرفاق على الصمود، كشرط أساسي لكي تكون الضربات التي يوجهها العدو محدودة، متعلقة مباشرة بتجذرهم داخل الجماهير، المصدر الوحيد و العميق للقوة و للثقة في الإيديولوجية الثورية.

3. بأنه بقدر ما تكون المنظمات الماركسية-اللينينية متجذرة داخل الجماهير، حتى إن كانت هذه الجماهير - في المرحلة الراهنة- متكونة من الشباب الثوري، بقدر ما يتكون مكافحون ثوريون جدد و كوادر ثورية جديدة، و التي تأتي لتخلف الرفاق الذين سقطوا في المعركة، و لتقدم هذه المعركة إلى الأمام رغم ضربات العدو.

4. بأن الرفاق الذين اعتقلهم العدو ليسوا ضائعين من المعركة، ففي سجون العدو تنصهر، كما كتب هوشي منه نفسه من سجنه سنة 1931، الطليعة التي يمنحها الشعب ثقته، ففي يوم ما سيخرج نضال الشعب هؤلاء الرفاق من السجن، و أن الخمس سنوات من سجن الأشغال الشاقة التي قضاها معظم كوادر الحزب الشيوعي الفيتنامي من سنة 1931 إلى سنة 1936، تظهر اليوم جد قصيرة بالنسبة للتاريخ المظفر للثورة الفيتنامية.

و لكي نختم، نذكر بهذا الشعار البلشفي القديم : "إن المطرقة تكسر الزجاج، و لكنها تصلب الفولاذ".

إن المناضلين المنحدرين من الشباب الثوري ببلادنا، أبناء العمال و الفلاحين الذين أعطوا حياتهم في المعركة ضد الاحتلال الاستعماري، أبناء و إخوان أولئك الذين سقطوا برصاص الحسن في الريف و في البيضاء، هؤلاء المناضلين ليسوا من الذين يخافون من مطرقة العدو.

في المواجهة اليومية لجهاز العدو القمعي، سواء كان ذلك في ساحات الثانويات و الجامعات، أو في الأحياء الشعبية، أو في المعامل وفي البوادي، أو في كهوف الكوميساريات و زنزانات السجون، سينصهر الفولاذ الأصيل الذي يسلح شعبنا، الفولاذ الذي يسلح ثورتنا.

أكيد أن هذا الفولاذ غير كاف اليوم، و لكن الفولاذ الممتاز الذي يكون شعبنا يمنحنا ثقة في المستقبل.

الندوة التحضيرية للقطاع الطلابي

29 غشت 1973
الكتابة الوطنية

تقديم:
أيها الرفاق:
في إطار التحضير للندوة الوطنية السنوية للعمل داخل القطاع الطلابي، و في إطار تعميق تجربتنا و خطنا السياسي و ممارستنا داخل القطاع الطلابي، انعقدت ندوة تهييئية بمساهمة (الكتابة الوطنية) و المكتب الطلابي، أنجزت هذه الأرضية التي نطرحها للرفاق من أجل دراستها بجدية و تعميقها حتى يساهموا بشكل فعال في الندوة الوطنية السنوية المقبلة للقطاع الطلابي من أجل تجديد مهامنا بشكل دقيق و واضح داخل هذا القطاع، في إطار التوجيه السياسي لمنظمتنا في هذه المرحلة. و نتحمل مسؤولياتنا كاملة، و ذلك في إطار الجهود المبذولة داخل تنظيمنا من أجل السير قدما في بناء خط سديد محكم و منظمة ثورية طليعية صلبة، راسخة جماهيرية.
فعلى كل الرفاق أن يشرعوا عاجلا في دراسة هذه الأرضية بحماس و عزيمة لا تقهر.

الكتابة الوطنية . 29 غشت 1973

لقد مرت أكثر من ثلاث سنوات على انبثاق اليسار الماركسي اللينيني وسط الحركة الطلابية إبان المعارك البطولية الكبرى سنة 70. و قطع مرحلة جديدة من حياته النضالية المليئة بالنجاحات و النكسات، غنية بالدروس المستمدة من ممارسته النضالية داخل هذا القطاع الحيوي و قاد أكثر من معركة مجيدة ضد مخططات الحكم التصفوية و ساهم بشكل كبير بتقريب النهاية المحتومة للفكر الإصلاحي و التحريفي الذي كان إلى ذلك الوقت متربعا – و بدون منازع - على الساحة الطلابية، و نال نتيجة كل ذلك عطف و تأييد الحركة الطلابية التي رفعته حاليا إلى قيادة المنظمة المناضلة أ.و.ط.م غداة المؤتمر 15 التاريخي. و بعد هذا المؤتمر مباشرة و نظرا لتغيير الوضع السياسي الذي سنأتي على ذكره، واجه الحكم سماسرة الإمبريالية و المعمرين الجدد الحركة الطلابية بقمع لم تعرف له مثيلا طوال سنوات نضالها المجيد

و المستميد. و ما كان هذا الوضع الجديد الذي عرفته الساحة الوطنية ليمر دون أن تبرز بعض الخلافات داخل اليسار الماركسي اللينيني حول الحركة الطلابية و دورها في الوضعية التي تعرفها البلاد.

هذه الخلافات التي ستعمق خلافات سياسية و إيديولوجية حول قضايا الثورة المغربية ككل. و لم يتوان بعض الرفاق في ظل هذه الوضعية باتهامنا بتشتيت الحركة الطلابية نتيجة استلائنا على الجهاز. هذا الاستيلاء الذي سبب في نظرهم جل المشاكل التي يعاني منها اليسار الماركسي اللينيني و الحركة الطلابية.

نضال:

كل هذا التاريخ الحافل من سجل اليسار الماركسي اللينيني و كل هذه التطورات الجديدة تستلزم منا وقفة نقدية لممارستنا داخل الحركة الطلابية من أجل استخراج خلاصات واضحة تقود عملنا المقبل و تصحح خطنا السياسي داخل الحركة الطلابية سيما و أن تنظيمنا يفتقر إلى وثيقة حول الحركة الطلابية رغم الندوات التي عقدناها في السنوات الماضية.

و تأتي الندوة الحالية كذلك في مرحلة جديدة يعرفها التنظيم و الحركة الطلابية، فالتنظيم بعد تقرير 20 يونيو التاريخي (عشرة أشهر من كفاح التنظيم، نقد و نقد ذاتي) عرف تقدما هائلا على مستوى خطه السياسي. هذا الخط الذي لم تزده الخلافات الحالية داخل الحركة الماركسية اللينينية إلا رسوخا و وضوحا. هكذا يأتي شعار (الصمود و الالتحام بالجماهير) ليعبر بالفعل على أن أي عمل خارج الجماهير محكوم عليه مسبقا بالفشل لأنه ينطلق من مفهوم المثقف الذي يأتي بالحقيقة للجماهير عوض الثوري الحقيقي الذي يتمرس داخل الجماهير. و لكن قليلون هم أولئك الذين يمكنهم أن يدركوا كنه هذه الشعارات و بالتالي الصمود مع الجماهير.

أما الحركة الطلابية فإنها مقبلة على مرحلة جديدة من حياتها. مرحلة مخالفة لما عرفته خلال السنوات الماضية نتيجة التطورات الأخيرة على الساحة الجماهيرية و التي تمثلت بالنضال المشروع داخل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب. إن المرحلة الحالية تأتي في غياب هذه المنظمة المناضلة أو بالأحرى غياب شرعيتها و الإمكانيات التي كانت توفرها. نظرا للقمع المسلط على القطاع الطلابي فإن المهام المنوطة بالحركة الماركسية اللينينية لجد شاقة و عسيرة، فما كان لنا أن نتخلى على الحركة الطلابية في أحلك ظروفها. إننا كماركسيين لينينيين نؤمن إيمانا راسخا أن الهجوم المضاد الذي شنه الحكم على الحركة الطلابية سيقابله – و لا شك- هجوم مقبل من طرف الحركة الطلابية. فلهذا الهجوم المقبل يجب توفر كل الشروط حتى يكون هجوما مظفرا تستعيد فيه الحركة الطلابية كل مكتسباتها المسلوبة. فعلينا أن نبني تنظيمنا بناء محكما حتى يكون بالفعل القيادة الفعلية للهجوم المقبل، كما يجب أن نبني الجبهة بناء جديدا من المناضلين الصامدين و

الذين عبروا عن التحامهم و نضالهم في أوقات الشدة هذه. و لفظ كل الغازات السامة التي عبرت عن انتهازيتها و انهزاميتها كما يجب علينا كذلك أن ندرس بجد إمكانية جعل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب المنظمة الطليعية الوحيدة في الظروف الجديدة الشيء الذي يستلزم منا أن نفكر في البناء الصحيح للنقابة السرية الجماهيرية حتى نضمن استمراريتها و صمودها.

و أخيرا: ففي تقييمنا للحركة الطلابية يجب أن نبحث و نركز على دورها في الصراع الطبقي، إذ لا يمكن لنا بأي حال أن نفصل خطنا السياسي داخل الحركة الطلابية عن خطنا مع الجماهير الشعبية و نضالنا الطبقي. لهذا فإن التصميم المقترح في هذه الندوة يراعي هذه النقطة و يحدد بشكل واضح دور الحركة الطلابية في تأجيج الصراع الطبقي ببلادنا.

أولا: الشروط الموضوعية لنمو الحركة الجماهيرية في نهوضها الجديد:

أ. شكلت انتفاضة 23 مارس 1965 منعطف تحول حاسم في نمو المسيرة النضالية لشعبنا الكادح، و كانت بمثابة نقد دموي بالنسبة لأحزاب الإصلاح في المغرب معلنة عن بداية القطيعة العفوية و الحسية للجماهير لخط العمل الإصلاحي البرلماني و مسجلة بداية الإفلاس الذريع للخط البرجوازي الصغير الذي عرف انتعاشا في الفترة الممتدة ما بين 1958- 1965.

و لقد كشفت الأحزاب الإصلاحية التي كانت آنذاك في مقدمة المعركة الجماهيرية عن انتهازيتها و مساومتها غداة هذه الانتفاضة حيث سارعت – و دماء الشهداء لم يجف بعد بشوارع الدار البيضاء - إلى دخول المساومات المشهورة مع النظام على ظهر هذه النضالات، مادة أحسن مساعدة له للخروج من العزلة التي أوقعته فيه الحركة الجماهيرية، و ما كان لأحزابنا أن تفعل أكثر من ذلك نتيجة مواقعها و انتماءاتها الطبقية التي جعلتها عاجزة عن مسايرة هذا النمو الهائل للحركة الجماهيرية. فما كان لها إلا أن تقف للتفرج عليها و اتخاذ أزمة النظام الجديدة هذه كفجوة تتسرب منها إلى السلطة.

نفس الموقف أظهرته أحزابنا الإصلاحية و الانتهازية و التحريفية بعد هزيمة الأنظمة العربية في يونيو 1967 . فلما كان الشعب الفلسطيني خاصة و الشعوب العربية عامة تتعرض للمؤامرة الدنيئة التي تحيكها الإمبريالية الأمريكية و الصهيونية العالمية كان موقف الأحزاب الإصلاحية و الانتهازية و التحريفية في بلادنا - تمشيا مع خطها البرجوازي الصغير- هو الاكتفاء برفع شعارات جوفاء متخلية عن تعبئة الشعب المغربي لمساندة الثورة الفلسطينية و القبول ضمنيا بالقرارات التصفوية و المشاريع التي صاغتها الامبريالية الأمريكية بمساعدة التحريفية السوفياتية (قرار مجلس الأمن – مشروع روجرز..) و إن موقف التحريفية المغربية في هذا الصدد لجد مخزي حيث لم

يتردد زعيمها في استخدام جدليته المعهودة لمساندة الثورة الفلسطينية، و في نفس الوقت تأييد المشاريع التصفوية التي صيغت لتصفيتها في آن واحد.

و لقد انفضح الخط الإصلاحي البرجوازي الصغير لأحزابنا الإصلاحية بصورة أكبر غداة النضالات الهائلة التي خاضتها الشبيبة المدرسية في سنة 1970 و التي توجت بمؤامرة إيفران التي شكلت رصيدا جديدا للإصلاحية في المساومة على النضالات الجماهيرية – الشعبية. فبعد انطلاق حركة التلاميذ سنة 1970 و بعد سنوات الركود التي أعقبت انتفاضة مارس، في نضالها المجيد ضد مخططات الحكم التصفوية في ميدان التعليم، هذه الانطلاقة التي كانت شمولية و التي طبعت بالروح النضالية العالية، أولت الإصلاحية و التحريفية – مرة أخرى - بظهرها لهذه النضالات و ساهمت بقسط كبير في فصل الطلبة عن التلاميذ بدعوى تباين المشاكل المطروحة. إلا أنها لم تتوان - كعادتها - في المساومة على هذه النضالات المجيدة من أجل انتزاع مكاسب ذاتية انتهازية على حسابها. إلا أن موقفها هذا ساهم بشكل كبير في تعجيل نهايتها في قطاع الشبيبة المدرسية.

ب . على الصعيد العربي شكلت هزيمة الأنظمة العربية في يونيو 1967 بداية لخط هذه الأنظمة البرجوازية و بداية نمو حركة التحرر العربية و نهوضها الجديد. ففي سنة 1967 بدأت الجماهير العربية تدرك كنه طبيعة الأنظمة البرجوازية التي استطاعت – و لمدة طويلة - تخدير الشعب العربي ببعض الإصلاحات الطفيفة و بالديماغوجية الثورية. فهزيمة 1967 كانت بالفعل صدمة بالنسبة للشعب العربي، إلا أنها كانت إيجابية من حيث أنها كشفت عن الخط البرجوازي الصغير الذي كانت تسير على هداه تلك الأنظمة نتيجة انتماءاتها الطبقية. و لقد احتد هذا التناقض بين الشعب العربي و هذه الأنظمة خصوصا غداة الهجمة الشديدة التي شنتها الطبقة الحاكمة في الأردن على الشعب الفلسطيني و على المقاومة الفلسطينية، هذه الهجمة التي ساعدت في تعميق الوعي العربي و إدراك الجماهير العربية أن النضال ضد الصهيونية لا يمكن أن ينتصر إلا إذا كان نضالا طبقيا ضد كل أعداء الشعب العربي و ضد كل عائق لتحرره. كما لا يمكن أن نغفل ما كان لهزيمة 1967 من أثر بليغ على المقاومة الفلسطينية و حركة التحرر العربية و تجذرها. فها هي الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين تبرز على الساحة الفلسطينية متشبعة بالفكر الماركسي اللينيني لمرشد لنضالها الشاق. و في اليمن الديموقراطية استطاع اليسار الماركسي اللينيني من جهته أن يصحح مسار الثورة هاته بعد يونيو 1969 و دفعها إلى الأمام ضمن آفاق الثورة الديموقراطية الوطنية و في الخليج العربي جاء توحيد الجبهتين المناضلتين و تشبعها بالماركسية اللينينية خير رد حاسم على مخططات الامبريالية في المنطقة.

ج . على الصعيد العالمي اشتدت الثورة العالمية في مواجهة الإمبريالية العالمية بدفع علم الثورة الأحمر عاليا. ففي الصين شكل قيام الثورة الثقافية انتصارا للخط البروليتاري الذي ينتهجه الحزب الشيوعي الصيني بقيادة الرفيق ماو تسي تونغ و ذلك من أجل إعطاء نفس جديد للثورة البروليتارية الكبرى و كسر الهيمنة البيروقراطية و التحريفية التي يمكن أن تكبل مسيرتها. و في الفيتنام خاصة و الشعوب: الهند الصينية عامة جسدت انتصارات الشعوب هناك مدى قدرة الشعوب إن هي أخذت مصيرها بنفسها على دحر العدوان حتى و إن كانت تتزعمه أكبر دولة عدوانية في العالم. و لقد ساهم نضال هذه الشعوب بشكل كبير في رفع معنوية الشعوب المكافحة و إحرازها على النضال من أجل تحررها الشيء الذي زاد في توسيع معسكر الثورة سواء في إفريقيا – الموزمبيق، غينيا بساو – أو في أمريكا اللاتينية - بوليفيا، الأروكواي... كما أخذت التحريفية العالمية تعرف في هذه المرحلة بداية إفلاسها الشنيع أمام تزايد تواطؤها و خيانتها للثورة العالمية.

في ظل هذه الشروط الموضوعية أخذت الجماهير و ضمنها الحركة الطلابية تستعيد نهوضها الجديد، فهكذا أخذت الطبقة العاملة تستعيد طاقاتها النضالية كما تجلى ذلك في نضالاتها الكبرى التي امتازت بطول النفس و الروح الكفاحية العالية التي صاحبتها (إضراب مناجم خريبكة، مناجم جرادة، نضالات عمال النسيج و المطاحن ...) كما بدأ الفلاحون يدخلون في المعركة بنضالاتهم العفوية نتيجة اشتداد حملة النهب التي يتعرضون لها من طرف المعمرين الجدد، هكذا بدأ يأخذ شعار الأرض الصدارة لكل النضالات السلمية و العنيفة التي يقومون بها، و لقد تطورت نضالاتهم هذه إلى انتفاضات دموية عنيفة كانتفاضة بني ملال، سطات، تسلطانت و أولاد خليفة. و لقد سجلت نضالات الحركة الجماهيرية ظاهرة العنف الجماهيري الذي قابلت به العنف الرجعي. فلقد ضرب العمال في مناجم قطارة المثال في الصمود و التضحية لما هددوا بتهديم المنجم إذا لم تلب مطالبهم المشروعة، كما لم يتوان الفلاحون الفقراء في أولاد خليفة من سقي أراضيهم المغصوبة بدمائهم الجارية دفاعا عنها من جشع الإقطاعيين الجدد.

و في هذا الظرف كذلك أخذت الشبيبة المدرسية (التلاميذ و الطلبة) تسترجع قوتها بنهوضها الجديد الذي سجلته معارك 1970 نظرا لنمو الشروط الموضوعية داخلها. فكان نضالها في 1970 بشير حقيقي لنمو الحركة الجماهيرية، الشيء الذي سيؤكد صحته.

كما أخذت الحركة الطلابية تأخذ موقعا متقدما في النضال بحكم توفر و نمو الشروط الموضوعية و الذاتية و التي كان من بينها توسيع قاعدتها من أبناء الجماهير الكادحة. فإلى حدود 1966 - 1967 كان الالتحاق بالجامعة حلما لا يتحقق إلا لأبناء الطبقات الميسورة، و لكن بعد سنة 1967 – 1968 خاصة أخذت أفواج هائلة من أبناء الجماهير تصل تدريجيا إلى الجامعة – هذه الأفواج التي أتيح لها أن تلج أبواب التعليم النصف المفتوحة غذاة الاستقلال الشكلي. و التي استطاعت أن تتخطى العراقيل المزروعة في طريقها الطويل، فشكل هذا التغيير

تبدلا كميا و كيفيا داخل الحركة الطلابية التي أخذت تجذر مواقفها من المشاكل المطروحة على صعيد التعليم، فأصبح القطاع الطلابي تنعكس فيه بكل وضوح السياسة النخبوية للنظام المتعفن التي ترمي إلى تجهيل الشعب المغربي و حرمانه من حقه المشروع في التعليم. و لقد زاد انبثاق اليسار الماركسي اللينيني و نضاله السياسي و الإيديولوجي داخل الحركة الطلابية من إدراك الجماهير الطلابية لذلك. و لقد برزت هذه التحولات داخل القطاع الطلابي خاصة في بداية المعارك المجيدة للشبيبة المدرسية في فبراير – مارس التي ستتوج بمؤامرة إيفران السيئة الذكر. كما سيزيدها نضال الحركة الطلابية في فترة ماي – يونيو أكثر وضوحا بفعل النضالات الهائلة التي صحبت هذه التحركات.

ثانيا: مرحلة النشأة:

أ. فمرحلة النشأة في النهوض بالحركة الطلابية الجديد لا يمكن لنا بأية حال من الأحوال أن نأخذها بمعزل عن تنامي الحركة الجماهيرية و لا يمكن لنا كذلك أن نأخذها مجردة عن تطور و نمو الشروط الموضوعية و الذاتية الذي عرفها القطاع الطلابي. كما لا يمكن أن نعزل النهوض للحركة الطلابية الجديد عن نشوء التنظيم الماركسي اللينيني داخلها، إن التنظيم نفسه ليس قفزة معزولة عن الحركة الجماهيرية بل هو في نفس الوقت نتيجة و منتج لهذه الحركة.

فتنظيمنا للقطاع الطلابي هو نتيجة لتصاعد هذه النضالات الجماهيرية التي سيكون لها بالتالي دور مهم في توسيعها و تعميقها. ففي الظروف الجديدة أخذت قاعدة الحركة الطلابية في تحول مستمر بفضل وصول الأفواج الهائلة من أبناء الجماهير الكادحة التي حملت معها كل المآسي التي يعاني منها الشعب المغربي، الشيء الذي ساعد على انتشار الفكر الثوري و جعل القطاع الطلابي نتيجة لذلك مركزا متقدما للصراع الإيديولوجي. فجنب النضالات الأولى للحركة الطلابية في نهوضها الجديد الذي لعبت فيه دورا مهما في مساندة جماهير التلاميذ التي ناضلت ضد السياسة النخبوية للحكم في ميدان التعليم، هذه النضالات التي توجت بمصيدة إيفران التي خسرت فيها الحركة الطلابية (المدرسة العليا للأساتذة) المنفذ الوحيد لجماهير التلاميذ الفقيرة نحو التعليم العالي، كما شكلت زيارة (لويز برافو) للمغرب للتآمر على الشعب الصحراوي و إضراب 4 ماي الذي قابلته به الحركة الطلابية يشكل هذا تحولا حاسما داخل الحركة الطلابية حيث تعدى الإضراب إطاره التقليدي من إضراب حول مشاكل التعليم إلى إضراب سياسي عام. فالانبثاق الحقيقي لليسار الماركسي اللينيني يرجع إلى هذه الفترة المجيدة التي عرفت حركة نضالية عالية في تاريخ الحركة الطلابية التي أخذت تطرح البديل و لو بشكل غامض للإصلاحية و التحريفية فكانت معارك التجنيد في ماي – يونيو هي أول المعارك التي خاضتها الحركة الطلابية في استقلال شبه تام عن الأحزاب

الإصلاحية و التحريفية التي تخلت – كعادتها - عن المعركة و عن مناضلي الحركة الطلابية المعتقلين، فكانت بداية الصراع السياسي و الإيديولوجي مع الإصلاحية و التحريفية الذي كان في معركة التجنيد تلك، أول مشهد من نوعه داخل القطاع الطلابي و عكس بالفعل نمو الحركة الطلابية الذي لم يكن إلا انعكاسا لنمو الصراع الطبقي على الساحة الوطنية.

ففي خضم هذه النضالات برز التنظيم و في وسطها انبثق اليسار الماركسي اللينيني كقوة ثالثة في الميدان في وجه النظام و الإصلاحية، فالجماهير الشعبية و الحركة الطلابية خاصة لم تعرف اليسار الثوري إلا عند انبثاقه الصحيح في هذه النضالات و تصدره لها.

أما تنظيميا فإن تأسيسه جاء مباشرة بعد انفصال صيف 1970 (غشت)، إلا أن الجذور الحقيقية لهذا الانفصال تنحدر إلى مؤامرة إيفران التي سجلت غضب المناضلين داخل الحزب التحريفي على مواقف هذا الأخير، إلا أن هذا الغضب لم يبعد شكله الحسي في تلك الفترة ضد طغمة الأساتذة التحريفيين التي حاولت في إيفران و شاركت في تدبير المؤامرة. فبعد سنة 1967 – 1968، أخذ الفكر الماركسي اللينيني ينتشر داخل طلبة الحزب التحريفي و بعض مثقفيه نتيجة نمو الثورة العربية بعد 1967، و إنجاح الثورة الثقافية و باعتبار الحزب التحريفي آنذلك هو الممثل الرسمي للماركسية - اللينينية. و إذا قلنا الطلبة فإننا نعني الجزء المهم و الدينامي من أعضاء هذا الحزب. إذ أن البقية من أعضائه ليس لها أي دور يذكر في الحركة الجماهيرية بعد سنة 1969 بدأت تشكل أنوية للماركسيين اللينينيين، هذه الأنوية التي كانت متحلقة حول (أنفاس). إلا أن البديل للحزب التحريفي لم ينضج لهؤلاء المناضلين إلا بعد معارك الشبيبة المدرسية في فبراير مارس 1970، حيث بدأت تظهر لهم أهمية هذا القطاع و خصوصا دور التلاميذ، ليس في حد ذاتهم ولكن لدورهم في الحركة الجماهيرية كمثقفين عضويين للحركة الجماهيرية الشيء الذي أبرزه نضال فبراير – مارس بشكل ملموس و مباشرة بعد مؤامرة إيفران، و كرد فعل على مواقف التحريفية هناك تشكلت حلقة من هؤلاء الماركسيين مستقلة عن توجيه الحزب التحريفي بين الطلبة ومثقفي مجلة (أنفاس)، و ما نضال ماي – يونيو و الدور الذي لعبه فيه طلبة التحرر و الاشتراكية، إلا تنسيق لهؤلاء الرفاق خارج إطار حزب التحرر والاشتراكية الشيء الذي سيؤدي إلى الانفصال في غشت 1970، خصوصا بعد مواقف التحريفية المتناقضة من الدستور و الكتلة الوطنية، و أخيرا من مشروع روجرز. و بعد الانفصال و تأسيس التنظيم ظلت فترة طويلة من الغموض داخل التنظيم لصعوبة طرح البديل الثوري، هذا البديل الذي لا يمكن أن يتضح دون الممارسة الثورية و لقد كان هذا الغموض على جميع الأصعدة: على مستوى الخط السياسي الذي كان في تلك الفترة مزيجا من العفوية و التجريبية بحيث لا يمكن أن نتكلم أساسا على الخط السياسي في غياب تام له. و كتنظيم انبثق أساسا من الحركة

الطلابية فقد كان بورجوازيا صغيرا يحمل رواسب عميقة للممارسات التحريفية و الإصلاحية ويحمل معه جميع الممارسات البورجوازية الصغيرة للحركة الطلابية.

و في غياب وضوح في الخط السياسي ، فقد كانت ممارستنا التنظيمية تحمل معها بذور اللامركزية التنظيمية التي جاءت كرد على المركزية المفرطة التي كانت سائدة داخل الحزب التحريفي التي تحصر التنظيم في جماعة من الزعماء البرجوازيين الصغار، و زاد من غموض الرؤية التنظيمية ضآلة الأجهزة حيث لم يكن هناك إلى حدود المؤتمر 14، إلا خلية واحدة داخل كلية الآداب كل مهماتها تنحصر في إتمام الانسحاب من داخل الحزب التحريفي . أما بعد المؤتمر 14، فقد تم إقرار صيغة تنظيمية جديدة عبرت فيما بعد عن فشلها، مجلس التنسيق الذي كان هو قيادة القطاع الطلابي و الذي كان يعاني من ضعف سياسي و إيديولوجي لكونه لم يكن قيادة التوجيه بل تنسيقا بين مختلف الخلايا، و زيادة على ذلك كان وجوده شكليا تماما في الوقت الذي كان هناك مجلس للأطر هو الذي يقوم فعليا بقيادة التنظيم في القطاع الطلابي. و لقد كان لتداخل هذه الأطر دور كبير في تفشي الليبرالية الخطيرة داخل التنظيم و لغياب الخط السياسي في هذه المرحلة، كان طبيعيا إبدال إطار بآخر دون أن تحل المشاكل المطروحة على الصعيد التنظيمي و لقد كان التنظيم ككل يعاني من فراغ سياسي و إيديولوجي هائل بحكم انتماء جل أعضائه إلى الحزب التحريفي الذي كان يضرب حصارا كثيفا على الماركسية اللينينية.

و منذ انبثاقنا داخل القطاع الطلابي ، حددنا شعارات لتجاوز هذا القطاع البرجوازي الصغير و التحام القطاع بالقطاعات الجماهيرية الأخرى كالطبقة العاملة و الفلاحين الفقراء خصوصا لما أخذت نضالات هؤلاء القطاعات تتصدر الأحداث (إضراب خريبكة، أولاد خليفة ..) إلا أن ذلك ظل مجرد شعارات نظرا لانعدام الخطة و التوجيه و نظرا للعفوية و التجريبية التي كانت إلى تلك الفترة راسخة في كيان تنظيمنا.

ب . يمكن لنا أن نقرن الظهور التاريخي لليسار الماركسي اللينيني داخل الحركة الطلابية بانعقاد المؤتمر 14 في دجنبر 1970 يناير 1971، إلا أن هذا الأخير، لم يشكل مرحلة فاصلة في تاريخ الحركة الطلابية، فمن جهة لم يكن لنا خط سياسي نسير على هداه داخل الحركة الطلابية الشيء الذي سيدفعنا إلى المؤتمر و الحركة الطلابية شبه جاهلة بأهدافنا و خطتنا، فجل مندوبينا في هذا المؤتمر حشروا في لائحة اليسار الماركسي اللينيني بل الأكثر من ذلك هو أن جلهم انتقلوا آليا بحكم الصداقة التي كانت تربطهم مع رفاق لنا من صفوف الحزب التحريفي إلى صفوف الحركة الماركسية اللينينية. فرغم النجاح الذي لاقيناه في الانتخابات، كان من البديهي أن نتقدم في ظل هذه الوضعية إلى المؤتمر و الغموض يكتنفنا حول الحركة الطلابية و دورها في غياب خط سياسي و برنامج نضالي عام. حيث اكتفينا داخل

المؤتمر برفع صيغ عامة لتجاوز الإصلاحية والتحريفية و التعرية عن ممارستها خلال تاريخها الطويل. و لقد تم - داخل المؤتمر - الالتقاء مع رفاق (ب) في إطار (الجبهة الموحدة للطلبة التقدميين) هذا الالتقاء الذي كان في تلك الفترة مجرد تحالف انتخابي لمواجهة الاصلاحية و ذلك لغياب الوضوح التام في مشكل الجبهة. إلا أن الايجابية التي سجلها المؤتمر 14 هو الانسحاب الجماعي لليسار، هذا الانسحاب الذي كان منطقيا تماما للظروف الموضوعية المحيطة به.

و لقد شكل المؤتمر 14 بداية الصراع الإيديولوجي و السياسي مع الإصلاحية بشكل واسع، فبعده مباشرة طرحنا على الجماهير الطلابية أفكارنا الجديدة و العوامل التي دفعتنا إلى الانسحاب من المؤتمر. فكان مؤتمرنا الفعلي هو أن الحركة الطلابية بدأت تدرك – بحكم عملنا و دعايتنا داخلها- عمق تحاليلنا و مواقفنا.

و لقد كانت معركة التضامن مع التلاميذ التي تلت المؤتمر مباشرة مهمة في هذا الصدد لطرح البديل الثوري و إعطاء الخلفيات السياسية و الإيديولوجية لمواقف الإصلاحية و التحريفية: و ساهمت دعايتنا المكثفة هذه بقسط كبير على إظهار الفكر الثوري و مدى دوره في القضاء على سيطرة التحريفية من الحركة الطلابية إيديولوجيا و تنظيميا.

فيما يخص معركة التضامن مع التلاميذ (يناير – فبراير). لم تكن آنذاك لنفوذها في فترة الضعف و الغموض - هذه المرحلة لا يمكن لنا أن نغفل فيها كذلك الدور الذي لعبته هذه النضالات في هذه المرحلة حيث الجماهير الطلابية بدأت تدين الإصلاحية و التحريفية. فهذه المرحلة (الفترة) تبقى لها – رغم سلبياتها المتعددة - عدة جوانب إيجابية خصوصا بالنسبة للمراحل التالية.

ج . في هذه المرحلة طرح مشكل الجبهة بين التنظيمين الشيء الذي أدى إلى ظهور موقفين متباينين منه: موقف رفاق (ب) الذي كان يرى أن الجبهة مجرد حلقات للعاطفين على التنظيم، و بالتالي هي حلقات يتحكم فيها التنظيمان و مخصصة للاستقطاب الشيء الذي يحيل مناضلي الجبهة في ظل هذا التوجيه إلى مجرد مطبقي القرارات دون أن يكون لهم أي دور فعال في بلورتها و صياغتها، وبالتالي فإن هذا الفهم الخاطئ للجبهة يقضي على مبادرات المناضلين لقد كان مفهوما نخبويا مجحفا، و هذا ما طبع ممارسة (ب) داخل القطاع الطلابي حيث كانوا يتهربون من النقاش داخل الجبهة لمشاكل يطرحها المناضلون عن حسن نية بدعوى أنها ليست من اختصاص الجبهة. كما يظهر ذلك جليا في كون جل المؤسسات التي كانوا يعملون فيها لم تناقش و لم تساهم في مسائل مصيرية في حياة الحركة الطلابية كما سيحدث فيما بعد بالنسبة للمؤتمر 15.

موقفنا من الجبهة كان يرى أنها تيار جماهيري للحركة الطلابية، فلجانها يجب أن تكون جماهيرية و ديموقراطية، بحيث تبنى قياداتها على أساس انتخابي، فكما أن موقف (ب) نخبوي فإن موقفنا طبعته العفوية في أجلى مظاهرها رغم أنه كان يهدف أساسا إلى تطوير المناضلين و فتح باب المبادرة في وجههم، و تربيتهم على الروح الديموقراطية. فإنه كان يغفل الدور القيادي للتنظيم حيث ترك اللجان التي كانت تعاني من فراغ سياسي و إيديولوجي هائل لتقود الجبهة، الشيء الذي أسقطها في النقابية الضيقة. أما المفهوم الإنتخابي الذي كنا نطرحه كشرط لبناء الجبهة فإنه كان يضرب سرية تنظيم الجبهة من الأساس. و الخلاصة هو أن كلا الموقفين يعبران عن الخط السياسي الذي كان يفهمه كلا التنظيمين.

و لم يجد مشكل الجبهة الحل الصحيح في هذه المرحلة لعدة أسباب، من أهمها المهام العاجلة التنظيمية التي كانت مطروحة على الحركة الماركسية اللينينية التي كانت تتمثل في الاستعداد إلى انتخاب التعاضديات من جهة والمهام السياسية و الإيديولوجية التي كانت مطروحة آنذاك: ظهور جريدة المناضل الموحدة والملصقات.

د . و عقدت في هذه المرحلة كذلك ندوة بين التنظيمين حول مشكل الجهاز. و في هذا المشكل كذلك ظهرت عدة آراء متباينة، حيث جاء رفاق (ب) بثلاثة مواقف مختلفة:

1 – موقف عدم الاستيلاء على الجهاز: و ذلك لفقدان اليسار الماركسي اللينيني لسند جماهيري على الصعيد الوطني مما سيسهل على الحكم قمع اليسار بسهولة و تصفيته، لذا فالموقف الصحيح هو عدم الاستيلاء و التجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين دون إهمال القطاع العمالي؛

2 – موقف الاستيلاء على الجهاز: و ذلك لكون اليسار أخذ يشكل قوة بارزة داخل الحركة الطلابية لذا فإن استيلائنا على هذا الجهاز ما هو إلا إعطاء الشرعية لهذا الوضع. أما الحكم فبإمكانه أن يقمعنا سواء كنا في قيادة المنظمة أو قاعدتها، أما عملنا داخل الجماهير الشعبية فهو بدوره رهين بعملنا داخل الحركة الطلابية.

3 – موقف الإستيلاء على الجهاز بأقلية و ذلك لمراقبة تحركات الإصلاحية.

أما موقف تنظيمنا فكان يرى الاستيلاء على الجهاز، هذا الموقف الذي تبلور في ندوة لتنظيمنا في القطاع الطلابي التي عقدت لتحديد دور الحركة الطلابية **كمفجر للتناقضات بين الحكم و الجماهير الشعبية على صعيد مشكل التعليم**. فمن هذه الزاوية يصبح الجهاز مهما

ليس في حد ذاته بل من أجل إزالة كل العوائق التي تمنعها من القيام بهذا الدور المطلوب خصوصا و أن القيادة المسيطرة عليه كانت تستعمل الجهاز كورقة ضغط في كل حوارها مع الحكم العميل لضرب نضالات الجماهير الطلابية.

و لقد طبع آخر السنة أساسا –في غياب و انعدام الممارسة النضالية بعد المعركة- باشتداد الصراع الإيديولوجي والسياسي بين الإصلاحية و اليسار الثوري حيث ظهرت الملصقات و المناقشات الجماعية كشكل جديد و أسلوب يومي متواصل ساعد من جديد على فضح الفكر البرجوازي الصغير و طرح البديل الثوري الشيء الذي سيكون له أثر كبير في المراحل التالية. فنهاية السنة كان يغلب عليها الطابع الدعائي و التحريضي إذا استثنينا منها نضال الانتخابات في آخر السنة في كلية الآداب و المقاطعة الناجحة في كل من كليتي العلوم و الحقوق.

هكذا انتهت هذه المرحلة من تاريخ الحركة الطلابية في نهوضها الجديد واليسار يرسي قواعده داخلها رغم غياب الخط السياسي السديد و تبقى هذه المرحلة –رغم سلبياتها المتعددة- ذات دور كبير على مستقبل الحركة الطلابية، حيث ساعدت بشكل مهم على انتشار الفكر الماركسي اللينيني داخل الحركة الطلابية الشيء الذي سيؤدي بدوره إلى لفظ الإصلاحية شيئا فشيئا عن الحركة الطلابية فكانت هذه المرحلة بمثابة بناء بعض الأسس للتبلور و الانطلاقة التي ستعرفها الحركة الطلابية في المرحلة الثانية.

ثالثا: مرحلة التبلور و الانطلاقة:

لقد ساهمت المرحلة اللاحقة من تاريخ الحركة الطلابية بشكل كبير على بلورة الفكر الثوري داخل القطاع الطلابي و وضع بعض الأسس التي ستنهض عليها الحركة الطلابية. فالتبلور يعني تبلور الخط السياسي الذي أخذ يتكامل خصوصا بعد هزة 15 يوليوز 1971. و الانطلاقة تعني انطلاقة الحركة الجماهيرية و ضمنها الحركة الطلابية، فالتبلور و الانطلاقة هما نفس المفهوم بحكم الجدلية التي تربط بينهما.

أ. لقد تميزت هذه المرحلة بالأزمة الخانقة التي وصل إليها النظام خصوصا بعد محاولة 10 يوليوز الانقلابية التي أظهرت عمق التناقضات التي تنخر النظام و التي اتخذت في الصخيرات شكل انفجار دموي عنيف. فحتى تلك اللحظة كان الجيش بالنسبة للنظام هو المؤسسة القمعية الرئيسية التي يستند عليها. و هكذا وجد النظام نفسه بعد الصخيرات يفتقد هذه المؤسسة، ركيزته الأساسية و عموده الفقري. لقد خرج الحكم من أحداث الصخيرات مفكك القوى و هو في أشد الحاجة إلى مساندة سياسية قوية لاستعادة بناء و تنظيم جهازه القمعي، و استرجاع أنفاسه. فدخل الحكم الرجعي في مناورات سياسية مع القوى الإصلاحية المجتمعة في إطار الكتلة الوطنية هذه القوى

التي كانت تنتظر مثل هذه الفرص للاستفادة من أزمة الحكم بسبب عزلتها عن الحركة الجماهيرية، و فشلها تاريخيا، بطبيعتها البورجوازية الصغيرة، في تجاوز أزمتها و تبنيها لاستراتيجية الانتظار والمساومة في وقت كانت فيه طبقتنا العاملة تخوض أكبر نضالاتها النقابية بعد الاستقلال الشكلي، تلك النضالات التي انطلقت متجاوزة قيود البيروقراطية النقابية، و ضاربة عرض الحائط الحملة الديماغوجية التي بدأها الحكم مباشرة بعد الصخيرات لتجميد الحركة الجماهيرية، كما تجندت حركة الشبيبة للنضال في أعنف معاركها منذ مارس 1965 مما عمق أزمة الحكم و تشكل إدانة صارمة لمساومات الاصلاحية. فكان من واجب الحركة الماركسية اللينينية خوض النضال الجماهيري لإفشال مخططات الحكم للالتقاء مع القوى البرجوازية و الدفع بحركة الجماهير في طريق النضال من أجل تعميق أزمة الحكم وعزله.

و نظرا لبنية البرجوازية الصغيرة و ارتكازها أساسا على الطلبة و المثقفين، و في ظروف تنامي الحركة الجماهيرية الجديد و الوضع السياسي العام، وجد التنظيم نفسه في طريق مسدود له. فجاء انعقاد الندوة الوطنية في بداية يناير لترسى الأسس السياسية و التنظيمية لمرحلة جديدة، و رغم السلبيات العديدة التي فاجأت اللجنة الوطنية، فقد شكلت قفزة هامة نحو تنظيم ثوري و سجلت اندحار المفاهيم الاصلاحية و توطيد الخط الجماهيري و انبثاق مثقفين بروليتاريين الشيء الذي شكل بداية التحول الطبقي داخل التنظيم. كما سجلت هذه الندوة خطوة مهمة في درب التوحيد بين اليسار الثوري الشيء الذي سيكون له دور حاسم في الفترة المقبلة.

و في ظل الشروط الجديدة أخذ تنظيمنا داخل القطاع الطلابي يتهيكل طبقا للتوجيهات الجديدة للندوة الوطنية حيث فرضت قيادة القطاع الطلابي الذي أصبح مباشرة تابعا لقيادة التنظيم عوض الناحية التي كانت تعاني من صعوبات كثيرة، فتم ضرب كل الهياكل السابقة الشكلية مثل مجلس التنسيق و مجلس الأطر –كما تم تطعيم التنظيم– خصوصا داخل المعركة التي سنخوض غمارها –بمناضلين جدد أثبتوا نضاليتهم في المرحلة الأولى في النشوء الجديد للحركة الطلابية، هذه الدماء الجديدة التي سيكون لها دور مهم في بناء النضال المرير الذي ستشهده الساحة الطلابية.

كما تم بناء الجبهة على أسس صلبة أكثر من السابق خصوصا بعد حل الخلاف الذي كان داخل اليسار حولها فأصبحت بالفعل تنظيما شبه جماهيري تحت قيادة و تأطير اليسار. ولقد ساعد وضوح الخط السياسي كثيرا على ذلك. نتج عن كل هذا تطوير الجبهة و المناضلين حيث تم توسيعها و وصلت في ظروف المعركة الجديدة مرحلة عالية من ديناميتها و تطورها نتيجة تطور العمل الدعائي المكثف في كل المعاهد و الكليات الرئيسية. هذه هي الشروط التي مهدت للانطلاقة الجماهيرية في القطاع الطلابي، زيادة على شروط أخرى ساهم الحكم بنصيب وافر فيها نذكر من بينها النظام الجديد للبكالوريا الذي أثار سخط جماهير التلاميذ حيث لمسوا فيه بجلاء الأعباء السياسية

التي يرمي إليها إقرار تعليم نخبوي محض بالحكم على مئات التلاميذ بالطرد المقنن. فانطلقت النضالات الأولى من مرحلة أكتوبر – يناير و التي شهدت نضالات محدودة على شكل 48 ساعة متتابعة تفاديا للخطأ الجسيم الذي أسقطتنا فيه الاصلاحية في المعركة السابقة و لقد استفاد التنظيم من هذه النضالات المحدودة لبناء الجبهة وتطويرها استعدادا للمعركة الكبرى، كما عرف التنظيم نفسه بناء متقدما داخل هذه المعارك حيث كان بالفعل طليعة و قائدا لها.

ب . و مع انطلاق الحركة الجماهيرية عرف تنظيمنا بداية القمع المسلط عليه منذ نهاية يناير و ذلك نتيجة للنضال السياسي و الإيديولوجي الذي بدأ التنظيم يباشره علنا منذ نشأته، الشيء الذي جعل مجموعة من الرفاق معرضين لهذا القمع نظرا لمساهمتهم الواسعة فيه.

رغم أن حملة القمع هذه استطاعت أن تؤثر على التنظيم فإنها لم تستطع أن تشل المعركة الكبرى، معركة فبراير – مارس المجيدة بل كانت من الدوافع التي زادت من تأجيجها، و كعادتها سارعت الاصلاحية إلى لعب دورها التقليدي، دور رجل الإطفاء الذي يطفئ النضالات الملتهبة. لكن رغم محاولتها المتواصلة، فإنها لم تستطع إجهاض المعركة. فشعارنا السياسي الذي رفعناه في تلك المرحلة والنضال الذي رافقه استطاع أن يضرب كل هذه المحاولات من الأساس حيث شكلت هذه النضالات الخطوة الأولى في ضرب الحوار الذي كان آنذاك جاريا بين الحكم والأحزاب الاصلاحية.

و لقد تشكل تبني القاعدة الطلابية للشعار السياسي هذا أول ضربة للإصلاحية التي تقلصت من المعركة مما شكل بالنسبة لنا انتصارا جديدا للخط السياسي الذي بدأ يتبلور في هذه المرحلة. فلقد استطاع شعارنا السياسي هذا أن يضرب الشعار النقابي التي حاولت القيادة الاصلاحية للمنظمة الطلابية فرضه على القاعدة الطلابية بمناورتها المعهودة، الشيء الذي يؤكد بالفعل أن اليسار الماركسي اللينيني كان هو القيادة السياسية للحركة الطلابية. و لقد تعددت محاولات الإصلاحية لإجهاض المعركة خصوصا بعد فشل الحوار مع الحكم وبعد معركة الدستور التي ساهمت الحركة الطلابية بنصيب وافر في إفشاله. إلا أنها كسابقاتها باءت بالفشل.

ج . و نظرا للأهمية التي اكتسبتها هذه المعركة البطولية في تاريخ الحركة الطلابية، و نظرا للأساليب الجديدة التي ابتكرتها الحركة الطلابية مع مظاهرات كبيرة و أساليب دعائية جديدة، فإن هذه المعركة تستلزم منا أكثر من وقفة نقدية لاستخلاص أهم دروسها. فلقد أثبتت هذه المعركة النضالية بشكل واضح صحة الدور الذي كنا – و ما زلنا - نسنده للحركة الطلابية في مسيرة الحركة الطلابية الجماهيرية، فالحركة الطلابية في تلك المرحلة لعبت بالفعل دور المفجر للتناقضات بين الحكم و الجماهير على صعيد مشكل

التعليم باعتباره إحدى واجهات التناقض الأساسي بين الحكم و الجماهير و بارتباط وثيق مع حركة التلاميذ البطولية، و هذا لا يعني أن الحركة الطلابية ستقوم بدور الجماهير في تحطيم النظام، فهذه مهمة القوى الجذرية في المجتمع المؤهلة تاريخيا للقيام بهذا الدور (العمال و الفلاحون الفقراء). إلا أن الحركة الطلابية في ظل غياب الحزب الثوري الذي سيقود الجماهير في إنجاز تلك المهمة، تشكل فئة طليعية من حركة الجماهير بجانب حركة التلاميذ و إفراز مناضلين ثوريين سيؤدون مهمتهم بجانب الجماهير الشعبية في بلورة الحزب الثوري قائد الثورة. و يتجلى هذا بشكل واضح في كون الحركة الطلابية قد تمكنت – في معركتها هذه – و عبر التحامها بحركة التلاميذ من تعميق أزمة الحكم وإحباط مخططه الرامي إلى ضم القوى السياسية البرجوازية إليه للخروج من أزمته كما أنها تمكنت بنضالها المجيد من إيصال وعيها بالوضع السياسي إلى جزء من الجماهير الشعبية، هكذا – أيضا - فإن رفع الشعار السياسي في المعركة يساعد على ضرب الخط النقابي الضيق الذي كانت تتشبث به الاصلاحية، حيث عجزت عن فرض شعاراتها الاصلاحية النقابية، بعد أن عجزت عن اجهاضها هادفة من وراء ذلك إلى استعمال الحركة الطلابية كورقة ضغط في الحوار الذي كان يجري آنذاك، و قد أثبتت المعركة بشكل قاطع أن النضال السياسي هو أمر حاسم بالنسبة للنضال النقابي نفسه، لأن تعزيز مركز النقابة في مواجهة مخططات الحكم التصفوية سيقوي مركزها في أي نضال مطلبي و يعطيها حماية الجماهير الطلابية. وهذا ما كان يخدمه شعارنا أيضا. إلا أن النضال السياسي يجب أن يرتبط بعمل كثيف و واسع من أجل تسييس الجماهير الطلابية، تلك المهمة التي طرحناها و لم نستطع أن نخلق الأشكال المتطورة التي تضمن تسييسا أوسع للقواعد الطلابية، و ذلك باستغلال كل الإمكانيات الموجودة وخلق أشكال أخرى مثل (الندوات، الحلقات، أجهزة المنظمة الطلابية).

هناك دروس أخرى تتعلق بأشكال النضال التي بلورتها المعركة السابقة، و هنا كذلك يجب تسجيل عدم قدرة استيعاب كل الطاقات النضالية للحركة الطلابية. فلقد تم تطوير المظاهرات بشكل جماهيري و لكن ظل ينقصنا التأطير و التنظيم و ذلك رغم إحداثنا للجان الصدام و لجان الأخبار و لجان القيادة. فكانت مبادرة الجماهير تتجاوزنا. و لم نستطع أن ننظم العنف الذي واجهت به الجماهير الطلابية عنف قوات القمع و لا أن نكون طليعته فكانت هناك محاولة لتنظيم هذا العنف إلا أنها كانت فاشلة لعزلتها عن التنظيم و لانعدام توجيه محكم في هذا المشكل. كما يجب أن نسجل كذلك عدم إمكانياتنا تحقيق بعض الشعارات التي رفعناها منذ نشأتنا داخل الحركة الطلابية من أجل ضمان التعبئة الدائمة للحركة الطلابية. فشعار الجامعة الموازية لم نستطع – و لو لفترة قصيرة - إنجازه خلال هذه المعركة، الشيء الذي ساعد على تسرب اليأس والسأم للطلبة بل و حتى لبعض المناضلين.

د . و في الأخير استطاعت الإصلاحية أن تجهض المعركة مستغلة تنازلات الحكم عن بعض المطالب التي رفعناها كإطلاق سراح المعتقلين من طلبة و تلاميذ و الاعتراف باستقلال الجامعة، و حق الوداديات للتلاميذ، الشيء الذي أعطى نفسا جديدا للإصلاحية و ساعدها على إجهاض المعركة بعقدها للتجمعات على صعيد كل كلية. و مباشرة بعد المعركة مع النظام، خضنا معركتنا الثانية مع الاصلاحية التي وصلت في هذه اللحظة إلى قمة إفلاسها نتيجة خيانتها –من جهة- و نتيجة التحول الموضوعي و الذاتي للحركة الطلابية بين المؤتمر 14 و بداية المؤتمر 15 حيث بدأت قاعدتها تشكل أساسا من ضحايا الاصلاحية و مؤتمراتها العديدة بوصول أفواج عديدة من التلاميذ ضحايا معركة إيفران إلى الجامعة، تسرعنا في خوض الانتخابات على صعيد الكليات (انتخابات التعاضديات) حيث شكلت انتخابات تعاضدية الحقوق نجاحا باهرا لممارستنا داخل الحركة الطلابية الشيء الذي شكل مقدمة لانتخابات المؤتمر 15 للاتحاد الوطني لطلبة المغرب.

عرفت هذه الفترة بشكل أساسي انتصارا عظيما لليسار الثوري ببلادنا، فقد سجل المؤتمر 15 انتصارا للخط الثوري داخل الحركة الطلابية و اندحار الخط الإصلاحي في قيادة منظمة أ.و.ط.م هذا الانتصار تتويج لسنتين من النضال المستميت لمناضلي اليسار الماركسي اللينيني داخل القطاع الطلابي. و لقد كانت التعبئة طوال أيام الانتخابات مهمة جدا عبرت عن اليقظة و الحماس الذي يتشبع بهم مناضلو اليسار الثوري. فبهذا الانتصار استجابت الحركة الطلابية لشعارها الخالد التي كانت ترفعه في كل مناسبة ضد الاصلاحية: "لا إصلاح لا رجعية قيادة ثورية". و في فترة الاستعداد للمؤتمر أي في فترة صياغة القرارات و البيانات السياسية للمؤتمر لم يكن هناك أي توجيه معكم يذكر من طرف التنظيم الذي انكمش على نفسه في صيف 72 نتيجة القمع الشديد الذي وجه إليه في فترة ماي – يونيو. فكان الاعتماد في هذه المهام على مبادرات بعض الرفاق في ظل انعدام التوجيه السياسي المحكم للتنظيم.

هـ . تبقى الخلاصة واضحة في هذه الفترة من تاريخ الحركة الطلابية. لقد تمكنت الحركة الطلابية من أن تلعب دورها السياسي العام و أن تكون بالفعل المفجر للتناقضات بين الحكم و الجماهير، إلا أن هذا التفجر لا نشترطه في الحركة الطلابية وحدها، بل يربطها بحركة التلاميذ و باقي الحركة الجماهيرية (مظاهرات المدن الصغيرة و الكبيرة في نضالات 1972). أما فيما يخص شن النضال السياسي ضد النظام فلقد استطاعت الحركة الطلابية كذلك أن تثبته خصوصا في المرحلة التي كانت تتميز باللقاء السافر بين الحكم والإصلاحية. و لم يستطع القمع إلا أن يعمق نضال الحركة الطلابية و يوسعه.

أما فيما يخص عملنا التنظيمي داخل القطاع الطلابي، فإن الفترة سجلت تكثيف العمل التحريضي و الدعائي، إلا أنه لم يكن هناك الطرف الجدلي للمسألة و نعني به التنظيم. فلقد ساعد القمع المسلط على هذه الوضعية زيادة على عدم التوجيه المحكم الذي كان يعاني منه اليسار. فرغم أن المعركة قد أفرزت مناضلين مخلصين في هذه الفترة، لم نستفد تنظيميا منهم، باستيعابهم و هذا ما يشكل إحدى مظاهر الضعف الأساسية لازمة تنظيمنا في المرحلة المقبلة.

لماذا الجهاز؟

و الآن بعد أن رفعتنا الحركة الطلابية إلى قيادة المنظمة بعد المؤتمر 15، و بعد حل هذه المنظمة من طرف الحكم العميل، في يناير 1973، فإنه من الضروري أن نعيد تقييمنا لاستيلائنا على الجهاز. هل كان موقفا خاطئا سقط فيه اليسار و بالتالي سبب في ضياع النقابة المناضلة (أ.و.ط.م) و ساهم في تشريد الحركة الطلابية (كما يدعي المنشقون عن تنظيم (ب)). أم هناك ظروف سياسية أخرى غير تلك التي عرفتها الحركة الطلابية في المراحل السابقة؟.

نستطيع الآن أن نجزم بصحة موقفنا من الاستيلاء على الجهاز الطلابي ، هذا الموقف الذي لم تزده الخلافات السياسية داخل الحركة الماركسية اللينينية إلا وضوحا ورسوخا. فلقد كان شعار اليسار الماركسي اللينيني منذ انبثاقه داخل الحركة الطلابية هو: (لا إصلاح لا رجعية، قيادة ثورية)، ومع عملنا الدؤوب داخل القطاع الطلابي و خيانات الإصلاحية. و في مرحلة 1972 ومع اشتعال النضالات الكبرى في فبراير مارس، كان اليسار الماركسي اللينيني هو القيادة السياسية للحركة الطلابية في الوقت الذي كانت فيه الإصلاحية هي القيادة الرسمية التي طالما استعملت الجهاز كورقة ضغط على الحكم خلال مساوماتها المتعددة معه. فجاءت انتخابات المؤتمر 15 التي برهنت من جديد على التأييد الذي كانت الجماهير الطلابية تحيطنا به كما تبرهن على ذلك نتائجها، كان المطروح في هذه الفترة الدقيقة أمرين لا ثالث لهما، إما إعطاء للإصلاحية فرصة جديدة للبقاء على حساب الحركة الجماهيرية في الوقت التي لفظتها فيه و بالتالي إعطاؤها فرصة أخرى للمساومة على ظهر النضالات الجماهيرية، و إما ممارسة القناعات التي اتفقت عليها الحركة الطلابية و من ورائها حركة التلاميذ التي كانت تعاني من ويلات القيادات الاصلاحية، فكان الموقف الصحيح بالنسبة لنا هو عدم التملص من هذه المهمة التي ألقتها على عاتقنا الحركة الطلابية بحكم عملنا النضالي داخلها. من جهة ثانية، ليس الاستيلاء على الجهاز انتصارا في حد ذاته، بل أن المهام الصعبة جاءت بعد الاستيلاء عليه، ولقد كان المطروح هو تثوير هذا الجهاز الذي تربى و تطور كجهاز بيروقراطي على امتداد 16 سنة. على هذا المستوى يبرز الخلاف الثاني بين منظمتنا و رفاق (ب). فالجهاز لا ينظر إليه في حد ذاته بل كوسيلة لإعطاء الحركة الطلابية دورها الكامل كمفجر

للتناقضات بين الحكم و الجماهير في هذه المرحلة بارتباط وثيق بحركة التلاميذ. في حين أن رفاق (ب) يرون أن الجهاز بريء في حد ذاته، أي إذا كانت قيادة ثورية، فسيصبح بحكم ذلك جهازا ثوريا، إلا أن ممارسة (ب) داخل الجهاز عبرت بما لا يدع الشك في ذلك عن فهمهم للجهاز بتركيز علاقات بيروقراطية مع الجماهير الطلابية و ترك الجهاز كما هو.

من جهة ثالثة يرى رفاق منظمة (ب) أن استيلائنا على الجهاز قد وسع من حملة القمع التي شنها الحكم الرجعي على اليسار الماركسي اللينيني. لذا يجب أن نؤكد من جديد أن القمع ليس بجديد على الحركة الطلابية و لا على الحركة الماركسية اللينينية، فلقد استهدفت هذه إلى أخطر هجمة قمعية عرفتها منذ وجودها و هي بعيدة كل البعد عن النقابة و قيادتها الشيء الذي يؤكد أن القمع ليس رهين استيلائنا عليه، بل أن القمع رهين بمدى النضال الذي نخوضه ضد العدو. فإذا كان هذا النضال متصاعدا فإن القمع بدوره سيتصاعد، إذ كيف يعقل أن يتفرج الحكم على الحركة الماركسية اللينينية و هي تزرع البذور الأولى التي ستقضي عليه. نظرا لكل هذا فإن الاستيلاء على قيادة المنظمة الطلابية لم يكن هو السبب في حلها وضرب الحركة الطلابية، بل أن تطور الوضع السياسي بعد 16 غشت والذي اتضح فيه أن النظام يجب أن ينهج الطريق الفاشي للقضاء على أي تحرك مهما كان بسيطا، و في عدم قدرتنا على توفير الشروط الذاتية لمواجهة هجمة الحكم و من انعدام بناء تنظيمنا بناء صلبا، و في انعدام الجبهة كتنظيم شبه جماهيري يشكل وسيلتنا في نضالنا الجماهيري، و في تركنا للميدان الإصلاحي داخل الجهاز الطلابي. تلك هي شروط حل المنظمة الطلابية و إجهاض بعض المكتسبات للحركة الطلابية خلال حملة هجوم العدو المضاد التالية و التي لم نستطع تقديرها تقديرا كاملا.

رابعا: مرحلة هجوم العدو المضاد:

أ. فوجئت الحركة الطلابية والمؤتمر 15 لأ.و.ط.م. في بداية أشغاله، بالهزة الجديدة التي تعرض لها الحكم في بلادنا على يد أقرب الأقربين إليه، هذه الهزة التي أفقدت الحكم توازنه مرة ثانية و كشفت عن مبلغ التناقضات التي تنخر الطبقة الحاكمة و ذلك بعد مرور سنة فقط على 10 يوليوز 1971. كما كشفت محاولة 16 غشت 1972 على مبلغ التناقضات بين الإمبريالية الأمريكية و الفرنسية. و أمام تصاعد الحركة الجماهيرية و رغبتها الجسيمة في إسقاط النظام، لم يبق لحكم سماسرة الإمبريالية إلا طريقا واحدا، ألا و هو إحكام قبضته على الجماهير الشعبية و سن الطريق الفاشستي للقضاء على مقوماتها الليبرالية والتصالح الوطني و إلى مناورته التي لا تمكنه من استرجاع قواته و استرجاع أنفاسه لضرب الحركة الجماهيرية و ضمنها الحركة الطلابية. فمباشرة بعد المؤتمر 15 لأ.و.ط.م. الذي شكل انتصارا للخط الثوري الماركسي اللينيني و اندحار الخط الإصلاحي في قيادة المنظمة الطلابية (أ.و.ط.م) سارع الحكم في ضرب قيادة

أ.و.ط.م. و تصعيد مخططاته التصفوية ضد الحركة الطلابية المناضلة في ظرف لم تكن فيه شروطنا الذاتية و الموضوعية و كذلك الحركة الطلابية لتؤهلنا للرد على استفزاز الحكم، هذا الذي كان يرمي إلى الدفع بالحركة الطلابية للدخول في معركة انعدمت فيها الشروط الموضوعية و الذاتية، إلا أن الحركة الماركسية اللينينية التي استطاعت في الأخير أن تدرك مغزى هذا الاستفزاز فوتت على الحكم في تلك الفترة تطبيق المخطط الذي كان يرمي إليه.

هذه الفترة كلها كانت فترة نمو من تاريخ الحركة الطلابية، و التنظيم في شيه غيبة عن الحركة الطلابية فلا توجيه محكم و لا تكتيكات العدو. و ذلك راجع إلى الانكماش الذي أصابه في الصيف الماضي نتيجة القمع الشديد الذي تعرض له. و لقد كان استفزاز الحكم هذا، عاملا أساسيا في الدفع بالتنظيم إلى تجاوز الانكماش و إلى استيعاب الخصائص الجديدة للوضع الراهن، و الدفع بعملية توحيد الحركة الماركسية اللينينية في مواجهة المخططات التصفوية للحكم العميل. فكانت بذلك انطلاقة التنظيم في القطاع الطلابي بعد فترة من الجمود دامت طوال الصيف حتى أكتوبر. و كانت الندوة الطلابية التي عقدت في أوائل أكتوبر (حضرها ممثل عن الرفاق (ب)) تجسيدا لعملية التوحيد التي دخلناها بحماس. شكلت هذه الندوة بداية لزوال الغموض الذي كان يسيطر على رفاقنا الذين وجدوا أنفسهم مع انعدام التوجيه في ظل الوضعية الراهنة في طريق مسدود، لكن هذه الندوة سجلت استعادة الثقة و الحماس لجميع رفاق التنظيم، و شعورهم بالمرحلة الجديدة التي يدخلها اليسار الثوري والحركة الطلابية. و لقد كانت الندوة عاملا مهما لدراسة تجربتنا داخل القطاع الطلابي منذ نشأة اليسار و تهيئ الطريق للمرحلة المقبلة. كما أنها ناقشت مشكل الجهاز والأعباء التي يطرحها و بعض الممارسة الخاطئة لنا فيه بعد أشهر قلائل من استيلائنا عليه. إلا أن التوجيهات التي طرحت هناك لم تتعد بعض الاقتراحات التي لم تدخل أبدا في حيز التطبيق.

كما زاد بيان التوحيد في أكتوبر و الذي أطلعنا عليه في هذه الندوة من توضيح الوضع السياسي الراهن و بعض المهام المستعملة للحركة الماركسية اللينينية في القطاع الطلابي. و كانت الخلاصات واضحة لبناء التنظيم و الجبهة و المنظمة كحل للمشاكل التي كنا نتخبط فيها.

ب . غير أن استفزاز الحكم لم يقف عند هذا الحد، بل تعداه إلى مراحل عليا من تكتيكه المبني على الاستفزاز و التشتت. حيث جاء الهجوم على المدارس التقنية الذي لم يكن يوازي شكل النضال الذي قام به الطلبة في هذه المدارس و الذي كان الغرض منه هو تخويف الحركة الطلابية ليتم له إخضاعها فيما بعد. وبعد هذا الهجوم جاء الهجوم على كلية الآداب و الأحياء الجامعية، هذا الهجوم الذي بين الاستفادة الكبيرة للحكم من مخططات الامبريالية القمعية.

و خلال هذا الهجوم المتوالي كان تكتيكنا دفاعيا محضا (إضراب 48-24 س) هذا التكتيك الذي كنا نهدف منه المراهنة على شيئين اثنين:

- بناء التنظيمات القاعدية سواء منها تنظيمات الجبهة أو المنظمة الطلابية؛
- المراهنة على حركة التلاميذ في دخولها المقبل للنضال لفك الحصار على المنظمة الطلابية.

1 . فيما يخص النقطة الأولى، رغم التوجيه الذي سجلناه في الندوة حول القطاع الطلابي لبناء التنظيم بناء صلبا و متينا يضمن قيادة الجبهة والحركة الطلابية، كانت الخطوات العملية ضئيلة جدا إذا لم نقل منعدمة.

فرغم التقدم الهائل الذي حققناه على مستوى الخط السياسي ، لم يقابله الطرف الجدلي أي بناء التنظيم. فقد كان هذا الأخير مقتصرا على بعض الرفاق، جلهم منغمسين في أعمال الجهاز الجديد التي أرهقت كاهلهم كذلك انعدمت قيادة صلبة للقطاع الطلابي في هذه الفترة حيث لم يكن للمكتب الطلابي يجتمع و ذلك رغم إلحاح القيادة المتكرر. وبطبيعة الحال ففي ظل انعدام توجيه في قيادة القطاع، كان من الضروري أن تنعكس نفس الممارسة على الخلايا التي لم تكن تجتمع و لم يكن لها أي عمل يذكر لتنظيم الحركة الطلابية.

أما الجبهة فقد كانت في هذه الفترة كذلك في غياب قيادة موحدة، و خط سياسي محكم ففي بداية السنة و مع حدود بيان التوحيد سطرنا مهامنا العاجلة في هذه المرحلة: بناء قيادة صلبة للجبهة. بناء الجبهة الأساسية الخ ... و تم تحديد هذه القيادة بالفعل، إلا أنها عبرت بالفعل عن إفلاسها حيث لم يجتمع و لو مرة واحدة بكامل أعضائها و تحولت في الأخير إلى مجرد تنسيق بين التنظيمين، أي إلى عكس ما كان يطلب منها، و بالتالي باءت بالفشل الذريع كل البرامج التي سطرت.

لقد كان لممارسة (ب) في هذه المرحلة الأثر الكبير على إفلاس هذه المشاريع، إلا أن ذلك راجع أساسا كذلك لنا حيث كنا نسقط معهم مرات عديدة في المجاملات المفضوحة و التوفيقية المحضة. و من الطبيعي أن تعاني قاعدة الجبهة من نفس المرض، فإلى حدود حل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، لم يكن إلا لجان قليلة تجتمع بل أكثر من ذلك هو أن هناك كليات (الحقوق و العلوم) لم تشهد بناء لجانها الأساسية و القاعدية إلا بعد حل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب بكثير.

فيما يخص المنظمة الطلابية، لقد دخل رفاقنا إليها بعد المؤتمر 15 في بحر من المسؤوليات التي يطرحها الجهاز دون أي توجيه و في غياب قيادة صلبة فغرقوا في بحر هذه المسؤوليات رغم التوجيه الذي سجلناه في ندوة الحركة الطلابية حول تحويل الجهاز من جهاز بيروقراطي إلى جهاز ثوري، إلا أن هذا التوجيه لم نستوعبه و الذي طالما اعترضته ممارسات رفاق (ب) داخل الجهاز.

تبقى الخلاصة واضحة و هي أنه على الصعيد التنظيمي لم نحقق أي تقدم يذكر رغم تأجيلنا للمعركة من أجل ذلك.

2 . أما المراهنة على الدخول المقبل لحركة التلاميذ في المعركة فلا يغدو تفكيرا ميكانيكيا في حد ذاته في غياب الشروط الذاتية و الموضوعية لهذا النضال.

لهذا لما هجم الحكم على الاتحاد الوطني لطلبة المغرب و على الحركة الطلابية وجدنا أنفسنا في نقطة البداية. فلا التنظيم تقوى و لا الجبهة بنيت و لا النقابة تدعمت، فكنا في موقف ضعف خطير، و ما الإضراب اللامحدود الذي أعلنا عنه إلا ردا دفاعيا على مخطط الحكم الذي كان إلى تلك الفترة يملك زمام المبادرة رغم ذلك استطاعت الحركة الطلابية أن تصمد صمودا رائعا أمام الهجمة الشرسة للحكم العميل ومخططاته أكثر من أسبوع. إلا أن الضربة كانت أكثر من أن تتحملها الحركة الطلابية التي تعاني من مثل هذا الضعف الخطير. و رغم استئناف الدراسة، لم تخضع الحركة الطلابية للأمر الواقع، بل ناضلت نضالا متقطعا للتعبير عن تشبثها بأ.و.ط.م. كان أعظم هذه النضالات نضال الحركة الطلابية الشامل في 23 مارس و خروجها بعد ذلك في مسيرة العمال بمناسبة فاتح ماي رغم مقولة (الردة اليمينية) داخل الحركة الجماهيرية التي تروجها منظمة (ب).

ج . كان فشلنا في هذه المعركة بمثابة ناقوس خطر بالنسبة للمستقبل إذا ما نحن استمررنا على نفس الوضع، فكان شعار <u>الصمود و الارتباط بالجماهير</u> كرد فعل لنا على هذه الوضعية التي بدا فيها فصيل من اليسار يغادر ساحة النضال، و بدأنا بالفعل في بناء تنظيماتنا القاعدية حيث أخذ التنظيم كذلك يعرف تقدما نسبيا في القطاع الطلابي مسترشدا بالعدد الأول من الشيوعي و من تقرير (عشرة أشهر من كفاح التنظيم: نقد ونقد ذاتي).

و مع تطور الوضع السياسي واستبداد حملة القمع الفاشستية على الصعيد الوطني (هذه الحملة التي أظهرت إصرار الحكم في بناء جهازه القمعي للقضاء على كل تحرك ديموقراطي) و بعد حركة 3 مارس البلانكية أخذت بعض الأفكار الخاطئة و الانهزامية تروج داخل الحركة الماركسية اللينينية تبشر بردة يمينية داخل الحركة الجماهيرية. و تطرح التراجع أمام حملة الحكم الفاشستية. و لقد زادت هذه الأفكار في بث روح الانهزامية داخل صفوف المناظلين الصامدين في هذا الظرف الدقيق من تاريخ الحركة الجماهيرية. إلا أن الوثيقة التي أصدرها تنظيمنا (الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية اللينينية) استطاعت أن تضع حدا لمثل هذه الأفكار، و تطرح المهام العاجلة للحركة الماركسية اللينينية بكل وضوح الشيء الذي أغاض رفاق (ب) و دفعهم لشن حملة مغرضة على تنظيمنا دون أن تكون لهم الشجاعة لإبداء آرائهم بوضوح حول الوضعية السياسية الراهنة و المهام المطروحة.

و لقد تلخصت آرائهم أول الأمر في أن الحركة الطلابية قد وصلت أوج نضالها بطرحها للشعار السياسي ، فآفاق المستقبل مسدود أمامها نظرا لكونها قطاعا بورجوازيا صغيرا. فالمهام العاجلة تطرح علينا –يقول رفاق 23 مارس- الانسحاب من القطاعات البرجوازية الصغرى لكونها مصدر الشرور التي لحقت باليسار الثوري والذهاب إلى الطبقة العاملة و لها وحدها. و لقد استمر الصراع ليكشف في الأخير عن تناقضات أساسية تعدت الحركة الطلابية إلى مشاكل الثورة المغربية (الحزب – الاستراتيجية) إلا أننا في هذه الوثيقة سنكتفي بالرد على بعض الأفكار الخاطئة المتعلقة بالقطاع الطلابي.

خامسا: أهدافنا داخل الحركة الطلابية:

منذ نشأتنا داخل الحركة الطلابية و نحن في صراع مستميت مع الإصلاحية و التحريفية حول الحركة الطلابية و دورها، ففي الوقت الذي كنا ننادي فيه بكون الحركة الطلابية هي مقدمة تكتيكية للحركة الجماهيرية، كانت الإصلاحية تتهمنا باليسارية و ارتكازنا على الحركة الطلابية لقلب النظام بدل الطبقة العاملة و القوى الجذرية في المجتمع، كل هذا لكبح نضالات الحركة الطلابية و تلطيفها و إبعادها عن النضال السياسي و إسقاطها في النقابية الضيقة. إلا أن نضالات السنوات الماضية برز فيها بشكل لا يدع مجالا للشك، الدور الذي كنا نسنده للحركة الطلابية في مسيرة الحركة الجماهيرية، أي الحركة الطلابية كمفجر للتناقضات بين الحكم و الجماهير في مواجهة مشكل التعليم باعتباره إحدى واجهات التناقض بين الحكم والجماهير. و الآن نفس الصراع آخذ يتعمق ولكن داخل اليسار الماركسي اللينيني بين من لا يزالون حاملون لنفس الفكرة و من انسحبوا من هذا القطاع من جهة و طارحين شعارا ديماغوجيا حتى يكون انسحابهم مبنيا على أساس نظري متين.

حقا أن القطاع الطلابي قطاع برجوازي صغير، و هذا ما سجلناه دائما في تحاليلنا، إلا أنه لا يكفي تسجيل هذه المقولة فقط. إن القطاع الطلابي برجوازي صغير، إلا أنه يخالف كل القطاعات البرجوازية الصغيرة كالمعلمين و الموظفين الصغار، بحكم شروط خاصة به، و هذا ما أظهرته السنوات الماضية عبر النضال المستميت لهذا القطاع. فالتحول الجذري الذي طرأ على القطاع الطلابي منذ 1969 و ذلك بوصول عدد كبير من أبناء الجماهير الكادحة من عمال و فلاحين، هذا الدم الجديد الذي يحمل كل الويلات التي يعاني منها الشعب الكادح من فقر و جهل و تشريد. و بالتالي يجعله المعبر الأمين عن المشاكل التي يعاني منها الشعب المغربي . كما أن القطاع الطلابي ، بخلاف القطاعات البرجوازية الصغيرة الأخرى هو قطاع دينامي و حيوي، تتضارب فيه مختلف التيارات السياسية و الإيديولوجية و ينتشر فيه الفكر الثوري انتشارا يخيف الحكم العميل زيادة على ذلك فإن الحركة الطلابية أصبحت، خصوصا في ظل المرحلة الجديدة التي تتسم بتواجد

اليسار الماركسي اللينيني داخلها بشكل رئيسي بعد سنوات النضال ضد الفكر الإصلاحي والتحريفي ، أصبحت حركة مهمة في تفجير التناقضات بين الحكم والجماهير. فالحركة الطلابية نتيجة لكل هذا تخالف كل قطاعات البرجوازية الصغيرة الأخرى، عكس ما يريد رفاق (ب) ادعاءه. تبقى كل التبريرات التي يطرحها رفاق (ب) في هذا العدد مجرد ديماغوجية كتلك التي طرحوها غداة دخولهم في الخط الداخلي لمنظمتهم في 1971.

أ. لقد شكلت الحركة الطلابية بالتحامها مع حركة التلاميذ المقدمة التكتيكية للحركة الجماهيرية مرحليا. و إن المعارك التي خاضتها الشبيبة المدرسية منذ سنة 1970، و خاصة نضالاتها المجيدة في سنة 1972 أثبتت بشكل قاطع صحة الدور الذي كنا – و ما زلنا- نسنده للحركة الطلابية في شن النضال السياسي ضد النظام، إن ذلك يتجلى بشكل واضح في كون الحركة الطلابية قد تمكنت و عبر التحامها بحركة التلاميذ من تعميق أزمة الحكم و إحكام عزلته، و إفشال المفاوضات التي كانت جارية بينه و بين قوى اليمين الإصلاحية. كما تمكنت عبر نضالياتها و شنها للمظاهرات المشهورة في سجل الحركة الطلابية في المدن و القرى من إيصال وعيها بالوضع السياسي إلى جزء مهم من الجماهير الشعبية.

فمن كان يجهل المشاكل التي كانت تناضل من أجلها الحركة الطلابية و حركة التلاميذ، و من كان يجهل القمع الجهنمي الذي قابل به الحكم هذه النضالات. بل هناك مظاهرات شاركت فيها الجماهير الشعبية لتعبر بنفسها عن السخط الذي تكنه للنظام المتعفن و عن تضامنها مع الحركة الطلابية.

هكذا تكون الحركة الطلابية بالتحامها مع حركة التلاميذ قد لعبت دورها كمقدمة تكتيكية للحركة الجماهيرية، و من حقنا كذلك أن نطرح هذا السؤال: هل في تلك الفترة كانت الحركة الطلابية بروليتارية؟ ثم ما يمنع الحركة الطلابية من مواصلة لعبها لهذا الدور في غياب الأداة الثورية؟ حقا أن هناك ظروفا سياسية جديدة على الساحة الوطنية. إلا أن هذه الوضعية لا تدفعنا إلى التراجع و التخلي عن النضال. خصوصا و أن نفس المشاكل ونفس السياسة ما زالت مطبقة على القطاع الطلابي إذا لم يكن تواجد البوليس سيزيد من استفحالها. فنفس الشروط الموضوعية لا تزال موجودة و لا تنقصنا إلا الشروط الذاتية التي من واجب الحركة الثورية أن توفرها عبر نضالها المستميت. و من هنا تأتي أهمية الشعار: الصمود و الالتحام بالجماهير. فلا صمود بدون الالتحام بالجماهير و لا التحام بالجماهير بدون صمود، فصمود الجماهير وحده هو القادر على إحباط مخططات العدو. أما صمود النخبة فهو التراجع بعينه مهما كانت التنظيرات المطروحة.

و لإزالة كل تشويش فإن أهدافنا داخل القطاع الطلابي ذات طبيعة تكتيكية كما أكدنا على ذلك مرارا، و لها أهميتها من زاوية التكتيك في مسيرة بناء الحزب الثوري البروليتاري و الدفع بحركة الجماهير الكادحة فما كان للحركة الطلابية أن تنوب عن القوى الجذرية في المجتمع للقيام بالثورة.

إن عقدة المرحلة التاريخية هي بناء الحزب الثوري، و هذه المهمة لا تتسنى إلا بتطوير الحركة الجماهيرية و شن النضال السياسي ضد النظام من أجل إفراز الطليعة البروليتارية. و إذا ألقينا نظرة بسيطة إلى تاريخ الحركة الطلابية و خصوصا الثلاث سنوات الماضية في وجود اليسار داخلها، نرى مدى الدور الذي لعبته الحركة الطلابية بالتحامها مع حركة التلاميذ على هذه الواجهة.

ب . تأتي أهمية الحركة الطلابية كذلك من كونها مركز متقدم للصراع الايديولوجي: فإذا كان الصراع الطبقي يجري داخل المجتمع بين المستغِلين و المستغَلين، فالحركة الطلابية مركز متقدم للصراع الإيديولوجي بحكم حيويتها، فيه تتصارع الإيديولوجية الرجعية و الثورية، الشيء الذي يضع على عاتق اليسار الثوري خصوصا في هذه المرحلة والظروف التي يريد الحكم بث إيديولوجيته الرجعية داخل الحركة الجماهيرية، عبئا ثقيلا لنشر الفكر الثوري الماركسي اللينيني. من هذه الزاوية كذلك لا يجب أن نقتصر على دراسة مشاكل التعليم فقط بل يجب ربطها بقضايا شعبنا الكادح. ويجب كذلك دراسة الايديولوجية التي يرتكز عليها الحكم وطبيعته كنظام عميل للإمبريالية و لا يجب أن نغفل الثورة العربية و علاقتها مع الثورة المغربية. وإذا بدأنا في إنجاز هذه المهام بالكيفية التي نؤكد عليها، فلا شك أنها ستكون بداية عهد جديد لثورة ثقافية مصغرة داخل القطاع الطلابي.

ج . إن الحركة الطلابية بحكم المرحلة التاريخية الراهنة، دور مهم في نشأة و تربية شيوعيين داخل الحركة الطلابية، شيوعيين متمرسين على النضال و قادرين على القيام بمهامهم مع الجماهير الكادحة في ظل غياب أداة ثورية. متمرسين بالنضال الثوري داخل الحركة الطلابية و بصفة خاصة من أبناء العمال و الفلاحين . و نظرة بسيطة إلى أطر اليسار التي تقود مسيرة التجذر داخل الجماهير الشعبية تبرز أهمية ذلك.

سادسا: ما هي المهام العاجلة المطلوبة منا لتحقيق هذه الأهداف؟

هذه المهام منوطة بمنظمتنا أكثر من أي فصيل آخر من فصائل اليسار و لا يمكن أن ننجزها إلا إذا أعدنا تنظيم أنفسنا داخل هذا القطاع و على جميع الأصعدة ضمن التوجيه السياسي العام لمنظمتنا في هذه المرحلة:

1 – **في مقدمة هذه المهام يأتي بناء التنظيم على أسس متينة انطلاقا من الدروس المستخلصة في تقرير 20 نونبر شعار المرحلة بناء المنظمة الثورية طليعية صلبة و راسخة جماهيريا**. إذ يستحيل أن نتصور نهوضا جديدا للحركة الطلابية في ظل الوضع التنظيمي الذي كنا نعاني منه. يجب أن نحكم التنظيم إحكاما جديدا في الظروف الجديدة التي تعرفها الحركة الطلابية، و ضرب كل المسلكيات البرجوازية الصغيرة التي تعرقل عملنا، و لذا يجب على قيادة القطاع الطلابي و على كل رفيق الدخول في المرحلة الجديدة بحماس و ثقة لا يوازيها إلا إنجاز تلك المهام، يجب إحكام الخلايا، و تبني الخلايا المرشحة الدماء الجديدة للتنظيم و تتبع عملها بجد و نشاط.

2 – **و يجب أن يكون في مقدمة عملنا هذه السنة بناء الجبهة بناء جديدا و متينا**. يجب استيعاب مفهوم الجبهة كتنظيم ثوري شبه جماهيري تحت قيادة و تأطير اليسار. علينا كذلك أن ندرك المفهوم الجدلي الذي يربط تنظيمنا بالجبهة. فالتنظيم لا يمكن له أن يلعب –أبدا- دورا مهما داخل الحركة الطلابية إلا بتوفره على هذه الجبهة. و بالعكس لا يمكن لهذه الجبهة أن تتقدم إلا في توجيه محكم وخط سياسي صلب. كل هذا يضع من مهامنا الأولية بناء الجبهة من جديد و لفض كل الغازات السامة التي علقت بها، و ذلك بناء اللجن الأساسية صامدة في كل كلية يسهر عليها التنظيم مباشرة، و يكون من مهامها الرئيسية بناء اللجن القاعدية التي يجب أن تكون بدورها صلبة و صامدة و متمرسة بالنضال. إلا أن مشكل الجبهة يواجه و سيواجه في المستقبل صعوبات كثيرة نتيجة الخلافات السياسية و الإيديولوجية التي تفجرت داخل اليسار الثوري، و لا يظهر أن هذه المشاكل ستسوى في الأيام المقبلة، فهذا الواقع الجديد يدفعنا إلى بناء الجبهة في شكل مستقل عن رفاق (ب) و أن تكون لجانها الأساسية تابعة لتوجيه تنظيمنا. لذا يجب أن نضرب فكرة مناطق النفوذ التي زكيناها من قبل في ممارستنا. أما اللجان القاعدية فيمكن أن تكون مشتركة بين مناظلي اليسار، على أساس برنامج مشترك و موحد.

3 – **إن طبيعة المرحلة الحالية دعائية و تنظيمية أكثر منها تحريضية**، الشيء الذي يجعل من مهامنا وضع برنامج دعائي واسع على صعيد الحركة الطلابية أو الجبهة يضمن نشر التوجيهات الأساسية و ضرب الأفكار الانهزامية التي تجد تربة خصبة في ظل هجوم العدو المضاد، و في هذا الاتجاه فإن أهمية النشرة الداخلية للجبهة مطروحة، إلا أن الظروف التي نعيشها داخل الحركة الطلابية حاليا لا تسمح بذلك، لذا فسنكتفي ببيانات منتظمة تحدد التوجيه بالنسبة للمهام المطروحة.

4 – **في ظل الوضعية الجديدة التي تعيشها الحركة الجماهيرية و ضمنها الحركة الطلابية، فإنه يستحيل التخمين في استرجاع المشروعية لأ.و.ط.م**. و هذا لا يعني التسليم بالأمر الواقع، فلنا مثال المناضلين الثوريين في الأنظمة الدكتاتورية الفاشية في اليونان و البرازيل و اسبانيا و موريطانيا الذين يناضلون رغم الظروف الصعبة التي يعيشونها. إن هذا يزيدنا ثقة في ضرورة إمكانية بناء النقابة السرية

للجماهير و جعلها المعبر الوحيد عن الحركة الطلابية في ظل حكم استبدادي و من اجل إنجاز هذا الهدف ينبغي أولا إنجاز عمل دعائي كثيف لهذا الهدف. الذي لا تري الجماهير الطلابية إمكانيته بحكم السنين الطويلة لوضعية "الشرعية".

و إن تطوير وبناء الجبهة أمر حاسم في تحقيق هذا الهدف، فهي التي تشكل محور عملنا السري الجماهيري و تبقى الصيغة الأساسية للاتحاد الوطني لطلبة المغرب هي صيغة مجالس المناضلين السرية تنظيما، التي تتدرج في السرية إلى الجماهير حسب مراحل المد و الجزر داخل النضال، و كذلك تطوير التنسيق مع كل القوى السياسية المتواجدة على أساس مبدأ النقابة السرية و بناء على برنامج محدد في كل مرحلة، كما أن صدور جريدة باسم الاتحاد الوطني لطلبة المغرب يساعد على بناء النقابة السرية.

بيد أن هدف بناء نقابة سرية جماهيرية يبقى مجرد هدف ما لم يتم إنجاز المهام السابقة بالقدر المطلوب.

5 – **إن هجوم العدو المضاد يدفعنا أولا إلى توفير الشروط الذاتية لنضال الحركة الطلابية من أجل استرداد الدفاع عن مكتسباتنا و لتحقيق شعاراتها**، و ذلك من أجل توفير الشروط لقيادة النضال الدفاعي للحركة الطلابية ضد هذا الهجوم، ذلك النضال الذي يتدرج في شكل نضالات مطلبية و جزئية من أجل تمتين قوانا و تصليبها، و تحضير الشروط لهجوم الحركة الطلابية كجزء لا يتجزأ من الحركة الجماهيرية.

تلك هي مراحل نضالنا داخل القطاع الطلابي و هي غنية بالدروس و التجارب تلك هي أهدافنا داخل الحركة الطلابية و مهامنا العاجلة من أجل تحقيقها، و هي أهداف لا يمكن أن تنجز إلا بتحقيقنا لشعار الصمود و الالتحام بالجماهير، و بناء تنظيماتنا تحت نيران العدو، ذلك الصمود و ذلك الارتباط بالجماهير الذي يشكل الشرط الأساسي لأي نضال مقبل للحركة الطلابية في ظل تعميق الشروط الموضوعية لنهوض جديد وشامل و أعمق لحركة الجماهير الكادحة. فلهذا النضال المقبل نهيء الأسس الصلبة بعزيمة و صلابة لا تقهر.

نحو تهيئ شروط قيادة النضال الدفاعي للحركة الجماهيرية

20 أكتوبر 1973
الكتابة الوطنية

إن الوصف المبسط الذي سنسوقه هنا لتطور الوضع ببلادنا، و لمهامنا في الفترة المحددة التي تجتازها، ليس إلا إعادة تأكيد لتلك الخلاصات التي طرحناها في وثيقتنا "الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية-اللينينية" الصادرة في أبريل، فالتطورات الجديدة في الوضع الراهن، لم تفعل سوى تأكيد، و بشكل قاطع، صحة الخطوط التي رسمناها في تلك الوثيقة للوضع الراهن ببلادنا ، و المهمات المستخلصة منه. و بذلك فقد تكلفت الأحداث نفسها بالإجابة على ذلك السيل من الإفتراءات و الأكاذيب الذي انصب على الوثيقة. و كما رفضنا من قبل أن نجيب على تلك الإفتراءات، فسنرفض اليوم أيضا الغوص في تلك المستنقعات التي قبع فيها أولئك الذين يطلقون هذه الأكاذيب في نشرة "23 مارس". و لكن،هل ينبغي الوقوف عند ذلك التحليل الشمولي الذي طرحته وثيقة "الوضع الراهن ..."؟

إن التحليل الدائب و المتواصل لتطورات الوضع، في كل فترة محددة، مهمة أساسية و مطروحة بالنسبة لنا، و كما سجلنا ذلك في تلك الوثيقة بالذات، فإن هذا التحليل لابد أن يستند على رؤية طبقية سديدة للأوضاع، و ربط الأحداث الجارية الآن بتحليلنا الشامل للأوضاع في وثيقة "الوضع الراهن ..."، و استخراج مهمات محددة لهذه الفترة في طريق إنجاز المهمات التي طرحناها في تلك الوثيقة التي تشمل مرحلة تاريخية بأكملها، مرحلة السير نحو بناء أداة الثورة.

فما هي السمات البارزة في هذه الفترة التي نجتازها؟

ما نؤكد عليه في البداية ، هي استمرار تطور أزمة النظام. فتلك السلسلة من الإجراءات التي بادر بها النظام للخروج من أزمته، لم تفعل سوى أنها عمقت الشروط الموضوعية لهذه الأزمة، و ذلك هو عمق تناقض النظام، إذا تجاوزنا تلك النظرة المعاكسة التي تكتفي

للبرهنة على صحة تحليلها حول "تجاوز النظام لأزمته" ، و "التفاف القوى الإمبريالية حوله"، بعملية حسابية فقط، بعدد المعتقلين و المحاكمات.

فالقمع الذي يتحول تدريجيا إلى الخبز اليومي للجماهير الكادحة، ليس في حد ذاته إلا تعبيرا عن أزمة النظام، ذلك لأن تحول سياسة النظام إلى نهج الإرهاب كوسيلة أساسية (و هي ليست سياسة جديدة تماما)، دليل على عجز النظام على إقرار وضع اجتماعي قار، يسمح له بوضع طلاء ليبرالي لوجهه الفاشيشي [1]. إنه نتاج تقلص قاعدة الحكم الاجتماعية بحكم سياسة النهب و الاضطهاد القائمة على التبعية للإمبريالية، و استمرار أزمته الاقتصادية المتواصلة

و لا يبدو، أن أولئك الذين يروجون أطروحات "تجاوز النظام لأزمته" في نشرة "23 مارس"، يستطيعون اليوم إدعاء أن "المغربة" تعبير عن "توسيع" القاعدة الاجتماعية للحكم. فالكل يعرف اليوم، أن هذه العملية الديماغوجية ، ليست في العمق إلا تركيزا لاندماج الطبقة الحاكمة بالإمبريالية الفرنسية المهيمنة على اقتصاد البلاد. و مرة أخرى، فهذا الاندماج، لا يعني ازدياد عدد الفرنسيين و الأجانب في دواليب أجهزة الدولة و مجالس إدارات الشركات، بقدر ما يعني توسيع سيطرة الرأسمال المالي الفرنسي الذي يحكم شباكه على اقتصاد البلاد عن طريق تعميق البنية الكمبرادورية للنظام[2]. فمقابل ذلك العدد من شركات و مؤسسات القطاع الثالث "الممغربة" التي سيدخلها الرأسمال الكمبرادوري، تتقوى و تحكم سيطرة الرساميل الفرنسية على القطاعات الاقتصادية الأساسية. و يعبر قانون الاستثمارات الجديد بشكل أكثر وضوحا ، و أقل ديماغوجية ،على تعميق اندماج الطبقة الحاكمة بالإمبريالية الفرنسية، فقد أزال هذا القانون الجديد تلك العوائق البسيطة الموضوعية زمن تجربة البرجوازية الوطنية لأحلامها مع حكومة عبد الله إبراهيم. و نلمس أكثر هذا الاتجاه في عملية استرجاع 170 ألف هكتار، التي تمت بسرعة غير معهودة مقابل رقم خيالي : 180 مليار سنتيم، و هو الثمن المرتفع الذي يدفعه النظام من أجل الاستقرار الداخلي، و ضمان دعم الإمبريالية الفرنسية له. فهؤلاء المعمرين الذين استثمروا هذه الأراضي عشرات السنين، مقابل تشريد و تفقير جماهير الفلاحين الفقراء، سيحولون أغلب هذه الأموال إلى الصناعة و التجارة و السياحة، كما نصت الاتفاقية، و بذلك فإن

1. نحن نميز بطبيعة الحال بين النظام الفاشي كنظام اجتماعي ذي جذور اجتماعية راسخة، و بين الجهاز الفاشي و الأساليب الفاشية التي ينهجها النظام. و من المضحك أن رفاقنا المشرفين على نشرة "23 مارس" سقطوا في فخ عدم التمييز هذا، في جدالهم معنا.

2 . أنظر دراسات "إلى الأمام"، سلسلة "انحلال المجتمع المغربي في ظل نظام الاستعمار الجديد – 1 – المغربة : مرحلة جديدة في اندماج الطبقة الحاكمة بالإمبريالية الفرنسية".

المستفيد الأول من هذه العملية ، هو الأبناك والمصالح الاحتكارية التي ستعمل على استثمار هذه الأموال في المشاريع الصناعية والتجارية من أجل تركيز هيمنتها الكبرى. و قد أعلن السيد بنهيمة، الذي طار إلى باريس، لطمأنة أسياده الإمبرياليين الفرنسيين عن مساواة الرأسمال الفرنسي بالرأسمال المغربي ، حتى يتم توظيف تلك الأموال بالمغرب. و هكذا، ينفضح المغزى الحقيقي لعملية المغربة أيضا، التي لا تعني سوى حذف مصالح صغار التجار الفرنسيين و المعمرين القدامى الذين حملهم الجيش الاستعماري الفاتح في مطلع هذا القرن، من أجل تطهير الواجهة، و تركيز رؤوس الأموال الاحتكارية اللامرئية المتحركة في دواليب الأبناك و الشركات الكبرى. إنها بالتعبير الموفق و الدقيق للسيد بنهيمة المتدفق حيوية : "خدمة مصالح فرنسا بدل مصالح الفرنسيين"[3].

و بطبيعة الحال ، فإن اتجاه نظام المعمرين الجدد و سماسرة الرأسمال الأجنبي نحو الاندماج بصورة أشد تحت هيمنة الإمبريالية الفرنسية، و توطيد الإمبريالية الفرنسية لمواقعها السياسية و الاقتصادية داخل النظام، هو جزء من تناقضات الإمبريالية على المستوى العالمي [4]، مع الإمبريالية الأمريكية بصفة خاصة حول المواقع الاستراتيجية في المغرب، و في غرب البحر الأبيض المتوسط. و هكذا فالعلاقات بين النظام و الإمبريالية تزداد برودة، بل تحتد تناقضات الإمبريالية الأمريكية مع الرجعية العربية في الشرق (قرارات الدول المصدرة للبترول اتجاه الولايات المتحدة الأخيرة). و لم تلعب القروض الأمريكية، أي دور أساسي في حل أزمة تمويل التصميم الخماسي الجديد الخانقة بالنسبة للنظام. فالإمبريالية الفرنسية، التي تدرك أزمة نظام الحسن، تعمل على تركيز مواقعها الاقتصادية و السياسية داخل النظام ، و تشرف بشكل مباشر على بناء الجهاز الفاشي للنظام، بحكم ضعفها الموضوعي ذاته، و ليس بحكم قوة النظام. ذلك ما عبرت عنه بوضوح جريدة "لوموند ديبلوماتيك" : "ليس سريا بالنسبة لأحد، أن المحاولتين الإنقلابيتين في الصخيرات و القنيطرة ، قد أقنعت القادة الفرنسيين (على الأقل أولئك الذين لم يدركوا ذلك بعد) بهشاشة الملكية (...) أن نظام الحسن المهدد أكثر لفترة ليست قصيرة، يظل هو

3 . استجواب الطيبي بنهيمة في جريدة "لوموند" الباريزية، 30 غشت 1973

4 . لم يكن بمقدور الذين يصدرون نشرة "23 مارس" أن يستوعبوا أن تناقضات الإمبريالية على المستوى الوطني، هي جزء فقط من تناقضات الإمبريالية على المستوى العالمي، في مرحلة أزمتها العامة، و لذلك راحوا يغترفون، بحذلقة بالغة، الأرقام الاقتصادية المشوهة من النشرة التجارية "لاماليف"، لإثبات أن المصالح الاقتصادية للإمبرياليتين الفرنسية و الأمريكية متساوية، و ذلك بسبب منهجهم التقنوقراطي البرجوازي الصغير الذي يطمس وجود تناقضات في معسكر الإمبريالية على المستوى العالمي

الشريك في هذه اللحظة، و حتى أجل جديد، شريكا نتساءل، ما إذا كان من الأفضل، أن نتمنى له الاستمرار أكثر، بدل مواجهة الأخطار التي يمكن أن تنتج عن تقلبات سياسية بالنسبة للجالية الفرنسية المهمة، و بالنسبة لجميع المصالح[5].

فإذا ما انتقلنا إلى الوجه الرئيسي لعملية تدعيم و تركيز البنية الكمبرادورية للنظام، من زاوية التناقض الأساسي بين الجماهير الكادحة و النظام الكمبرادوري، وجه تفقير و تشريد و اضطهاد الجماهير الكادحة، أدركنا سيرورة تعمق الشروط الموضوعية لأزمة النظام.

فهذه الأزمة، تبرز بصورة جلية في ظاهرة الغلاء المهول للمعيشة، التعبير الملموس لأزمة النظام، التي لا يمكن أن تغطيها أطنان الديماغوجية و التهريج حول تحسين وضعية الجماهير، الذي يغدو مجرد البقاء على قيد الحياة بالنسبة لها، أمرا صعبا. و أطنان أخرى أيضا، من أطروحات "تجاوز النظام لأزمته"، و إعادة ترتيب أوضاعه، تصطدم كلها بالصخرة الصلبة للواقع المعاش من طرف الجماهير الكادحة. فتلك المكتسبات الضئيلة التي حصلت عليها الطبقة العاملة في نضالاتها من أجل الزيادة في الأجور، و كذلك بالنسبة للموظفين، قد امتصها الغلاء الفاحش الذي تجاوز معدل الأجور بصورة مفجعة، بينما ، وضع تلازم غلاء المعيشة مع رداءة الموسم الفلاحي السابقة، جماهير الفلاحين الفقراء على أبواب المجاعة في تلك المناطق الفلاحية الفقيرة المتضررة من الجفاف.

إن غلاء المعيشة هو التعبير الملموس أيضا عن ارتباط أزمة النظام بالأزمة العامة للإمبريالية، حيث تعرف السوق الإمبريالية نفسها ارتفاعا في الأثمان، بسبب جشع الكمبرادوريين الذين يكدسون الأرباح، بارتباط مع الاحتكارات الإمبريالية، مما يجعل جهاز الدولة عاجزا عن التحكم في الجهاز الاقتصادي للبلاد، و ضمان وضع مستقر في الأسعار.

و من نتائج أزمة النظام، اتساع عزلته عربيا و دوليا، و مثال الصحراء الغربية كاف لإبراز ذلك، باعتبارها مركز الأطماع الإمبريالية المتناقضة، و المتجلية في تناقض عملائها في المنطقة. و قد عجز النظام عن تحقيق أية خطوة إيجابية في هذا المجال، حيث تستمر إسبانيا في إحكام سيطرتها على ثروات الصحراء، و تحويلها إلى إقليم إسباني، في حين تستمر الجزائر و موريطانيا في التمسك ب"حقوقهما المشروعة" في الصحراء الغربية. و قد برز إفلاس النظام جليا في إقناع الأطراف الأخرى بالتخلي عن المطالبة بالحقوق المزعومة في قمة أكادير الثلاثية في شهر يوليوز. و بدون شك، فإن أزمة النظام الداخلية، هي التي تدفعهم إلى المزيد من التشبث بهذه "الحقوق" المزعومة في الصحراء الغربية العربية. و إن مهزلة خلق منظمات "مقمومة" موجودة فقط في أجهزة إعلام هذه الدول، دليل على الإفلاس التام لسياسة النظام في هذا المجال، و دليل تعمق عزلته، التي لن تفكها دينامية السيد بنهيمة الفائقة، و لا الزيارات و الحفلات الفخمة المقامة لبيادق

5 . "لوموند ديبلوماتيك"، غشت 1973، عدد 223، ص 1 (خط التشديد من طرفنا).

مثل "بوانيي" و "النميري" أو أمير الكويت، التي يراد منها بصورة أساسية، تمويل التصميم الخماسي الجديد الذي لم يدخل بعد حيز التطبيق.

و المثال البارز في هذا الصدد ، هو طرح بورقيبة لمشروعه إنشاء كنفدرالية لدول المغرب العربي ، يستثنى منها المغرب، نظرا ل"تشابه هذه الدول و جديتها في إنماء بلدانها". و هكذا تمتد عزلة النظام حتى إلى أقرب أصدقائه، عميل الإمبريالية الأمريكية : بورقيبة. ولنذكر هنا، بانزعاج الصحف البرجوازية الوطنية لعملية استثناء المغرب هذه، التي تميزت لسوء الحظ، بإدراك أكثر سلامة من إدراك رفاق 23 مارس، الذين يصرون على أن النظام بخير، و لنورد كنموذج منها ما كتبته جريدة "العلم" (لسان حزب الاستقلال) ، التي أضافت معلقة على الخبر : "يبقى بعد هذا ، أن نعبر عن قلقنا الممزوج بالخيبة، من أن نرى عزلة المغرب تزداد بهذا الشكل لأسباب داخلية، و أخرى ترجع لجيراننا"[6].

أما عملية إرسال قوات مغربية مسلحة إلى الجبهات العربية المحاربة، التي أبرزنا خلفياتها في إبانها[7]، و كذلك فتح باب التطوع، فهي عملية ديماغوجية المراد منها امتصاص الحس الوطني المتنامي داخل الجيش، و محاولة تكسير طوق العزلة المنكمش داخله عربيا في وسط حماس المعركة، و لكنها لا يمكن أن تشكل قناعا لنظام سياسته قائمة على التعامل النشط مع الصهيونية و الإمبريالية.

تبقى سياسة الإرهاب و القمع و تصعيد النهب و الاستغلال هي النهج الوحيد لنظام يفقد الأسس الموضوعية لاستمراره و تناميه، و ذلك ما ينهجه النظام بصورة متزايدة، مصحوبا بتوسيع الدعاية للفكر الرجعي لخلق أسس إيديولوجية لسياسته الإرهابية وسط الجماهير، بواسطة العصابات الإجرامية، و توسيع عملية تشطيب الساحة من أية قوة مناضلة، و تركيز الإرهاب و الرعب لدى جماهيرنا الكادحة، و قواها الديمقراطية و الثورية.

تزايد الاندماج بالإمبريالية الفرنسية، تشديد الإرهاب كوسيلة رئيسية، نمو العزلة، تلك هي العلائم البارزة لأزمة النظام العميل في هذه الفترة، و يبقى تعميق هذه الأزمة الموضوعية و توسيعها رهين بقدرة الحركة الجماهيرية على التنامي باستمرار، و في اتجاه منظم، نحو بناء أداتها الثورية، و تحقيق ذلك يضع حركتنا أمام واجباتها التاريخية.

* * * * * * * *

6. العلم عدد 480، 17 شتنبر 1973، ص 2.

7. أنظر العدد السادس من "إلى الأمام" : "ماذا وراء مناورات الحسن العميل؟"

أما جماهيرنا الكادحة، التي تواجه ظروفا أشد من تشريدها و تفقيرها والمرتبطة بنمو و تعمق أزمة النظام، لا بد أن تهيأ الشروط الموضوعية لنمو مقبل للحركة الجماهيرية، في المسار العفوي نفسه، و لنسطر على الطابع العفوي لهذا النمو و لجسامة مهامنا اتجاهه في وجه التنظيرات الانهزامية و الانسحابية. فجماهير العمال التي واجهت عملية النهب و توسيع سيطرة كمشة الكمبرادوريين (سمسرة الرأسمال الأجنبي) و المعمرين الجدد على كل خيرات البلاد، بالنضالات النقابية الكبرى منذ سنة 1968، بهدف تحسين وضعيتها و انتزاع الزيادة في الأجور. هذه الجماهير تجد اليوم نفسها في شروط أعمق من الاستغلال و الاضطهاد، و قد امتص غلاء المعيشة تلك المكتسبات الضئيلة التي حصلت عليها في هذه النضالات، و أمام تواطؤ الجهاز البيروقراطي ضد نضالاتهم المطلبية، و تزايد الإرهاب و القمع الملازم لعملية تشديد الاستغلال بواسطة إجهاض أبسط الحقوق النقابية و السياسية، كما أبرزت ذلك نضالات العمال الأخيرة بشكل ملموس في عدد من القطاعات الأساسية خلال شهري ماي و يونيو، حيث واجه النظام البوليسي هذه النضالات بشراسة لا تناسب مطلقا تلك النضالات.

أما جماهير الفلاحين الفقراء، فإن توزيع 90 ألف هكتار التي شكلت "الثورة الزراعية"، لم تستطع أن تشكل صمام أمن للطبقة الحاكمة، كما كانت تنشد إلى ذلك الإمبريالية ،عبر تصاميم خبراء "بيرد BIRD". و لهذا فإن 70 ألف هكتار المسترجعة أخيرا من يد المعمرين القدامى، قد آلت هذه المرة إلى ملكية الدولة نهائيا، حيث قامت بتجنيد مجموعات من الفلاحين و الجنود بواسطة أجهزتها القمعية لحراثتها مقابل الخمس. و هكذا تقوم الدولة بالاستعباد الجماعي للفلاحين الفقراء في أراضيهم لتجعل منهم خماسين جدد. إن رداءة الموسم الفلاحي السابق، جعلت جماهير غفيرة من الفلاحين الفقراء في حالة قريبة من المجاعة، تذكر بتلك المجاعات الرهيبة في مطلع هذا القرن، كما هو الحال في مناطق الجنوب، أي تلك المناطق التي تعاني من سياسة التفقير. كما أن تفاحش أسعار المواد الاستهلاكية الأساسية، لم يمس فقط جماهير المدن الكادحة، فأثمان القمح و الشعير عرفت ارتفاعا صاروخيا، فالقنطار الواحد من القمح أصبح يساوي 120 درهم، بينما أصبح ثمن القنطار من الشعير 80 درهم، في حين سقطت أثمان الماشية إلى نسبة منخفضة جد، بسبب ارتفاع ثمن التبن أيضا ،كمادة أساسية للعلف، ارتفاعا مرهبا.

فإذا أضفنا إلى ذلك سياسة انتزاع الأراضي التي تمارس بوحشية، محولة جموعا من جماهير الفلاحين الفقراء إلى مدن القصدير (معسكرات الاعتقال الجماعية في المدن)، و إلى قمامات الأزبال في المدن، أدركنا الوضعية التي تضع سياسة الطبقة الحاكمة فيها جماهير الفلاحين الفقراء، و أدركنا قبل كل شيء سخافة المزاعم حول وجود الشروط الموضوعية داخل جماهير الفلاحين الفقراء، لترسيخ الحكم

لجذوره الفاشية[8]، إنها تجعلهم في تلك الوضعية التي وصفها إنجلس : "إذا وضعت الناس في ظروف لا تناسب إلا البهائم، فما عليهم إلا أن يثوروا أو أن يخضعوا للحيوانية".

و فعلا، فإن علامات التمرد على ذلك الوضع تبرز من جديد، فهاهم فلاحو قبيلة "آيت خويا" يحولون السوق إلى غضب هادر في وجه عملاء السلطة و رجال الدرك، الذين فروا أمام الجماهير المتظاهرة في السوق ضد شيخ عميل عليهم[9]. و هاهم فلاحو "آيت أورير" يحطمون السور الذي نصبه المعمر الجديد على أراضيهم "المسترجعة"، التي كانوا ينتظرون عودتها إليهم بعد استرجاعها من طرف الدولة. وهاهم أبناء الفلاحين الفقراء الشباب في إفني يشعلون النار في مكاتب التسجيل لتهجير الشباب إلى أسواق النخاسة في أوربا ، تودي بحياة عشرين ضحية. و هاهي معركة جديدة تخوضها قبيلة "تسلطانت" التي لا تزال صامدة في نضالها من أجل الأرض، تهاجم فيها قوات القمع جماهير الفلاحين بعنف وحشي بالغ على طريقة القرون الوسطى[10].

أما بالنسبة لجماهير البرجوازية الصغرى، فإن غلاء المعيشة يجعل منها تدريجيا في صف الجماهير الكادحة. فصغار التجار لا يتضررون من حملة الغلاء هذه فقط، بل أيضا من عسف جهاز الدولة التي تفسر ظاهرة الغلاء، بأنها نتيجة "شره بعض التجار"، فتسلط عليهم سيف المراقبة البوليسية. و كذلك صغار الموظفين الذين حظوا بزيادة في الأجور خلال سنة 1971 و 1972، و الذي يجعل منها الغلاء مجرد عملية ديماغوجية.

و بالنسبة لقطاعاتها المثقفة (الطلبة و المثقفون عموما)، فإن ثقل الإرهاب البوليسي و الفكري المتصاعد، يدفع بقطاعات منها إلى صف الجماهير الكادحة. أما حركة التلاميذ المعبر عن الوعي الحسي لمطامح الجماهير الكادحة، فإن استمرار سياسة التعليم النخبوي المتنامية هذه السنة بطرد جماهير أوسع من التلاميذ بكل الأساليب الإدارية القمعية، يوسع نمو تلك التيارات الحسية العميقة من السخط الجماهيري، الذي يعبر عنها التلاميذ و يترجمونها في نضالاتهم ضد التعليم النخبوي.

---

8. أنظر نقدنا لهذه الأطروحة التي تروجها "23 مارس" في عددنا 11 من "إلى الأمام" في مقال : "بناء الحزب الثوري البروليتاري، بناء التحالف العمالي-الفلاحي، مسيرة واحدة".

9. العلم عدد 4872، الأحد 10 شتنبر 1973، ص 4.

10. جريدة الرأي (بالفرنسية) عدد 2977، السبت 20 أكتوبر 1973، ص 7.

و إن الانتصارات الجديدة لحركة التحرر العربية، المتمثلة أساسا في انتهاء حالة اللاحرب و اللاسلم ، في جبهتي المواجهة الأماميتين الجنوبية و الشمالية، ستدعم خط التحرير المسلح الذي نادت به القوى الثورية العربية، كما أنه يعمق تناقضات الرجعية العربية مع الإمبريالية الأمريكية، التي تدعم و تمول العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني و الشعوب العربية (قرارات توقيف ضخ البترول إلى الولايات المتحدة، الدعم المالي و الدبلوماسي لدول المواجهة...)، ثم انكسار كل المؤامرات التصفوية ضد المقاومة الفلسطينية على صخرة صمودها، التي تعرف نهوضا جديدا لرفع معنويات الشعوب العربية ،ومن ضمنها الشعب المغربي، كما هو ملموس في الحياة اليومية للجماهير، وكما هو واضح في توسع السخط على الإمبريالية الأمريكية في عموم الوطن العربي ، و ازدياد التضامن الأممي مع الشعب الفلسطيني و الشعوب العربية، حتى و إن كانت برجوازيات الدولة في الشرق تكسب سياسيا من هذه الشروط في هذه المرحلة.

كل ذلك يمكننا من التشديد على الخلاصة التالية : إن أزمة النظام الطبقية الدائمة، المتمثلة راهنا في عجزه بصورة اساسية في ضمان وضع مستقر لعيش الجماهير الكادحة، يكثف و يعمق الشروط الموضوعية لنمو الحركة الجماهيرية، في مرحلة نموالأزمة العامة للإمبريالية على نطاق عالمي.

هذا النمو العفوي، كما شددنا على ذلك من قبل، هو الخط الأساسي لكل المرحلة التاريخية التي نجتازها ، و التي لم تستنفد كل طاقاتها الموضوعية فقط، بل تتسع هذه الطاقات وتنمو. و مرة أخرى، هذا النمو ليس خطا مستقيما صاعدا يمكن لمن تعودوا لمس ظاهر الأشياء، أن يلمسوه بسهولة، و لكنه نمو ملتوي و معقد، بسبب غياب الأداة الثورية بدرجة أساسية، القادرة على صهر هذه الطاقات و تغيير موازين القوى و رص صفوف الجماهير الكادحة كقوة تاريخية حاسمة قادرة على تحطيم العدو الطبقي.

إن البحث عن ميزات الحركة الجماهيرية في شروطها الموضوعية تلك، و ليس بالنظر إلى شرط ذاتي لفئة هامشية عن الصراع الطبقي، هو ما يحدد تقييم الثوريين و يشكل القاعدة الصلبة التي تلهمهم واجباتهم الثورية تجاه الحركة الجماهيرية.

و إن الشكل الأساسي الذي سوف يتخذه نمو الحركة الجماهيرية، كما بدأت تبدو بوادرها لدى الطبقة العاملة في شهري ماي /يونيو، و بصفة خاصة لدى الفلاحين الفقراء و شبه البروليتاريا، هو شكل التفجيرات العفوية، أمام تصاعد الإرهاب الشرس للنظام و عزمه على إجهاضها بالنار و الدم، تهدد بمرحلة الركود التي أعقبت القمع الدموي في شوارع البيضاء في مارس 1965، إذ تقدم عنق الحركة الجماهيرية لمذابح النظام، في ظل غياب الحزب الثوري الطليعي، و قصور اليسار الثوري عن القيام بدوره الطليعي المنشود.

و لنحدد قبل كل شيء اتجاه الطريق بالنسبة لنا، إنه طريق تكثيف الإمكانيات المتواضعة مرحليا من أجل اكتساب مواقع ثابتة ، تمكننا من تنظيم و قيادة الحركة الجماهيرية للخروج من عفويتها قدر الإمكان، و ذلك حتى نميز أنفسنا ، منذ البداية ،عن أولئك الذين اختاروا بمحض إرادتهم طريق مستنقعات العمل الداخلي، بالانزواء في الحلقات المغلقة المنتفخة بالثرثرة الداخلية على هامش الحركة الجماهيرية. إن تجاوز هذا النمو العفوي، هو ما ينبغي أن يحدد مهماتنا بما يضمن للحركة الجماهيرية نموا مضطردا و منتظما، و تغيير موازين القوى تدريجيا لمصلحة هذا النمو، أي بما يطور ويحدد انبثاق الأداة الثورية الطليعية، إذ في هذا العمل الشاق والطويل تبلور و تنصهر الطليعة البروليتارية. فنحو هذه الواجبات ينبغي أن تتجه تحليلاتنا و مهماتنا، و ليس إلى تنظير عزلة الحركة الماركسية-اللينينية و سحبها من الساحة، و وضعها في مصاف الفئات الضالة طبقيا، و ذلك بتقليص مهماتنا الكفاحية الشاقة إلى مجرد مسألة تثقيف الأطر، و اختزال مهمة بناء الحزب الثوري البروليتاري إلى عملية تثقيف مجموعة من العمال يفترض أنهم متقدمين (بالنقاش طبعا، ما دامت المسألة في إطار خطة التراجع، و الانسحاب من النضالات الجماهيرية).

إن هذا التنظير اليميني المشبع بروح التعالي لدى المثقف البرجوازي الصغير، الذي تقدمه نشرة "23 مارس" لمهام الحركة الماركسية-اللينينية في الوضع الراهن (إما أن تناضل الحركة الجماهيرية في عفويتها ، بعيدا عن تطور تأثير و فعالية الحركة الماركسية اللينينية في الوضع الراهن (إما أن تناضل الحركة الجماهيرية وفق رغباتها، و إلا فإنها تسير في ردة يمينية)، لا يمكنه إلا أن يترك الحركة الجماهيرية في عفويتها بعيدا عن تطور تأثير و فعالية الحركة الماركسية-اللينينية ،باعتبارها المرشح الوحيد للقيام بدور طليعي في تنظيم وتعبئة طاقات النضال الثوري لدى الحركة الجماهيرية، و تكريس هامشيتها و التهديد أيضا بإعطاء نفس جديد للسياسيين البرجوازيين ، الذين تنمو عزلتهم للوصاية على الحركة الجماهيرية. فمن الذي يسير وراء عفوية الحركة الجماهيرية، الذين يطرحون مهمات نضالية ملموسة لتجاوزها وسط النضال الجماهيري ذاته، أم الذين يكتفون بالإدانة الفكرية المجردة في الحلقات المغلقة لما يسمى بتكوين الأطر؟

إن وضعية القوى السياسية البرجوازية تؤكد صحة الطريق الذي نختاره. فاندحار الجناح البلانكي البرجوازي الصغير[11]، يزيد من تأكيد مسؤولياتنا التاريخية. ذلك الاندحار السياسي الذي أبرزته بشكل ساطع النهاية المفجعة للثورة المزعومة في 3 مارس ، و محاكمة القنيطرة. و لا نقصد من طرح الاندحار بطبيعة الحال عملية الاجتثات الرهيب الذي يمارسه النظام ضد هذا الجناح، و ضد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، بل نقصد به الاندحار السياسي لهذا الجناح ، كفصيل من الحركة الوطنية، بحكم طبيعته الطبقية البرجوازية الصغيرة المغامرة و الإصلاحية، الذي ليس إلا نتاجا لمرحلة تاريخية بأكملها من نمو الصراع الطبقي ببلادنا، من سماتها إفلاس البرجوازية الصغيرة الإصلاحية بأشكالها البرلمانية أو البلانكية، في قيادة الحركة الجماهيرية و السير بالثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية على طريق الانتصار[12].

و إن عملية النقد التي نمارسها ضرورية من أجل فرز الطريق الثوري السديد لدى جماهيرنا الكادحة، دون أن يسد ذلك الباب في وجه تطور مناضليه كفصيل من القوى الديمقراطية الثورية، ضد الخط الانقلابي نفسه.

أما بيروقراطية الاتحاد المغربي للشغل الملتصقة أكثر بمصالحها في الجهاز البيروقراطي، فإن الدور الذي تلعبه في تكسير نضالات الطبقة العاملة، و بوحشية بالغة تعادل القمع البوليسي الوحشي، كما برز ذلك خلال نضالات الطبقة العاملة الأخيرة، يفضحها بشكل متزايد أمام جماهير العمال، و في اتجاه سلبي في غياب الوعي البروليتاري. بينما تتآكل واجهاتها السياسية المتمثلة في الكمشة الطبقية الملتفة حول عبد الله إبراهيم. كما يتجلى هذا التآكل في انقلاب شاكر من خلال جريدته "الاتحاد الوطني". و يبقى الاتجاه العام لحزب الاستقلال هو السير نحو الالتحاق بالنظام الملكي ، الذي يبرز بصورة جلية هذه الأيام في الدرس الديني الذي ألقاه الزعيم المهترئ علال الفاسي أمام الحسن، و ختمه بالدعاوى له، وفي الحماس الكبير لصحافة الحزب لقرارات الحسن "بالمساهمة" في المعركة. و يعكس هذا و ذاك، القلق

11. قامت نشرة "23 مارس" بعملية تشويه مفضوحة - كما هو الأمر في عدة قضايا أخرى- لقضية اندحار الجناح البلانكي البرجوازي الصغير التي طرحناها في وثيقة "الوضع الراهن..." عن طريق الخلط بين الاندحار السياسي للجناح البرجوازي الصغير كفئة سياسية متميزة و بين البرجوازية الصغيرة كطبقة اجتماعية، و عن طريق الخلط بين الاندحار بمفهومه السياسي و الاندحار بمفهومه الحسي. و بهذه الطريقة الجبانة تمارس نشرة"23 مارس" الصراع داخل الحركة الماركسية.

12. دون أن ينفي هذا بطبيعة الحال إمكانيات محاولات جديدة من نوع محاولات "حركة 3 مارس"، و هذا ليس غريبا على طبيعته منذ 10 سنوات، و لن تكون أية محاولة جديدة إلا من نوع إصرار اليائسين على المقاومة حتى النهاية، إذ أنه كما يقول لينين: "من الصعب على من اختار هذا الطريق أن يقلع عنه نهائيا".

العميق داخل البرجوازية المتوسطة التي يتقاسمها تناقض مصالحها الطبقية مع النظام الكمبرادوري من جهة ، والخوف من نمو الحركة الجماهيرية من جهة أخرى، فتجد نفسها مضطرة لتضييق مفهومها حول الملكية الدستورية إلى مجرد ملكية بدون دستور. و ليست خطة النظام في تكسير هذه الأحزاب وتفتيتها بلغته المزدوجة تجاهها : الحوار والإرهاب، هي التي تدفعها إلى ذلك، بل انتهازية هذه الأحزاب التي يتزايد تعارض مصالحها الفئوية مع مصالح الطبقات الاجتماعية التي تمثلها سياسيا، و عجزها بسبب طبيعتها الطبقية عن التوفيق بين مصالح طبقاتها و مصالح النظام الكمبرادوري الذي يمارس تفتيتها.

هكذا، تظل حركتنا الماركسية-اللينينية هي القوة الوحيدة المطروح عليها دور عظيم تجاه النمو العفوي للحركة الجماهيرية، في ظل تعمق الشروط الموضوعية لأزمة النظام العميل، و تجاه انحلال الأجهزة السياسية البرجوازية، بحكم خطها الكفاحي و استرشادها بالنظرية الثورية، لأكثر الطبقات قدرة على مناقضة مصالح الطبقة الحاكمة و أسيادها الإمبرياليين. و تتجسد تلك المهام، في شعارنا الرئيسي، الصمود و الالتحام بالجماهير، الذي رفعته حركتنا منذ وثيقة "الوضع الراهن والمهام العاجلة للحركة الماركسية-اللينينية" ، من أجل مواجهة النظام العميل و توفير الشروط السياسية و التنظيمية لصمود الحركة الجماهيرية، و تطوير نضاليتها من النضال العفوي إلى النضال الدفاعي المنظم ، تمهيدا لتغيير ميزان القوى المختل لصالح النظام، على طريق بلورة الحزب البروليتاري الطليعي . و ما يزال مطلوبا من منظمتنا إنجاز هذا الشعار و بلورته بحماس أكبر، و تجاوز ذلك الصمود العفوي الذي بدأت تمارسه الحركة الجماهيرية (نضالات العمال في شهري ماي/يونيو، خاصة نضالات النسيج). و ينبغي أن لا نتمسك به كشعار عام، بل أن نعمل على تجسيده في مهام محددة في كل فترة محددة، و في كل مجال من مجالات العمل الثوري. إن شعار الصمود و الارتباط بالجماهير، يهدف تحديدا إلى بلورة شروط النضال الدفاعي للحركة الجماهيرية، تمهيدا لتغيير ميزان القوى تدريجيا لمصلحة هجوم الحركة الجماهيرية مستقبلا، القادرة على تعميق أزمة النظام التي تتكاثف شروطها الموضوعية. و إن بلورة الصمود و الارتباط بالجماهير في الفترة الراهنة من عملنا الثوري، يجب أن يهدف إلى بلورة تلك الشروط. إن ترجمته العملية، بتحديد أكثر في هذه الفترة ، بالنظر إلى سماتها التي بسطناها سابقا هي : تهيئ شروط قيادة النضال الدفاعي للحركة الجماهيرية.

ذلك هو الشعار الذي يجب أن يلهمنا في تحديد و أداء مهماتنا الكفاحية بكل مستوياتها، من أجل بلورة الصمود و الارتباط بالجماهير نضاليا، تلك المهمات التي تهدف بالأساس إلى تمكين حركتنا من قيادة النضال الدفاعي لحركة الجماهير في مواجهة هجوم الحكم العميل الشرس على الحركة الجماهيرية، و ضد الاستغلال المتعاظم، و من أجل بلورة الشروط الذاتية لتنظيم عفوية الحركة الجماهيرية، طبقا

للإمكانيات المؤهلة لحركتنا حاليا، و ذلك من أجل الوصول تدريجيا إلى تغيير ميزان القوى، من أجل تعميق عزلة النظام و تعميق تناقضاته، و الانتقال إلى النضال الهجومي مستقبلا ، و توفير شروط مد ثوري جديد.

و لا علاقة هنا لهذا النهج الثوري السديد، بذلك النهج الذي تذيعه نشرة "23 مارس"، و الذي يفصل بسور صيني بين مهماتنا النضالية الجماهيرية و مهمة التركيز على الطبقة العاملة. إن مهمة بناء الحزب الثوري البروليتاري هي تلك المسيرة التي ينخرط فيها اليسار بنضالات الطبقة العاملة، و يعمل على قيادتها، و يعمل فيها على توفير أسس التحالف العمالي-الفلاحي، من خلال دمج الماركسية-اللينينية بواقع بلادنا الملموس، و هي مسيرة نضالية يعمل فيها اليسار على الانخراط في الكفاح الجماهيري بمختلف الأساليب، و وفق خطط معينة في كل مرحلة من أجل الوصول إلى التأثير فيه و قيادته. و بهذا الطريق وحده، يمكن للأطر البروليتارية أن تتبلور، و للحزب الثوري أن ينشأ. في هذا الإطار نضع مهمة التركيز على الطبقة العاملة، و ليس اختزال مهماتنا الصعبة في بناء الحزب الثوري كعملية تاريخية معقدة، إلى درجة انتقاء مجموعة من العمال (وفق المقاييس المدرسية البرجوازية التي تغرم بها نشرة "23 مارس") و تثقيفهم بالنظرية الاشتراكية. و نبسط هنا بعض مهمات هذه الفترة في طريق إنجاز المهام التي طرحتها وثيقة "الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية-اللينينية"، و التي ينبغي على كل رفيق أن يعمل على تجسيدها في واقعه المحدد، و استنباط الأشكال الملائمة لتطبيقها بحماس.

- إن تصليب تنظيماتنا و تمتينها أمر حاسم في هذه الفترة، من أجل تقوية شروط الدفاع الذاتي لدى الجماهير، كما أكدنا على ذلك في وثيقة "الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية-اللينينية"، فما يزال هذا العمل يتطلب المزيد من تكثيف الجهود. و نقصد هنا بالتنظيمات تلك التي تشكل محور الربط العضوي بين المنظمة و التنظيمات الجماهيرية التي نعمل داخلها والحركة الجماهيرية بصفة عامة، و في مقدمة هذه التنظيمات اللجان الأساسية، و لجان النضال داخل القطاعات، و بدرجة أولى اللجان العمالية، من أجل تكثيف العمل الشاق لغرس جذور منظمتنا داخل الطبقة العاملة، و بناء أسسها البروليتارية بدرجة مركزية. اعملوا إذن بمزيد من العزم و الحماس على إحكام اللجان الموجودة، إضبطوا اجتماعاتها و برامجها النضالية، كثفوا العمل الإيديولوجي بدون كلل، اجعلوا من "إلى الأمام" أداة تصليبها و تكوينها، إشحذوا عزيمة مناضليها بالحماس الثوري و ارفعوا كفاءاتهم النظرية و العملية، حولوا اتصالاتهم المتفرقة إلى حلقات منتظمة، و اجعلوا من "إلى الأمام" وسيلة للوصول إلى ذلك.

و بهذا العمل وحده، و بإحكام اللجان الأساسية بدرجة أولى سترتبط المنظمة، المتقلصة العدد بالضرورة، ارتباطا عضويا وثيقا بالتنظيمات الجماهيرية المتنوعة (النقابة الوطنية للتلاميذ، الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، الجبهة الموحدة للطلبة التقدميين، النقابة

العمالية، اللجان النقابية الموسعة، الحلقات...إلخ) و الحركة الجماهيرية بصفة أعم. و حينما تتوفر المنظمة على قواعد صلبة و متماسكة من المناضلين الطليعيين ، فإنها ستتوفر على قوى محركة لتنظيم النضال الدفاعي في القطاعات التي تتواجد فيها، و توسع نطاق العمل الدعائي، و ستتوفر أيضا على روافد من الدماء الجديدة التي تحتاج إليها المنظمة باستمرار. كما أن قمع الحكم و هجومه، كما أثبتت التجربة بالملموس، لا يمكن أن يصيب المنظمة المغلفة بحصن منيع من اللجان الأساسية و مجالس المناضلين القاعدية و الصلبة... و أي حديث عن تكوين الأطر خارج هذه العلاقة العضوية بين المنظمة و التنظيمات الجماهيرية ، هو بمثابة جعجعة بلا طحين.

- أبرزنا دائما، و منذ تقرير 20 نونبر الطبيعة الدعائية للمرحلة الراهنة. و أمام تزايد شروط انبثاق النضال العفوي الجماهيري من جهة، و تركيز الحكم لحملته الدعائية ضد الفكر الثوري من جهة أخرى، فإن تكثيف هذا العمل و توسيعه أمر حيوي بالنسبة لحركتنا. فإذا كانت الشروط الموضوعية لغرس الإيديولوجية الفاشية وسط الطبقة العاملة و باقي الجماهير الكادحة تنعدم بالنسبة للحكم، فإن ذلك لا يكفي في حد ذاته،إذ أن العمل المكثف لحركتنا في ظل انعدام هذه الشروط الموضوعية، هو الكفيل بإحباط هذه العملية. و لا تزال وسائلنا الدعائية قاصرة عن ذلك العمل الدعائي الجبار الذي يتطلبه الوضع الراهن، بالرغم من التقدم الذي تحرزه وسائلنا الدعائية و "إلى الأمام" بصفة خاصة. بيد أن ذلك غير كاف إطلاقا، فهو لا يمس إلا قطاعات ضيقة من الحركة الجماهيرية (الطلبة و التلاميذ على الخصوص)، في حين لا تزال قطاعات واسعة من الطبقة العاملة و مناطق الصدام بعيدة عن تأثير دعايتنا.

- إن صياغة و طرح برنامج مطلبي عام للحركة الجماهيرية، و في قطاعاتها الحيوية ، مهمة ينبغي الشروع فيها من أجل قيادة النضال الدفاعي، برنامج قادر على تشخيص مطامح الجماهير في هذه المرحلة، و جمع طاقاتها نحو توسيع النضال الديمقراطي، دفاعا عن المكتسبات التي حصلت عليها الحركة الجماهيرية في فترات سابقة، و التي يستهدفها الهجوم الشرس من طرف النظام العميل (الحريات الديمقراطية، مستوى المعيشة...). هذا البرنامج يستلهم البرنامج الديمقراطي الشعبي العام (برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية) ، و قادر على تطوير نضالية الحركة الجماهيرية نحو شن النضال السياسي العام ضد النظام، و قادر على كسب القوى الديمقراطية الثورية إلى صفنا. و لهذا فنحن نتفق مع تلك الملاحظة التي أبداها رفاقنا في الخارج حول انعدام برنامج نضالي مدقق لهذه المرحلة. و لكن ينبغي، قبل كل شيء ، تحديد مضمون الثورة الديمقراطية الشعبية، لكي نتمكن من وضع برنامج مرحلي. و حتى في القطاعات التي أحرزنا فيها على دور قيادي متقدم في نضالاتها (الطلبة و التلاميذ)، لا زلنا نفتقد إلى هذا البرنامج، رغم طرحنا لشعارات نضالية متقدمة (تعليم شعبي عربي ديمقراطي)، الذي يربط نضالاتها بنضالات الطبقة العاملة و الفلاحين الفقراء.

- إن صياغة هذا البرنامج الديمقراطي الواسع عملية ضرورية من أجل تهيئ شروط قيادة النضال الدفاعي للحركة الجماهيرية، إذ لا يجب الاكتفاء بشعارات عامة لا تلتصق بواقع الجماهير الملموس و مصالحها المادية، على طريقة البرجوازيين الصغار الذين يطرحون أفكارهم المجردة للجماهير التي يغرفونها من قراءات منحرفة عن النضال السياسي و النضال الاقتصادي، و ينعتون النضال الاقتصادي بالتخلف، منغلقين على ذواتهم، و تعاليهم في الحلقات المغلقة لتكوين الأطر، لا يريدون أن تتلوث نرجسيتهم البرجوازية الصغيرة بالنضالات المطلبية للجماهير. فلصياغة هذا البرنامج ، لا يكفي رفع المقولات النظرية و ترديدها كالصلوات، بل من خلال المعايشة النضالية للشروط الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية للحركة الجماهيرية. إن درجة معايشتنا لهذه الشروط حتى الآن، لا تكفي للشروع في صياغة هذا البرنامج و طرحه في العمل الدعائي، على القوى الديمقراطية.

- لا يكفي لتنظيم النضالات العفوية و تجاوزها مجرد إدانتها فكريا و الابتعاد عنها، بل التواجد ضمنها وفق إمكانياتنا الذاتية، و أينما توفرت الشروط، من أجل تنظيمها لمصلحة تقوية شروط النضال الدفاعي المنظم للحركة الجماهيرية، و تمتين قوانا و تصليبها. و لهذا، فإن خوض نضالات دفاعية جزئية أمر يفرضه واقع تطور النضال العفوي للحركة الجماهيرية و ضرورة تنظيمه. و إن اختيار شروط ذلك ، و إيجاد الأشكال النضالية و الشعارات المناسبة، و توحيد العمل مع كل القوى الديمقراطية المناضلة يخضع للشروط الملموسة لكل وضعية محددة. و هو الكفيل بتنظيم النضال الدفاعي و توسيعه، ويمكن من السير قدما في بلورة شعار الصمود و الارتباط بالجماهير.

- يقفز النضال الإيديولوجي و السياسي الحازم ضد الانحرافات المتواجدة داخل اليسار منذ شهر أبريل إلى صف المهام الأولية في هذه الفترة من أجل بناء منظمة ماركسية-لينينية واحدة. ذلك، لأن وجه الصراع قد تغلب على وجه الاتفاق في مسيرة التوحيد، بحكم تطورات الوضع ببلادنا، فالاتفاقات التي بنيت سابقا على مجرد نقد الإصلاحية و التحريفية، بواسطة طرح شعارات عامة، أصبحت مع نضوج شروط جديدة قاصرة عن أن تشكل أساس الوحدة الاندماجية، إذ فرضت هذه الشروط الجديدة على اليسار طرح مضامين هذه الشعارات بشكل أكثر تحديدا. و لا يمكن حل هذه التناقضات بمجرد اتفاقات سياسية مهزوزة، بل يتطلب الأمر الصراع الديمقراطي الجماهيري المنظم، يمكن من مساهمة كل المناضلين الملتفين حول الحركة الماركسية-اللينينية في هذا الصراع، و هدفه الوصول إلى وحدة أمتن وعلى أسس أوضح، باعتبار أن الوحدة الاندماجية ،لا بد أن ترتكز على بناء خط ثوري سديد يستقطب حوله كل الماركسيين-اللينينيين المخلصين في منظمة ماركسية-لينينية واحدة. وهذا الصراع يتوجه بالدرجة الأولى ضد الانتهازية اليمينية الأكثر خطورة في المرحلة الراهنة، دون أن يغفل البحث عن أسس العمل المشترك على أساس قاعدة الصراع-الوحدة-الصراع.

- إن المهمة الرئيسية التي تشكل محور إنجاز هذه المهام يتمثل في تحقيق شعارنا الرئيسي المتبلور منذ "تقرير 20 نونبر" التاريخي : بناء منظمة ثورية طليعية، صلبة و راسخة جماهيريا. إذ أن توفر منظمة من هذا الطراز، هو الكفيل بخلق القاعدة الصلبة لإنجاز مهام هذه الفترة في طريق إنجاز المهام التي طرحتها وثيقة "الوضع الراهن والمهام العاجلة للحركة الماركسية-اللينينية". و بدون تصليب المنظمة و تقويتها، و بناء أسسها البروليتارية و تحويل أعضائها إلى شيوعيين عنيدين، و توفير كل تلك الأسس التي أوردناها في "تقرير 20 نونبر"، يستحيل إنجاز كل المهام المطلوبة و السير نحو بناء الحزب الثوري المنشود. و نحن ندرك اليوم أكثر من أي وقت مضى أهمية توفر منظمة بتلك الشروط من أجل تهيئ شروط قيادة النضال الدفاعي للحركة الجماهيرية. و ينبغي في هذا الإطار، مواصلة بناء و توسيع تلك النواة الأولى من المحترفين الثوريين التي تعتبر مكسبا عظيما لمنظمتنا، لا ينبغي أن تفوتنا فرصة تثمينه، و الرفع من مستوى صمود رفاقنا الذي تجلى هذه السنة بشكل قوي، كما هو بارز في مثال رفاقنا في محاكمة البيضاء، و رفاقنا الذين لا زال مصيرهم مجهولا. و إذا كانت شروط الوضع الراهن، توفر الأسس الموضوعية للتراجعات في صفوف المتذبذبين، و هو ما يحدث الآن داخل المنظمة و بعض المناضلين، فإن ذلك يجب ان يدفع الرفاق المخلصين إلى المزيد من الصمود في عملهم اليومي و الاحتفاظ بعزيمتهم الثورية حتى في أحلك الظروف. و مواصلة تكوين الأطر داخل المنظمة أمر مطلوب، و إيجاد الأشكال الفعالة لذلك، ثم توسيع و تعميق الدور المتزايد لجريدتنا المركزية "إلى الأمام"، من أجل أن تلعب دورها في تعزيز روابط المنظمة بالحركة الجماهيرية، و العمل بصورة أساسية على استيعاب الحقيقة العامة للماركسية-اللينينية، و الإسهامات العظيمة للرفيق ماو تسي تونغ، و الرفاق الفيتناميين، و التجارب الأممية، و دمجها بواقعنا الملموس. هذه المهمات ضرورية لبناء تلك المنظمة، التي يجب أن تشكل النواة المحركة و المؤطرة للحركة الجماهيرية، و الشرط الرئيسي لقيادة نضالها في هذه المرحلة الراهنة، لقيادة نضالها الدفاعي في المرحلة الراهنة ، و لنضالها الهجومي مستقبلا.

و بديهي أن صهر و تقوية تلك المنظمة المطلوبة - كما هو أمر حيوي- لا يمكن أن يتم إلا في مراحل العواصف الجماهيرية، حين تنطلق الطاقات الكامنة لدى جماهيرنا الكادحة، و في مقدمتها الطبقة العاملة المغربية، و أن ذلك العمل اليومي الصبور والمتواضع، و لربما الممل أحيانا بالنسبة لبعضنا، ضروري لكي تصبح منظمتنا في طليعتها. و بديهي أن هذا الاختيار صعب و شاق، أصعب ألف مرة من اختيار مستنقعات الانعزالية و حلقات تكوين الأطر، إلا أنه الاختيار الوحيد للثوريين الذين يسترشدون بالماركسية-اللينينية، و يحملون في عضويتهم الثقة في الجماهير، و في قدراتها الخلاقة، حتى في أحلك شروط القمع الأسود الرهيب. و إذا ما فرض على حركتنا القليلة العدد، التضحية بعدد من الأطر، فلن يحيدها ذلك قيد شعرة عن ذلك الطريق الذي اختارته كحركة ماركسية - لينينية. فذلك هو اختيار النضال

الوحيد، الاختيار الذي يصلب مناضلينا و يكسبهم مناعة صدامية، في ظروف يتكسر الزجاج و يتصلب الفولاذ. إن مناضلين منصهرين في هذه الشروط، هم الذين يمكنهم الصمود في أحلك الظروف أفضل من أولئك الذين يتم تجميعهم في زمن السلم، و الذين سرعان ما ينهارون في الشروط القاسية، حتى و إن أسميناهم أطرا. و صحيح أيضا أن حركتنا قليلة العدد، و لكن ذلك ليس حاسما من زاوية الشروط التاريخية لنشوئها، فإذا ما استطاعت أن تنتظم هذه الجماعة القليلة العدد "في شكل جيش صغير، و لكنه قوي و عنيد، ذي إرادة صلبة و عزيمة لا تقهر، يغير أشكاله النضالية بمرونة فائقة وفقا لتغييرات ظروف النضال، اليوم يقوم ببناء قواه و لحم صفوفه و استخراج الدروس من المعارك السابقة، و غدا يهاجم وفق شروط جديدة و يقاتل بشراسة و روعة"، إذا تنظمت بهذه الطريقة، فسيغدو بإمكانها أن تقوم ليس فقط بقيادة النضال الدفاعي للحركة الجماهيرية، بل و قيادة نضالها الهجومي مستقبلا، حين يغدو من مهام الجماهير مباشرة تحطيم هذه اللعنة الجاثمة على صدر شعبنا، التي يمثلها النظام المتعفن القائم، من أجل أن تكون بلادنا المركز الغربي للثورة العربية الشاملة.

من أجل خط ماركسي لينيني لحزب البروليتاريا المغربي

* * * * * *

نقاش منظمتنا مع الفصيل الثالث

8 مارس 1974

أيها الرفاق،

إن مسألة فتح النقاش الديمقراطي المنظم بيننا مكسب ثمين على طريق توحيد جميع الماركسيين اللينينيين المخلصين ببلادنا، في منظمة كفاحية واحدة تشكل النواة الصلبة لحزب البروليتاريا الماركسي اللينيني. و قد أظهرت التجربة الطويلة في هذا المجال، بما لا يقبل الشك، أن وضع قضايا الخلاف الإيديولوجي و السياسي بصورة أولى على بساط النقاش الديمقراطي المنظم، هو السبيل السديد لإنجاز وحدة سديمية لامبدئية. إن المهمة المركزية في مسألة التوحيد هي بالدرجة الأولى معضلة الخط السياسي للثورة المغربية، القائم على أساس دمج الماركسية اللينينية بواقع بلادنا الملموس.

إن هذا النهج السديد في مسألة التوحيد، يتطلب من كافة فصائل الحركة الماركسية اللينينية، الانخراط في الصراع الهادف إلى بلورة الخط الثوري السديد، و دعمه و تطويره باضطراد، و دحض الخطوط الخاطئة، فالصراع الديمقراطي المنظم سلاح إيجابي فعال بيد الماركسيين اللينينيين الحقيقيين، لبلورة الخط السديد و دحض الخط الخاطئ، و شتى أشكال الانتهازية (اليمينية و"اليسارية").

لقد كانت الممارسات المشتركة لليسار الماركسي اللينيني ونضاله الموحد، قبل انطلاق الصراع بصورته الحالية، قائم على أساس خط عام، يرتكز بالدرجة الأولى على طرح نفسه كبديل للإصلاحية التحريفية، من خلال نقدهم، و التأكيد على مقولات الماركسية اللينينية عامة (أهمية النظرية، الحزب، العنف، الثورة العربية، إلخ...)

و قد خاض اليسار الماركسي اللينيني بشكل موحد، نضالا ضاريا ضد الإصلاحية و التحريفية، وحصل على انتصارات هامة. لكن حالما تغيرت الظروف ببلادنا (تطور سياسة النظام، حركة 3 مارس، تطور ممارسات اليسار و ارتباطاته بالجماهير...) أصبحت شعاراته عامة، عاجزة على أن تشكل خطا سياسيا يجيب بشكل مباشر على مجمل القضايا الراهنة للنضال الثوري. لقد أصبحت مسألة الخط الثوري هي المسألة المركزية، و أصبحت مسألة وحدة الحركة الماركسية اللينينية، رهينة بحل معضلة الخط الثوري السديد الذي يجيب على القضايا المرحلية الملحة و البعيدة للثورة.

إن هذه مسألة طبيعية بالنسبة لأية حركة ثورية أو حزب ثوري، لكن شريطة أن يتم حلها بالصراع الإيديولوجي و السياسي الديمقراطي المنظم، الهادف إلى الوصول إلى وحدة جديدة أكثر صلابة، تقدم الإجابة النظرية و العملية على المسائل التي أصبحت مطروحة بشكل ملح، و التي لم تعد تتطلب التأجيل. لكن الممارسات الانتهازية اليمينية لقيادة منظمة "23 مارس"، قد دفعتنا إلى طرح هذا الصراع جماهيريا، بحكم انتهازيتها اليمينية التي تخشى الصراع الديمقراطي المنظم، و بواسطة هذا الصراع الديمقراطي المنظم و الجماهيري، نعمل على إيصال الصراع إلى مداه، و هي عملية رهينة بعدة شروط، فالخلافات كانت دائما قائمة بيننا، و كانت تظهر و تختفي تحت ضغط تسارع الأحداث، و بحكم التصور الخاطئ لمهمة التوحيد، بالإضافة إلى الممارسات الانتهازية اليمينية، التي تحاول دائما

إخفاء قضايا الخلاف الإيديولوجي و السياسي، والبحث عن الاتفاقات السياسية اللامبدئية بأي ثمن. كل ذلك كان يحول دون إيصال الصراع إلى مداه، إن هذه العملية تخضع بدرجة أولى لتطور بلورة الخط السديد، الذي يسمح بشكل أدق بكشف الخط الخاطئ، و التقدم خطوة خطوة في الكشف عند الانحراف اليميني الذي تمثله نشرة "23 مارس"، و تعرية هويته الإيديولوجية و عزله جماهيريا كخط، إن هذه المسيرة مستمرة، و هي ستنتهي حتما بانتصار و توطد الخط البروليتاري السديد.

و في هذا الإطار، يتوجب علينا تحديد مضمون القطيعة بشكل أدق مع الانحراف اليميني في المرحلة الراهنة (إذ قد يتوجب علينا النضال ضد الانحراف الانتهازي "اليساري" الذي ينشأ دائما كنتاج للأول). إن القطيعة هي قطيعة مع خط إيديولوجي و سياسي يميني تمثله نشرة "23 مارس"، إننا لا نصارع منظمة "23 مارس" كمنظمة، بل نصارع انحرافا انتهازيا يمينيا بالغ الخطورة على تطور الحركة الماركسية اللينينية الناشئة، نحو بناء خط الثورة المغربية، و السير بمهامها نحو الإنجاز. و هدف هذا الصراع أن يساعد جماهير المناضلين المخلصين (و حتى عدد من الأطر القيادية) في منظمة "23 مارس" على تجاوز الانحراف اليميني، و التشبع بالخط الماركسي اللينيني السديد، و هم بالتأكيد غفيرون داخل منظمة "23 مارس"، و مخلصون يطمحون لخدمة الثورة المغربية و وحدة الحركة الماركسية اللينينية، لكن متأثرين

بالانحراف اليميني ، بحكم قدرته على "التجلبب" بالمظهر الثوري، و بحكم الضعف الإيديولوجي العام، و مستوى الممارسة حاليا، مما يسمح له بمجال للمناورة أكثر. إن شعارنا ينبغي أن يكون تجاه هؤلاء المناضلين هو : الوحدة مع نقد الخط الخاطئ و نزع المساحيق عنه، إنه يهدف إلى محاربة "الداء بهدف إنقاذ المريض"، و عزل أولئك الذين يتعذر تصحيحهم، و العمل على أن يتقلص من ينتظرهم السقوط في مزبلة التاريخ، إلى مجرد استفتاءات.

لهذا، فإن مسألة الممارسة المشتركة و الحفاظ على العلاقات النضالية و المتينة مع قواعد منظمة "23 مارس"، و البحث بصورة دائمة على تمتين هذه العلاقات، و جرها لساحة النضال، هي خطة سديدة بالنسبة للماركسيين اللينينيين، في الكشف عن الخط الانتهازي اليميني، الذي لا يطرح نفسه عاريا، و يملك قدرة كبيرة على طلاء وجهه بالمساحيق، إبرازه عبر الممارسة، و طرح البديل عبر الممارسة. كما أنه يساعدنا على تجميع قوى جديدة للنضال ضد الحكم المتعفن القائم. إن الصراع المحتدم حاليا داخل منظمة "23 مارس"، و الذي يتجه ضد الانتهازية اليمينية، إنما يؤكد صحة هذا الاختيار، و يفرض علينا دعم و مساندة المبادرات الإيجابية المتقدمة و الوحدوية داخل منظمة "23 مارس" مهما كانت حدودها الحالية.

إن النقاش الحالي بين منظمتينا، ينبغي أن يشكل تجربة نموذجية في تنظيم النقاش الديمقراطي المنظم، من أجل التوحيد، ينبغي أن يشكل تجربة بديلة لكل التجارب الوحدوية السابقة، التي انتهت بحكم تصورها الخاطئ لمسألة التوحيد إلى الفشل، النقاش الديمقراطي المنظم، الذي يهدف إلى حل معضلة الخط السياسي أولا، عبر تدعيم الممارسات المشتركة و النضال الموحد.

إن الأسلوب السديد لنجاح هذه التجربة، ينبغي أن يرتكز إلى المبادئ التالية:

1. النقاش النزيه والهادف ،وتجنب كافة الأساليب الخاطئة و الحلقية، النقاش الذي ينطلق من المفاهيم الأساسية ليصل إلى القضايا العملية.
2. إشراك مجموع قواعد المنظمتين بصورة فعالة في هذا النقاش، مع حق إبداء آرائها بدون التقيد بالمواقف الرسمية.
3. احترام الالتزامات المشتركة، و العمل على الحفاظ على روح الوحدة و الاتفاق، و عدم اللجوء إلى الابتزاز و التزييف.
4. الانطلاق من التجارب العملية لكل منظمة في النقاش الجاري و في تدعيم المواقف.
5. النقد الذاتي كسلاح فعال في يد الماركسيين اللينينيين في تجاوز الأفكار و الممارسات الخاطئة.

6. خلق الشروط لتدعيم الممارسة المشتركة، و هذا العمل يمكن أن يتم في مجرى النقاش و ليس بعده، على أساس التحاليل السياسية الموحدة و مهام محددة، و على الرفاق أن يعيروا هذه المسألة الاهتمام الكافي، إذ تسمح بتوفير مناخ نضالي و رفاقي يساهم في تطوير النقاش الديمقراطي المنظم، و يسمح بممارسة القناعات و المواقف، و يخدم مهمة النضال ضد الحكم.

7. ضرورة توفر برنامج متكامل للتوحيد، حالما يتم قطع الشوط الأساسي في النقاش الديمقراطي المنظم، يحدد المراحل المتتالية لعملية التوحيد بشكل علمي.

و في هذا الصدد، نحيي مبادرتكم في انتقاد بعض وثائقنا، و نعتبرها خطوة إيجابية أولى في هذا الاتجاه، من حيث الأسلوب و المنهج، و قد قمنا مباشرة بتوزيع وجهة نظركم داخل عموم منظمتنا، و يقوم رفاقنا بمناقشتها حاليا. و رغم عدم انتهاء النقاش فيها، فإننا نقدم لكم جوابنا هذا من أجل دفع النقاش خطوة إلى الأمام، مبرزين بصورة موجزة بعض القضايا الرئيسية في خط الثورة المغربية (التوحيد، الحزب، العنف، الجبهة المتحدة) و بعض المسائل الأخرى المتفرعة عنها. و في صياغة هذا الرد الأول، أدمجنا الجواب على استفسارات الرفاق و لو بصورة غير مباشرة، أحيانا بالرد على الملاحظات و بعرض وجهة نظرنا. في سياق واحد، و أعدنا صياغة بعض موضوعاتنا الرئيسية، التي قد لا تكون واضحة بالشكل المطلوب (خاصة في وثيقة "حول الاستراتيجية الثورية"). و ندعوكم في هذا الصدد إلى دراسة جريدتنا المركزية "إلى الأمام"، و كراساتنا، و باقي نشراتنا الجماهيرية، مما قد يسمح بالاطلاع على وجهة نظرنا، و نأمل أن يبادلنا الرفاق جريدتهم و منشوراتهم، مما قد يسمح لنا بالمزيد من تفهم وجهة نظر الرفاق و مناقشتها، كما ندعو الرفاق إلى المزيد من إعطاء الأهمية الكبيرة لمسألة تدعيم الممارسة النضالية المشتركة بين منظمتينا، كعامل كبير الأهمية في تقديم وحدة الماركسيين اللينينيين ببلادنا.

ملاحظات أولية

لا بد قبل مناقشة القضايا التي يثيرها الرفاق في وثيقتهم، من إثارة بعض الملاحظات المنهجية، و لو بشكل مقتضب، لكي يكون نقاشا مثمرا وبناءا.

1. في الوقت الذي نسجل فيه الأسلوب السديد الذي اتبعه الرفاق في مناقشة وثائقنا، سواء فيما يخص تلخيص وجهة نظرنا و طرح الاستفسارات، أو فيما يخص طرح وجهة نظرهم، لا نتفق مع انتقادهم للطبيعة "الجوابية" لنصوصنا (و الحقيقة فإن نصين من بين الثلاثة التي ناقشها الرفاق، هما اللذان يتضمنان جوابا على "23 مارس" ، أما نص "حول الاستراتيجية الثورية" فإنه لا يحمل جوابا على أي أحد).

فنحن نعتقد أن الجواب على الانحراف الانتهازي اليميني بصورة دائمة مهمة ضرورية، ذلك أن الصراع يتطلب طرح الخط البديل من خلال نقد الخطوط الانتهازية و دحضها دون تردد أو تنازل، و عدم القيام بذلك، يترك مجال المناورة للانتهازية، و علينا أن لا ننسى الدروس الثمينة للماركسية اللينينية في الصراع ضد الانتهازية بمختلف ألوانها، من أجل دحضها و إبراز الخط البروليتاري على أنقاضها.

2. إن النهج السديد في تحديد الخط الماركسي اللينيني للثورة، و الإجابة على قضاياها النظرية و العملية، يكمن بالدرجة الأولى في التحليل الطبقي السديد، و تلك هي المهمة الأولى الملقاة على عاتق الثوريين، على قاعدة التحليل الملموس للواقع الملموس، القائم على دمج الحقيقة العامة للماركسية اللينينية بواقع بلادنا، لهذا فإن أية موضوعة في الخط الذي نقترحه، ينبغي أن نستلهم التحليل الطبقي العلمي لبلادنا في طرحنا، هنا تكمن مسألة جوهرية في الإجابة على القضايا المطروحة، من أجل صياغة الخط الماركسي اللينيني للثورة المغربية و تقديم النقاش بصورة مضطردة نحو أهدافه العظيمة.

3. إن إثارة القضايا بشكل مجرد فقط، دون ربطها بالواقع الملموس في بلادنا، و بالتجربة المعاشة لكل طرف، لا يسمح بتطور إيجابي للنقاش، إذ يظل النقاش في سماء المفاهيم المجردة، دون أن يستند إلى التجربة المحددة التي تثبت صحة هذا الرأي أو ذاك، ويكمن هنا أسلوب فعال في حسم التناقضات القائمة بين المواقف بالاستناد إلى التجربة المعاشة.

الحزب

1. تشكل مهمة بناء حزب البروليتاريا الماركسي اللينيني المهمة المركزية الحاسمة المطروحة على الماركسيين اللينينيين في المرحلة الراهنة، من أجل قيادة النضال الثوري للطبقة العاملة و الفلاحين و الجماهير الكادحة و القوى الوطنية، لدك الحكم القائم و سيدته الإمبريالية. إن مهمة بناء الحزب هي إذن المهمة المركزية الراهنة لكل الماركسيين اللينينيين : فهي البوصلة التي يجب أن ترشدهم في صياغة مهامهم الأخرى. تلك هي نقطة الانطلاق الضرورية الأولى في تحديد الخط السياسي بالنسبة للماركسيين اللينينيين المغاربة، ولهذا كانت مسألة الحزب أكثر القضايا التهابا في الصراع الدائر، وكانت مهمة مسألة بناء الخط الثوري في المرحلة الراهنة، هي بدرجة أولى مسألة الإجابة على سؤال كيف نبني الحزب الثوري الماركسي اللينيني المغربي في شروط بلادنا الملموسة؟

2. إن مقال "لنبن الحزب الثوري تحت نيران العدو" قد جاء ليرد على ذلك الجواب ،الذي يقدمه الانحراف اليميني: "بناء الحزب في السلم" في ظروف نظام استبدادي إرهابي، و ذلك تحت غطاء "التركيز على الطبقة العاملة" بواسطة "نشر الفكر الاشتراكي و تنظيم العمال

المتقدمين". إن الخط الذي عبر عنه المقال : بناء الحزب تحت نيران العدو من خلال الكفاح الثوري الجماهيري، يستمد أساسه من المفهوم البروليتاري للعالم، الذي يشير بوضوح إلى أن الجماهير هي صانعة التاريخ عبر صراعها الطبقي، بينما تؤكد نظرية "بناء الحزب في السلم" و نظرية "الأطر" المفهوم البورجوازي للعالم، الذي يطمس الصراع الطبقي كمحرك للتاريخ.

هذا الاتفاق الهام بيننا حول رفض "نظرية الأطر و بناء الحزب تحت السلم" (أو كما يسميها الرفاق "الخط الداخلي" و نحن نتبنى هذا التعبير من أحد الوجوه) و التشبث بمهمة بناء الحزب كمهمة كفاحية شاقة، من خلال النضال الثوري الجماهيري و تحت نيران العدو، حزب مكافح متشبع بخط الجماهير، هذا الاتفاق هو مكسب ثمين جدا.

لقد قمنا بانتقاد خط "نظرية الأطر" دائما، لكنه لم يكن بالنسبة لنا خطرا فعليا حقيقيا، طالما أن رفاق منظمة "ب" مارسوا معنا النضال الجماهيري منذ لقائنا الأول، و تحت تأثير المد الجماهيري 70 – 72، و لكن حالما جاءت الظروف لانكشاف "نظرية الأطر" و "الخط الداخلي" بالنسبة لنا، قمنا بدحضه منذ اللحظة الأولى بدون تردد.

هذا الحزب الثوري المنشود هو حزب البروليتاريا الطبقي، يضم الفصيل الطليعي من البروليتاريا، الفصيل المنظم و المسلح بعلم الماركسية اللينينية، و يقود التحالف العمالي- الفلاحي و مجموع الجماهير الكادحة في جميع مراحل النضال، في الهجوم و التراجع، و قد أكدنا على النضال الدفاعي في حالة هجوم العدو المتواصل، الذي ينهجه نظام الحسن-عبد الله- الدليمي ببلادنا، لأن الانحراف اليميني يقوم بتنظير انكماش الثوريين في حلقات التكوين النظري، في حالة هجوم العدو و تراجع الجماهير الغير منظم،إن على الحزب الثوري أن يحتفظ بارتباطه بالجماهير في جميع مراحل النضال و في أحلك الشروط وأشدها قسوة، و أن يكون هيأة الأركان العامة التي تقود العمليات الحربية لجيشها، و لا تنفصل عنه لحظة، مهما كان هذا الجيش صغيرا، و مهما كانت الظروف التي يقاتل فيها.

3. إن المهمة في بناء الحزب هي بالذات مسألة هويته الطبقية، مسألة التأكيد على الدور القيادي للبروليتاريا، بواسطة بلورة و تأسيس نواة بروليتارية تشكل أساس الحزب الطبقي، و لهذا فنحن نضع مهمة بناء هذه النواة في مركز الصدارة بالنسبة للمهام الأخرى، بواسطة التركيز في الدرجة الأولى، من حيث التنظيم و الدعاية والنضال على المراكز البروليتارية الأساسية، و هذا فرق واضح بيننا، إذ يشير الرفاق بوضوح إلى "التركيز على الفلاحين و البادية بصفة عامة". ذلك هو معنى قولنا "أولوية العمل داخل البروليتاريا الصناعية و المنجمية" (و لا علاقة لمسألة التركيز هنا بمسألة المدينة أو البادية إذ أن عددا من المواقع البروليتارية الأساسية جدا تقع داخل البادية كالمناجم مثلا)، إن هذا التركيز هو مرحلة أولية ضرورية في مسيرة بناء الحزب الثوري، لماذا ؟

- لأن الحزب الثوري هو حزب البروليتاريا الطبقي، هو الفصيل الطليعي المنظم من البروليتاريا و مسلح بالماركسية اللينينية، و قيادة البروليتاريا ليست مسألة نظرية فقط، بل هي مسألة عملية، فلا يمكن تصور الحزب الثوري بدون هوية طبقية فعلية.
- لأن البروليتاريا هي الطبقة الثورية حتى النهاية، التي يؤهلها واقعها الموضوعي لقيادة الثورة، في مرحلة الإمبريالية، إلى النهاية وانتصار الثورة الوطنية- الديمقراطية- الشعبية، و السير بها بخطى ثابتة نحو الاشتراكية.
- لأن البروليتاريا المغربية بما تملك من تقاليد نضالية راسخة ما يقرب من أربعين سنة، قد أظهرت جدارتها و استحقاقها لقيادة الثورة، سواء في معركة التحرر الوطني ضد الاستعمار المباشر أو في النضال الوطني الديمقراطي ضد الاستعمار الجديد.

لقد كانت طبقتنا العاملة بدخولها حلبة النضال الوطني، و هي لا تزال حديثة العهد جدا، و بانبثاقها من الفلاحين الذين قاوموا الغزو الاستعماري ببطولة، قد ألهبته بقوة جبارة، و كانت مقاومة الفلاحين التي توقفت في مرحلتها الأولى سنة 1934، قد انتقلت إلى المدينة بفعل نهوض الطبقة العاملة و استيقاظ فئات البورجوازية الوطنية، و بدخول الطبقة العاملة النضال الوطني بصورة فعالة، فقد اكتسب طابعا جذريا (1945 – 1955)، و لم يكن بمقدور النضال الوطني أن يلتهب و يشتد إلا بفعل دخول الطبقة العاملة التي نمت قوتها بسرعة، و تعاظم نفوذها السياسي، و نما و تجذر بذلك أيضا نضال الفلاحين الوطني (جيش التحرير)، و إذا كانت البرجوازية الوطنية و الملكية قد اغتصبت قيادة النضال الوطني، فذلك ليس إلا لأن الخط التحريفي الانتهازي للحزب "الشيوعي" المغربي، قد مكن البورجوازية الوطنية من الاحتفاظ بالطبقة العاملة تحت وصايتها و منعها من إمساك قيادة الثورة الوطنية و السير بها في أفق ديمقراطي جذري. و حين نما و تطور الصراع من جديد ضد النظام الاستعماري الجديد،كانت نضالات العمال في سنة 1963 هي شرارة النهوض الجماهيري الجديد.

4. كيف يتم التركيز حاليا ؟

- بالاندماج بنضالات الطبقة العاملة العفوية و الاقتصادية والعمل على قيادتها، و وضعها في اتجاه جذري.
- بالتركيز على المراكز البروليتارية الأساسية التي تؤهلها شروطها الموضوعية لبلورة نواة البروليتارية صلبة.
- بالقيام بالتحقيقات في أوضاع الطبقة العاملة و نضالاتها، و استخراج الدروس منها.
- بدمج الماركسية اللينينية بنضالات الطبقة العاملة و نشرها على أوسع نطاق.
- بتكوين أطر البروليتارية صلبة و محترفين ثوريين يشكلون النواة البروليتارية.
- بناء اللجان العمالية كإحدى أدوات إنجاز هذه المهام.

و يشكل بناء منظمة ماركسية لينينية طليعية صلبة و راسخة جماهيريا، أداة حاسمة في هذا المجال.

5. إن للفلاحين قوة ثورية جبارة، فهم يشكلون القوى الرئيسية للثورة، و فقط باكتساب الطبقة العاملة للجماهير الغفيرة من الفلاحين يمكنها أن تصير قوة لا تقهر، و لهذا يشكل التحالف العمالي الفلاحي الشرط الضروري لقيادة البروليتاريا، فبدون ضم القوة الهائلة للفلاحين إليها، ستظل قيادة البروليتاريا محرومة من إحدى أهم أسلحتها الفعالة في النضال الشاق نحو أهدافها البعيدة، كما أن الجبهة المتحدة لا يمكن قيامها إلا بقدرة الطبقة العاملة على بناء التحالف العمالي الفلاحي تحت القيادة الوحيدة و المباشرة لحزبها الثوري.

و لهذا فإن مهمة بناء الحزب الثوري لا تنتهي عند مجرد بناء نواة البروليتارية، بل تشمل مهمة بناء التحالف العمالي الفلاحي، و لهذا يشكلان عملية واحدة، بل إن تصليب هذه النواة و تدعيمها لا يمكن تصوره خارج بناء هذا التحالف.

و بالرغم من أن الفلاحين يشكلون قوة ثورية جبارة، و يختزنون طاقات ثورية هائلة، و بالرغم من أنهم وطنيون بلا حدود، و ثوريون بلا حدود، فإنهم بدون قيادة البروليتاريا يظلون أسيري البرجوازية و يعجزون عن حل معضلتهم، إن قيادة البروليتاريا هي التي تجعل منهم بالذات قوة جبارة، فهي تمنحهم الأسلحة التي تنقصهم، تمنحهم الاستراتيجية السديدة و ترسم لهم الطريق الثوري، و تمنحهم القيادة الحكيمة، و تسير بالفئات الفقيرة و المعدمة منهم في الطريق الاشتراكي، و تجعل منهم جيش حرب الشعب الذي لا يقهر.

و لهذا بالضبط قلنا أن بناء الحزب الثوري البروليتاري، بناء التحالف العمالي الفلاحي مسيرة واحدة، و قمنا بشجب خط عزلة الطبقة العاملة و احتقار الطاقات الهائلة للفلاحين ، هذا الخط الذي يشكل وجها آخر لخط "نظرية الأطر"، و"بناء الحزب في السلم"، و كلما نجحت النواة البروليتارية في بناء هذا التحالف بشكل مبكر، كلما استطاعت أن تضمن الإسراع بعملية بناء الحزب و ضمان القيادة الفعلية للثورة.

6. إن مهمة بناء الحزب لا تنحصر إذن في بناء "نواة عمالية"، كما ينظر السادة الأساتذة في "23 مارس" لمسألة الحزب، إن النواة البروليتارية إذ تتهيكل كمهمة نضالية عبر الاندماج بكفاح الطبقة العاملة، لا يمكنها أن تتقوى إلا عبر بناء أسس التحالف العمالي الفلاحي، و هو عمل لا ينفصل عن باقي المهام النضالية في بناء الحزب : بناء منظمة ماركسية لينينية واحدة، دمج الماركسية اللينينية بالواقع الملموس و بناء نظرية ثورية، بناء خط ديمقراطي وطني ... إلخ كما سنحددها فيما بعد.

إن هذا التحديد ضروري لكي نضع مسألة أولوية العمل داخل البروليتاريا الصناعية و المنجمية في إطارها الصحيح. إن الوعي البروليتاري لا يمكنه أن ينشأ بعلاقة ضيقة بين الشيوعيين و الطبقة العاملة فقط، إنه لا يمكنه أن ينشأ إلا عبر ربط نضالنا داخل الطبقة

العاملة بنضالنا داخل الفلاحين و الشبيبة المدرسية، من أجل نقل المعرفة الحسية للطبقة العاملة، النابع من ممارستها في الإنتاج إلى درجة المعرفة العقلية. و لهذا فإن حصر ارتباطات الشيوعيين بالطبقة العاملة فقط، إنما هو "النزعة العمالوية" و "الاقتصادية" بذاتها و في صورتها الحقيقية.

7. لكننا لا نضع مهمة التركيز على الفلاحين في المرتبة الأولى، إن الطرف الأساسي من الأطر نعمل على توجيهه حاليا إلى المراكز البروليتارية الأساسية (في المدن أو البوادي) و نحدد عددا منهم للتوجه إلى العمال الزراعيين و الفلاحين في مناطق الصدام، و حالما يتم تقديم بناء نواة بروليتارية صلبة، سيتم انتقال القوى الأساسية داخل الفلاحين من أجل تقديم مسيرة بناء حزب البروليتاريا، و قيادة النضال الثوري للفلاحين، ففي هذا الانتقال إلى الفلاحين يكمن مستقبل بناء حزب البروليتاريا و انتصار الثورة. (دون نسيان جدلية المدن و البوادي التي يفرضها واقع بلادنا الملموس، إذ تشكل المدن قوة لا بأس بها بشريا و اقتصاديا و سياسيا، فالدار البيضاء وحدها تمثل أكثر من 10 % من سكان المغرب، و تزيد هذه القوة حسب الإحصائيات الأخيرة بحكم سياسة نظام السماسرة و المعمرين الجدد في البادية).

8. إن عملنا حاليا داخل الفلاحين، يهدف إلى خلق نقاط ارتكاز تشكل انطلاق العمل الثوري في الفلاحين و في البادية عموما. و تحديدا ينبغي أن يتم بناؤها داخل مناطق الصدام، إذ لا يمكن الاكتفاء بشعار العمل داخل الفلاحين بصورة عامة، فالفلاحون يتشكلون من فئات متعددة و يتوزعون على مساحات واسعة ويشكلون أكثر من 70 % من السكان. لهذا ينبغي تركيز نضالنا في مراحله الأولى على مناطق الصدام، أو البعض منها، و قد أبرزنا في وثيقة "الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية اللينينية المغربية" أهمية مناطق الصدام هذه، و أعطينا الوسائل الأولى لانطلاق العمل داخلها، كما أشرنا إليها بصورة مركزة في وثيقة "حول الاستراتيجية الثورية"، و أبرزناها بصورة تحليلية أوسع في مقال "إلى الأمام" عدد 11 "بناء الحزب الثوري، بناء التحالف العمالي الفلاحي مسيرة واحدة".

إن انطلاق العمل داخل مناطق الصدام، حسب إمكانياتنا الحالية يكتسي أهمية كبيرة، في ظل تطور شروط الصراع الطبقي ببلادنا و احتداده، و من أجل تضييق الفارق الكبير بين مستوى الحركة الماركسية اللينينية و مستوى الحركة الجماهيرية المتقدم.

9. لقد رأينا أن المهمة الأولى في المرحلة الراهنة، هي بناء نواة البروليتارية، و هذا يعني تحديد الهوية الطبقية للحركة الماركسية اللينينية، و توفير أسس التحالف العمالي الفلاحي ، إن هذه المسألة لا تكتسي أهمية بالغة في سياق بناء حزب البروليتاريا فقط، بل في تصليب الحركة الماركسية اللينينية و توفير إحدى الشروط الموضوعية لعدم انزلاقها عن الخط البروليتاري السديد، لأنها بذلك سترتكز إلى الطبقة التي يجعلها واقعها الموضوعي الطبقة الثورية حتى النهاية، و إلى أقرب أصدقائها الثوريين (الفلاحين)، الذين تؤهلهم شروطهم

الموضوعية للسير معها وفق الطريق الثوري نحو الاشتراكية. و لهذا لا نتفق إطلاقا مع موضوعة الرفاق في سياسة الأطر "إن المهم ليس الأصل الطبقي"، نحن نعتقد أن المهم أولا وقبل كل شيء هو الأصل الطبقي بالذات، و لهذا تشكل مهمة تكوين و تربية كوادر البروليتاريا من العمال و من الفلاحين، و فتح الفرص الأولى للاحتراف الثوري و التثقيف النظري أمامهم، و تعزيز دورهم داخل حركتنا الماركسية اللينينية مهمة مركزية في بناء شرط موضوعي صلب، لبناء الخط الثوري السديد و قيادة الجماهير.

و حتى حينما يضيف الرفاق، "و إن كان الأصل الشعبي محبذا" فإنها إضافة غير مقنعة، إذ لا تضع هذا الأصل الطبقي، و مهمة توفير هذا الأصل – فضلا على أنها تشير إلى "الشعبي" بدلا من التحديد الطبقي في الدرجة الأولى، و قبل الخصال، في المرحلة الراهنة من بناء الطليعة البروليتارية، ينبغي إذن العمل على بناء أطر البروليتاريا صلبة من الجماهير الكادحة، من الشبيبة الثورية المنحدرة من أصل عمالي أو فلاحي، أطر مكافحة أولا، و ليس فقط مجدة في حفظ الدروس النظرية التي يلقيها "الأساتذة" على طريقة نشرة "23 مارس".

هذه الأطر تندمج بأصلب المثقفين الثوريين، و تتسلح ليس فقط "بتكوين إيديولوجي عام" و "خط سياسي عام"، بل أن تستوعب الجوهر الخلاق للماركسية اللينينية، و لإسهامات الرفيق ماو تسي تونغ ، و تستوعب الخط السياسي المحدد للثورة المغربية، إن هذا الاستيعاب الجدلي و الحي لنظرية ماركس و إنجلز و لينين و ماو تسي تونغ، مسألة حاسمة في تكوين هذه الأطر، على أساس إجادة استعمالها في تحليل الواقع الملموس.

10. إن المصدر الأساسي للأطر في الشروط الراهنة للحركة الماركسية اللينينية هم المثقفون الثوريون، من حركة الشبيبة المدرسية بدرجة أولى، و يشكلون الوسيلة الأولى مرحليا في عملية بناء الطليعة البروليتارية، إن الشبيبة المدرسية هي المعبر عن الوعي الحسي للجماهير الكادحة، و تشكل أداة حاسمة في نشر الماركسية اللينينية، و انحدار أوسع جماهير الشبيبة المدرسية من العمال و الفلاحين، يشكل ميزة هامة في هذا المجال، و لهذا فهي تفرز المثقفين الثوريين المرتبطين عضويا بالجماهير الكادحة. لكن الأمر يقتدي بلترة سائر المثقفين الثوريين، الذين يبقون بالرغم من ذلك معرضين لتأثير الإيديولوجيات الرجعية و البرجوازية السائدة في المجتمع، بواسطة الاندماج بنضالات الجماهير الكادحة، و التشبع بخط الجماهير و بالماركسية اللينينية، ذلك هو ما نقصده بمفهوم إعادة التربية.

إن دور المثقفين الثوريين لازال كبيرا، لكنه بغية عدم السقوط في النخبوية و التحريفية، ينبغي عليهم الانخراط في الممارسة مع الجماهير الكادحة والتعلم منها، من أجل التخلص من رواسب المعرفة الرجعية و البرجوازية، و التربية التي يتلقونها في مجتمع الاستعمار الجديد، و ينبغي إعادة تربيتهم في سياق نضالهم من أجل بلورة الطليعة البروليتارية، ذلك أن المربي هو نفسه في حاجة إلى التربية.

11. لذلك فإن مهمتنا في الشبيبة المدرسية قطاع الطلبة و التلاميذ بالغة الأهمية في الظروف الراهنة، من أجل بناء حزب البروليتاريا، و مهماتنا في هذين القطاعين تخدم بناء الحزب، و هي تتوزع بين المهمات الرئيسية:

. وضع نضالات هذين القطاعين في أفق ديمقراطي وطني جذري، و على أساس شعار تعليم شعبي عربي ديمقراطي و علمي. و قيادة هذه النضالات تخدم تكتيكيا مهمات توسيع النضال ضد الحسن –عبدالله – الدليمي، و هو ما نطلق عليه القيام بدور مقدمة تكتيكية للحركة الجماهيرية مرحليا.

. نشر الماركسية اللينينية بشكل واسع، فهما يتميزان بدينامية فكرية عالية، و بقابلية عظيمة لاستيعاب الفكر الثوري، و بهذا فهما يشكلان مركزا رئيسيا للصراع الإيديولوجي و انتشار إيديولوجية البروليتاريا.

. تشكلان ميدانا لتنشئة و تربية أطر متمرسة بالنضال بالنسبة للحركة الماركسية اللينينية في ظل شروطها الذاتية الراهنة.

و يكتسي قطاع التلاميذ أهمية أكبر، فهم يمثلون فئة من شبه البروليتاريا، و بحكم انسداد منافذ المستقبل أمامهم، في ظل نظام التعليم النخبوي القائم على التبعية المطلقة للإمبريالية.

12. تشكل مهمة توحيد الماركسيين اللينينيين في منظمة مكافحة واحدة تكون نواة صلبة للحزب الثوري، مهمة مركزية حاسمة في إنجاز مجموع المهام الأخرى، و قد أشرنا في البداية إلى الخطوط العريضة لإنجاز هذه المهمة العظيمة. و الحلقة المركزية في إنجازها، هي توحيد الخط الإيديولوجي و السياسي و التنظيمي للحركة الماركسية اللينينية المغربية، بواسطة الصراع الإيديولوجي الإيجابي، على أن يكون هادفا للوحدة، و أن يكون ديمقراطيا و منظما خاضع لبرنامج متماسك الحلقات و منسق الخطى، و أن يرتبط بالممارسة المشتركة الموحدة، و يتبادل التجارب و المؤازرة النضالية ضد العدو المشترك، و أن يتجنب كل مساوئ الحلقية و الابتزاز ... إلخ ... و بهذا الصدد نستفسر عما لاحظناه في العددين اللذين تسلمناهما من جريدة الرفاق (العدد الأول و الثاني من "وحدة العمال و الفلاحين") حيث نقرأ تحت اسم الجريدة على الصفحة الأولى : لسان الحركة الماركسية اللينينية المغربية" هذه مسألة خطيرة جدا و نحن لا ندري ما إذا كانت لا تزال تكتب في جريدة أو جرائد الرفاق أم لا، و حرصا على تدعيم المسيرة الإيجابية للنقاش فإننا نحتفظ بموقفنا حتى نتوصل بتوضيح من الرفاق.

في مسألة التوحيد توجد بيننا اتفاقات باستثناء ما أشرنا إليه، بالإضافة إلى عدم إعطاء الرفاق الأهمية البالغة لمسألة بناء علاقات نضالية مشتركة، على أساس رؤية موحدة للوضع السياسي في كل مرحلة و للمهام التي يتطلبها، إن ذلك سيشكل وسيلة أساسية لتحقيق

المزيد من التقارب الإيديولوجي و السياسي وممارسة القناعات الموحدة و تدعيمها، و تمتين جبهة النضال ضد الحكم الرجعي، و لهذا ندعو الرفاق إلى إعطاء هذه المسألة أهميتها البالغة، و ذلك ما ننهجه حتى مع رفاق "23 مارس"، لمصلحة النضال ضد الانحراف اليميني ذاته وتصفيته.

إن بناء منظمة ماركسية لينينية موحدة وصلبة يشكل الهدف الأساسي للتوحيد، على أساس خط بروليتاري سديد، و ستشكل هذه المنظمة النواة الصلبة للحزب الثوري، و هي التي ستقوم بالمهام التي سطرناها من أجل بناء الحزب قيادة نضالات الجماهير المتصاعدة ضد حكم الحسن – عبدالله – الدليمي و الإمبريالية، لأنها ستصهر إرادة الماركسيين اللينينيين و ترص وحدتهم الإيديولوجية و السياسية و التنظيمية بصورة لا توفرها حالة التشتت.

13. نسطر بعض المبادئ التنظيمية لحزب البروليتاريا الثوري، و التي ينبغي أن تقوم عليها المنظمة الماركسية اللينينية الموحدة:

. المركزية الديمقراطية : القائمة على جدلية الطليعة و الجماهير، و توفير منظمة حديدية و موحدة الإرادة و الفكر و الممارسة، و تفتح مجال الانتقاد و الابتكار، و متدفقة الحيوية، على أساس وحدة الانضباط على جميع المستويات، و ينبغي ممارسة المركزية الديمقراطية مع الجماهير، و ذلك من خلال جدلية المنظمة و التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية و المنظمات الجماهيرية.

. النقد والنقد الذاتي داخل المنظمة و أمام الجماهير.

. القيادة الجماعية : عبر ضرب كافة أشكال تسلط الفرد و المبادرات الفردية اللامسؤولة، إن هذا المبدأ يجسد مفهوم البروليتاريا العام على صعيد الممارسة التنظيمية.

. الانضباط البروليتاري الصارم و الموحد على كافة المستويات.

يتطلب تطبيق هذه المبادئ الشروط التالية :

. تعزيز الطابع البروليتاري للمنظمة و بلترة الأطر.

. تسديد التثقيف النظري و الصراع الإيديولوجي الهادف

. التطبيق المتواصل لخطها و انتقاده و إنمائه

. التطهير المستمر للمنظمة من كافة العناصر المنحرفة و المتفسخة و المرتدة و تجديد دمائها باستمرار.

14. إن مهمة بناء الحزب و بناء نواته : المنظمة الماركسية اللينينية الموحدة، تتطلب العمل بصورة متواصلة على بناء تنظيمات ثورية شبه جماهيرية مرتبطة بها، ثم المنظمات الجماهيرية العلنية و السرية التي ترمي على تنظيم أوسع الجماهير، و تشكل في مجموعها الأسلاك الرابطة بين المنظمة أو الحزب الطليعي و الجماهير الواسعة في مختلف الاتجاهات، و من مختلف الأنواع و الأشكال. إن التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية (و هي التنظيمات التي تضم المناضلين المتقدمين الملتفين حول المنظمة) تشكل أداة حاسمة في قيادة نضال الجماهير و تأطيره، كما تشكل أداة حاسمة في شروط النضال السري ببلادنا، في ظل النظام الاستبدادي القائم ببلادنا، و تشكل أيضا وسيلة تدعيم المنظمة الشيوعية المركزية، المتقلصة العدد بالضرورة، و المقتصرة على المحترفين الثوريين و الأطر الشيوعيين المتمرسين، فهي تزودها بشيوعيين جدد باستمرار، متمرسين بالنضال الثوري داخل هذه التنظيمات الثورية، كما أنها تشكل شرايين المنظمة الممتدة داخل المنظمات الجماهيرية، و أداة تأطيرها وأداة انغراسها في الجماهيرية. و على المنظمة أن تجيد الاستعمال الخلاق لكل شكل، حسب الظروف الملموسة، بالتركيز على هذا الشكل أو ذاك، في هذه المرحلة أو تلك، و إدراك العلاقات و الروابط الجدلية القائمة بينها.

15. بالنسبة لمسألة الجريدة، ذات الأهمية البالغة في بناء الحزب، فإن الاتفاق حاصل بيننا في هذه المسألة حول دورها. و قد سجلنا ملاحظاتكم البناءة حول الكلمة التي كانت تطبع على غلاف جريدتنا المركزية "إلى الأمام" : "ساعدوا على نشر الفكر الثوري بتسليم هذه النشرة إلى رفاقكم و معارفكم"، و هذا راجع إلى الإهمال، فقد كانت موجودة على غلاف "إلى الأمام" قبل أن ينسحب منها منظور الانحراف اليميني، في إطار المفهوم السائد لدور "إلى الأمام" في تلك المرحلة، و أهمل وجودها بعد ذلك. لكننا لا نعتقد أن أسلوب العمل بها لا يجعل منها أمرا مفيدا، فنحن نعمل على أن تتم دراستها بشكل جماعي، و هي تنحصر في تنظيماتنا الثورية شبه الجماهيرية، و تشكل أداة لحمها و تمسكها، بالإضافة إلى منظمتنا ذاتها. و لا ننفي أن رفاقنا مرتكبون أخطاء متعددة في هذا المجال، لكننا نعمل على محاربتها بشكل مستمر و تصحيحها، و نحن نحرز نتائج طيبة في هذا المجال، و لا يزال أمامنا قطع أشواط عديدة من أجل أداء دورها المنظم بصورة فعالة. و ستكون انتقادات الرفاق في هذا المجال عاملا فعالا، من أجل تصحيح العمل بها، و لهذا فإن تبادل الجرائد و لو على نطاق ضيق، سيسمح بتبادل التجارب و الانتقادات و تحسين العمل بها باستمرار. أما عن كثرة المواضيع النظرية، فذلك لا نتركه في بعض أعداد "إلى الأمام"، و هذا راجع لسببين :

1/ يتوصل بالجريدة المناضلون الملتزمون في إطار تنظيماتنا شبه الجماهيرية بالإضافة إلى الرفاق، و لهذا فهي تلعب دورا موجها و منظما بالغ الأهمية.

2/ الصراع الدائر، مما يفرض مهمة التوضيح النظري و إبراز الخط السياسي السديد، كمهمة ملحة و دائمة في المرحلة الراهنة.
و نتفق مع المبادئ التي حددها الرفاق للجريدة، إلا أننا نستنتج أيضا أن هناك مبالغة متشددة في سريتها، مما قد يقلص دورها المنظم و الدعائي و في الصراع الدائر حاليا، كما أننا لا نعلم عن ممارسة الرفاق بها من الناحية العملية.

16. تكتسي مسألة أساليب العمل أهمية بالغة في بناء الحزب، إذ ينبغي على الطليعة أن تجيد أصول فن النضال الثوري، خاصة في شروط بلادنا، و هي مرتبطة بمسألة الخط و تعكسه في الممارسة، فلنجاح خططنا السياسية لا يكفي أن تكون سديدة، بل أن نجد لها الأساليب و الوسائل الملائمة لتطبيقها، و لا يتعلق الأمر هنا بتقنين أساليب جامدة، بل هي تتنوع و تتعدد حسب الظروف الملموسة و المعقدة، إن الثورة إبداع، و الشيوعي إنسان مبدع، يعمل على ابتكار وسائل العمل التي تهدف إلى تحقيق الأهداف المرسومة بأكثر الطرق فائدة، و أقلها تكليفا، و أقصرها زمنا. و بهذا الصدد نتفق مع الرفاق في مسألة الاستقطاب من أجل سد منابع الخطر، نلخص موقفنا في هذا الاتجاه : تغليب مقاييس الكيف على الكم، و تغليب مقاييس الممارسة النضالية. كذلك الأمر فيما يتعلق بالوثائق و أسلوب العمل بها، ما عدا ملاحظتنا حول مسألة الجريدة التي نخشى أن يكمن التشدد في سريتها على حساب دورها المنظم و الدعائي. لا نتفق أيضا مع الرفاق فيما يتعلق بعزل الرفاق المحرضين عن المنظمة، فهذا قد يكون على حساب تقدمهم السياسي و مساهمتهم في حياة المنظمة، إن عزل الرفاق عن المنظمة يؤدي إلى موتهم سياسيا. لهذا ينبغي العمل على توفير الأشكال السرية الملائمة لمساهمتهم مساهمة مباشرة و فعالة في نشاط المنظمة الداخلي، الذي يكسب الرفاق حيوية كبيرة. و نحن إذ نعمل على الإتقان البالغ لأساليب العمل، لا ننسى التثقيف الإيديولوجي و السياسي للرفاق المناضلين و تربيتهم على الصمود في وجه العدو، و في وجه أنجع أساليبه حتى الآن، في تحطيم المنظمات الثورية : التعذيب. إن تربية شيوعيين عنيدين و متمرسين مدركين لواجباتهم الثورية و لحتمية انتصار الثورة البروليتارية، هو الضمانة الأولى لصمودهم حينما يكونون معزولين في عالم الجلادين. و في هذا الصدد بالذات، أحرزت المنظمة نتائج عظيمة. فمنذ ماي 1972 تعرضنا لمحاولة ضرب المنظمة مرات متعددة، و لم يتوصل العدو إلى أي نتائج في هذا المجال، بفضل صمود رفاقنا البطولي في وجه أقسى أنواع التعذيب.

17. لا تنفصل مهمة بناء الحزب عن ضرورة نهج خط وطني – ديمقراطي، يستجيب لطابع الثورة في المرحلة الراهنة، و يدمج المصلحة الوطنية لأوسع الطبقات و الفئات الوطنية بالأهداف البعيدة للبروليتاريا. ذلك أن قدرة الحركة الماركسية اللينينية على جر القوى الديمقراطية إليها، و دفعها إلى النضال ضد الحكم المتعفن، و توسيع عزلته، سيعطي مضمونا واسعا لنضال الجماهير، و ترتبط هذه المهمة

جدليا بمهمة انتقاد ميولاتها الانتهازية اليمينية في التعامل مع الحكم، و تشطيب هيمنة إيديولوجيتها البرجوازية على الجماهير الكادحة، و انتقاد ميولاتها اليسارية المتطرفة (البصريين). و سنعود لهذه المسألة في معرض نقاشنا لمسألة الجبهة المتحدة.

18. إن عملية صياغة خط ماركسي لينيني سديد للثورة المغربية، و بناء الحزب الثوري البروليتاري، لا تنفصل لحظة عن مهمة اعتبار الثورة المغربية جزءا لا يتجزء من الثورة العربية، و تكتسي الثورة المغربية أهمية بالغة في هذا المجال. فبحكم اشتداد الصراع الطبقي ببلادنا، و بحكم استراتيجية الإمبريالية بالمنطقة. فإن الثورة المغربية تشكل الحلقة الضعيفة للإمبريالية في غرب الوطن العربي، و لهذا تشكل المركز الغربي للثورة العربية، مما يضع على الماركسيين اللينينيين المغاربة مهمات جسيمة في هذا المجال. إن مهماتنا بهذا الصدد تتمحور في :

. ربط كفاح الشعب المغربي بالأمة العربية في نضالها ضد الإمبريالية و الصهيونية و الرجعية، من أجل الاستقلال الوطني و الديمقراطية و الوحدة و الاشتراكية. و وضع ذلك في مهمات الدعاية الثورية لفضح مناورات نظام الحسن – عبد الله – الدليمي في هذا المجال.

. تدعيم و توسيع جبهة ثورية عربية واسعة ضد الهجمة الإمبريالية-الصهيونية-الرجعية.

. تمتين علاقاتنا السياسية و النضالية بالفصائل الماركسية اللينينية على امتداد الوطن العربي، و العمل على بلورة خط نضالي عام على الصعيد القومي يوحد بينها، و يضع في حسابه بذات الوقت، الخصائص المميّزة لكل نظام على الصعيد القطري. و بهذا الطريق بالذات، ستسهم الثورة المغربية بواجباتها الأممية في دعم الثورة العالمية، على قاعدة الأممية البروليتارية، و توطيد الخط البروليتاري السديد على المستوى العالمي، و محاربة كافة أشكال التحريفية المعاصرة.

إن الروابط الأصيلة و العميقة بين الشعب المغربي و الشعب العربي في الصحراء الغربية، يجعل من الضروري في صياغة الاستراتيجية الثورية، من أجل إنشاء المركز الغربي للثورة العربية، دمج كفاح التحرر الوطني في الصحراء الغربية بالثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية، في استراتيجية واحدة و جبهة واحدة. إن هذه المهمة بالغة الأهمية في بناء الخط الثوري السديد للحزب الماركسي اللينيني المغربي.

الجبهة الثورية المتحدة

1. إن طبيعة النظام الطبقي السائد ببلادنا، يجعل من الثورة التي تختمر ببلادنا ثورة وطنية ديمقراطية شعبية، تستهدف حل التناقض الأساسي القائم بين الطبقة الكمبرادورية الحاكمة، التي تضم الملاكين الكبار و البرجوازية الكمبرادورية، و على رأسهم الملكية و

سيدتهم الإمبريالية من جهة، و الشعب بطبقاته الوطنية من جهة أخرى، و يتكون الشعب في المرحلة التاريخية الحالية من الطبقات الوطنية التالية : البروليتاريا، الفلاحون، شبه البروليتاريا، البرجوازية الصغيرة، البرجوازية المتوسطة الوطنية.

و تستهدف الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية تحقيق المهمات التالية :

. الإطاحة بسلطة الدكتاتورية الملكية و الطبقة الكمبرادورية و الإمبريالية، و إرساء دكتاتورية ديمقراطية شعبية، في إطارالجمهورية الديمقراطية الشعبية، بواسطة المجالس الشعبية.

. تحقيق الثورة الزراعية، و تحرير اقتصادنا من هيمنة الإمبريالية و الاستعمار الجديد.

. بناء ثقافة شعبية عربية ديمقراطية و علمية.

. تهيئ جميع الشروط للانتقال إلى الاشتراكية.

. الإسهام في انتصار الثورة العربية و العالمية.

و يتم انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية، بواسطة حرب الشعب الطويلة الأمد.

و من أجل انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية، فإن على البروليتاريا أن تقوم ببناء تحالف أوسع الطبقات و الفئات الوطنية ذات المصلحة في هذه الثورة، من أجل عزل العدو الرئيسي و تركيز جميع القوى عليه للإطاحة به.

2. إن الشرطان الأساسيان لقيام التحالف الثوري و الوطني الواسع، و انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية هما : قيادة البروليتاريا بواسطة حزبها، و بناء التحالف العمالي- الفلاحي ، و لا سيما الفلاحين الفقراء و المعدمين، الحليف الموثوق به بالنسبة للبروليتاريا.

3. إن الأداة السياسية و التنظيمية لتحالف الطبقات و الفئات الوطنية و سائر العناصر المعادية لسيطرة العصابة الكمبرادورية-الإمبريالية، هي الجبهة الوطنية الديمقراطية الشعبية، أو الجبهة الثورية المتحدة بقيادة الحزب الثوري. و هذه الجبهة ترتكز في برنامجها على بندين أساسيين : مسألة السلطة، و مسألة العنف الثوري للإطاحة بالنظام القائم، فلا ينحصر قيام الجبهة على أساس النضال العسكري فقط، بل ينبغي أن يشمل برنامجا وطنيا ديمقراطيا، كما حددنا خطوطه العريضة، و على أساس سلطة وطنية ديمقراطية شعبية. فالاتفاق حول النضال العسكري بذاته غير كاف، فقد تلجأ فئات من العدو نفسه لحل التناقضات بينها إلى النضال العسكري، دون أن تكون مؤهلة للانخراط في الجبهة. ينبغي إذن، إعطاء الأهمية الكاملة لمسألة برنامج الجبهة و خطها السياسي.

4. إن مبدأ الوحدة مع النقد، هو الأسلوب الذي ينبغي أن يسود العلاقات بين أطراف الجبهة، الصراع الإيديولوجي و النقد ضد التذبذب و ميولات المساومة و الإصلاحية القائمة موضوعيا في صفوف حلفاء البروليتاريا و الفلاحين الفقراء. و الوحدة على أساس البرنامج السياسي و صيانته و تجذيره باستمرار. و الشرطان الحاسمان لسيادة التوجيه البروليتاري، هما : قيادة الحزب الثوري، و التحالف المتين بين العمال و الفلاحين.

5. نحن نؤكد أن هذا التحالف في واقع بلادنا الملموس، سيتم بصورة رئيسية بين الطبقات الوطنية كطبقات، و ليست عبر الأحزاب البرجوازية الحالية، لأن هذه الأحزاب تسير نحو تقلص نفوذها الجماهيري و السياسي حتى داخل طبقاتها نفسها، و تتحول تدريجيا من أحزاب جماهيرية تمثل طبقاتها سياسيا و تنظيميا، إلى تجمعات فئوية من المحترفين السياسيين. إن هذا يفرضه واقع تطور الصراع الطبقي ببلادنا، حيث كان الشرط الضروري لنمو الطبقة الكمبرادورية و على رأسها الملكية، هو تفكيكها للأحزاب السياسية الجماهيرية للبرجوازية الوطنية، و تحويلها إلى فئات من السياسيين المحترفين، و العمل على دمجهم في إطار النظام نفسه، بواسطة الأسلوب المزدوج الذي درج الحكم على التعامل به معهم : الإرهاب المستمر من جهة، و الحوار و المناورة من جهة أخرى. و لهذه الاستراتيجية المدعمة من طرف الإمبريالية أساسها الاقتصادي أيضا.

إننا لا ننفي إطلاقا أن هذه الأحزاب تمثل طبقاتها من الناحية السياسية، فكل موقف سياسي في المجتمع هو موقف طبقي، ينتمي لطبقة ما، لكن تمثيلها لهذه الطبقات كقوى فاعلة في الصراع الطبقي، و من موقع مصالحها الطبقية المعادية للإمبريالية يتقلص تدريجيا، و تمثل أكثر ميولاتها اليمينية و مصالحها الفئوية كمحترفين سياسيين، ما يجعلها بصورتها الحالية، غير مؤهلة للانخراط في الجبهة الثورية المتحدة. و لا ننفي تواجد أجنحة و عناصر جذرية داخل هذه الأحزاب، و قد أبرزنا دائما أن نمو نضالات العمال و الفلاحين و القوى الثورية، سيؤدي بتمايز هذه الأجنحة الجذرية و بروزها بشكل مستقل، لكن هذه الفئات الموجودة داخل هذه الأحزاب الموجودة محدودة، و لا ينبغي لنا أن نبالغ في قيمتها و أن نضخم من أهميتها، إننا لا نسد باب الجبهة في وجه جميع هذه الفصائل و العناصر الجذرية داخل هذه الأحزاب و خارجها، ذلك أن من مصلحة البروليتاريا و حلفائها الثوريين أن تضم هذه الجبهة أوسع الطبقات و الفئات، و العناصر الوطنية المعادية للإمبريالية و لطغمة الحسن-عبد الله-الدليمي. بل تقوم إحدى مهماتها الأساسية في هذا الاتجاه، إلى دفع هذه الأجنحة و العناصر الجذرية إلى التعبير عن نفسها بشكل مستقل، و دفعها للانخراط في الجبهة الثورية المتحدة. بل يجب أن نعمل على مد جسور التحالف

الوطني الواسع، للاستفادة حتى من تناقضات العدو، و عزل العدو الأكثر شراسة في كل مرحلة (و هو في المرحلة الراهنة طغمة الحسن-عبد الله-الدليمي و الإمبريالية) تمهيدا للإطاحة به.

6. ما هي بالملموس هذه القوى الديمقراطية و فصائلها الجذرية حتى نستطيع أن نلمس إمكانياتها و حدودها ؟

حزب الاستقلال : حزب البرجوازية المتوسطة، يمثل ميلها السياسي لإصلاح النظام الحالي، و يضم حزب الاستقلال أيضا عناصر هامشية من الطبقة الكمبرادورية، و لا نعتقد أن حزب الاستقلال سيقبل يوما الانخراط في جبهة ثورية، تطرح مسألة السلطة بواسطة النضال العسكري، لكننا لا ننفي إمكانية تطور بعض العناصر الشابة المتنوعة في حزب الاستقلال.

اتحاد عبد الله إبراهيم : الوجه السياسي للبيروقراطية النقابية، يمثل تجمعا سياسيا يمينيا داخل البرجوازية الوطنية، و ترتبط مصالحه بمصالح الجهاز النقابي البيروقراطي المرتبط بجهاز الدولة، فهو يشكل فئة معادية لنمو البروليتاريا كطبقة ثورية مستقلة، و لهذا فإن من مهمات بناء حزب البروليتاريا بالنسبة للماركسيين اللينينيين، هي إزاحة هيمنة هذه الفئة على الطبقة العاملة المغربية. و قد برز موقفها المعادي لأي نضال جذري، حين وقفت صفا واحدا مع الطبقة الحاكمة حين انطلاق حركة 3 مارس 1973.

جماعة علي يعته : و هي فئة معزولة جدا، و ذيلية إلى أقصى حد لهذه القوى السياسية، و لا نعتقد أن هذه الجماعة ستنهج طريقا جذريا على الأقل في المدى المتوسط.

اتحاد بوعبيد : و هي فئة سياسية تعبر عن اتجاه البرجوازية الصغيرة الإصلاحي، و تشكل في ذات الوقت الواجهة السياسية لجناح البصري، و هي مؤهلة لتأييد الجبهة الثورية و الانخراط فيها. و يتطلب الأمر نضالا إيديولوجيا و سياسيا عديدا ضد ميلها الإصلاحي.

جناح البصري : هو الفئة التي تعبر عن الميل الديمقراطي الثوري داخل البرجوازية الصغيرة، و اتجاهها البلانكي في الاستيلاء على السلطة، و هي أكثر القوى السياسية استعدادا من الناحية الموضوعية، للانضمام كطرف فعال في الجبهة الثورية، لكن لا ينبغي أن نعتبر أن جناح البصري، زائد الحركة الماركسية اللينينية يشكل الجبهة الثورية المتحدة، إن هذا إنما يقفز عن طبقات وطنية و عناصر مستقلة لا يمثلها هذا الجناح، و لا الحركة الماركسية اللينينية، ستشكل أطرافا فعالة في الجبهة.

في هذا الصدد نرشح اتجاها آخر قد يتطور في ظل نمو الشروط الموضوعية للصراع الطبقي داخل الجيش، هو اتجاه الضباط الوطنيين، هذا احتمال فقط، إذ أن بروزه رهين بمدى قدرة الطليعة البروليتارية على التقاط النزعة الوطنية التي تنمو داخل الجيش، في إطار عمل سياسي منظم، و دفعها إلى جانب الثورة الشعبية.

7. إن جناح البصري إذن هو أكثر هذه القوى السياسية حاليا استعدادا للانخراط في جبهة ثورية متحدة، إلا أن خطه السياسي الراهن و ممارسته الراهنة لا يكفيان، لكننا نعتقد أن توفر عدة شروط سيساعده على التطور في اتجاه ديمقراطي وطني جذري، يؤهله للانخراط كطرف فعال في الجبهة، على أنقاض اندحار خطه البلانكي البرجوازي الصغير، فلا يكفي في هذا المجال كشرط للانخراط في الجبهة كما أبرزنا سابقا حمل السلاح فقط. إن النهج الحالي الذي ينهجه، لا يسمح له بأن يشكل طرفا فعالا في الجبهة، و من سمات هذا النهج السلبية :

. الأسلوب التآمري (يصل به لحد التحالف مع أوفقير) بدلا من العنف الجماهيري.

. برنامج إصلاحي لا يصل إلى مستوى البرنامج الوطني- الديمقراطي الجذري الذي حددنا بعض بنوده سابقا.

. التأثير السلبي الذي تتركه ممارسته على الجماهير.

. معاداته المتطرفة للشيوعية.

إن النضال من أجل إبراز الخط الثوري السديد، و توسيع التأثير السياسي للحركة الماركسية اللينينية كطليعة، يتطلب نضالا إيديولوجيا و سياسيا ضد هذا النهج. و لهذا فهو إذ يشكل القوة السياسية التي تملك الإمكانيات للانضمام إلى الجبهة، تتطلب بذات الوقت و بصورة جدلية نضالا إيديولوجيا و سياسيا ضد نهجه السلبي، بهدف دفعه في الاتجاه الوطني الديمقراطي الجذري الذي يساهم في صهر إرادة الشعب في الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية بقيادة البروليتاريا. إن تنمية و تقوية دور الحركة الماركسية اللينينية و قدرتها على السير قدما في بناء حزب البروليتاريا الثوري في ظل الشروط الموضوعية لنمو الحركة الجماهيرية، سيشكل عاملا أساسيا في ذلك، و تفتقد الحركة الماركسية اللينينية اليوم كثيرا من المقومات للقيام بذلك، و منها التشتت، إذ لا ترقى العلاقات بين فصائلها على المستوى الجبهوي ذاته.

لهذا فنحن إذ ننمي علاقاتنا و نعمل على توطيد برنامج سياسي مشترك و نضال موحد مع الاتجاه الديمقراطي الثوري (جناح البصري) منذ الآن و سائر الأجنحة الأخرى، ليس من أجل بناء جبهة في المدى القريب، بل من أجل بناء أوسع جبهة معارضة للحكم في جميع مراحل النضال، في نفس الوقت الذي نخضع خطه البلانكي للنقد بشكل متواصل، و على أساس التهيئ لقيام الشروط الحقيقية لجبهة ثورية متحدة مكافحة، من أجل انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية. بل إننا لا نلغي الدور الإيجابي ذاته للقوى الديمقراطية الإصلاحية، لكن ليس من أجل جبهة متحدة، بل في اتجاه تنمية جميع مظاهر المعارضة لنظام الحسن- عبد الله - الدليمي. ذلك أن من مهمة الثوريين الماركسيين اللينينيين، التقاط و استيعاب كافة أشكال و إمكانيات المعارضة و الاحتجاج و التناقضات، لمصلحة عزل النظام القائم لأقصى حد، و صياغة الخطط و الشعارات السياسية و الأشكال التنظيمية لأجل ذلك.

هذا هو مضمون عمل الماركسيين اللينينيين في هذا المجال، و ليسميه الرفاق "أشكال أولية من الجبهة"، فنحن نضع له كهدف مباشر، خدمة الحلقة المركزية من مهام الماركسيين اللينينيين : بناء الحزب البروليتاري الماركسي اللينيني، ثم هدف الجبهة المتحدة و عزل النظام القائم كأهداف غير مباشرة.

8. يلح الرفاق على أن "الأشكال الأولية للجبهة" ناضجة داخل الحركة الطلابية، و نفهم من السياق أنه لا ينبغي تغليب طابع الصراع على الوحدة، لقد أبرزنا موقفنا من هذه المسألة على صفحات "إلى الأمام" (عدد 14). لقد كانت المهمة الرئيسية بالنسبة للتيار الماركسي اللينيني على طول السنتين الأوليتين من عمله داخل الحركة الطلابية (من المؤتمر 14 إلى المؤتمر 15 للاتحاد الوطني لطلبة المغرب) هو بلورة نفسه كتيار جماهيري مستقل، و إحرازه على قيادة الحركة الطلابية ، و هذا كان يضعه مباشرة أمام الصراع المستميت للإصلاحية للإبقاء على هيمنتها. و قد كان تغليب طابع الصراع على طابع الوحدة اختيارا ضروريا لا مفر منه يتجاوز النوايا الطيبة للماركسيين اللينينيين، دون أن نعفي مسؤوليتنا من بعض الأخطاء في هذا الصدد (بالرغم من أنها ليست خطأ رئيسيا، فهي ليست إلا انعكاسا للأسلوب الذي كنا ننهجه في علاقتنا بالجماهير الطلابية). و نحن نعتقد اليوم أن بإمكان التيار الماركسي اللينيني و قد غدا تيارا جماهيريا فعلا، و محرزا على قيادة الحركة الطلابية، أن يعمل على تغليب طابع الوحدة دون نسيان الصراع. إن تغليب أحد الطرفين (الصراع أو الوحدة) إنما يخضع في نظرنا لكل مرحلة و المهمات التي تتطلبها، و هو يخضع في نظرنا حاليا، لمسألة إنضاج قيادة الماركسيين اللينينيين لمصلحة بناء الحزب الثوري البروليتاري. و قد طرحنا برنامجا ديمقراطيا (و ليس جبهويا) بهذا الصدد في إطار أ.و.ط.م ، سيعمل على تعزيز وحدة جميع القوى الديمقراطية، و سيوفر الشروط لرصها في وحدة متماسكة كهدف مباشر لمصلحة هدف بناء الجبهة المتحدة حين نضج شروط قيامها.

9. إن رؤيتنا لبناء الجبهة الثورية، التي تجسد التحالف الثوري و الوطني الواسع للطبقات و الفصائل و العناصر الوطنية، سيجعل من التنظيمات الجماهيرية الثورية القاعدة الرئيسية لبناء الجبهة، بالإضافة إلى لقاءات الأطراف الثورية و على أساس قاعدة هذه التنظيمات الثورية الجماهيري. و لهذا فقد أشرنا إلى أن لجان نضال الشعب أو اللجان الثورية ستشكل وسيلة رئيسية في بناء الجبهة، و هي تختلف إطلاقا عن التنظيمات الثورية شبه الجماهيرية أو الجماهيرية التابعة للحزب التي أشرنا إليها سابقا. هذه اللجان تعمل على تنظيم أوسع الجماهير و في مجموع الطبقات، بمساهمة كافة الفصائل الوطنية و تعبئتها في النضال الوطني الديمقراطي كتنظيم قاعدي للجبهة، و ستشكل أيضا وسيلة لتمرين الجماهير على ممارسة السلطة الثورية ضد أعداء الشعب.

العنف الثوري

1. لقد أشرنا بوضوح إلى أن الطريق الثوري ببلادنا هو العنف الثوري الجماهيري في شكل حرب التحرير الشعبية، إن هذا الاختيار السديد يفرضه التحليل السديد لواقعنا الوطني و الظروف الدولية المحيطة به، و قد أشرنا إلى هذا التحليل بصورة موجزة في وثيقة "حول الاستراتيجية الثورية" و طورناه في عدد من التحاليل الأخرى و على صفحات "إلى الأمام".

2. لقد طرح الرفاق أشكالا غير مطروحة إطلاقا، حينما أكدنا أن النموذج البلشفي في الاستيلاء على السلطة في أكتوبر 1917 غير سديد بالنسبة لنا كطريق للثورة، لقد كنا نقصد بذلك شكلا محددا من العنف الثوري الجماهيري في الاستيلاء على السلطة في ظروف ملموسة. و حينما أكد الرفاق بأنها حرب بمعنى مجابهة مسلحة، و شعبية بمعنى قام بها الشعب و طبعها بخصاله، فإنما هو في نظرنا تأكيد مجاني محض، فلا مجال هنا لإقحام المضمون اللغوي للكلمات، و إنما المقصود هنا بالضبط تحديد الأسلوب الذي ينبغي أن تتبعه الثورة المغربية في الظفر بالسلطة الثورية بواسطة العنف الثوري الجماهيري، كمبدأ ماركسي لينيني ثابت، و توطيدها بناءا على تحديد خصائصها الملموسة.

إننا نفهم من الخصائص المميزة للنموذج البلشفي في نهج العنف الجماهيري (الانتفاضة الشاملة) هو : الاستيلاء على السلطة بضربة واحدة، و مرة واحدة، بالاعتماد على قوى البروليتاريا و تحالف الفلاحين و الجنود الثوريين، في ظروف الصراع الإمبريالي الدائر، بهذا المعنى المحدد للنموذج البلشفي نقول إن هذا الأسلوب المحدد الذي نهجته الثورة في روسيا لا يستجيب لواقعنا الملموس. و نقول بالمقابل أن أسلوب حرب التحرير الشعبية كأحد أساليب العنف الثوري الجماهيري، من حيث أنها حرب فلاحية بقيادة البروليتاريا و حزبها الطليعي، الفلاحون هم قواها الرئيسية، من حيث أنها لا تهدف إلى الاستيلاء على السلطة مرة واحدة في مجموع البلاد، بل تحرز عليه تدريجيا و على مراحل، و ليس بضربة واحدة بل عبر صراع طويل الأمد، يتم فيه تغيير موازين القوى تدريجيا، و مراكمة عوامل الانتصار النهائي على مراحل، في ظروف الهجوم الإمبريالي والرجعي الشامل. إن هذا الأسلوب قد تطور و اغتنى بكفاحات الشعوب المقهورة، و في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة (و بلدنا ينتمي إلى هذه البلدان) و كانت أبرز نماذجه : الثورة الصينية و الفيتنامية و الكورية. و قد قام الرفيق ماو تسي تونغ بصياغة نظرية حرب الشعب و أغناها الرفاق الفيتناميون بصفة خاصة، و هي تغتني على الدوام بتجارب جديدة. هذه الخصائص تستجيب لشروط بلادنا ملموسا، و تفرض علينا اختيار أسلوب حرب التحرير الشعبية كطريق للثورة.

هل يعني هذا إقبار الحقيقة الكونية لثورة أكتوبر؟

لا مجال لطرح هذه المسألة هنا،إن ثورة أكتوبر العظيمة ليست كونية لمجرد أنها طبقت أسلوبا خاصا في الاستيلاء على السلطة بوسيلة العنف الثوري الجماهيري في شكل الانتفاضة الشاملة، و إنما تتعدى الأهمية العالمية لثورة أكتوبر هذا النطاق الضيق، في أنها فتحت عصرا جديدا في تاريخ البشرية هو عصر انتصار الاشتراكية و اندحار الإمبريالية، و ليس ذلك أيضا هو الأسس التي جعلت من كلمة اللينينية تضاف إلى الماركسية، و لكنها أضيفت إليها لأنها شكلت مرحلة جديدة تمام الجدة في الماركسية، لقد شكلت : "ماركسية عصر الإمبريالية و الثورة البروليتارية".

لذلك، فنحن نسد الآفاق في وجه النموذج البشري في الاستيلاء على السلطة بالنسبة للثورة العالمية، و الشعوب المضطهدة، و لا يمكن لأي ماركسي لينيني أن يزعم ذلك، فضلا عن أنه ليس من مهمتنا أن ننظر للآخرين الأساليب التي ينبغي عليهم أن ينتهجوها في استعمال العنف الثوري الجماهيري داخل بلدانهم.

أما أساليب الكفاح المسلح التي تنهج الإرهاب البرجوازي الصغير كأسلوب رئيسي ، و التي طبقت في عدد من البلدان و انتهت إلى طريق مسدود، فنحن لا نرفضها لأنها أسلوب لا يناسب شروط بلادنا الملموسة فقط، و لكن لأنها أسلوب خاطئ، ينطلق من مفاهيم تعارض المفهوم البروليتاري للعالم، الذي يؤكد أن الجماهير هي صانعة التاريخ، و أنها لكي تتحرر، ما عليها إلا أن تأخذ قضيتها بيدها.

3. إن هذا الاختيار الاستراتيجي بالنسبة لشعبنا : حرب الشعب الطويلة الأمد، يتطلب رسم الطريق السديد الذي يصل منه كفاح الجماهير الثوري إلى حرب الشعب الشاملة في الظفر النهائي بالسلطة الثورية، و الذي هو في نفس الوقت استراتيجية الطليعة الثورية. إن صياغة هذه الاستراتيجية الثورية السديدة تكتسي أهمية بالغة في قيادة العملية الثورية و بناء الطليعة البروليتارية، و لكن ينبغي التأكيد منذ البداية أن هذه الاستراتيجية ينبغي أن تقوم على جدلية العمل السياسي و العمل المسلح، في جميع المراحل، هذه الجدلية تفرضها ممارسة الجماهير ذاتها، فإذا كان قيام جيش مسلح يخدم مصالح العمال و الفلاحين و الشعب، و تحت قيادة حزب البروليتاريا و الجبهة المتحدة يشكل الضمانة الأكيدة لانتصار الثورة، فإن العمل المسلح لا يمكنه أن ينمو إلا في غمار العمل السياسي الجماهيري، و الجيش المسلح لا يمكن أن يتهيكل و ينمو إلا على أساس الجيش السياسي للثورة، و كلما كان بإمكان الطليعة أن تتنظم أشد التنظيم، و توسع إلى أوسع مدى جيشها السياسي، كلما كان بإمكان الجيش المسلح أن يتهيكل و ينمو ويتطور ويتسع باستمرار، و أن يحرز الانتصارات تلو الانتصارات.

هذه الحقيقة التي يؤكدها أكثر من قرن و ربع من الكفاح المرير للبروليتاريا العالمية و الشعوب المضطهدة، ينبغي دائما وضعها في اعتبارنا حين معالجة مسألة العنف الثوري و الاستراتيجية الثورية.

4. هل يعتبر إطلاق الكفاح المسلح المهمة المباشرة أمام الماركسيين اللينينيين المغاربة ؟ و ما هي مهماتهم في هذا المجال ؟ يشكل الجواب على هذين السؤالين مهمة جوهرية في صياغة الخط الماركسي اللينيني للثورة المغربية.

يجيب الرفاق بوضوح : "الظروف مناسبة جدا، و إلى حد " الشعور بالتعطل"، و نحن نعتقد أن الكفاح المسلح كأعلى أشكال العنف الثوري ليس مهمة مباشرة، فإذا كان العنف الثوري يشكل مهمة نضالية دائمة في أغلب الظروف، ينبغي على الثوريين القيام به و قيادته كلما نضجت شروطه خلال المعارك الجماهيرية، و تطوير أشكاله البدائية الأولى (مظاهرات عنيفة، احتلال المعامل و الضيعات و المدارس، احتجاز الباطرونات و عملاء السلطة الأشرار ... إلخ) فإن خوض الكفاح المسلح كأرقى أشكال العنف الثوري لا تزال ظروفه غير مناسبة، و لا يكفي في هذا المجال ترديد الشروط الموضوعية العامة في البلاد، التي هي لمصلحة الثورة بصورة عامة، بل ينبغي معالجة المسألة من زاوية الشروط السياسية و التنظيمية التي يتطلبها إطلاق الكفاح المسلح، و السير به في طريق سديد نحو حرب الشعب الظافرة.

حقا إن الحركة الجماهيرية متقدمة، لكن علينا في نفس الوقت أن نحدد حدود هذا التقدم و نواقصه، حتى لا نسقط في تقييم ذاتي للحركة الجماهيرية. لقد حددت منظمتنا بصورة سديدة اتجاه المرحلة التاريخية الراهنة من تطور الصراع الطبقي ببلادنا ، بأنه طابع اشتداد أزمة النظام و تناقضاته و نمو الحركة الجماهيرية، و أبرزت في تحليلها الشروط الموضوعية لهذا النمو في نضالات الحركة الجماهيرية، و حددت طابعه الرئيسي : العفوية، و نتائج ذلك أنها لا تزال مطلبية في سياقها العام و مشتتة، و أبرزت بالمقابل بأنه بسبب من هذه العفوية، فإن هذا النمو لا يسير في خط مستقيم، و أنه يتعرض لكثير من الانعراجات و الانكسارات وللتأثير البرجوازي الصغير(الإصلاحي و البلانكي) ، و حددت طابع المرحلة الأولى من هذا النمو بأنه الطابع الدفاعي، إذ يمارس الحكم هجوما رجعيا شاملا مجهضا كل مكتسبات الحركة الجماهيرية في مراحل نضالها السابقة، و تحاول الجماهير الدفاع عنها في حدود وسائلها النضالية الراهنة. و لهذا وضعت منظمتنا كشعار سديد للثوريين في تحديد مهامهم المرحلية تجاه هذا النمو : "تهيئ شروط قيادة النضال الدفاعي للحركة الجماهيرية"، كإحدى الحلقات الوسيطة من أجل تغيير موازين القوى تدريجيا، و تعميق أزمة النظام و الانتقال إلى المرحلة الهجومية، و أبرزت منظمتنا كذلك ان هذا التهيئ والانتقال إلى المرحلة التالية، لا يأتي إلا عبر قيادة ثورية متماسكة، سيمكنها في ظل شروط موضوعية مناسبة، أن تنمو و تتطور و تقود الجماهير في الطريق الثوري.

و لهذا صاغت مهام الماركسيين اللينينيين في هذا الاتجاه، من أجل بناء هذه القيادة، و توفير نواة بروليتارية، و كسب مواقع سياسية وتنظيمية داخل مناطق الصدام، بتكثيف الدعاية الثورية، ببناء منظمة ماركسية لينينية واحدة، بتدعيم و تمتين وحدة القوى الديمقراطية من أجل عزل الحكم، و خلق شروط بناء الجبهة المتحدة، بالتهيئ العسكري العملي ...

و فقط بإنجاز هذه المهمات، يمكن أن تكون الظروف مناسبة فعلا، و أن تكون هناك حركة جماهيرية متقدمة، و نعني بمتقدمة أنها موضوعة في سياق ثوري جذري، و بقيادة ثورية متماسكة، و قادرة على تفجير أزمة الحكم و تعميقها باستمرار. و لا تنفصل هذه المهمات عن مهمة إدماج العنف الثوري بأشكاله الأولى، بالكفاح الجماهيري حسب درجة كفاحيتها و مستوى تنظيمها، من أجل تنمية إدراكها الثوري بمسألة العنف، و خلق الشروط المناسبة للانتقال إلى الكفاح المسلح الذي يجسد وعيها الثوري و طاقاتها الملموسة، و ينبغي لهذه المهمة أن تصب في النضال من أجل بناء الطليعة البروليتارية لا أن يجهضها، و أن يوفر لها الأرضية الموضوعية لا أن يسد في وجهها سبل التبلور.

و بهذا الصدد فإن حركة 3 مارس، في ظل غياب الدعاية الثورية المكثفة للماركسيين اللينينيين و تأثيرهم السياسي الجماهيري قد لعبت دورا سلبيا بما لا يقاس، فبدلا من أن تقلص التأثير الإصلاحي ساهمت في تعميق السلبية و الانتظارية لدى الحركة الجماهيرية كما تثبت ذلك الممارسة العملية لمناضلينا.

5. و لا تنفصل هذه المهام التي تخلق الشروط الفعلية المناسبة لإطلاق الكفاح المسلح المنظم، عن مهمة صياغة خط استراتيجي فيما يخص مسألة الكفاح المسلح، يحدد مهماتنا للانتقال إلى هذا الشكل و تطويره إلى حرب الشعب، وذلك في إطار استراتيجية ثورية شاملة. إننا لا ندعو كما تفعل "23 مارس" التي تكن احتقارا عميقا للاستراتيجية و الاستراتيجيين إلى تأجيل هذه المسألة، إن غياب الاستراتيجية الثورية هي سمة مميزة للانتهازية اليمينية، و غياب الخطط الفعلية، و الحلقات الوسيطة لإنجازها، سمة مميزة للصبيانية اليسارية. لهذا ينبغي وضع استراتيجية ثورية فيما يتعلق بمسألة العنف الثوري، و الكفاح المسلح، يحدد الطريق الذي ينبغي أن تنهجه الطليعة الثورية في تفجير الكفاح المسلح، من أشكاله الأولى إلى مراحله العليا نحو الاستيلاء على السلطة الثورية، وأن تحدد مهامها على ضوئها. و تحديد هذه الاستراتيجية ليس مسألة "تصورية"، بمعنى أنها نابعة من تأمل فكري على أساس تصورات مجردة، و لكن بقدر ما هي محاولة لتحليل ملموس لمجرى الوقائع الملموسة أمامنا، و محاولة تحديد تجاهها العام، و من تمة صياغة خطة عامة تحدد على ضوئها مهامنا المرحلية و البعيدة، إن الماركسيين اللينينيين ليسوا عرافين، و إنما ينبغي عليهم أن يشيروا إلى الاتجاه العام للأحداث، انطلاقا من

التحليل الملموس للواقع الملموس، و يبقى سير هذا الاتجاه العام رهين بتفاعل تناقضات الواقع، و تدخلهم كعامل ذاتي حاسم. و معرفة تحديد هذا الاتجاه العام ،الذي "ستمر به الأشياء مسبقا" مسألة ضرورية بالنسبة للقيادة الثورية، شريطة أن يكون قائما على أساس تحليل مادي جدلي لتناقضات الواقع، و طبيعة الصراع بينها ،و موازين القوى المختلفة، التي يمكنها ترجيح كفة هذا الاتجاه أو ذاك. إن مفهومنا للقواعد الحمراء المتحركة، ليس إذن مسألة "تصورية"، بقدر ما هو التحديد الذي يرسمه لتطور اتجاه نمو حرب الشعب الظافرة في مرحلتها الأولى ببلادنا، و قد أعطينا عددا من العناصر المهمة في واقع بلادنا الملموس التي تفيد بها، و نعيد هنا تحديد الاتجاه العام لاستراتيجية القواعد الحمراء المتحركة و بعض منطلقاتها الأساسية.

6. إن الانطلاقة الحاسمة تكمن في البادية، و من الفلاحين بالذات و من الثورة الزراعية.و سيتحتم على الطليعة الماركسية اللينينية – كما أبرزنا سابقا- في مرحلة لاحقة، أن تنتقل من مرحلة توزع قواها بين مراكز البروليتاريا و مناطق الصدام، إلى تمركز قواها الرئيسية في مناطق الصدام و الفلاحين (قواها الرئيسية فقط إذ ينبغي عليها أن تحتفظ بقيادة النضال الثوري في المدن، التي تشكل في بلادنا ثقلا ديموغرافيا و اقتصاديا و سياسيا لا بأس به).

إن العمل السياسي و التنظيمي داخل مناطق الصدام، ينبغي أن يقودنا بصورة رئيسية إلى شن انتفاضات منسقة للفلاحين.

هذا هو المنطلق، لكن الاكتفاء بهذا الهدف في انطلاق حرب الشعب يبدو بدون أفق، و هذا هو النقص الأساسي في المبادرة الثاقبة التي تكلم عنها الرفاق، إذ لم يحدد الرفاق طبيعتها و أهدافها و مهامها، و ما هي الآفاق التي تفتحها لانطلاق حرب التحرير الشعبية، و قد رأينا أن على الاستراتيجية الثورية أن تحدد لنا كيف نصل من كفاح الجماهير العنيف بأشكاله الأولى، إلى حرب الشعب الشاملة.

7. هذه الانتفاضة الفلاحية المنسقة المسلحة ينبغي :

. أن يتم تنظيمها في مناطق الصدام، يتحدد اختيارها حسب شروط نضالية و عسكرية دقيقة، و أن يتم منها اختيار تلك التي تشكل أضعف الحلقات في سياسة النظام و تمركز قواته، و أن يتم اختيار هذه الانتفاضات الفلاحية المنسقة في الظرف السياسي المناسب و اللحظة المناسبة، و هذا شرط أساسي.

. أن يتم تطبيق البرنامج الثوري خلال هذه الانتفاضات، (برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية) الذي يفتح الأفق الثوري أمام الجماهير (الاستيلاء على الأرض، تصفية الملاكين الكبار الأكثر شراسة و عملائهم الأشرار، تسليح الفلاحين، تنظيم الكتائب الأولى للجيش الأحمر و إنشاء الميليشيات ...).

. أن ترتبط هذه الانتفاضات بنمو كفاح الجماهير في المدن، إذ أن ذلك سيمكن من توزيع قوات العدو، و من تأطير للطاقات العالية لجماهير المدن (البروليتاريا، شبه البروليتاريا، البرجوازية الصغيرة ...). و قد نشأت المقاومة المسلحة في المدن إبان معركة التحرير الوطني، بتنسيق مع ظهور جيش التحرير في البادية، و تطورت الانتفاضات الكبيرة في المدن التي ساهمت في ذلك (ديسمبر 1952 بالبيضاء، غشت 53، انتفاضة فاس في 54 ذات الأهمية الكبيرة التي أدت عمليا إلى تحرير المدينة القديمة من قوات الاحتلال لعدة أيام).

. أن تضع لها الطليعة البروليتارية كهدف رئيسي، نشوء الأنوية الأولى للجيش الأحمر (أو الكتائب الأولى أو الفيالق الأولى ...إلخ ،المهم هو الأنوية الأولى للجيش الأحمر) و ستكون هذه الأنوية الأولى على شكل قوات الأنصار. إن هذه الانتفاضات ستؤدي إلى انطلاق حرب الأنصار، بشكل رئيسي داخل البادية.

8. ينبغي لهذه الانتفاضات الفلاحية المنسقة أن تعتمد في استمرارها على تسلسلها و اتساعها إلى عدة مناطق، و تعميق نضالات الجماهير العنيفة، و تنمية حرب الأنصار وارتباطها بتنمية نضالات المدن، و تكسير جهاز العدو القمعي في المدينة، و ذلك بحكم نشأتها في مرحلة أولى، و بحكم وجود نظام مركزي قادر على التدخل السريع رغم تداعي جهازه (تجربة البصريين أثبتت ذلك) يعتمد في حل تناقضاته على حسمها بشكل سريع (بواسطة الانقلاب العسكري) و ذلك هو الذي سيحقق استمرارها وانطلاق حرب الأنصار و اشتعال لهيب حرب الشعب الظافرة.

ذلك هو معنى القواعد الحمراء المتحركة، و من الأكيد أن العدو سيتمكن من قمع العديد من الانتفاضات و إجهاض العديد من المكتسبات في المرحلة الأولى بحكم الشروط التي ذكرناها، و هذا أمر لا مفر منه، لكن القدرة على التطبيق الخلاق لاستراتيجية و تكتيك حرب الأنصار في المرحلة الأولى، سيمكن من تنمية انتفاضات الفلاحين المنسقة، و نضالات المدن، و الانتقال إلى مرحلة أعلى في حرب الشعب، نحو تأسيس مناطق محررة دائمة بارتباط وثيق بمعركة التحرر الوطني بالصحراء الغربية.

9. ذلك هو مضمون وأهداف القواعد الحمراء المتحركة كمرحلة أولى في مسيرة حرب الشعب، و هي استراتيجية ترتكز على بلورة الطاقات الملموسة و الخلاقة للجماهير الكادحة، و لهذا فقد رفضنا منذ البدء اختيار تكتيك "حرب العصابات المتنقلة"، إن رفضنا هذا ينصب على اختيار استراتيجي في مسألة العنف الثوري و الاستيلاء على السلطة بمعزل عن صراع الجماهير الطبقي، و قد سمينا هذا الاختيار "حرب العصابات المتنقلة" وهو الاختيار الذي تنهجه بعض المجموعات الثورية في أمريكا اللاتينية والتي يسميها البعض"نظرية الفوكو، و قد قمنا بنقد هذه النظرية في دراسة "مختلف أشكال العنف الثوري". و بطبيعة الحال لا يمكن للثوريين أن يرفضوا حرب العصابات

المتنقلة و حتى الإرهاب، لكن أن يظل مجرد تكتيك في استراتيجية ثورية شاملة تعتمد على قوة الجماهير، هي استراتيجية حرب الشعب التي لا تقهر.

10. إن تطبيق هذه الاستراتيجية يتطلب تهييئا عسكريا منظما، و بالدرجة الأولى أطر عسكرية قيادية، فقد اعتبرنا دائما أن مهمة التهيئ العسكري ليست مسألة مؤجلة حتى "نضج الشروط"، بل اعتبرناها إحدى مهام الحركة الماركسية اللينينية الراهنة التي لا تقبل التأجيل، و ربطناها بمهمة بناء منظمة ماركسية لينينية واحدة طليعية صلبة و راسخة جماهيريا، ذات خط ثوري سديد، و وضعنا في مركز هذا التهيئ، وضع خط عسكري للثورة المغربية، ينبع من التطبيق الخلاق للماركسية اللينينية على واقعنا الملموس، وحددنا كمهام في هذا المجال، إنشاء مدرسة عسكرية تعمل على بلورة هذا الخط و تنشئة الأطر العسكرية القيادية، و هذه الأطر العسكرية هي التي أسميناها أنوية مسلحة ضرورية لقيادة و تنظيم انتفاضات الفلاحين المنسقة، و هي أيضا و بصورة جدلية أنوية الجيش المغربي الأحمر الأولى و قيادته.

تلك كانت بعض الخطوط العريضة لمساهمة منظمتنا في بناء الخط الماركسي اللينيني السديد للثورة المغربية، الضروري لقيام وحدة الماركسيين اللينينيين المتينة كمهمة تاريخية عظيمة، على أساس دمج الحقيقة العامة للماركسية اللينينية بواقع ثورتنا الملموس، يمكن للرفاق أن يوسعوا اطلاعهم عليها بدراسة جريدتنا المركزية و مختلف نشراتنا و كراساتنا.

إن هذا النقاش الجاري بيننا هو مكسب هام جدا، و أن السير بهذا النهج السديد الذي يتبعه حاليا نقاشنا و صيانته، بتطويره باضطراد، سيشكل في حد ذاته انتصارا هاما للحركة الماركسية اللينينية، و انتصارا للخط الثوري السديد.

و قد قمنا في صياغة هذه المساهمة بتلخيص وجهة نظرنا في عدد من القضايا الرئيسية و تجنبنا عددا آخر منها، أو أثرناها بصورة جانبية، رغم أنها ذات وزن كبير في تحديد الخط الماركسي اللينيني للثورة المغربية، معتبرين أن تقدما بهذا الصدد في هذه القضايا التي أثارها انطلاق نقاشنا، سيصل بنا إلى طرح القضايا الأخرى، و سيضع أسس الممارسة النضالية الموحدة، متقدمين هكذا بالتدريج نحو صياغة خط موحد.إن الاستمرار في هذا النهج و ضمان المساهمة الفعالة الإيجابية لجميع الماركسيين اللينينيين المخلصين من جميع المنظمات

دون استثناء، سيمكننا من السير قدما في بلورة خط الثورة المغربية، و بناء وحدة الحركة الماركسية اللينينية المغربية، التي يتطلبها الوضع الراهن كخطوة ضرورية أولى في بناء حزب البروليتاريا الماركسي اللينيني.

عاشت وحدة الماركسيين اللينينيين المغاربة

عاش حزب البروليتاريا الماركسي اللينيني

الخط الجماهيري ودور المنظمة الجماهيرية

1974
-خطة عملنا داخل "جمعية المغاربة بفرنسا"-

لقد أصبح من الضروري استنتاج ممارستنا في "جمعية المغاربة بفرنسا"، ومركزة النقاشات التي تدور ما بين المناضلين داخلها، حتى نجردها من الطابع المجزأ والهامشي ونعطيها الصبغة السياسية التي تسمح بتوضيح أفكارنا وإنارة توجيهاتنا. وبالتالي إبراز الأفكار الرئيسية وتوضيح المعضلة الحقيقية التي تحكم علاقاتنا بهذه المنظمة الجماهيرية.

سنحاول هنا تدقيق هذه المعضلة وتسطير بصفة ملموسة أهدافنا في المدى القريب والبعيد ثم إبراز برنامج عملنا داخل "الجمعية".
وقد يستلزم كل المناضلين إغناء هذه التوجيهات بآرائهم وانتقاداتهم وذلك بالخصوص في إطار الندوة المحددة للقطاع العمالي.
وبالطبع يجب اعتبار أن هذه التوجيهات تخص "الجمعية" على شكلها وحدودها الحالية.
يتضمن هذا النص 3 أقسام وهي :

1. تذكير تاريخي.
2. الخط الجماهيري ومهامنا القيادية : حصيلنا السياسي.
3. أهدافنا وبرنامجنا.

1. التذكيرالتاريخي.

أ. قبل 1970:

إن تطور الجمعية قبل هذه السنة لا يكتسي أهمية كبيرة بالنسبة للمشاكل الحالية, ولهذا سنقتصر على النقط الأساسية لهذه المدة.

لقد تشكلت الجمعية قبل الاستقلال, وعرفت منذ تكوينها تسميات مختلفة. وبوجود المناضلين الطلبة والمثقفين لحزب الاستقلال أصبحت الجمعية لا أقل ولا أكثر غطاء ومركزا لنشاط هذا الحزب. ولم تكن في أي وقت طول هذه المدة, منظمة جماهيرية كما نفهمه نحن.

لكنها شكلت خيط ارتباط قوي ما بين حزب الاستقلال والمغاربة المهاجرين(عمالا وتجارا), حيث سمحت بمساهمة المهاجرين في النضال من أجل الاستقلال, على الأقل على مستوى الاكتتابات المالية.

وكانت للسلطات الفرنسية تصرفا غامضا اتجاه الجمعية كما هو الحال بالنسبة ل"جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا" التي كانت تشكل منبرا آخر للوطنية في المغرب العربي. وكانت الجمعيتين ترتكزان كثيرا على طابعهما الديني.

أما بعد الاستقلال فالعامل المهم الذي طبع تطور الجمعية هو الانشقاق الذي حدث في حزب الاستقلال والذي أدى إلى تكوين حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية سنة 1959.

وبعد الصراعات الحادة التي كانت في فروع حزب الاستقلال بفرنسا, استطاع الاتجاه المحرك من طرف بنبركة أن يستولي على فدرالية أوطم وفي نفس الوقت الجمعية, وذلك ابتداء من سنة 1957-1958.

إن أهم النقط التي طبعت طول هذه المرحلة حتى سنة 1970 هي :

1. لم يكن ا.و.ق.ش(الإتحاد الوطني للقوات الشعبية) يضع أي فرق أو ميز ما بين نشاط الجمعية كمنظمة جماهيرية ونشاط الحزب كحزب سياسي. مما أدى به إلى استعمال الجمعية كمركز للحزب, سواء فيما يخص اجتماعاته أو استقبال مسؤوليه الوطنيين أو كمكتب لعلاقات الحزب مع الصحف والشخصيات والمنظمات...

2. إن احتكاره المطلق للجمعية وصل إلى حد أنه كان يمنع على العمال المشكوك في انتمائهم للحزب الشيوعي المغربي المساهمة في أي نشاط أو أخذ مسؤولية ما داخل الجمعية.

وبالنسبة للطلبة المنتمين ل ا.و.ق.ش. كانوا يعتبرون مقر "الجمعية" (20 سوربونط) كمقر حزبهم والجمعية كلها كمنظمة تابعة لحزبهم وبهذا يرفضون للطلبة أعضاء الحزب الشيوعي المغربي أن ينخرطوا في الجمعية أو يتواجدوا فيها بصفة أو بأخرى. ما عدا لما كانوا يستدعونهم إلى المقر من أجل التفاوض ما بين الحزبين في إطار التهيئ لمؤتمرات أوطم.

3 . هذا مع الاحتفاظ بالطابع والشكل القانوني للجمعية (طبقا لقانون 1901 الفرنسي). وكانت المؤتمرات تعقد ما بين أعضاء الجمعية الذين هم في نفس الوقت أعضاء ا.و.ق.ش. وينتخب المؤتمر شكليا رئيسا (تاجرا أو عاملا) والذي لم يكن يحتل أبدا مهمته بما أن المكتب والرئاسة الفعلية تخصص لمداوم الحزب, ذلك النوع من البيروقراطي الذي يترأس الهياكل الشكلية للجمعية. إن تذكيرنا لهذه الجزئيات يفيدنا من حيث إبراز بالخصوص للمناضلين الجدد داخل الجمعية كيف أنها لم تعرف أبدا أي استقلالية ولو نسبية اتجاه الأحزاب التي كانت تسيطر عليها. إن هذا الاستعمال المطلق والاحتكار التام للجمعية, لم يتوصل ا.و.ق.ش إلى تطبيقه على أوطم وذلك نتيجة التناقضات الداخلية لحزب الاستقلال إذ ذاك وما كان يسعى إليه المهدي من الحفاظ على سمعته وبالتالي السماح بنسبية من الاستقلالية والديمقراطية داخل أوطم.

4. خلال مدة الاتحاديين عرفت الجمعية تطورات مختلفة في أنشطتها, سواء في اتجاه الجمود أو الحيوية, حسب تطورات ا.و.ق.ش. محليا, وحسب الاتجاه السائد داخله وحسب المداوم أو المسؤول السياسي للحزب داخل الجمعية (مثل المهدي العلوي أو اليازغي أو عمر بن جلون أو الجوهري أو السي ناصر الدباغ...). وكانت أنشطة الجمعية منقطعة, مثل محاربة الأمية أو الرياضة أو اجتماعات رمضان أو سهرات ثقافية... وكذلك بالنسبة للجريدة التي كانت تظهر أو تختفي بعد عدد أو اثنين في السنة. أما نشاطها السياسي فكان يقتصر على بعض الندوات حول الأحداث الوطنية. أما العلاقات مع النقابة فكانت تتميز في البداية بالحذر اتجاهها ثم فيما بعد التعامل معها وتشجيع العمال على الانخراط فيها.

5. وفي سنوات 68-69-70, عرفت الجمعية مرحلة الجمود التام, نفس الجمود الذي عرفه ا.و.ق.ش. محليا نتيجة انعدام قيادته. هذا الفراغ القيادي أدى بمناضلين قاعديين ل ا.و.ق.ش. أن يمروا إلى الصف الأول داخل الجمعية. وذلك في حدود المركز يعني بناية المقر. وبمعنى آخر فلقد كانت العناصر التي تعيش في المقر نفسه هي التي تستطيع أن تندمج تدريجيا في الهيئات القيادية للجمعية. وأحسن مثال على هذه الظاهرة هي وضعية الرئيس الحالي للجمعية[1]

1 . إن هذا المثال لا يهدف تماما نقدا شخصيا، بل فقط من أجل توضيح "عوائد" الجمعية والتي لازلنا نشاهدها إلى حد الآن.

ب. بعد سنة 1970:

يستلزمنا التمييز ما بين فترتين لهذه المرحلة : الأولى قبل وصول رفاق "23 ملرس" والثانية بعد تدخلهم في حياة الجمعية.

1. من سنة 1970 إلى سنة 1972 :

هناك 3 ظواهر حددت الاتجاه الجديد للجمعية خلال هذه الفترة :

- الظاهرة الأولى وهي بروز مناضلين عمال يبحثون عن التحرر من وصاية بيروقراطيي ا.و.ق.ش. المسيطرين على الجمعية, وذلك في حدود صراع الاتجاهات داخل الحزب.

- الظاهرة الثانية تهم المناضلين العمال الشباب الذين كانوا مرتبطين بمنظمات أقصى اليسار الفرنسي بعد ماي 68, والذين توجهوا إلى المنظمات الوطنية بعد فشل أقصى اليسار الماوي بالخصوص.

- الظاهرة الثالثة وهي تخص العمل الذي قامت به منظمتنا في القطاع العمالي, رغم طابعه الحركي والعفوي إذ ذاك, وذلك سواء في الميدان الدعائي, حيث أن "الطريق الوحيد" كجريدةشرعية, أو المساهمة في النضالات المطلبية أو القيام بحملات مناهضة القمع وخاصة خلال محاكمة مراكش, كل ذلك ساهم في التأثير الإيديولوجي والسياسي على مناضلي الجمعية وكذلك ساعد المناضلين المرتبطين بالمنظمات الفرنسية على الاهتمام والنضال داخل المنظمات الوطنية.

إن التقاء كل هذه العوامل كانت بإمكانها أن تؤدي إلى خلق شروط تأسيس منظمة عمالية مستقلة وجماهيرية فعليا, لولا لم تكن منظمتنا قد ارتكبت أخطاءا منعتها من الوصول إلى هذا الهدف.

الخطأ الأول يكمن في كوننا أهملنا الإمكانيات الموجودة داخل الجمعية وركزنا على اتجاه خلق جمعية شرعية أخرى, واعتبار المحاولات التي قمنا بها في البداية داخل الجمعية وما وضعه الاتحاديون من عراقيل, كمحاولات فاشلة ونهائية.

الخطأ الثاني يتعلق بالطابع التجريبي الضيق للخط المتبع إذ ذاك, والذي كان يرى العمل داخل الجمعية من الجانب القاعدي والمحلي فقط, دون أي مشروع سياسي شامل يعتبر الجمعية من زاوية شاملة سياسيا وتنظيميا. هذا المفهوم "القاعدي" للخط الجماهيري كان يمنع ويرفض كل تفكير حول مشكل توجيه الجمعية وبالتالي قيادتها. بمعنى آخر, فاتجاه الفراغ السياسي الذي تركه ا.و.ق.ش. تبعه الفراغ السياسي القيادي لمنظمتنا واقتصرنا على العمل في القاعدة.

وإن كان لهذا المفهوم جانبا إيجابيا من حيث محاولته لتعويض جمعية منحصرة في مكتب ورئيس, بجمعية ذات قاعدة عمالية فعلية وفي أهم المراكزالعمالية (خاصة جونفيلي / آنيير), وإن كان الأمر كذلك, فمن اللازم التأكيد على الجوانب السلبية والخسارات التي سببها هذا الخط العفوي.

2. ابتداء من سنة 1972 :

ابتداء من هذه السنة وجد الفراغ القيادي للجمعية حله, حيث أن الرئيس الحالي للجمعية ومناضلون آخرون طلبوا النقاش مع الحركة الماركسية اللينينية وكانت منظمتنا إذ ذاك في ظل ممارستها العفوية و"القاعدية" ترفض هذا النوع من النقاش الذي يؤدي إلى الاستقطابات, باعتبار أن الكل يجب أن يمر من "الممارسة اليومية القاعدية".

ومع خروج الرفاق القياديين ل"23"(أي 23 مارس) من المغرب ولجوئهم إلى الخارج في سنة 1972 , وجد هؤلاء المناضلون المذكورون أعلاه, من يناقش معهم دون شكليات.

وهنا من اللازم توضيح بعض الأشياء : إلى حدود 1972 لم يكن لمنظمة "23" أي تمركز في الخارج, وكانت منظمتنا وحدها, وقد ناسب وصول رفاق "23" إلى الخارج الظرف الذي كانت ستتوحد فيه الحركة الماركسية اللينينية لكن رفاق "23" من القيادة الوطنية كانوا يسعون في نفس الوقت في تقوية اتجاههم أكثر ما يمكن قبل اندماج المنظمتين. وبالتالي كان هدفهم الأول هو تجميع قاعدة في كل من القطاعين الطلابي والعمالي. ومفهومنا المثالي للوحدة إذ ذاك لم يرى أي تمييز ما بين المنظمتين. مما جعلنا ندمج رفاق "23" في كل أنشطتنا وأدواتنا الدعائية وبعض هياكلنا التنظيمية, سواء في القطاع الطلابي أو العمالي, باعتبار أن الكل مشترك وهو في اتجاه تكوين منظمة واحدة. وقد شمل هذا العمل المشترك حتى مشروع خلق جمعية شرعية عمالية. ولما ظهرت إمكانية النقاش مع بعض عناصر القيادة الحالية للجمعية, عن طريق المناضل المذكور أعلاه, اتفق على الاهتمام من طرفهم بذلك وفي نفس الوقت تهيئ شروط قاعدة الجمعية في المنطقة التي تتواجد فيها منظمتنا.

هكذا لم يتأخر رفاق "23" من تلبية نداء مناضلي الجمعية والوعي بأهمية ذلك الإطار وبالتالي الهيمنة على قيادته. خاصة بعد المؤتمر الثامن للجمعية في يناير 73 , والذي أدى إلى تغلب الاتجاه المعارض ل ا.و.ق.ش. والمتكون من المناضلين المذكورين أعلاه والمناضلين الذين كانوا مرتبطين بمنظمات أقصى اليسار الفرنسي. مما سمح بالخروج بملتمس سياسي متقدم للجمعية, وفي حدود معارضة مواقف ا.و.ق.ش. دون إمكانية تغيير جذري للمواقف السابقة سياسيا وتنظيميا, وبالتالي بدون تغيير جذري في مستوى ممارسة

الديمقراطية الجماهيرية. وتشكل مكتب الجمعية من هؤلاء المناضلين وبعد الاصطدام مع مناضلي ا.و.ق.ش. وانسحابهم عند فشل مناوراتهم ضد المناضلين المتقدمين.

ورغم الممارسة "المشتركة" لمنظمتينا, ونظرا للبرالية ومثالية ممارستنا الوحدوية, استطاعت "23" أن تدعم هيمنتها على الجمعية وتستعمل الاستشارة "الوحدوية" معنا لتحميلنا, اتجاه القاعدة, مسؤولية لم نكن نشارك فيها في الواقع (ويمكن ذكر الكثير من الأمثلة التي تبين هذا الواقع والتي عاشها عدد كبير من المناضلين : مهرجان "الموتوآليتي" أو المظاهرة في كليشي...).

والآن بعد أن أوضحنا مسؤولية منظمتنا في الصيرورة التي اتبعتها الجمعية, من اللازم أن نرى إلى أين أدت هيمنة "23" على الجمعية.

يمكننا أن نقول أن منظمة "23" لم تفعل لا أقل ولا أكثر إلا أن ورثت ممارسات حزب الاستقلال و ا.و.ق.ش. داخل الجمعية. يعني استعمالها كغطاء ومقر يؤدي خدمات الحزب. مع هذا الفرق أنه لأول مرة يوجد داخل الجمعية اتجاه سياسي آخر (إلى الأمام) بإمكانه أن يحارب هذه الممارسات ويمنع استعمال الإطار الجماهيري كغطاء لمنظمة سياسية ما. زيادة على نضج المناضلين العمال ورفضهم لهذه الممارسات. الفرق الثاني والجوهري, هو أنه كانت "23" لا تختلف كثيرا من حيث الممارسات اللاديمقراطية والبيروقراطية, عن ا.و.ق.ش., فهي تختلف كثيرا وكيفيا عنه من الناحية الإيديولوجية. وقد شكل هذا تناقضا مفيدا. لأنه لا يمكن لأي كان أن يعتبر نفسه ماركسيا لينينيا, وينشر الأفكار والشعارات السياسية والمتقدمة, وفي نفس الوقت يخنق الجمعية في القفص ويمنعها من التطور الطبيعي كمنظمة جماهيرية واسعة. وإننا نشاهد اليوم نضوجا لهذا التناقض, نتيجة عواقب ممارسات "23".

كما أنه لا يمكننا أن ننفي الدينامية الجديدة التي خلقت داخل الجمعية بفضل حيوية مناضليها العمال والذين كانت قيادة "23" تستعمل بصفة ذكية حركيتهم النضالية.

لكن اليوم اختلف الأمر, لأن المناضلين العمال بدأوا يرفضون الوصاية البيروقراطية ل "23" و"عوائد" المناورات و"النضال" في مقر المركز. وقد هيأوا كذلك شروط البديل وتوفير قيادة فعلية مرتبطة بالنشاط الجماهيري للفروع.

2. الخط الجماهيري ومهامنا القيادية

كل ما سبق أن ذكرناه يبرز بوضوح أن الجمعية تشكل موضوعيا معضلة سياسية كبرى في نضالاتنا السياسية. لقد تكلمنا كذلك على المفهوم

السابق الخاطئ للخط الجماهيري الذي كان يمنعنا في تلك المدة من التفكير في الجمعية كمسألة شاملة.

أما الآن فإن الشروط الإيديولوجية والسياسية الحالية تسمح لمنظمتنا من أن تحدد توجيها واضحا وبالاعتماد على حصيل ممارستنا داخل الجمعية. رغم أنه لا زلنا نعاني من رواسب التفكير التجريبي المحلي والمجزأ والذي يؤدي إلى تكرار تلك الممارسات بصفة روتينية والشعور بالعجز اتجاه ممارسات "23" وسيطرتها على الجمعية.

إن التناقضات التي برزت اليوم في الجمعية, نتيجة ممارستنا وممارسة "23" وصلت إلى الحد الذي يفرض علينا التفكير وتوضيح ما كان "يغمضه" الروتين لحد الآن. وسنقتصر هنا على تحديد بعض الدروس الأساسية لهذا الحصيل وتوجيهات عملنا في المستقبل.

1. العمل ذو المدى الطويل داخل الجماهير ودور المنظمات الجماهيرية.

إن المكتسب الثمين لممارسة منظمتنا لما قبل 1972, هو كونها ركزت على دور الجماهير والحركة الجماهيرية في السيرورة الثورية. والخطأ كان يكمن بالضبط في كونها ركزت على هذا الجانب على حساب الجانب الآخر الضروري ألا وهو التنظيم, والذي بدونه يصبح الجانب الأول لا أقل ولا أكثر مجرد حركة عفوية بدائية.

ويعني هذا أن عمل المناضلين الماركسيين اللينينيين لا يقتصر على نشر الأفكار والشعارات أو المشاركة في حياة ونضالات الجماهير فحسب, بل كذلك تنظيم هذه الجماهير وقيادتها. لأن المناضلين الشيوعيين هم كذلك المنظمون.

وهذا ليس بشيء بديهي. على المناضلين أن يجعلوا من مسألة التنظيم مركز اهتماماتهم, أن يفكروا فيها باستمرار, ويبرهنون في ممارستهم اليومية على الفكر الخلاق والجريء للتقدم في مسألة التنظيم.

كنا نعتبر في الماضي أن الهدف من عملنا ذو الأمد الطويل هو الرفع من مستوى وعي الجماهير ونضج المناضلين البروليتاريين المحررين من وصاية "المثقفين". وفي هذا الصدد لم تكن تحركنا لا مسألة الوقت والتنافس في الاستقطابات مع أي اتجاه سياسي كان ولا مسألة أخذ "السلطة" في المنظمات الجماهيرية. لكن هذه "الصفائية الثورية" كانت تؤدي بنا إلى التبعية والعفوية دون أي "نتيجة" ملموسة لا في المدى القريب ولا البعيد.

وبعد الفشل الذي تلقيناه, بدأنا نفهم أن العمل ذو المدى الطويل, ليس هو مثل ذلك الرجل الذي يحمل الصخرة إلى قمة الجبل ثم يتركها تسقط من جديد إلى منطلقها ويكرر العملية باستمرار وبدون ملل. إن الفشل الأول كان نتيجة نجاح الخط العفوي, وقد تجلى ذلك عندما كان المناضلون العمال يتجهون إلى منظمتنا وهم يحسبوننا كمنظمة جماهيرية ذات أنشطة جماهيرية, علنية وبدون أي حياة

تنظيمية داخلية. هكذا تكاثرت "لجن النضال العمالية" على أسس حركية, وتفسخت كلما تعترضنا الصعوبات السياسية أو التنظيمية أو انخفاض الحركية.

هذه التغيرات أدت بنا فيما بعد, وبدون تفكير عميق في هذه التطورات, إلى ضرورة إيجاد "جمعية" عمالية كنا نراها كمركز لقاء مناضلينا ومنطلق العلاقة مع الجماهير العمالية. وفي الوقت الذي بدأت تظهر فيه هذه الفكرة كضرورة إيجاد الخيط الرابط ما بين المنظمة (منظمة الثوريين) والجماهير الغير منظمة, اندحرت كل اللجن العمالية وأصبحت الجمعية المنفذ الوحيد للمناضلين الذين كانو يكونونها. وبهذا شكلت فروع الجمعية مركز تجمع المناضلين العمال الذين كانت لنا معهم روابط سياسية غير مضبوطة.

وقد تسمح لنا ممارستنا اليوم بأن نفهم عواقب انعدام وسيلة الترابط مابين الجماهير الغير منظمة والمنظمة الثورية السياسية. وبمعنى آخر في انعدام ذلك كانت منظمتنا عمليا "منظمة جماهيرية" شبه سرية, يتجه إليها المناضلين العمال الحركيين الذين يشعرون بحاجية الإطار المنظم. الشيء الذي جعلها عاجزة عن تأدية الدور المناط بها لا كمنظمة طليعية ولا كمنظمة جماهيرية حقيقية.

إننا نريد التأكيد على هذه المسألة حتى يستطيع المناضلون الذين عاشوا هذه المرحلة من قريب أو من بعيد أن يتفهموا بأنفسهم ممارستهم في السنوات الأولى للحركة الماركسية اللينينية.

يمكننا أن نتساءل كيف أننا لم نستفد من المكاسب النظرية والعملية للحركة العمالية منذ لينين وبالضبط في مسألة التنظيم ؟ كيف أننا سقطنا في انحرافات سبق للينين أن حاربها وأصلحها ؟ كيف يمكن للحركة الماركسية اللينينية المغربية أن تمر من نفس الأخطاء "البدائية" والعمل الحرفي التجريبي, 70 سنة بعد ما أوضحه لينين في كتاب "ما العمل"؟

يمكننا أن نجيب, بأن الكتب ضرورية في إنجاز عملنا الثوري لخدمة القضية البروليتارية. لكن الكتب غير كافية في تبيان كل انعراجات الطريق الطويل والشاق الذي يؤدي إلى بناء الحزب البروليتاري الطليعي. فإذا كانت منظمتنا تتفهم اليوم أحسن معضلة الارتباط بالجماهير, الارتباط الجدلي المثمر مابين تطور المنظمة الجماهيرية والمنظمة السياسية الثورية, وأن تفهم كذلك ضرورة احترام خصوصيات المنظمة الجماهيرية وديناميتها الخاصة, فإننا لم نتوصل إلى ذلك إلا من خلال أزمات إيديولوجية وسياسية كثيرا ما تترتب عنها مواكب الذاتية وغيرها.

كما أنه إذا كانت تعليمات لينين تظهر لنا اليوم بصفة ساطعة, فذلك لكون تجربتنا السياسية الملموسة قد مكنتنا من استيعابها وإدماجها تدريجيا في ممارستنا الخاصة.

2. فما هي إذن العناصر الأساسية من إسهامات لينين في ميدان التنظيم التي بإمكانها أن توضح لنا معضلة ممارستنا وممارسة اليسار الماركسي اللينيني داخل "الجمعية"؟.

في السنوات الأولى من هذا القرن, كان لينين يتصارع بقوة على جبهتين؛ من جهة على مستوى النظرية من أجل الحفاظ على الطابع الثوري للنظرية الماركسية. ومن جهة ثانية على مستوى الممارسة من أجل إعطاء البروليتاريا الروسية, مسلحة بالنظرية الثورية, الأداة الثورية, يعني حزب البروليتاريا الطبقي الطليعي, والذي بدونه يستحيل تحقيق الثورة البروليتارية.

فهما جانبين مرتبطين لنضال واحد. ولكننا سنتطرق للجانب الثاني الذي يهم المشكل الذي نناقشه.

وسنكتفي هنا بالنقط الأساسية من مختلف الصراعات التي قام بها لينين حول المسألة التنظيمية.

لقد ركز لينين نيران نقده على انحرافين قاتلين للقضية البروليتارية :

أ. الانحراف الأول هو نزعة التنظيم المتآمر المغلوق, هذه النزعة تتأسس بصفة عميقة على فكرة برجوازية صغيرة, التي تعتبر أن الجماهير عاجزة من أن تلعب دورا حاسما في الصيرورة الثورية, وبالتالي تخصص هذا الدور إلى نخبة متعلمة عازمة ومتخصصة في العمل الثوري. وتعتمد استراتيجية هذا النوع من التنظيم على الإرهاب والانقلاب. ولقد أثرت هذه النزعة البلانكية كثيرا على الحركة العمالية وذلك حتى بعد تكوين الحزب البلشفي ونجاح ثورة أكتوبر[2].

ب. الانحراف الثاني وهوالذي يخلط ما بين منظمة الثوريين والمنظمات المهنية العمالية. وقد حارب لينين هذه النزعة داخل الحركة الاشتراكية الديمقراطية نفسها. ويتأسس هذا الاتجاه على نظرة اقتصادية وإصلاحية, والتي تتخلى نهائيا عن الطابع الثوري البروليتاري للماركسية وتفتح الأبواب إلى عودة الإيديولوجية البرجوازية داخل الحركة العمالية. وقد استطاع لينين أن يصفي إيديولوجيا هذا الاتجاه داخل الاشتراكية الديمقراطية الروسية (أنظر كتاب "خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء")

فما هي الفائدة من هذا التذكير؟ إننا نذكر ذلك لسببين :

1. لأن هذه الانحرافات تشكل ظواهر مستمرة وتبرز حتميا خلال الصراع الطبقي وبالتالي فهي موجودة في مجتمعنا كذلك, لكنها تبرز طبعا في أشكال خاصة. ونجد هذه التيارات سواء داخل ا.و.ق.ش-ا.ش (من عبد الله ابراهيم إلى بوعبيد وحتى البصري) أوداخل الحركة الماركسية اللينينية نفسها.

2. البلانكية جاءت من اسم الثوري الفرنسي "بلانكي", معاصر لماركس وهو من بين قادة كومونة باريس سنة 1870.

2. ثانيا لأنه يسمح لنا بتوضيح أن مفهوم لينين في المسألة التنظيمية لم ينبثق كحقيقة معطاة من ذاتها, بل انبثق عن الصراع ما بين مفاهيم متناقضة وعن تجاوز جدلي لهذه المفاهيم.

إن عبقرية لينين تتجلى في كونه استطاع أن يفهم بأن الحزب الثوري البروليتاري ينبني ويترابط حسب مفهوم جدلي يربط المنظمة الأكثر ضيقا وتمركزا وسرية للمحترفين الثوريين, بالمنظمات الأكثر اتساعا والأقل مركزية وسرية والأكثر تنوعا, أي المنظمات العمالية والمنظمات المفتوحة على كل فئات الشعب.

إن تطبيق هذا المفهوم التنظيمي بصفة خلاقة هو سلاح ماضي بين أيدي البروليتاريا. ولقد برهنت عن ذلك ثورة أكتوبر بقيادة الحزب البلشفي المبني على هذا الأساس.

إن هذا النوع من المنظمة التي تغرس جذورها في الجماهير, تسمح بانتشار وتغلغل الأفكار والشعارات الثورية, كما أن ضيق ومركزية منظمة الثوريين تسمح بوحدة التوجيه والقيادة في العمل الثوري.

فما هي النقط التي يمكن أن تنير معضلتنا الخاصة من تعاليم لينين الثمينة؟

هي الفكرة التي تلح على أن المنظمة الثورية والمنظمة الجماهيرية لا تتنافيان فيما بينهما. على أنهما ليستا طرفين مفروقين ما بينهما, بل عنصرين من كل واحد. حيث يثمر الواحد ويعني هذا بالنسبة لنا, وهذه مسألة أساسية, هو أنه لا يجب أن نخشى أن تكون منظمتنا أكثر ضيقا, قوية المركزية والسرية, ومتكونة من الرفاق المكرسين حياتهم لخدمة البروليتاريا, مهيئين وقادرين على مواجهة المهام المعقدة المنوطة بأعضاء المنظمة والذين يتعاطون كلية وبصفة دائمة إلى عملهم كمحترفين ثوريين. كما أنه يجب أن لا نخشى الالتزام بعزم وصرامة في الطريق الذي اتخذته منظمتنا في بلادنا, لأنه الشرط الذي يضمن إنجاز المهام التوجيهية والقيادية واستمرارية المنظمة على كل الجبهات وفي كل المهام الثورية.

كما لا يجب أن نخشى اندماجنا في المنظمات الجماهيرية الموجودة وخلق أنواع المنظمات الجماهيرية الممكنة والحرص على أن تكون أكثر وسعا ممكنا.

وهذا الجانب الثاني هو الذي سنحاول تحليله هنا وبالتركيز على الجمعية خاصة.

إن مسألة الجمعية يكمن في وجود ممارستين متناقضتين داخلها :

1. إن "23" التي تمثل الاتجاه السائد داخل الجمعية, تستعمل الجمعية كمركز للاستقطابات وغطاء ومنبرا لأنشطتها السياسية. هذا الانحراف اليميني يعمل جاهدا على إخواء الجمعية من طابعها الجماهيري وضرب دورها الخاص المختلف عن دور المنظمة السياسية.

2 . ثم "إلى الأمام" التي لها دور نشيط في القاعدة, تطور في فرع أو اثنين الأشكال الصحيحة للعلاقة مع الجماهير والعلاقة بين المنظمة السياسية والمنظمة الجماهيرية وبالتالي تسمح للجمعية أن تؤدي دورها الخاص في ميادين أنشطتها وتوجيهاتها الخاصة.

لكن اتجاهنا هذا يبقى محدودا في بعض هذه الفروع ولا يؤثر على الجمعية التي لا تحد في القاعدة بل هو شيء متكامل.

وإذا نظرنا إلى المسألة من زاوية مصلحة الحركة الماركسية اللينينية, يعني من زاوية مصلحة البروليتاريا والشعب, فنجد في الواقع أن "23 " عندما تحاول مراقبة الجمعية, بصفة ضيقة, سياسيا وتنظيميا وعلى جميع المستويات وكل ميادين أنشطتها, فبهذه السيطرة البيروقراطية إنها لا تخدم القضية الثورية. خاصة لما نرى عواقب ذلك في ابتعاد أحسن العناصر العمالية عن الجمعية وتضييق قاعدتها. ونكون نحن كذلك خاطئين لما نستمر في "عملنا الجماهيري" على المستوى المحلي, ولا نهتم كلية بمسألة التوجيه العام والقيادة المركزية للجمعية وبالتالي ترك المجال للآخرين لقيادتها وإصدار جريدتها, مما يؤدي عمليا إلى نهج ضمنيا "مفهوم" القطاعات الخاصة لكل تنظيم (يعني أن "23" تطبق توجيهاتها في "بيتو" ونحن نطبق توجيهاتنا في فرع جونفيليي-أنيير).

هذا الواقع يفرض على الجمعية أمر سيطرة المجموعات السياسية على أجهزتها وتضييق مجال "التسييس" ما بينهما، في الوقت الذي يطرح على الجمعية أن تتوجه إلى أوسع الجماهير العمالية.

إن هذا الوضع, وما نتج عن الممارسات الخاطئة للاتجاه السائد (23) يفرض علينا إيجاد الوسائل الكفيلة بتطوير الطابع الجماهيري للجمعية واستقلاليتها بالنسبة للمنظمات السياسية.

ولقد سبق أن أوضحنا أنه كلما تطور الطابع الجماهيري للجمعية من حيث التوجيه والأنشطة والتركيب, كلما تدعم طابعها المستقل كمنظمة جماهيرية, وبهذا نخدم أهداف الحركة الماركسية اللينينية عل المدى القريب والبعيد.

ولا يمكن أن يكون أي خلط ما بين منظمتنا الماركسية اللينينية والجمعية كمنظمة جماهيرية, وذلك سواء في مستوى التوجيه والمهام والتنظيم والتركيب. إن دور الجمعية يتجلى في كون ارتباطها بأوسع ما يمكن من العمال المهاجرين وهذا لا يمكن أن يتم إلا على أسس واسعة, تلك الأسس التي تهتم وتستجيب لمعالم ومطامح الجماهير العمالية بالهجرة وبالتالي على أساس برنامج يرتكز على المطالب العاجلة في إطار البرنامج الديمقراطي الراهن. كما يتطلب ذلك نهج أساليب سديدة تسمح للجميع وبارتباط حيوي مع الثقافة الوطنية

والطاقات الخلاقة للجماهير العمالية نفسها.

حسب الظواهر الحالية, إنه من السهل جدا أن تخلط الجماهير العمالية ما بين الجمعية والحزب السياسي. ولا يكفي أن نقول للعمال أن الجمعية ليست حزبا. إن ذلك سوف لا يزيل شكوكهم.

ولهذا يجب أن نتوصل في الممارسة إلى الدرجة التي يمكن فيها للعمال أن يلمسوا بأن الجمعية هي منظمتهم وأنها في خدمة مصالحهم, وليست "فخ" من أجل "تدويخهم" سياسيا, كما أظهرت لهم ذلك التجربة أيام "الاستقلال" و"الاتحاد الوطني للقوات الشعبية". وإلا فسنكون نفتح المجال "للوداديات" أن يتصرفوا كما شاءوا.

وانطلاقا من معرفتنا للحاجيات والمطامح والمشاكل للجماهير نستطيع تطوير العلاقات ما بين المنظمة والجماهير والمناضلين الأكثر نضالية, ومن هنا يتجمع المناضلون بصفة طبيعية حول الجمعية لأنها تكون في خدمة الجماهير العمالية.

إن الفشل الذي عانينا منه يرجع إلى الخط السياسي الخاطئ الذي مارسناه وبالأصح إلى انعدام الانسجام في الخط السياسي. وليس من الغريب أن نكون قد سجلنا نتائج ضئيلة لحد الآن.

ولكن ليس من الطبيعي تماما القول أنه على كل حال نحن نعمل حسب المدى الطويل في الوقت الذي لا نسجل فيه نتائج وتقدم ملموس في عملنا الثوري.

إن إحكام سيرورة بناء الحزب البروليتاري تتطلب الوضوح في الأهداف والوضوح في المراحل التي تؤدي إلى نهاية هذه السيرورة. ويعني هذا بالنسبة لنا, بصفة ملموسة, أن تكون كل اهتماماتنا مركزة على إيجاد الخط السديد, وإعطاء الجمعية توجيهات سديدة واختبار ذلك باستمرار على ضوء الدروس المستنتجة من ممارستنا. وفي نفس الوقت يجب أن نعرف كيف نحارب القلق البرجوازي الصغير والتراجع أمام الصعوبات ومشاق الطريق الطويل.

وإن تأكيدنا على هذا ليس مجانا لأنه إذا استطعنا نحن التحكم في ذلك, فلا يمكننا التحكم فيه عن طريق "23 " التي ستحاول الاستمرار في استعمال الجمعية كمكان استقطاباتها "وتوسيع قاعدتها العمالية". وإذا نحن انسقنا في عملية التنافس معها, فسنضرب كل التوجيه الذي نحدده وبالتالي الدخول في ممارسة المسابقة وقتل كل إمكانية تطوير الجمعية إلى منظمة جماهيرية فعلية.

ولهذا يجب علينا دائما أن نطرح السؤال "ماذا نريد؟" "ماهي أهدافنا؟" حتى لا نسمح في أهدافنا الخاصة ونتسابق مع الجيران.

بالطبع إنه من الممكن أن نضاعف عدد العمال داخل المنظمة. لكن أسيكون ذلك على أسس سياسية واضحة ونكونهم كمناضلين ماركسيين لينينيين أم نجعل منهم عمال دخلوا للمنظمة على أسس عاطفية وحلقية؟

إن هدفنا في المدى البعيد, هو تكوين من بين العمال المهاجرين, الأنوية الماركسية اللينينية والأطر البروليتارية الطلائعية القادرة على القيادة السياسية للنضالات الجماهيرية بالهجرة والقادرة في البلاد على تأدية مهامها الثورية داخل العمال أو الفلاحين, والذين يستطيعون الرفع من الوعي السياسي والتنظيمي لأوسع الجماهير العمالية بالهجرة حتى تقوم بدورها في الصراع الطبقي ببلادنا وبالهجرة. وذلك بتنمية المنظمات الجماهيرية الخاصة بالعمال المهاجرين والمرتبطة بالمنظمات العمالية الأخرى المحلية.

إن المرحلة التي نجتازها اليوم هي مرحلة نشر أفكارنا وبرنامجنا كمنظمة ماركسية لينينية داخل العمال المهاجرين, مرحلة التجدر في المراكز الأساسية للعمال المهاجرين. وقد يسمح لنا تواجدنا في القطاع الطلابي أن نخلق شروط أنشطة جماهيرية وخلق فروع للجمعية, والعمل على أن يتحمل المناضلون العمال أنشطتها بصفة تدريجية وتنمية قاعدة عمالية واسعة لها. إن تحقيق هذه الأهداف ليست عملية بسيطة, وهذا رغم التقدم الذي سجلناه في فرع جانفيلي-آنيير وعملنا السياسي داخل معمل "شوصون".

وهنا يجب التمييز ما بين مسألتين.

3 "إن النجاح ليس دائما وبالضرورة مكسب".

فإذا كانت تجربة "شوصون" لها إيجابيات كثيرة, فمن المستحيل أن تتحول بذاتها إلى مكسب. لقد يتطلب هذا العمل الدؤوب من أجل تدعيم هذا النجاح وتعميق دراسة الحصيل واستنتاج الدروس الواضحة ونقاشها مع المناضلين والقاعدة العمالية التي ناضلت خلال هذه التجربة.

على مستوى الجمعية, يجب علينا أن نقوم بحملة التعريف بدور الجمعية انطلاقا من تجربة شوصون, ودراسة مشاكلها والتركيز على مسألة الديمقراطية داخلها وذلك حتى نتهيء للنقاشات التي ستجري في المؤتمر.

علينا أن نقود حركة النقد الموجودة حتى نستطيع تكسير الوصاية البيروقراطية ل"23" وفتح الطريق لإرساء استقلالية الجمعية وتطوير طابعها الجماهيري.

ومن اللازم أن نوضح ونشرح أنه ليس في صالح الجمعية ولا الحركة الوطنية الديمقراطية أن تستمر الجمعية على طبيعتها الحزبية الحالية. يجب أن تنفتح على كل المغاربة المهاجرين وعلى أساس برنامجها الديمقراطي.

إن المشكل ليس هو مسألة الحسابات السياسية الضيقة التي تحسب أولا وقبل كل شيء مسألة الأقلية والأغلبية.
يجب أن نخوض الصراع في شروط عادية, كما فعلناه في القطاع الطلابي وبوجود مختلف الاتجاهات الإيديولوجية والسياسية ابتداء من الحركة الماركسية اللينينية إلى القوى الديمقراطية البرجوازية. يجب أن نكون مستعدين لخوض الصراع من أجل انتصار أفكارنا وشعاراتنا .فيما يخص قوتنا الذاتية, إن المرحلة الحالية تحتم علينا مساهمة المناضلين الطلبة في الأنشطة القاعدية للجمعية.

3. أهدافنا وبرنامجنا

بعد أن حاولنا أعلاه توضيح ما هي المشاكل المطروحة في الجمعية وما هي أسسها السياسية والعملية, نتيجة الممارسات اليمينية والحلقية ل"23 " والانتظارية في ممارستنا, من اللازم الدخول عاجلا في مسيرة تصحيح التي تجعل حدا للتوجيه والأساليب الحلقية واللاديمقراطية السائدة حاليا داخل الجمعية.
من اللازم أن نخوض هذه المعركة حتى نخرج الجمعية من الجمود البيروقراطي التي تعاني منه ونعطيها ديناميتها وطابعها الديمقراطي والجماهيري. وفي هذا الإطار يطرح المؤتمر الذي طلبه فرع جانفيليي-آنيير والذي حدد مكتب الجمعية موعده لشهر دجنبر 1975.
واعتبارا لذلك, ما هي أهدافنا العاجلة داخل الجمعية؟

أ. فيما يخص التوجيه:

يجب أن نقترح أرضية ديمقراطية واسعة, تأخذ بعين الاعتبار الطابع الجماهيري والدور التقدمي الذي يجب أن تلعبه الجمعية.
يجب أن نعبر فيما يخص القضايا الوطنية عن المطامح الديمقراطية للجماهير الكادحة وتخصيص طرف مهم منها للأشكال الملموسة من الاستغلال والاضطهاد الذي تعاني منه الجماهير العمالية والكادحة من طرف الرأسمال الإمبريالي والكمبرادوري وتخصيص الطرف الكبير منها للمشاكل الخاصة التي تعاني منها الهجرة العمالية سواء منها التي تتعلق بالباطرونات الفرنسيين, أو السلطات الفرنسية أو قمع الأجهزة الدولية المغربية (السفارات والقنصليات, البنك الشعبي...) وتحليل ملموس وخاص بدور الوداديات وخطورتها.
وبالنسبة للتوجيه, فقد يوجد حاليا طابعه التقدمي في الجمعية. ولكن من اللازم أن ندافع ونسهر على أن تكون هذه الأرضية مضمونا وشكلا موجهة إلى أوسع العمال المهاجرين المغاربة, وليس تلك الأرضية التي تبقى مسجونة بين جدران مقر الجمعية.

يجب أن ننشر عند أوسع الجماهير بالهجرة عن طريق المناشير والملصقات والجريدة ...

أما فيما يخص العلاقات الخارجية للجمعية, فلقد أثبتت تجربة فرع جانفيلي-آنيير صحة الخط الذي يجب اتباعه وذلك انطلاقا من برنامجها الخاص نعمل على المساهمة مع كل القوى الديمقراطية السياسية والنقابية التي لا تتناقض جوهريا مع البرنامج الذي بهدف تحقيق مطمح العمال المغاربة بالخارج.

ويعني ذلك أنها تساهم في نضالات العمال المطلبية كذلك، دون أن تعوض بأي حال من الأحوال النقابات. ولقد أثبتت تجربتنا الأخيرة صحة هذا الاتجاه, وأفشلت بالملموس تلك الاتجاهات التي تعتبر الجمعية إما كمنظمة ذات أنشطة ثقافية واجتماعية فقط, أو الأخرى التي لا ترى في الجمعية إلا النشاط السياسي المنفصل عن المشاكل المادية التي تعاني منها الطبقة العاملة المغربية بالخارج. ومن هنا بالضبط، وانطلاقا من جماهيرية الجمعية وحدها داخل العمال ستستطيع أن تبني علاقاتها مع المنظمات الديمقراطية السياسية والنقابية وبأن تعمل حسب الأوضاع النضالية المختلفة أن تبني معهم مختلف أنواع الأعمال المشتركة. لأنه من اللازم تجاوز الفكرة التي لا تدمج نضال العمال المغاربة بنضال العمال المهاجرين ككل والعمال الفرنسيين ومنظماتهم الوطنية الديمقراطية.

تنبني هذه العلاقة على أساس الاحترام المتبادل لبرامج ومواقف كل من المنظمات وعدم الانسياق في أي حال من الأحوال في صراعات باسم الجمعية معها. وبهذا تصبح الجمعية منظمة جماهيرية مستقلة فعلية محترمة من طرف كل المنظمات التي تعمل معهم وذلك للحرص على جلب أوسع السند لها والتضامن معها.

ولهذا سنعمل في إطار الأرضية التي نقدمها إلى مؤتمر الجمعية على تدقيق هذه المسألة ضمن التوجيه العام وتجاوز كل الغموض والمشاكل التي طفت لحد الآن فيما يخص العلاقات الخارجية للجمعية. وأن يصبح ذلك واضحا عند العمال. كما يجب أن يصبح ذلك واضحا أن الجمعية هي جزء من الحركة الوطنية الديمقراطية في البلاد على صعيد الخارج. وبالتالي تدعيم روابطها بالأوطم كمنظمة جماهيرية للطلبة، وممثلي القوى الوطنية بالخارج. وهذا يعني أنه يجب نهائيا تصفية كل المراوغات الموازية هيآت الجمعية المنتخبة ديمقراطيا. ونعمل على أن لا تصبح استقلالية الجمعية مجرد شعار، بل أن يتجسد كذلك في انفتاحها على كل الاتجاهات الديمقراطية بدون استثناء. ولهذا يجب أن نحدد التوجيه والقوانين التنظيمية الديمقراطية لحياة الجمعية حتى نتجنب الفوضى والمناورات والاستبداد والفراغ الذي طبع الهيآت المركزية للجمعية. ولقد تبين خلال الممارسة ضرورة الربط المتين مابين المكتب المركزي والفروع التي تشكل قاعدة الجمعية. وكما ذكرنا، خلال كل النص، يجب أن تتركز معركتنا حول مسألة استقلالية الجمعية وطابعها الجماهيري وقضية

الديمقراطية داخلها. وبالتالي العمل على أن لا يبقى شعارنا "جمعية جماهيرية ديمقراطية مستقلة" مجرد شعار بدون مضمون.

ب. القيادة

فإذا كانت معركتنا تهدف توجيها سديدا للجمعية وأساليب العمل الديمقراطية، فلا يمكننا الدفاع عن ذلك دون أن نكون مستعدين لتحمل مسؤولياتنا في تنفيذها. مما يحتم علينا ضرورة محاربة كل اتجاه يحاول احتكار قيادة الجمعية. والموقف السديد في هذا الميدان هو الدفاع عن توجيهنا في القاعدة، ودون مراوغات مسبقة، ونكون مستعدين للنقاش البناء مع الاتجاه الآخر أو أي اتجاه ديمقراطي في المستقبل حتى نعمل على إبراز توجيه موحد ومشترك. وإذا تحقق هذا, فنحن مستعدين للمساهمة في القيادة على أساس توجيه وبرنامج مشترك. وإذا استحال ذالك, فما علينا إلا أن ندافع على أرضيتنا الخاصة حتى النهاية في المؤتمر.

إذا ما حسم المؤتمر ديمقراطيا لصالح أرضيتنا, يجب علينا أن نقدم مرشحين كافين للحصول على الأرضية داخل الهيآت القيادية وتشجيع الاتجاه الآخر للمساهمة فيها.

أما إذا كانت أرضيتنا تعبيرا عن أقلية, فنقدم عددا محددا من مرشحينا, إذا كان الاتجاه الآخر يريد الاكتفاء بالأغلبية فقط. أما إذا عبر عن إرادة احتكارية للقيادة, فندين بصرامة هذه الممارسة في المؤتمر, ونقوي أكثر معارضتنا اتجاه "23" الذي يهدف إلى السيطرة التامة على الجمعية.

أما من جهتنا ولو كان ميزان القوى لصالحنا, فلا نرى ضرورة لاحتكار قيادة الجمعية. ولقد سبق لنا أن برهنا عن ذلك في أوطم عند المجلس الفدرالي الأخير, وما تقديمنا إلا 3 مرشحين في المكتب الفدرالي عوض 5 لأبرز دليل على ذلك.

ج. فيما يخص المؤتمر نفسه

إن هدفنا الأول هو إعطاء توجيه سديد وواضح للجمعية, وتكسير الخناق البيروقراطي المفروض عليها من طرف "23".

ولا يمكننا تحقيق ذلك إلا بصراع مع رفاق "23", ما قبل المؤتمر, داخل المؤتمر, وربما بعد المؤتمر نفسه. وهذا يتطلب منا نهج الأساليب المطابقة مع مبادئنا ومع مصالح الجمعية. ويعني ذلك :

- تطوير النقاش حول المشاكل الأساسية المطروحة وعدم التأخر في الجزئيات اللاجوهرية. ويجب كذلك تجنب الانسياق في الجزئيات الغير مفيدة. ويكفينا إعطاء مثال واحد بارز لتأكيد انتقاداتنا.

- يجب علينا أن نحرص على أن لا يتخذ هذا الصراع طابعا حزبيا وحلقيا ما بين مجموعتين سياسيتين, أو يظهر كانتقام ما بينهما.

- ولا ننسى أن قوة الانتقاد تأتي من كوننا نبرهن على قدرتنا في نقد ممارستنا نفسها وتقديم نقدنا الذاتي حولها.

إن النقد الذاتي الموضوعي أمام الجماهير لرفيق أو لمنظمة كلها, لا يمكن أن يشكل بأي حال من الأحوال ضعفا من طرفنا وقوة لصالح الخصم, بل هو بالضبط دليل عن الحيوية الثورية.

إن الخصم يحاول دائما استعمال ذلك. وإذا كان قد يستفيد منه بصفة غير مباشرة, فالجماهير تلمس ذلك مباشرة وتحدد ارتباطاتها بالمنظمة الثورية على أسس مرتفعة كيفيا. وهذا هو الأساسي.

لقد ارتكبنا أخطاء عديدة في ممارستنا داخل الجمعية, ولهذا يجب علينا أن نعترف بها بكل شجاعة ونستنتج منها الدروس أمام قاعدة الجمعية.

- لا يجب أن نشخص النقد. فإذا كان لكل واحد مسؤولية في ممارسة جماعية, فيجب أن نتجنب الانسياق في حركة نقدية عفوية كثيرا ما تميل إلى تشخيص كل النقد في فرد واحد.

- ولهذا لا يجب تحميل كل مسؤوليات مشاكل الجمعية على رئيسها, خصوصا إذا كان هذا الأخير مناضلا مخلصا وفي نفس الوقت منساقا في ممارسة خاطئة ليس هو المبادر ولا المتحكم فيها.

إن المبدأ الذي يجب أن نتأسس عليه في هذا الموضوع هو علاج المرض من أجل إنقاذ الإنسان.

- أما فيما يخص صراع الأفكار والمواقف السياسية المتناقضة, فلا يجب أن ننسى الطابع المختلف للجمعية عن طابع أوطم. إن أوطم لها تقاليد خاصة في الصراع, وذلك نتيجة الطبيعة الخاصة التي يشكلها الطلبة كفئة اجتماعية مؤقتة ومقطوعة عن الحياة الاجتماعية. ولا يجدر بنا التطويل في هذه الخصوصيات البديهية. لكن يجب أن نأخذها دائما بعين الاعتبار, ولذا, في نقاشاتنا داخل الجمعية, يجب دائما أن ننتبه بأننا نتوجه إلى قاعدة عمالية لا زالت ضعيفة سياسيا, ولذلك يجب تجنب الكلام الثوري والجدل مع "23", بل الاجتهاد في شرح مواقفنا وتوجيهاتنا بصفة ملموسة وذلك وبكل جدية وبرودة ورزانة.

وبهذه الأساليب نكون قد ساهمنا في تصفية الجو داخل الجمعية وطورنا حياتها الديمقراطية. إن هذه الأساليب لا علاقة لها تماما ب"الاحتياطات الدبلوماسية". إنها المبادئ بالذات التي تجسد مفاهيمنا في الصراع الإيديولوجي, ووسائل حل التناقضات في صفوف الشعب والتي لا تفصل أبدا الصراع عن الوحدة, ولا تفصل الوحدة عن الصراع والنقد.

الجزء الثاني

ملف اليمين الجديد
من الإصلاحية إلى خط الردة

بيان من داخل السجن المركزي بالقنيطرة

إلى الشباب المغربي والرأي العام الديمقراطي

إننا باعتبارنا مسؤولين و أعضاء سابقين في منظمة "إلى الأمام"، ساهمنا في صنع تجربتها القصيرة، و قضينا جزءا من تاريخنا النضالي، إلى أن أحدثت القطيعة السياسية و التنظيمية بيننا و بينها منذ نهاية 1976، نعتبر أنفسنا ملزمين أمام الرأي العام الديموقراطي بإعلان موقفنا من تلك المنظمة، و من تجربتها السياسية و التنظيمية، و الأسباب التي دفعتنا إلى الإقدام على القطيعة النهائية معها.

و إن تبليغ موقفنا هذا إلى الرأي الديموقراطي، أصبحت تفرضه الظروف باعتبار محاولات التعتيم و التشويه التي تستهدف موقفنا و آرائنا، و لقناعتنا بضرورة تعميم وجهة نظرنا في تجربة نعتبرها نموذجا للفكر الانتهازي اليساري في البلاد، تجربة، قد تجد في الواقع الموضوعي من العوامل، ما يساعد على إعادة تكرارها، و لربما بأشكال أكثر طفولية.

1- ظروف نشأة منظمة إلى الأمام

لقد ظلت "إلى الأمام" منذ تأسيسها في صيف (غشت) 1970، تعيش أزمة سياسية مستمرة، لم تستطع تجاوزها باعتبارها أزمة بنيوية، لا ترتبط فقط بالتوجهات الإيديولوجية و السياسية التي سارت عليها، بل و ترتبط كذلك بوجودها كمنظمة، و بطبيعة المشروع السياسي الذي طرحته على نفسها منذ قيامها.

و إن الصراع الذي تفجر منذ سنة 1976 داخل مختلف المجموعات اليسارية بما فيها "إلى الأمام"، و لم يبق صراعا محدودا في قضايا تتعلق بالتوجهات الإيديولوجية و التنظيمية لهذه المجموعات، بل شمل مختلف الإشكالات المرتبطة بوجودها و تاريخها و ظاهرة بروزها في المجتمع. و طبيعي أن يكون التاريخ موضوع صراع حاد، لما يرتبط به من آراء حول التاريخ الاجتماعي و السياسي للمجتمع بأكمله، و لما توظف في إطاره هذه الآراء من دفاع عن تصورات سياسية حول الوضع الحالي للبلاد، بما في ذلك وضع تلك المجموعات و آفاق مستقبلها.

إن الفكر التبريري يصعب عليه الصمود، عندما يوضع وجها لوجه أمام وقائع التاريخ، و الحقائق الموضوعية، و عندما توضع هذه، منطلقا للجدال النظري و السياسي، و لوي عنق التاريخ من أجل الدفاع عن فكر، اختبر في الواقع و أثبت فشله التام، و عجزه عن حل أية مشكلة عملية، لن تكون نتائجها أحسن من تلك التي أدى إليها. ذلك ما سنحاول تبيانه من خلال عرض وجهة نظرنا في نشأة "إلى الأمام" والظروف التي أحاطت بها.

فلقد نشأت كغيرها من مجموعات الشباب، في إطار الظروف الاجتماعية و السياسية التي مر بها المجتمع المغربي، خلال سنوات 1970-1973، و التي تميزت باحتداد التناقضات السياسية في البلاد، تلك التناقضات التي كانت نفسها وليدة صراع طبقي دام حوالي 15

سنة، تعددت أشكاله و تميزت بالعنف و الحدة في عدة مراحل عاشها المجتمع المغربي ككل، بمختلف طبقاته و فئاته الاجتماعية و قواه السياسية، تمحور حول الاختيارات و التوجهات الطبقية المتناقضة، التي بدأت تتضح أكثر فأكثر، بعد تراجع الاستعمار عن احتلال البلاد.

إذا كانت قوى التقدم قد خسرت معركة ما بعد الاستقلال، و في خسارتها هاته، خسرت الجماهير الشعبية، أمالا و أحلاما عريضة، تولدت لديها خلال مرحلة النضال الوطني، فإن نتائج ذلك شاملة، سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا، إذ تم ضرب كل المكتسبات الديمقراطية التي فرضتها الجماهير، فساد القمع و الاضطهاد على مختلف المستويات، و عانت الأحزاب الوطنية التقدمية من ذلك منذ 1963 بالخصوص، و بات النهب و الاستغلال لا يعرف إلا تصاعدا، و اتسعت أطماع الطبقات و الفئات البرجوازية الطفيلية و الإقطاعية، و تزايدت أمام فراغ كل مجال يغادره المستعمر، أو تولده حاجة جديدة في المجتمع، و إذا كان هذا التوجه لم يمر الى حيز التطبيق دون مقاومة، إلا انها كانت جزئية و محددة و مشتتة.

و جاءت سنوات 1970-1973، سنوات تزايد الحقد الشعبي ضد السياسة التي سلكها الحكم، خلال المدة السابقة، و التي كان من نتائجها بروز تناقضات في صفوق السلطة الحاكمة، حول الاختيارات و التوجهات السياسية، عبرت عنها المحاولات الانقلابية في 10 يوليوز 1971 و 16 غشت 1972.

كما شهدت تلك السنوات أحداث سياسية هامة، منها تميز اتجاه 30 يوليوز، في إطار الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في سنة 1972، الذي سيتخذ له فيما بعد اسم الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، كما عاد حزب التحرر و الاشتراكية للعمل في إطار الشرعية، و في مارس 1973 انطلقت حوادث 3 مارس.

و وسط هذه الأوضاع الحافلة بالأحداث و الظواهر السياسية، شهدت الجامعة ميلاد المجموعات اليسارية و من بينها مجموعة "إلى الأمام".

و من الآراء التي سادت داخل "إلى الأمام" في السنوات الأخيرة، رأي يعتبر أن بروزها ارتبط بمرحلة "مد ثوري" عرفه المجتمع المغربي خلال سنوات 69-1970، و عبرت عنه الجماهير - على حد زعمها - ب "تجاوز" مزعوم للأحزاب الوطنية التقدمية، و"طرحت" البديل الثوري، و بالتالي، فتأسيس منظمتي "إلى الأمام" و"23 مارس" و الانفصال عن الأحزاب جاء تعبيرا عن ذلك التحول، و استجابة له، و عليه، فإن الانفصال و تأسيس تلك التنظيمات، يعد في نظر أصحاب هذا الرأي موقفا ثوريا، و مكسبا للجماهير و نواة لأداتها الثورية.

إن هذا الرأي يريد تقديم تلك المجموعات، باعتبارها النتاج الرئيسي للتطورات السياسية و الاجتماعية التي عاشتها البلاد آنذاك، و "محورها" الثوري الوحيد. إلا أن التاريخ الفعلي لبروز المجموعات اليسارية، يفند ذلك الادعاء، إذ أن انشقاقها عن الاحزاب الوطنية التقدمية، كان نتيجة مباشرة لمواقف برزت بشكل رئيسي، من وضع القطاع الطلابي الذي كان يعرف بعض المشاكل النقابية و السياسية. و انطلاقا من الخلافات التي برزت داخل الحركة الطلابية حول تلك المشاكل، بدأت بعض المجموعات الطلابية المرتبطة بحزبي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية و التحرر و الاشتراكية، تحاول إعطاء تلك الخلافات أبعادا تتجاوز القطاع الطلابي و المشاكل المحيطة به. و في هذا الإطار، و إلتجاءا إلى الأسلوب التعميمي نادت "إلى الأمام" لمشروع نظري سياسي، بتشكيل "بديل ثوري" مزعوم للقوى الوطنية التقدمية، "يقود" الطبقات و الفئات الشعبية نحو الثورة.

مجموعة من الطلبة بلورت أراءا حول بعض المشاكل النقابية و السياسية، التي كانت مطروحة داخل القطاع الطلابي، و انطلاقا من الصراع الدائر داخله، و على أرضية تلك المشاكل، طرحت على نفسها "قيادة" الشعب و بناء حزب ثوري ، و إنجاز الثورة في البلاد.

و قبل الدخول في مناقشة هذا الطرح، لا بد من تسجيل بعض الحقائق الملموسة بهذا الصدد:

أ - إن المجموعة التي طرحت على نفسها خلق "بديل" للأحزاب الوطنية التقدمية، كانت و منذ ظهورها مجموعة معزولة في المجتمع، و ليست لها علاقات اجتماعية و سياسية، إلا بالطلبة، بحيث برزت كإحدى تعبيرات الصراع السياسي و النقابي داخلهم، و لم تبرز كتعبير شامل في إطار المجتمع ككل، أو داخل طبقاته و فئاته الأساسية، و من تمة فإن طرحها للمشروع المتمثل في تشكيل بديل للقوى الوطنية التقدمية، طرح مغلوط من الأساس، إذ كيف يمكن إنجاز "بديل" في العدم؟ إن البديل لايتحقق انطلاقا من رغبة إرادية مجردة، بل إنه تعبير عن قوانين موضوعية، و عن مستوى للصراع الطبقي و السياسي. إنه يأتي نتيجة للقوانين الموضوعية للصراع الطبقي، و ليس نتيجة لرغبة أفراد كيفما كانت ثوريتهم و إخلاصهم الشخصي. و أن طرح مهمة تشكيل "بديل" للأحزاب الوطنية التقدمية، يعني أن هذه الأحزاب لم يعد لها أي دور في الصراع الطبقي و السياسي و الإديولوجي في المجتمع، أو أن هذا الأخير لم يعد يفتح لها المجال إلا لأدوار ثانوية و هامشية. و الواقع - كما سنفصل في ذلك فيما بعد - عكس ما يدعونه تماما.

ب- إن الانفصال عن الأحزاب الوطنية التقدمية، بدعوى تشكيل "بديل ثوري" مزعوم، أدى من الناحية العملية إلى تشكيل تنظيمات طلابية فكرا و ممارسة، و هذا شيء منطقي و طبيعي و منسجم تماما مع وضع المجموعات، التي شكلت تلك التنظيمات، و ارتباطاتها السياسية و الاجتماعية. و كان تشكيل "الجبهة الموحدة للطلبة التقدميين" و الانفراد بقيادة أوطم في المؤتمر 15 سنة 1972، قمة ما وصلت إليه تلك المجموعات الطلابية، بإعتبارها تمثل اتجاها فكريا و سياسيا و نقابيا داخل الطلبة. و كان من المستحيل على تلك المجموعات المعزولة، أن تشكل بديلا للأحزاب الوطنية التقدمية داخل القطاع الطلابي نفسه، رغم قابليته للتأثر السريع بالنزعات المتطرفة، فأحرى أن تطال مواقع تواجدها القطاعات الجماهيرية الأخرى و خاصة الأساسية منها.

ج- لقد كانت هذه المجموعات غير راضية عن الواقع الذي كانت تعيشه في تلك الفترة، الأحزاب التقدمية، بحكم التفكك التنظيمي و السياسي الذي عرفته ما بعد 1965. و هذا شيء عادي تماما. لكن الموقف العملي الذي إتخذته - الانفصال- جعلها في وضع لا يؤهلها للمساهمة في تغيير الواقع، إذ أن فهمها لوضعية الأحزاب بمعزل عن واقع المجتمع و الصراع الطبقي ككل، قادها إلى اعتبار السبب الرئيسي في تلك الوضعية، يرجع الى موقف ذاتي للأحزاب الوطنية التقدمية، لكونها في تقييم "إلى الأمام" اختارت طريق "الخيانة" المزعومة و"التحالف مع القوى الرجعية" و بإسقاطها لتقييمها الذاتي، هذا على الجماهير، اعتبرتها "تجاوزت" الأحزاب، و باتت مسألة إيجاد "البديل الثوري" المزعوم لاتتعلق إلا بقرار إرادي للإعلان عنه.

و باتخاذها لموقف الانفصال عن الأحزاب في تلك الظروف، اختارت المجموعات اليسارية بما فيها مجموعة "إلى الأمام" لنفسها طريق العزلة و التهميش، و الابتعاد عن المساهمة في تطوير الصراع الصراع الإيديولوجي و السياسي داخل القوى التقدمية، لتجاوز الأوضاع التي كانت تعيشها. هكذا ابتعدت عن المواقع الفعلية للتغيير، و طرحت إشكالا مغلوطا من أساسه، يتمثل في المراهنة على تحقيق "بديل" مزعوم من لاشيء، و بالاعتماد فقط على الإرادة الذاتية، و بذلك وضعت نفسها في مدار مغلق، فاتجهت تبحث عن كيفية تجاوز أزمتها البنيوية في النتائج لا في الأصل، و بعناصر من ذات الأزمة نفسها، الشيء الذي لم يولد بالنسبة لها غير تظافر عوامل التفكك و الانحلال و الهامشية.

2- فترات تطور" إلى الأمام":

مرت "إلى الأمام" منذ تأسيسها في صيف 1970 إلى حين انفجارها في 1979، بثلاث فترات متميزة بعض الشيء:

الفترة الأولى: تمتد من 1970 إلى 1972، و هي فترة نشأة المجموعات اليسارية في الجامعة. و لقد عرفت "إلى الأمام" كغيرها من المجموعات اليسارية خلال هذه الفترة، نوعا مما يمكن تسميته مجازا "بالازدهار"، بالمقارنة مع وضعيتها لما بعد سنة 1972. و الإقبال النسبي على الاتجاهات اليسارية بصفة عامة، خلال هذه الفترة يجد أسسه و أسبابه الموضوعية، في الأوضاع التي عرفتها الجامعة و الثانويات، و التي تميزت بإضرابات طويلة، و مظاهرات وصلت إلى حد استعمال العنف.

و كان من الطبيعي، و وسط هذا الجو الطلابي ، و تأثير باقي الأحداث السياسية التي شهدتها البلاد آنذاك عليه، أن تظهر نزعات التطرف اليساري، و تؤدي في تلك الظروف إلى بروز المجموعات اليسارية، التي أثرت بدورها في هذا الواقع، عن طريق نشر الفكر المتطرف و المغامر وسط شباب المدارس و الكليات، و وجدت فيه ما يدعم وجودها، و يمنحها القدرة على الحياة و لو إلى حين ، إلا أن التأثير السياسي للمجموعات اليسارية خلال هذه الفترة، يجب أن ننظر إليه في إطار الوضع العام لكل التيارات السياسية داخل الحركة الطلابية، إذ أن تأثير الأحزاب التقدمية تزايد بشكل ملحوظ، و أصبحت تعبر عن اتجاهات فكرية و سياسية واسعة داخل القطاع الطلابي.

الفترة الثانية : و تبتدئ مع نهاية سنة 1972 و تستمر إلى سنة 1977، و هي فترة التقهقر و العزلة و التهميش بالنسبة للمجموعات اليسارية، – بما فيها "إلى الأمام" داخل الشبيبة التعليمية نفسها – و هذه العزلة ترجع إلى المواقف المتطرفة التي اتخذتها كل من "إلى الأمام" و منظمة "23 مارس" خلال النضالات التي خاضها التلاميذ و الطلبة في السنة الدراسية 1971- 1972، و في مقدمة هذه المواقف رفض الوداديات، بعد أن انتزع التلاميذ بالنضال، و الدعوة الى استمرار الإضراب، و مقاطعة امتحانات نهاية السنة الدراسية، بما في ذلك امتحانات الباكالوريا في نفس الوقت الذي تم فيه الإعلان عن تأسيس ما سمي ب "النقابة الوطنية للتلاميذ".

هكذا، عاش تلاميذ الثانوي أول تجربة مع "الجبهة" المكونة من "إلى الأمام" و "23 مارس". و جربوا مواقفهما الانتهازية اليسارية، التي أدت بهم إلى ضياع السنة الدراسية، و ما ترتب عنها من انعكاسات، مثل الطرد .. و نتيجة للطريق المسدود الذي ساهمت "إلى الامام"

إلى جانب"23 مارس" في دفع التلاميذ إليه، فقد تقلص تأثيرها السياسي بشكل كبير جدا وسطهم، و إبتعد عنها العديد من العاطفين و المنتمين.

أما داخل الطلبة فإن ممارسات المنظمتين، و بعد انفرادها بقيادة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب"أ وط م" في المؤتمر الوطني الخامس عشر، أدخلت الطلبة في طريق مسدود، اتضح جيدا بعد حظر المنظمة الطلابية في يناير 1973، فابتدأت مسيرة العزلة و التهميش داخل الطلبة. و لقد ساهمت الاعتقالات الواسعة التي تعرضت لها في 1972 كل من "إلى الأمام" و" 23 مارس" في تعميق هاته الوضعية التي تأزمت في نهاية السنة فأعطت الشلل و العجز التام عن أدنى تحرك سياسي.

و جاءت التطورات التي عرفتها البلاد مع انطلاق حوادث مارس 1973، و اتساع موجة القمع و الإرهاب، لتزيد من خنق و عزلة "إلى الأمام" التي أصبح عدد أعضائها يعد على رؤوس الأصابع، و حاولت طيلة السنوات 1973-1977 الخروج من وضعية العزلة و التهميش، و لكن بدون نتيجة، و لم يعرف خط تطورها إلا انحدارا في انحدار، و عزلة في عزلة ،خاصة بعد سنة 1974، مع بروز قضية الصحراء كمشكلة جديدة في الوضع السياسي ذات حساسية كبيرة، و لقد استغل الحكم عزلتها الخانقة، و وضعية التهميش التي كانت تعيشها، و التي تعمقت مع تعمق النهج الانتهازي اليساري، الذي تدعم بالتعامل الخاطئ مع مسألة الصحراء، فوجه لها ضربات قاضية في سنوات 1974 – 1975 – 1976 -1977 على التوالي. و مع بداية سنة 1977، لم يبق ل "إلى الأمام" أي تواجد سياسي كمنظمة، و غابت عمليا من الساحة الوطنية.

و بعد 1977 عرف ما تبقى من منظمة "إلى الأمام" صراعات سياسية قوية، أدت بها إلى نهايتها الطبيعية :التشتت التنظيمي و السياسي و الايديولوجي.

تلك هي الفترات التاريخية التي مرت بها "إلى الأمام" منذ نشأتها، و النهاية التي وصلت إليها بعد سبع سنوات من مصارعة الموت، و تشبثا بالرغبة في الحياة، هذا على الرغم من الواقع و قوانينه الموضوعية، فكانت النتيجة انتصار القوانين المادية للتاريخ، و انتصارها لم يكن دون تمزقات و جروح غائرة على المستوى الجماعي و الفردي، تعمقت و أعطت تضحيات غالية، بسبب الإصرار على معاكسة الواقع و محاولة إثبات الذات ضدا عليه.

3- طبيعة الفكر الإديولوجي و السياسي لمنظمة "إلى الأمام".

لكن هذه النهاية التي وصلت إليها منظمة "إلى الأمام"، بعدما كانت تطمح منذ تأسيسها، لتصبح حزبا ثوريا يقود الطبقة العاملة و الفلاحين نحو تحقيق الثورة، تطرح تساؤلات كبيرة حول أسباب الفشل في تحقيق المشروع، الذي وظفت كل مجهوداتها الفكرية و السياسية من أجل تجسيده في الواقع، هل أن الأمر يتعلق بخلل أو انحراف في إطار المشروع نفسه؟ أم أن الأمر يتجاوز هذا الحد إلى جوهر المشروع نفسه، الذي تشكل هذه المنظمة جزءا لا يتجزأ منه؟ و ما هي طبيعة الأزمة التي عاشتها مع باقي المجموعات اليسارية الأخرى؟

ذلك ما سنتطرق له من خلال معالجتنا الإشكالات النظرية و السياسية الرئيسية، التي برزت بارتباط مع وجود "إلى الأمام"، و من خلال مواقفها و ممارستها السياسية، بدأت تطرح منذ 1976، و في إطار النقاش و الصراع الذي فجرته الإنتكاسات المتوالية لتلك المنظمة و لباقي المجموعات اليسارية الأخرى، و الذي اتخذ كعنوان له ما سمي ب "أزمة الحركة الماركسية". و إذا كان الوعي بالأزمة قد جاء متأخرا، فإن أزمة هذه المجموعات، و كما سبقت الإشارة إلى ذلك قديمة، نشأت معها و ارتبطت بالمشروع ذاته، مشروع تحويل مجموعات طلابية إلى حزب ثوري، و الإنتقال من التعبير الفكري و السياسي عن فئات طلابية، إلى محاولة التمثيل الطبقي و السياسي و الإديولوجي للطبقة العاملة و الفلاحين، و التعبير عن مصالحهما الطبقية و إنجاز الثورة.

و إن التساؤل حول جوهر هذا المشروع في حد ذاته، مسألة ظلت "إلى الأمام" ترفضها، محاولة بذلك حصر و توجيه النقاش عن الأزمة في إطار المشروع ذاته. و هذا الموقف يجسد وعيا ناقصا بالأزمة، وعيا غير ناضج، يظل في حدود البحث في النتائج و لا يتجاوزها إلى البحث في الأسباب.

و لقد ولد هذا الرأي لدى العديد من مناضلي"إلى الأمام"، الذين عاشوا إنتكاساتها و هزائمها المتتالية، مراهنة مهزوزة على إمكانية تصحيح مسيرتها عن طريق تصحيح بعض مواقفها و ممارستها، و أشكال علاقاتها الداخلية، و المراهنة على تغييرها من الداخل، موقف لا يخرج عن جوهر البنية الفكرية و السياسية لمختلف مجموعات الشباب المثقف، التي تعتقد بقدرتها على خلق "البديل الثوري" المزعوم، و تفسر انتكاساتها و المأزق الذي تتردى فيه بأخطاء جزئية لا تمس جوهر المشروع، لهذا بدأ تصنيف كلامي يطرح التساؤل عن طبيعة المشروع السياسي نفسه، بتصنيفات أخلاقية، من نوع "الإنهزام" و "العجز" عن "الإستمرار"... و هي تصنيفات تحاول حصر هذا الإتجاه الذي لن يعرف إلا التعمق وسط تلك المجموعات، أمام تزايد عزلتها و هامشيتها و تراكم إنتكاساتها السياسية، رغم جميع المحاولات

الرامية إلى إعادة الاعتبار الذاتي و الفكري لمشروعها، القائم على إشكاليات مغلوطة، برزت على حقيقتها في الواقع الملموس، من خلال الإرتطام بالجدران و معاكسة القوانين الموضوعية للرغبات الذاتية و المجردة.

و أن التساؤل حول مشروع خلق "البديل" المزعوم الذي طرحته المجموعات اليسارية، بما فيها "إلى الأمام"، إذا كان يستهدف من طرفنا البحث في أسباب فشلها، من منطلق يتجاوز محيط الدائرة المغلقة، التي ظلت تدور وسطها منذ نشأتها، و يتجاوز بنيتها الفكرية و السياسية التي تحولت إلى "مبادئ مقدسة"، تلعب بالنسبة لها دورا تبريريا للواقع، ككل الإديولوجيات المتبالية السائدة في المجتمع، فإنه - أي التساؤل - يستند إلى تشبتنا بالنضال و بالمنهج المادي الجدلي و التاريخي في تحليل و فهم الواقع الملموس، من أجل تغييره بأهداف و وسائل تستجيب لمتطلبات الواقع و قوانينه الموضوعية، و بما يخدم اتجاه التقدم التاريخي و الإجتماعي للبلاد، بعيدا عن الأحلام الطفولية و الإسقاطات الذاتية و المثالية، التي لا تلتجئ إلى الواقع و الصراع الطبقي ، إلا لالتقاط ما يبرر فكرها الجامد، و يدعم جموده باسم "المبدئية" المجردة، التي تتعامل مع الماركسية كما تتعامل مع "الكتاب المقدس"، من المسائل النظرية المعقدة التي تطرح بحدة بالنسبة للباحث في تجربة "إلى الأمام"، هو مسألة "الإرتباط الجماهيري"، أو محاولة تحقيق الحلم المرتقب، أي القفزة النوعية من تنظيم طلابي إلى تنظيم عمالي فلاحي.

لقد طرحت تلك المنظمة هذه المهمة على نفسها منذ أن وجدت، و تزايدت حدة طرحها مع تزايد عزلتها و هامشيتها خاصة في 1972، بعد أول صدمة تعرضت لها، حطمت بنياتها التنظيمية، و أصابتها بالشلل السياسي. و لقد ظلت مقتنعة نظريا و سياسيا، بإمكانية إنجاز تلك المهمة و بقدرتها على تحقيقها، فسعت نحو هذا الهدف لمدة سبع سنوات، إلا أن النتيجة كانت الفشل التام، و العجز عن تجاوز تأثيرها السياسي بعض الثانويات و الكليات. فلماذا إذن لم تستطع تحقيق هذه الرغبة المنشودة ؟

إن "إلى الأمام" ظهرت كتيار طلابي لا غير، في ظروف تاريخية محددة سبقت الإشارة إليها، و ظهورها في هذا الوسط، ارتبط بوضع نقابي و سياسي داخل الحركة الطلابية، و لم تكن إلا اتجاها من بين اتجاهات طلابية برزت خلال تلك الفترة، حاول كل منها بهذا القدر أو ذاك، التعبير عن مصالح الشبيبة التعليمية المباشرة، و عن النزعات الايديولوجية التمردية بمختلف أشكالها، التي برزت داخلها آنذاك، و من هذا المنطلق، حاول كل اتجاه توسيع تأثيره السياسي و تواجده التنظيمي و بسط هيمنته عليها. هكذا كانت مجموعة "إلى الأمام" مرتبطة اجتماعيا و سياسيا و إيديولوجيا و تنظيميا بالطلبة و التلاميذ، و إن انطلاقها من هذا الموقع، و محاولة نقل تأثيرها السياسي و الايديولوجي

و تواجدها التنظيمي وسط الطبقة العاملة و الفلاحين، كانت محاولة يائسة، ذلك لأنها محاولة قائمة على إشكالية مغلوطة لا تنفصل عن جوهر الفكر المغامر و الفوضوي، الذي يعتمد على الإرادية في كل شيء بما في ذلك في النضال.

فرغم أن "إلى الأمام" إعتقدت منذ تأسيسها بأن دعوتها الإيديولوجية، ستدفع الجماهير تلقائيا إلى الثورة، إلا انها اعتبرت نفسها منذ الوهلة الاولى، محور النضال و التغير في المجتمع، و بذلك طرحت على نفسها مهمة تزعم عملية التغيير، و هي بذلك تقف مع التيارات اليسارية المغامرة الأخرى، التي ظهرت ما بين سنوات 1969 -1973، على نفس الأرضية الفكرية مع وجود بعض التمايزات و الاختلافات فيما بينها.

و إن مسألة تزعم الطبقات الثورية في المجتمع، التي آمنت بها "إلى الأمام" إيمان العجائز، معتبرة نفسها حجر الزاوية و أحد المحاور الرئيسية، إن لم يكن المحور الوحيد لإنجاز الثورة، تطرح في الحقيقة إشكالا مزدوجا، فمن عزلة أصحابها عن الواقع "الاجتماعي" و السياسي، إلى ابتعادهم عن الجماهير الكادحة.

و لم تخرج "إلى الأمام" كما عبرت عن ذلك من خلال مواقفها السياسية، و تعاملها مع الواقع، عن إحدى الميزات الأساسية للشبيبة بشكل عام، و الشبيبة التعليمية بشكل خاص، و هي الرفض المطلق، رفض كل شي ء من منطلق التمرد على المجتمع، و رفضه جملة و تفصيلا من منطلق السخط، لا يؤدي دائما إلى مواقف ثورية، بل قد يؤدي الى مواقف و ممارسات رجعية، و لنا في بعض الجماعات المشعوذة ببلادنا المثال الحي و القريب، فالإصرار على رفض كل شي ء، و طلب التغيير الفوري و العاجل، يؤدي الى إختصار جميع التناقضات في واحد، الفاصل بين طرفيه الموقف من التغيير الفوري، كما يقود هذا الموقف، الى المغامرة و التطرف السياسي، و تصبح عملية الثورة عملية إرادية، يقوم بها مناضلون معزولون في المجتمع، و الحاسم فيها هو العامل الذاتي، المجرد عن كل القوانين الموضوعية التي تحرك الواقع.

و الكلام عن الفكر الانتهازي اليساري لمنظمة "إلى الأمام" سيكون ناقصا، إذا لم نتطرق لمواقفها و تعاملها مع مسألة العمل السري و العمل العلني، ذلك أن مواقفها من هاتين القضيتين، تعتبر أساسية في فكرها السياسي، إذ أنها لعبت دورا هاما في تجربتها، فلقد اعتبرت أن من بين العوامل الأساسية التي أدت الى "إفلاس" مزعوم للأحزاب الوطنية التقدمية، هو لجوؤها إلى العمل العلني بدل العمل السري، و بذلك اتخدت منذ المنطلق العمل السري كمبدأ أساسي يحدد وجودها، و اعتبرته من المبادئ الرئيسية في العمل الثوري، غير قابل للنقاش،

بل هو يميز في نظرها التنظيم الثوري من الإصلاحي، و لهذا، كانت في نقدها للأحزاب الوطنية التقدمية، تصفها ب"الأحزاب الشرعية"، و هذا في نظرنا كاف لإثبات "إفلاس" مزعوم لتلك الأحزاب.

و نفس الموقف اتخدته من النقابات العلنية، إذ اعتبرتها "غير فاعلة"، بل و من غير الممكن أن تكون وسيلة تأطير و قيادة النضالات النقابية، فدعت لتجاوز الإطارات النقابية العلنية و تكوين نقابات سرية، في هذا الإطار، رفضت الوداديات داخل التلاميذ و رفضت العمل فيها، بل هاجمتها في الثانويات التي تشكلت فيها، و اتهمتها بالعمالة، فأسست "النقابة الوطنية للثلاميذ" التي لم يكن لها في حقيقة الأمر أية علاقة بالنقابة غير الإسم، الذي اتخد غطاءا لنشاط منظمتي "إلى الامام" و"23 مارس" في الثانويات، و لم يكن يدخلها إلا من تبنى إيديولوجية و مواقف هاتين المنظمتين، فكان مصير هاته "النقابة" المزعومة الفشل التام.

و بعد حل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في يناير 1973، رفعت الجبهة المكونة من "إلى الأمام" و"23 مارس" شعار بناء نقابة طلابية سرية، رغم رفض المناضلين "الاتحاديين" و "التحرريين" لهذا الشعار، استمرت المحاولات لتكوين إطارات تابعة ل"الجبهة" في الطلبة و اعتبارها إطارات نقابية، إلى أن الدعوة لبناء نقابة سرية في الطلبة، - كما هو الشأن في الثلاميذ- لم يكن لها أي صدى، و اصطدمت برفض الجماهير الطلابية لها، و رغم ذلك، استمرت "إلى الأمام" تعتقد بصحة موقفها، إذ استمرت تتشبت به حتى بعد رفع الحظر عن أو ط م في نوفمبر 1978.

و لقد كانت دعوة "إلى الأمام" لتشكيل "اللجان العمالية السرية" داخل الطبقة العاملة تسير في نفس الاتجاه، و كانت هاته الدعوة مقرونة بالتهجم على"الاتحاد المغربي للشغل"، و ظلت تتحكم في تفكيرها السياسي، و في المناشر التي كانت توجهها إلى العمال إلى حدود سنة 1974.

لماذا عشقت منظمة إ"لى الأمام" السرية إلى هذا الحد، و ظلت تتهجم على الأحزاب الوطنية التقدمية، و ترفض العمل في النقابات العلنية و تحتقره؟

إن "إلى الأمام"، في إطار تقييمها لتجربة القوى الوطنية التقدمية بالبلاد، اعتبرت أن عدم التجائها إلى السرية في التنظيم و في النشاط السياسي، يعد سببا رئيسيا في القمع الذي لحق بها، و عدم إنجازها للثورة، و أن طريق العمل العلني لن يؤدي في نظرها إلا إلى الإفلاس السياسي و التنظيمي، و هو طريق "إصلاحي"، و لقد كان للإيديولوجيات المغامرة الإرهابية التي ذاع صيتها في العالم بعد 1968، دورا لايستهان به في تعميق هذه النظرة الطفولية للعمل السياسي.

و بهذا اجتهدت في التنظير للسرية، إلى أن أصبحت بالنسبة لها منذ المراحل الأولى من وجودها، حدا فاصلا في مواجهة الحكم و في مواجهة القمع، و شرطا حاسما لاستمرارها كمنظمة، مما جعلها تراهن على السرية كثيرا في عملها اليومي. هكذا شكلت السرية إحدى مرتكزات وجودها السياسي و التنظيمي، و كان تأثيرها كبيرا في بنيتها الفكرية، فكرست جزءا كبيرا من وقتها و نشاطها من أجل ضبط التنظيم و تطوير تقنياته، فسادت الشبكية و البيروقراطية في العلاقات الداخلية بين أفرادها، و أصبح همها الأساسي عند توزيع منشور أو وقوع اعتقال، و في كل نشاط سياسي، هو دراسة تقنيات التنظيم و السرية و محاولة تلافي نتائج حتمية، لموقف سياسي خاطئ بأساليب تقنية، و التعامل مع التنظيم و السرية بهذا الشكل، هو من مميزات التنظيمات المغامرة و الإرهابية، التي تستبدل الجماهير بالتنظيم الشبكي، و لاتقيم وزنا للارتباط بها، و معرفة آرائها و قيادة نضالاتها، بل تسعى إلى إما النيابة عن الجماهير أو إعطاءها المثال من أجل أن تقتدي به.

هكذا كانت "إلى الأمام" تمارس عشقها للعمل السري، و ترفض بشكل مبدئي العمل العلني و الإمكانيات التي يوفرها في المجتمع، و موقفها هذا، و إلى جانب المواقف التي أشرنا إليها سابقا، لم تتميز عن التيارات الانتهازية اليسارية التي برزت في العالم مند عهد لينين حتى الآن.

إن الثوريين لم يؤلهوا في جميع المراحل التاريخية العمل السري، أو اعتبروه الطريق الأوحد الذي عليهم أن يسلكوه، من أجل تغيير المجتمع و الحفاظ على "الطهارة" الثورية. إن تحديد موقف نظري و سياسي في العمل السري أو العلني ، يستند إلى معطيات الواقع و متطلبات النضال، و ليس إلى مبادئ جامدة مسطرة في كتاب "مقدس"، كما أن حماية و استمرار تنظيم ثوري ما، لايتعلق بمبدأ مجرد يتبعه كل من أراد النجاة، بل الأمر يتعلق بفهم الواقع عن طريق التحليل العلمي، و تحديد الأساليب الملائمة للفعل فيه في اتجاه التغيير.

و ضمن خط الرفض الشامل، رفضت "إلى الأمام" البرلمان بشكل "مبدئي"، معتبرة إياه لعبة "رجعية"، الهدف منها ترويع الجماهير و تحريف وعيها و صدها عن الثورة، و هذا الموقف جزء من رفضها للديمقراطية البرلمانية، معتبرة أن محاربتها، تعد من المهمات الرئيسية للثوريين، في مجتمع متخلف اقتصاديا و اجتماعيا و سياسيا و حضاريا.

و التنظيرات التي حاولت بها تبرير موقفها هذا جد هزيلة، بل و تبدو مضحكة في بعض الأحيان، ففي تقييمها لواقع البلاد و مستوى وعي الجماهير، تعتبر أن مسألة الديمقراطية البرلمانية قد تم تجاوزها، و مرفوضة بشكل واعي من طرف الجماهير، و من الطبيعي في إطار هذا التفكير المثالي الذي هيمن عليها و على كل المتطرفين، أن تعتبر مساهمة فئات هامة من الجماهير الشعبية في الانتخابات مجرد ديماغوجية، أو أن الدافع الأساسي لها هو القمع.

من هذا المنطلق، هاجمت القوى السياسية الوطنية و التقدمية، التي شاركت في الانتخابات و اعتبرتها ذيلية للحكم، و"خادمة" للمخططات الرجعية، بل و اعتبرت أن دفع الجماهير للمساهمة في الانتخابات البرلمانية بصفة عامة موقف رجعي.

و في إطار تشبتها "المبدئي" برفض الديمقراطية البرلمانية، رفعت "إلى الأمام" شعار إفشالها كلما تقرر الدخول في التجربة، دون تكليف نفسها عناء التقييم الجدي لكل تجربة، في إطار الظروف التي تأتي فيها: ماهي ايجابياتها و ما هي سلبياتها، و تحديد موقف على ضوء الواقع الملموس.

و لا ينفصل موقف إ"لى الأمام" من الديمقراطية البرلمانية عن موقفها من الإصلاحات الاجتماعية و السياسية، فموقفها نهائي و قاطع، إنها ضد أي إصلاح و ضد من يطالب به في ظل الواقع الذي يعيشه المجتمع المغربي في الظروف الراهنة، ففي نظرها أن الإصلاحات الاجتماعية و السياسية غير ممكنة التحقيق في الوضع الحالي للبلاد، و من هنا اجتهدت لتعتيم الوضع و إبرازه بشكل ظلامي، و رفضت البحث في التطورات التي يعرفها الصراع الطبقي و السياسي، و الواقع بالنسبة لها إما أبيض أو أسود. و ما دامت الثورة لم تنجز، فالسائد في نظرها في المجتمع هو الظلام الدامس، أما أن تستطيع الجماهير الشعبية و القوى الوطنية التقدمية في ظل ظروف معينة، أن تفرض بعض الإصلاحات الاجتماعية و السياسية، و ضمنها مؤسسات تمثيلية وطنية و محلية، فذلك شيئ مثالي في نظرها، و إذا وجدت أشياء من هذا القبيل في الواقع، فهي عندها لا تخرج عن إطار الديماغوجية و المناورة التي يقوم بها الحكم أو يشترك فيها مع القوى الوطنية التقدمية، التي تصبح في هذه الحالة عبارة عن بيادق تحركها السلطة كيف شاءت.

تلك هي الخلفية الإيديولوجية و السياسية، التي تستند عليها "إلى الأمام" لوصف القوى الوطنية التقدمية في البلاد ب "الأحزاب الإصلاحية".

و بهذه المواقف كانت مخلصة في إلتزامها بالفكر الانتهازي اليساري، و بأبرز مظاهره المتخلفة، و ليس ترديدها المتواصل لبعض الكلمات و الجمل الماركسية الرنانة، إلا تجسيدا لأهم مميزات النزعة الانتهازية اليسارية، التي تختار بشكل دوغمائي ما يدعم بنيتها الفكرية و السياسية الجامدة.

إن التعامل مع الماركسية كشعارات و جمل معزولة، تستخدم بأشكال ديماغوجية كوصفات جاهزة، هو ما يميز مجموعات الشباب المتعلم، التي ظهرت منذ سنة 1970 بما فيها مجموعة "إلى الأمام"، و رصيدها على المستوى الثقافي لا يتجاوز هذا الحد.

فكم هي مبتذلة و مغرقة في التخلف، تلك المواقف التي تتعامل مع المجتمع و الصراع الطبقي، بمقولات جامدة و شعارات مطلقة، يكفي الاستشهاد بها لإثبات صحة موقف ما. إن الماركسية نظرية مادية ثورية ترتبط بالواقع الحي ، من خلال تتبع ديناميته و أشكاله المتغيرة، و استخدام المنهج المادي الجدلي لتحليل معطياته، في كل فترة من فترات الصراع الطبقي، من أجل الربط بين مختلف عناصره، و فهمه و تحديد اتجاهه الموضوعي، و من تمة بلورة أشكال النضال الملائمة للفصل فيه بشكل إيجابي، و بما يخدم اتجاه التقدم التاريخي في المجتمع. و إن استعمال كل أشكال النضال - بما فيها البرلمان- من أجل رفع مستوى وعي الجماهير و تطوير فعاليتها النضالية بشكل واعي، و بما يخدم مصالحها، بالدور المنوط بها في عملية تغيير و تقدم المجتمع، انطلاقا من الواقع الموضوعي المعاش، و متطلبات الصراع الطبقي اقتصاديا و اجتماعيا و سياسيا و ثقافيا، شيء ضروري، و هو من صميم النهج الديمقراطي الثوري، و لايتعارض إلا مع التحجر و الجمود و الدوغمائية و الإرادية، ذلك أن تحديد أشكال النضال و أساليبه، ليست عملية قبلية تتم بشكل مسبق، في غياب دراسة التطورات الملموسة للواقع، بل تخضع للواقع الملموس، و من خلال تحليله ماديا بمنهج جدلي، يصبح في الإمكان تحديد طبيعة أشكال النضال، التي تتطلبها الظروف و تخدم تقدم المجتمع، إذ أن المعرفة العلمية بالقوانين الموضوعية للواقع، شرط حاسم للفعل فيه بشكل واعي و هادف.

4 . الموقف من الاحزاب الوطنية التقدمية

يكتسي الموقف من القوى الوطنية التقدمية أهمية بالغة، سواء على المستوى النظري العام، أو على المستوى العملي الملموس، بالنسبة لأية هيأة سياسية أو نقابية تدعى لنفسها التقدمية أو الثورية، فهو يشكل محورا أساسيا في الموقف النظري من تحديد التناقضات في المجتمع بشكل عام، و التمييز بشكل خاص بين ما ينتمي للشعب، و ما ينتمي إلى صفوف أعداء التقدم، و أن خلط نظري على هذا المستوى، ينعكس على الممارسات و المواقف السياسية، التي قد تقود أصحابها عمليا إلى صب الماء في طاحونة المواقف الرجعية، و إحتلال موقع في الواقع الموضوعي معارض للاتجاه التقدمي للتاريخ، هذا بغض النظر عن وعي أو غياب وعي المنظرين و المدافعين عن مثل هذه المواقف، و هنا لا مجال للرغبات و حسن النيات، فطريق الاتجاهات الفوضوية و المغامرة و الإرهابية، قد يكون مبلطا بالنيات الحسنة، لكن تاريخ الشعوب تحكمه الوقائع و الأحداث لا النيات.

لذلك، فإن الموقف من القوى الوطنية التقدمية ليس ثانويا أو جزئيا، بل هو منظور سياسي يتجسد من خلاله التوجه الإيديولوجي و السياسي العام، لأية قوة أو هيئة سياسية في البلاد، خاصة عندما يصبح ذلك المنظور يمارس كمنهج ثابت. من هنا، فتقييم مواقف مجموعة "إلى الأمام" من الأحزاب الوطنية التقدمية، يساهم و بشكل كبير في الكشف عن جوهر فكرها العام، و اختياراتها السياسية، و الموقع الموضوعي الذي احتلته خلال مرحلة تواجدها على الساحة الوطنية.

لقد قامت "إلى الأمام" كغيرها من مجموعات الشباب في نهاية الستينات، على رفض كلي للأحزاب الوطنية التقدمية في البلاد، مصنفة إياها بجانب القوى الرجعية، و لقد عبر الشعار الذي رفعته "لا إصلاح لارجعية" عن ذلك و بشكل بارز، و من تمة انطلقت تدين تلك الأحزاب، معتبرة إياها تتحمل المسؤولية الرئيسية في التطورات التي عرفتها البلاد، واصفة إياها ب"الخيانة" المزعومة، إلى غير ذلك من التصنيفات السياسية و غير السياسية في أغلب الأحيان، و اعتبرتها ليست لها أية تمثيلية طبقية، بل عبارة عن مجموعات من "محترفي السياسة" لا تحركهم إلا المصالح الشخصية، و هذا الموقف يجد أسسه في البنية الفكرية ل"إلى الأمام"، التي اعتبرت جميع القوى السياسية في البلاد، من الحكم إلى الأحزاب الوطنية التقدمية، مجموعات طفيلية معزولة عن الطبقات الاجتماعية، فالنظام السياسي في البلاد - حسب زعمها - عبارة عن "كمشة حاكمة"، تستمد وجودها من خدمة الامبريالية، و لايمثل مصالح طبقية كطبقة، أو "طبقات" اجتماعية، و البورجوازية الصغيرة و المتوسطة، لا وجود لمن يعبر عن مصالحها الطبقية بين الأحزاب السياسية، و بمقابل هذا كله، منحت مجموعة "إلى الأمام" نفسها أحقية طوباوية في التعبير عن المصالح الطبقية لمختلف الطبقات الشعبية

و كنتيجة لموقفها العدائي من الأحزاب الوطنية التقدمية، ناهضت "إلى الأمام" الحزبية و التحزب، و بذلك وجدت نفسها و من حيث لا تحتسب، تصب الماء في طاحونة نزعة إيديولوجية رجعية، نمت لدى بعض فئات الشباب، كرد فعل سلبي على الأوضاع التي عرفتها البلاد بعد مارس 1965، تدعو إلى معاداة الأحزاب الوطنية التقدمية، و الابتعاد عنها بل و الابتعاد عن السياسة و السياسيين، تضع قوى التقدم و قوى التخلف في البلاد في صف واحد، و أمام هذا الموقف المتخلف، الذي سقطت فيه "إلى الأمام"، انطلقت تنظر إلى العفوية و الفوضوية و المغامرة، و من منطلق رفض أي تعامل ديموقراطي مع الأحزاب الوطنية التقدمية – و ما كان لها أن تمارس غير ذلك، في شروط سيطرة الجهل و المنظور الظلامي للواقع - حاولت "إلى الأمام" إلى جانب "23 مارس" تعويض تواجد الأحزاب وسط الطلبة و الانفراد بالنقابة الطلابية أ و ط م، و نفس المنطلقات و الأهداف كانت تحركها وسط التلاميذ، مما أدى بها الى خلق نقابة سرية تابعة لها سياسيا و تنظيميا، في حين اعتبرت العدو الرئيسي المباشر داخل الطبقة العاملة، هو النقابة العمالية الاتحاد المغربي للشغل، و حاولت

إسقاط فكرها على الطبقة العاملة لإظهارها خلافا للواقع، على أنها تجاوزت إ م ش، و لم تكن "اللجان العمالية السرية" التي دعت إليها إلا بديلا فوضويا ل ا م ش، و كانت النتيجة المنطقية لموقفها هذا (اعتبار ا م ش بمثابة التناقض الرئيسي وسط الطبقة العاملة و الدخول في مواجهاته بشكل كلي)، هو عزلة الأفراد الذين دافعوا عن هذا الموقف، و لفظهم من صفوف العمال، و نفس التعامل العدائي سيتم مع النقابة الجديدة "الكونفدرالية الديمقراطية للشغل"، فور نشأتها كما يدل على ذلك بيان 17 أبريل 1979.

و ما كان لهذا النهج في التعامل مع القوى الوطنية التقدمية، أن يجد له مرتكزات اجتماعية وسط الجماهير الشعبية عامة، و الطبقة العاملة خاصة، لأن تلك النقابات و الأحزاب لها ارتباطات تاريخية و سياسية بالجماهير الشعبية، لا يمكن فصمها بناء على دعوات إيديولوجية تبشيرية، لا ترتبط بالمصالح الطبقية لتلك الجماهير، و لا تعتمد على فهم موضوعي للواقع، بل تحركها رغبات ذاتية، تظل إرادية كيفما كانت مظاهرها الكلامية الثورية، و لهذا فقد عاشت تلك الدعوات على هامش نضال الجماهير، و لم تجد لها صدى وسطها، و غابت مع تشتت أصحابها، و بقيت الأحزاب الوطنية التي ازداد تأثيرها السياسي، و ارتباطها النضالي بالجماهير، رغم القمع الذي ظلت تعاني منه، و لقد تكلف الواقع نفسه بإبراز مدى مثالية و ذاتية مواقف مجموعة "إلى الأمام" من الأحزاب.

و إن غياب النظرة الموضوعية للواقع، أسقط "إلى الأمام" و باقي المجموعات اليسارية في التضخيم من مسألة الاخطاء المزعومة التي ارتكبتها القوى الوطنية التقدمية، و التعامل معها من منطلق انتهازي يساري، مما حجب عنها إدراك الدور الفعلي الذي تقوم به تلك القوى في الصراع الطبقي، و هو في اعتقادنا دور تقدمي ملموس و بارز في الواقع، و لا بد من التأكيد هنا على أن الأخطاء التي وقعت فيها تلك القوى – لا كما يقدمها الانتهازيون اليساريون و لكن هي في الواقع - أخطاء ارتكبت وسط النضال لا خارجه، و أن الأحزاب المعنية، طرحتها و تعاملت معها بشكل نضالي، مما عقد مهمة الاتجاهات الانتهازية اليسارية، التي تتحين الفرصة لالتقاط ما يمكن أن تجعل منه مادة لترويج بضاعتها، و التهجم على الأحزاب و الحزبية.

و عندما طرحت قضية الصحراء، و رغم الحجم الذي اتخذته في الوضع في البلاد، لم تكلف "إلى الأمام" نفسها عناء البحث الجدي و الدراسة العلمية للمشكلة، بل زعمت أن الأمر يتعلق بمناورة حبكت خيوطها من طرف الامبريالية و الحكم و الأحزاب، فاتخذت من القضية حصان طروادة للطعن في نضالية الأحزاب الوطنية التقدمية، و اتهامها بالعمالة و الذيلية السياسية للحكم، و انطلقت تزكي إيديولوجية الانتهازية اليسارية وسط الشبيبة التعليمية، و أصبح همها الرئيسي هو ترديد شعار "تقرير المصير" بمناسبة أو بغير مناسبة، و وجدتها

فرصة جديدة للإكثار من المناشير، معتقدة أنها بممارستها الفوقية هاته، ستتوصل إلى إقناع الجماهير بموقفها، و توفر لنفسها شروط الخروج من العزلة الخانقة التي أوصلها إليها الطريق المسدود الذي سلكته منذ تأسيسها.

و لم تقف عند هذا الحد، بل اتخدت من مسألة الصحراء و اندلاع الحرب في المنطقة، منطلقا لتنظيرات استراتيجية وهمية جديدة، أعادت من خلالها صياغة و تطوير فكرها الانتهازي اليساري، الذي من مكوناته الأساسية التأثر السطحي و السريع بالأحداث البراقة و المبهرة. هكذا تخيلت في بداية سنة 1977 نظرية إستراتيجية جديدة - و ما أكثر النظريات الاستراتيجية الخيالية التي تبنتها "إلى الأمام" في حياتها القصيرة - أطلقت عليها إسم نظرية الثورة في الغرب العربي "تحتل فيها مسألة قيام "الجمهورية الصحراوية "موقعا محوريا، و هي حسب هذه النظرية - الخطوة الأولى نحو الثورة في المنطقة - هكذا رفعت شعار التركيز على العمل السياسي و التنظيمي في الجنوب المغربي، تحضيرا لمباشرة العمل المسلح هناك، من أجل ضرب القواعد الخلفية للحكم و المساهمة في إنجاح "الجمهورية الصحراوية".

هكذا كانت مجموعة "إلى الأمام"، و منذ أن اندلعت الحرب، تذكي الحماس للتطاحن و الاقتتال بين شعوب المغرب العربي في الصحراء، معتقدة أن موقفها هذا يخدم التطور الحضاري و الاجتماعي و السياسي لشعوب المنطقة، و يخدم كذلك تقدم الصراع الطبقي في المغرب، لكن الأمر عكس ذلك تماما، إذ أن تأييد الحرب الدائرة في الصحراء، يصب الماء في طاحونة قوى التخلف، و يفتح الباب واسعا لتصبح المنطقة مرتعا خصبا للقوى العظمى، التي تتربص بشعوب المغرب العربي، محاولة إنزال قبضتها على خيراتها و طاقاتها الاقتصادية و البشرية، و الاستيلاء على مواقعها الاستراتيجية الهامة، كما أن إذكاء الحرب، و الإشادة بالخراب و الاستنزاف المادي و البشري، و بالويلات العديدة التي تفرضها على شعوب المنطقة (كما فعلت مجموعة "إلى الأمام" في بيانها المؤرخ ب 17 أبريل 1979، لا يمكن تبريره مطلقا في نظرنا، بحجة تلبية المطامح الإستقلالية للصحراويين، و لا بحجة تحقيق مشروع "ثوري" وهمي لا وجود له على أرضية الواقع، مثل"الثورة في المنطقة" أو "استراتيجية الثورة في الغرب العربي"، أو غير ذلك من التنظيرات المجددة.

فهذا التعامل الصبياني مع الحرب الدائرة، و التغاضي اللامسؤول عما تفرضه على شعوب المغرب العربي ، من آلام و خسائر و تضحيات رهيبة، لا يخدم في شيء آفاق الوحدة المنشودة بينها، بل على العكس من ذلك، يعمق التناقضات و الجروح الأليمة، و يزيد من تدمير العلاقات التاريخية و النضالية المشتركة، و بذلك يساهم أنصار الحرب في مجموعة "إلى الأمام"، من حيث لايحتسبون، في صب الماء في طاحونة الشوفينية و العداء بين شعوب المنطقة، و لا يغير في الأمر شيئا، ادعاؤهم محاربة التعصب و الشوفينية، و علاوة على ذلك فإن إذكاء نار الحرب و الاقتتال بمبرر الثورة في الغرب العربي ، أو مساندة الجمهورية الصحراوية، رغم مظهره الثوري البراق، ففي

جوهره له جوانب رجعية تماما، لأنه يوفر شروط تعمق تدخل القوى العظمى و بيادقها في المشكل، مع ما يمكن أن يترتب عن ذلك من ويلات على حرية شعوب المغرب العربي و إستقلالها، و لأنه موقف مضاد لطموح هذه الشعوب في الوحدة، و مضاد للتطور الحضاري و الاجتماعي و السياسي الذي تسعى إليه و تناضل من أجله.

لذلك، و أمام الأوضاع التي تعيشها المنطقة و الأخطار التي أصبحت محدقة بشعوبها، من جراء استمرار التطاحن حول مسألة الصحراء، فإننا نعتبر أن اللجوء إلى حل سياسي للنزاع، بما يخدم مصلحة شعوب المغرب العربي و آفاق وحدتها المنشودة، و يفتح عهدا جديدا في العلاقات فيما بينها، موقف أصبحت تفرضه الظروف أكثر من أي وقت مضى، و نعتقد أن الحل السياسي السلمي يستجيب في الظروف الراهنة، لشعوب المغرب العربي في الوحدة، و يحول دون دفع المنطقة للسقوط فريسة للقوى العظمى.

5: تعامل "إلى الأمام" مع تناقضاتها الداخلية

من بين النقط المحورية التي إستندت عليها مجموعة "إلى الأمام" في انفصالها عن حزب التحرر و الاشتراكية في صيف 1970، مسألة الديمقراطية داخل الحزب، و إذا كانت" المركزية الديمقراطية" بالمضمون الذي مورست به آنذاك من طرف الحزب، تحتاج الى تقييم نقدي، يشمل بنيته السياسية و التنظيمية، فلا بد من تسليط الأضواء عن الكيفية التي كانت تطرح بها من طرف مجموعة الطلبة، الذين شكلوا "إلى الأمام" فيما بعد، فلقد عالجت هذه المجموعة مسألة الديمقراطية داخل حزب التحرر و الاشتراكية، من نفس المنطق الذي تعاملت به مع باقي القضايا السياسية التي طرحت حين ذاك، الحماس و العاطفة الثورية، و غياب النضج السياسي المرتبط بغياب التجربة السياسية، إذ لم يكن يحركها في طرح شعار تطبيق الديمقراطية في الحزب هدف جدي، من أجل توفير شروط أكثر ملائمة لتطوير الصراع الإديلوجي و السياسي الديموقراطي وسطه، و لأن فكرة الانشقاق، و تجاوز الحزب في إطار شعار تجاوز الأحزاب، تطورت و هيمنت داخل طلبة الحزب بالرباط، و على قاعدة هذه الأرضية، اتخدت مسألة الديمقراطية بعدا حادا، ارتبط بهدف إزاحة القيادة نهائيا عن طريق عقد مؤتمر وطني.

و انسجاما مع فكر هذه المجموعة، و مع طبيعة القطاع الذي كانت تتواجد فيه (الطلبة)، بحيث كان ينقصها طول النفس و النظرة الرحبة الأفق و التعامل العقلاني مع المشاكل، سعت إلى الحلول السهلة و السريعة، بعيدا عن تقديم وجهة نظر إيديولوجية و سياسية و جدية حول القضية موضوع الصراع.

و بعد الانفصال، اصطدمت "إلى الأمام" في الأشهر الأولى من تأسيسها، بمشكلة التعامل مع التناقضات التي برزت وسطها، فوجدت نفسها لأول مرة أمام اختبار مدى إستعدادها لممارسة الديمقراطية في علاقاتها الداخلية، و رغم أن المعارضة جاءت من طرف واحد، من الذين لعبوا دورا هاما في الانشقاق، و عضو في القيادة، و أنها كانت جزئية، و لم تخرج عن دائرة الفكر الإيديولوجي و السياسي العام للمجموعة، إلا أنها مع ذلك لفظته من صفوفها، دون ان تفتح مجال النقد و ممارسة الصراع الديمقراطي داخلها.

و في نهاية سنة 1971، تكرر نفس التعامل مع عضو مسؤول في القيادة، عندما طرح وجهة نظر مخالفة للفكر السائد، بصدد الواقع الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي للبلاد، فتمت محاصرة وجهة نظره، و مورس الإجهاز السياسي و التنظيمي في حقه، و انتهى الأمر بإبعاده من المسؤولية.

و بعد سنة 1972، و مع العزلة الخانقة، و تصاعد حدة الأزمة التي كانت تعيشها"إلى الأمام"، لم يستمر في الالتزام معها، أو الارتباط بها إلا أعداد قليلة جدا من الأعضاء و العاطفين، و خاصة المتبنين منهم، و المستعدين لتبني نهجها السياسي العام، الذي تبلور خلال 1970 – 1972، و الذين فرض عليهم القمع الإستمرار في الارتباط بها. و خلال سنوات 1972-1974، لم تظهر داخلها إلا اختلافات بسيطة، و لا تتعارض و الفكر العام السائد، لما عرفته هاته الفترة من جمود في وضعيتها السياسية و التنظيمية، و استمرار تقلص هيكلها التنظيمي و قاعدتها الاجتماعية، و خاصة وسط القطاع الطلابي، الذي عاش القمع و الركود خلال هاتين السنتين. و من الانعكاسات البارزة لهذا الواقع على "إلى الأمام"، الإنسحابات التي أصبحت ظاهرة واسعة قياسا لحجمها. و كانت تجربة العزلة السياسية الخانقة التي عانت منها بعد 1974، و حملات القمع التي تعرضت لها مابين 1974-1976، و التي أدت بالأغلبية الساحقة من أعضائها إلى دخول السجون و المعتقلات، عاملا حاسما في ظهور خلافات عميقة و جوهرية داخلها، اتسعت لتشمل مجمل البنية الفكرية و التوجهات السياسية، فأعطت إتجاهين رئيسيين: اتجاه يرى ضرورة إعادة النظر في مجمل الفكر الإيديولوجي و السياسي و التنظيمي ل"إلى الأمام"، و باقي المجموعات اليسارية، منطلقا من التجربة و معتمدا عليها، كممارسة أبرزت الطريق المسدود الذي سلكته تلك المجموعات، و هذا الاتجاه عبر عنه عدد قليل جدا من المناضلين، أما الاتجاه الثاني، فاعتبر أن الخط السياسي الذي بلورته "إلى الأمام"، و مارست على هداه صحيح

تماما، و أن التصفية السياسية و التنظيمية التي تعرضت لها شيء عابر، و يرتبط بأخطاء فردية، أما الخط السياسي فهو برئ، و يعتبر هذا الاتجاه، أن كل متشكك في التوجه الفكري و السياسي و التنظيمي ل"إلى الأمام" لا يسعى إلا لتبرئة أخطائه، هكذا رفض المعبرون عن هذا الرأي، أي نقاش أو تساءل عن جوهر الفكر الإيديولوجي و السياسي لتلك المنظمة، بل رفعوه إلى مستوى التقديس لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و لم يقفوا عند حد التشبث به كاملا، بل اجتهدوا لتطويره، فصاغوا ما سموه بنظرية "الثورة في الغرب العربي" التي تعتبر، دون منازع، قمة ما وصل إليه الفكر الانتهازي اليساري للمجموعات اليسارية.

و كانت المحاكمة في يناير 1977، أول مناسبة للإصطدام بين الاتجاهين، سواء فيما يخص التوجه العام، الذي ينبغي على المناضلين المعتقلين اختياره في المحاكمة، أو فيما يخص الموقف من مسألة الصحراء، و كيفية التعامل معها، إضافة للخلاف حول توقيت المحاكمة، إذ كان الاتجاه الأول يرى أن المطالبة بتعجيلها، و الدخول في إضراب عن الطعام من أجل ذلك موقف خاطئ، نظرا لمعطيات الأوضاع العامة التي كانت تعيشها البلاد آنذاك، و التوجه الفكري العام الذي سار عليه أصحاب الاتجاه الثاني، و حاولوا فرضه على مجموع المعتقلين في نفس القضية، من خلال فرض التعجيل بالمحاكمة، لهذه الاعتبارات رفض أصحاب الاتجاه الأول إضراب نونبر 1976، الذي كان شعاره "المحاكمة أو إطلاق السراح". و لقد طرح أصحاب هذا الاتجاه الثاني، ضرورة الدفاع في المحكمة عن نظرية "الثورة في الغرب العربي"، التي تجعل من الصحراء نقطة مركزية في برنامج "إلى الأمام"، و الدفاع كذلك عن "الجمهورية الصحراوية"، إلا أن أصحاب الاتجاه الأول رفضوا هذا الموقف جملة و تفصيلا، معتبرين أن ما يجب التركيز عليه هو المشاكل الداخلية للبلاد، لكن الموقف بشكل عام حسم في قاعة المحكمة لصالح التركيز على مسألة الصحراء، الأمر الذي سمح بإنزال أحكام جائرة بالغة القساوة على المناضلين المعتقلين.

و لقد عجل هذا الصراع بالقطيعة التامة السياسية و التنظيمية بيننا، باعتبارنا أصحاب وجهة النظر المعارضة و بين مجموعة "إلى الأمام"، ذلك أن الرأيين المتصارعين كانا على طرفي نقيض، و الخلافات كانت شاملة و عميقة.

و بعد المحاكمة مباشرة، بدأت مجموعة "إلى الأمام" تبذل كل المجهودات من أجل تطويق و عزل أصحاب وجهة النظر المعارضة، و استعملت كل الأساليب للوصول الى أهدافها، فسعت في البداية إلى طمس الطابع السياسي للصراع، و تقديمه و كأنه صراع أشخاص تحركهم حزازات ذاتية، فبدأت تروج دعايات مغرضة عن المعارضين لها، مختلقة التهم الدنيئة و المنحطة في الصراع، و اتهمتهم بالتفسخ الأخلاقي و الإنهزام السياسي، إلى غير ذلك من النعوت البديئة و الكاذبة، التي تجسد مستوى تخلف أصحابها، الذين لم يترددوا في استعمال أساليب رجعية إرهابية في الصراع، و لقد وجدت هاته الممارسات في البنية الفكرية و السياسية التي كانت سائدة وسط مجموعة "إلى

الأمام" و العاطفين عليها، مرتعا خصبا للإزدهار، فبرزت الأفكار الفاشية التي تدعو إلى تصعيد الاضطهاد و عزل المعارضين، على مستوى المعتقلين السياسين و عائلاتهم، و هذا ما مورس فعلا و بأشكال بشعة خلال نهاية سنة 1977، حيث وصل مستوى انحطاط الصراع إلى المقاطعة الكلامية، و حجز الأخبار السياسية عليهم، و تفتيش أمتعتهم و زنازنهم و استفزازهم بشكل مستمر، إلى غير ذلك من الأساليب التي تكشف عن أشكال الاضطهاد التي استعملت في هذا الصراع، و غياب أبسط ممارسة ديموقراطية من طرف مجموعة "إلى الأمام"، بل أن حياة بعض المعارضين كانت مهددة، و ذلك ما صرح به أحد أعضاء تلك المجموعة أمام المعتقلين السياسيين قائلا "لو وجدنا في ظروف ملائمة لتصفيتهم جسديا، لما ترددنا في ذلك".

و لم يكن في مستطاع مجموعة"إلى الأمام"، أن تواجه المعارضين لفكرها و خطها السياسي بغير هذه الأساليب، ذلك أن الخواء الفكري و السياسي هو ما يميزها، و لهذا فهي تتخوف أشد ما تتخوف من النقاش و الصراع السياسي ، و لقد كانت تعتقد أنها بممارساتها المتخلفة الإرهابية ضد المخالفين لها في الرأي، ستعيد الاعتبار الزائل لفكرها، و وجودها السياسي و التنظيمي، و ستتمكن من إقبار الأفكار المعارضة، و الحيلولة دون امتدادها إلى صفوفها من جديد، إلا أن الواقع عنيد، وعلى صخرته تفتت "إلى الأمام" بأحلامها و آمالها المهزوزة، ذلك أن الصراع انفجر داخلها من جديد، بعد مرور ما يقرب من ثلاث سنوات، و برز نفس الرأي الذي أعتقدت أنها تحصنت ضده، و أن أسباب وجوده داخلها قد انعدمت بقطيعة أصحابه معها، كما برزت آراء أخرى عديدة تتعارض و الاتجاه السائد، و ما أن انفجر الصراع من جديد، و بدأت المطالبة بممارسة الديمقراطية، حتى جاء جواب المسؤولين فيها كما كان منتظرا، فطردوا جميع المعارضين، و باتخاذ قرار الطرد الجماعي، الذي سبقته انسحابات كبيرة، تكون مجموعة "إلى الأمام" قد عرفت النهاية المنطقية، و المنسجمة مع فكرها السياسي و الإيديولوجي و التنظيمي، الذي ما كان له أن يؤدي بها إلا إلى الطريق المسدود.

هكذا تبخرت كل ادعاءات مجموعة "إلى الأمام" حول الديمقراطية، و ظهرت على حقيقتها، كمجموعة طفيلية تعيش على هامش الصراع الطبقي و السياسي في البلاد، تكن عداءا للديمقراطية في صفوفها، و في المجتمع، و إذا كانت الأوهام حول إمكانية ممارسة الديمقراطية من طرف تلك المجموعة، قد ظلت تشد إليها العديد من المناضلين في السنوات الأخيرة، فلقد عانوا المرارة نتيجة أوهامهم، و تأكدوا بالملموس من خلال تجربتهم الخاصة من معاداتها التامة للديمقراطية.

و إذا كانت "إلى الأمام"، قد حرصت منذ تأسيسها على طرد التناقضات من بين صفوفها، محاولة فرض انسجام و خضوع أعضائها و المرتبطين بها، للفكر السائد داخلها، و لم تتردد في ممارسة الاضطهاد السياسي و التعامل الرجعي مع المعارضين لفكرها و خطها السياسي، فإن من النتائج الطبيعية لهذا النهج، أن تصل إلى النهاية التي وصلت إليها بخسائر و تضحيات أكبر.

و كونها انتهت إلى الفشل التام و التشتت، لا يجعل من التضحيات الغالية التي قدمها المناضلون، الذين ارتبطوا بها تاريخيا، و انتهوا إلى القطيعة التامة معها، تذهب سدى، بل هي جزء من تضحيات شعبنا، على طريق صنع مستقبله المشرق، و دروسها غنية جدا، و مكسب لتدعيم النضال الديمقراطي في البلاد، و الابتعاد عن المآزق الخطيرة التي قد ينساق إليها المناضلون بدون وعي.

إن النزعات الطفولية المغامرة، قد تجد ما يغذيها في المجتمع في الظروف الحالية، خاصة في أوساط الشباب التعليمي، و أن مسايرة هذه النزعات لن يؤدي، كما أثبتت التجربة ذلك، إلا إلى هدر طاقات نضالية هامة في الفراغ، و تقديم تضحيات غالية بشكل مجاني، و السير نحو انتكاسات، شعبنا في غنى عنها، و إننا إذ نطرح هذه الآراء النقدية الصريحة حول مجموعة "إلى الأمام"، و مواقفها السياسية أمام كل المناضلين التقدميين المغاربة، باعتبارنا أعضاء سابقين في هذه المجموعة، ساهمنا في تجربتها خلال فترة من تاريخنا النضالي، نعلن بذات الوقت، تبرأنا التام من جميع ممارساتها السياسية و المواقف التي عبرت عنها منذ سنة 1976.

و انسجاما مع المواقف التي عبرنا عنها أعلاه، و أمام المسار الموضوعي الذي سارت فيه مجموعة "إلى الأمام"، و كافة المجموعات اليسارية الأخرى، منذ نشأتها إلى الآن ، و الذي ارتبط لديها بالانغماس المتزايد في النهج الإنتهازي اليساري، و في المواقف الطفولية اللامسؤولة دون أدنى عبرة من التاريخ، أو استفادة من تجربة سنوات طويلة من الانتكاسات المتتالية، فإننا نعلن أمام الرأي العام الديمقراطي، قطيعتنا السياسية و التنظيمية التامة مع مجموعة "إلى الأمام"، و نعتبر أن المواقف التي قد يتم التعبير عنها باسمها، لا تعنينا من قريب أو من بعيد، و لا تعبر عن رأينا بتاتا.

انتهى في 22/02/1980

توقيع :

المشتري بلعباس - عبد الله المنصوري – عبد العزيز الطريبق – أمناي إبراهيم – مشبال محمد أمين – أحمد بوراس – أحمد بوغابة – عزوز لعريش – جمال بن عمر – يونس مجاهد .

حول بعض التأملات النقد الذاتية الأولية لسنة 1979

(أبراهام السرفاتي، السجن المركزي بالقنيطرة، 17 مارس 1980)

يلزمني بداية، تفسير كوني لم أقدم لحد الآن نقذا ذاتيا على الأخطاء التي ارتكبتها هنا سنة 1979 ، نقذا ذاتيا ضروريا، نظرا، و في نفس الوقت، لخطورة أخطائي، و لحدة المشاكل و التوترات الحالية بالسجن خلال هذه السنة.

و يعود هذا أولا إلى سبب ذاتي، مقبول أو غير مقبول، و لكنه فعلي: حدة التناقضات و الاصطدامات التي عاشتها المنظمة المحلية، و بلغت، خاصة في الربيع، مستوى - كان لي فيه دور كبير – وضعني، في شتنبر، و ابتداءا، من الوقت الذي بدأت أشارك فيه اللجنة الوطنية نشاطها بشكل عادي، في استحالة تجاوز سلسلة من الأوضاع الذاتية إزاء أغلبية رفاق المنظمة المركزية المحلية. و لقد بدأت أفهم تدريجيا، من جهة، جذور المفاهيم السياسية و الإديولوجية الخاطئة التي قادتني إلى الأخطاء السياسية المعروفة – و التي سأعود إليها – و الأسس الإديولوجية و الطبقية للإجراءات التنظيمية التي قادتني إلى اصطدامات كهذه، و من جهة أخرى، و بالموازاة مع ذلك، أن أنتبه إلى الأسس الخاطئة لهذه الأوضاع الذاتية إزاء هؤلاء الرفاق، و تجاوزها فكريا و ذاتيا، و أتمنى ذلك، أن أتخذ إزاء هؤلاء الرفاق وضعا سليما و أخويا. صحيح أن صدمة نونبر قد بلورت هذه السيرورة و قادتني إلى تعميق هذه التأملات. إذ أنها (أي السيرورة) تقود بالضرورة إلى تجاوز الذاتية السابقة إزاء هؤلاء الرفاق الذين شكلوا آنذاك، مع كل التنظيم المركزي المحلي، و حول اللجنة الوطنية، النواة الصلبة لمنظمتنا خلال هذه الصدمة.

أكيد، أن هناك جذور سياسية و إديولوجية أعمق، فالأخطاء التي ارتكبتها سنة 1979، كانت لها جذور، من جهتي، في المفاهيم السياسية التي طورتها منظمتنا منذ 1974، و التي شاركت في وضعها، و من جهة أخرى، في المسارات الإديولوجية و الطبقية التي ترسخت لدي خلال مدة طويلة من الفكر و الممارسة التحريفيين، و التي نقلتها (أي المسارات) معي طوال حياة منظمتنا، إلى حين ألزمتني أزمة هذه

السنة (1979) النظر إليها وجها لوجه، و العمل على تجاوزها. و أضيف، معتقدا أنه درس يجب استخلاصه بشكل عام، و الأمر يتعلق بأزمة من هذا القدر، بأن موقف اللجنة الوطنية، المتمثل في عدم وضع مسألة النقد الذاتي كشرط مسبق، بالنسبة لهذا أو ذاك، و إنما بالسماح بنضجه في إطار ممارسة جديدة، إن هذا الموقف قد أثبت صحته في نظري، الشيء الذي لا يعني بتاتا بأن كل الذين ارتكبوا أخطاءا، و أنا في مقدمتهم، لم يعد لهم من حساب يقدمونه.

إن هذه التأملات النقد الذاتية الأولية، ستتركز على محاولة تحليل الأخطاء السياسية و الإديولوجية اليمينية التي ارتكبتها سنة 1979، و سأذكر مع ذلك بعض العوامل المرتبطة بالممارسة التنظيمية الخاطئة، لكن دون أن أتوقف عندها الآن.

عندما جئت إلى السجن المركزي في يناير 1979 كنت ما زلت أعتقد أن خط منظمتنا لسنوات 1972 - 1974 كان صحيحا في أساسه. وحدها، بعض الأخطاء التقنية المرتبطة بيقظة غير كافية، هو ما قاد إلى اعتقالات أواخر 1974 و بداية 1975، بالإضافة إلى ذلك، احتفظت بتصور مثالي عن وحدة تنظيمنا، التي سادت خلال هذه السنوات السابقة. إذا لم يكن من الممكن هنا تحليل هذا التصور، فإني أسطر مع ذلك، أنه يستند على فكرة أن هذا الخط ما دام صحيحا، فمن الممكن دائما تحقيق "وحدة الأفكار، و الإرادة، و الممارسات التنظيمية، تحت إشراف قيادتها، التي تشكل مركز تهيئة هذا الخط، و هذا كأساس ل"المركزية الديموقراطية". انضاف إلى هذا، و بصفة ضمنية، و بطبيعة الحال، محاولتي الشخصية المرتبطة بماضيي كمثقف بورجوازي صغير، تكون وسط ممارسات الأحزاب التحريفية، حيث تسمو شخصية القائد، وحدها فترة الوعي بخطورة أخطائي في هذه السنة، بالمقارنة مع المواقف السديدة و الحاسمة – بالنسبة للأساسي – لدى رفاق آخرين ممن تصادمت معهم، هذا، هو الذي أدى بي إلى إدراك و وعي هذا التصرف، في الشهور الأخيرة لسنة 1979. هذه التصورات التي أشرت إليها هنا بعجالة، هي منبع – حسب ما أتصور – الأخطاء التنظيمية التي ارتكبتها في الثلاث الأشهر الأولى من مجيئي هنا. تلك الأخطاء التي قادت إلى مصادمات شهر أبريل داخل التنظيم المركزي المحلي ، و من هنا، اتخاذي خلال ربيع 1979، مواقف يمينية حول مجموعة من القضايا الأساسية. غير أنه، ليس من الممكن فهم هذه المواقف، بتفسير بسيط مرتبط بالظرفية، (تلك الصراعات الداخلية داخل التنظيم المركزي المحلي)، فمن الواضح أن لها أسباب سياسية و إديولوجية عميقة يجب تحليلها، و هذا ما يفسر مسبقا قلة حرصي و حذري اتجاه اليمين الجديد داخل التنظيم المحلي، خلال المرحلة الأولى فيما يخص النقاشات، التي أدت بي إلى تبني "البرنامج الإنتقالي"، سأحرص إذن، على التذكير بسرعة، بالمسار الذي أدى إلى مصادمات شهر أبريل، و الأخطاء الرئيسية التي ارتكبتها خلال هذه الفترة الأولية. هناك واقعتان رئيسيتان أثارتا انتباهي منذ بداية وصولي إلى السجن المركزي:

1 . الواقعة الأولى: خلال سنتين، فالتنظيم المركزي المحلي القوي بعدد من الرفاق المتمرسين، فإنه مع ذلك، لم تكن له أية مساهمة في إعادة البناء على المستوى الوطني.

2 . الواقعة الثانية: خطورة الأخطاء المرتكبة فيما يتعلق بالممارسات داخل التنظيم المحلي في سنة 1978، المرتبطة بالتهم الموجهة ضد المشتري بلعباس و المنصوري عبد الله، و التي لا تبررها مواقفهما اليمينية، التي كنت أعرفها منذ يناير 1977. و على هذا الأساس، فقناعاتي تبلورت على الفور، و كان يجب و بدون تأخير، تصحيح الوضعية حول هاتين النقطتين، فكل تصرفي بالنظر إلى تبني البرنامج الانتقالي و دفاعي اللاحق عنه، كان قد تمحور حول هاتين النقطتين.

انطلاقا من التصورات الثلاثة الخاطئة (حسب كاتب النص) التي ذكرتها أعلاه، ارتكبت أيضا الأخطاء التالية (التي لن أذكر منها الآن إلا بعض الأخطاء البارزة و الواضحة وضوح الشمس خلال هذه الفترة الأولى)، لن آخذ بالحسبان سنتين من القطيعة التامة عن الحياة السياسية الوطنية و الدولية و النشاط التنظيمي، فلم آخذ أي أجل لكي أدرس هذه الحياة السياسية، و بالتحديد صراع الطبقات في البلاد، أو محاولة فهم عمق المشاكل، كما تطورت داخل التنظيم المحلي ، بما في ذلك السجون الأخرى، و لم أبذل أي مجهود لأحاول فهم الأصوات النادرة التي تعالت ضد مشروع البرنامج الانتقالي، و بصفة خاصة صوت (ب)، و بدرجة أقل أسس النقد الذي قام به هذا الرفيق ضد الخط السابق الذكر.

و بعزلي الأخطاء المرتكبة سنة 1978 تجاه المشتري بلعباس و المنصوري عبد الله، في محاولة "أخلاقية" بورجوازية صغيرة، كنت أرفض أن أرى – أواخر مارس – أن النقد الضروري لهذه الأخطاء، لم يكن ليفصل عن التحليل النقدي للخط اليميني المقدم من طرف المشتري بلعباس و المنصوري عبدالله، منذ السجن المدني بالدارالبيضاء، و لا عن الحذر الضروري اتجاه مناوراتهم الإنتهازية، و طموحاتهم كمثقفين وصوليين، مثل ما كشف عنه "التجميد". هكذا إذن، لم أتقبل في تصوري "كقائد أسمى"، أن أكون من الأقلية في صفوف التنظيم المركزي المحلي، فقمت بنشر بوليميك عنيف وسط مجموع التنظيم المحلي، موجه بالأسماء ضد ثلاث رفاق اتهمتهم ب "التكتل بدون مبادئ" لأنه في العمق، و لسبب وجيه، كانوا متفقين على هذه النقطة الأخيرة التي أتيت على التذكير بها. لقد تدحرج هذا البوليميك في أبريل و ماي، و الذي أتحمل فيه المسؤولية الأساسية، فلم يساهم في إضعاف ثقة عدد من الرفاق داخل التنظيم المحلي فقط، بل ساهم في إضعافها بصفة عامة. و هذا ما استغله على نطاق واسع كل من المشتري و المنصوري في يونيو، لجر عدد من الرفاق للمشاركة في بيان التجميد، و يضاف إلى كل هذا، الإنزلاق المسجل حول المواقف اليمينية التي اتخذتها في هذه الفترة.

قبل ذلك، في شهر فبراير، لم أرى اعتراضا كبيرا على مشروع التحليل السياسي للرفيقين، الذي تناول في الواقع الأطروحات الأساسية بلعباس المشتري و عبد الله المنصوري، لتقديمها كأرضية أولية لمناقشة التحليل السياسي خلال البرنامج الانتقالي، فقد كتبت سابقا في جوابي على مناضل في 6-2-80 المعنون ب "بصدد بيان التجميد"، يشير إلى بعض النقط الأساسية التي يمكن أن تسمح بفهم لماذا التحليل السياسي للمشتري و المنصوري لسنة 1978، يمكن أن يجد له تأثيرا على العديد من رفاق و مناضلي تنظيمنا، انطلاقا من الإنزلاق اليميني الذي قام به تنظيمنا في 1974، الشيئ الذي يمكن من ربط نقد أطروحات المشتري و المنصوري لسنة 1978، بنقدنا الذاتي، ولن أعود هنا لهذه النقط، و لكن أريد مع ذلك التركيز على نقطتين منها، حيث أظن أن لهما أهميتهما في مواقفي اليمينية لربيع 1979.

1- النقطة الأولى، تهم تحليل الطاقات الثورية للبورجوازية الصغيرة، ويجب هنا أن أحدد أولا، أنه على عكس ما يكون أحد الرفاق قد فهم من نصي في يناير 1980، حول التحولات السياسية لسنوات السبعينات، لا في هذا النص و لا في نفس السنة الماضية، فكرت أو كتبت أن البورجوازية الصغيرة و المتوسطة البيروقراطية، التي تتناسب اليوم، و هنا إجمالا، مع ما يسمى في بلدان أخرى ب "الأنتلجانسيا"، لها كفئة اجتماعية طاقة ثورية، الشيئ الذي لا يمنع بعض المثقفين كأفراد أن يصبحوا مثقفين ثوريين، فأنا أظن العكس، و قد كتبت ذلك، أي أن هذه الفئة الإجتماعية، و التي في الشروط المادية الواقعية (الملموسة) لصراع الطبقات الحالي، هي بالتحديد الخميرة الإديولوجية للإصلاحية، التي بالإرتكاز على جماهير البورجوازية الصغيرة، تتقدم مرشحة نفسها كبديل، في إطار بورجوازية الدولة، لكنه بديل لتبعية صارخة من طرف البورجوازية الكومبرادورية، لتبعية أكثر حذاقة من طرف نظام بورجوازية الدولة.

لقد عبر عنها فتح الله ولعلو بوضوح كبير في كتابه "الامبريالية و المرحلة الثالثة للسيطرة"، حتى لا نحتاج إلى التأكيد على ذلك. بالمقابل أظن، و قد ظننت ذلك من قبل في ربيع 1979، أن أكبر عدد من جماهير البورجوازية الصغيرة ليس عندها من مخرج موضوعي من وضعية الاضطهاد التي تعرفها حاليا، إلا الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية. هذا هو الأساس الموضوعي للتيارات الجذرية و الثورية، التي تتكون من هذه الأجزاء الواسعة من البورجوازية الصغيرة (فلاحون متوسطون، حرفيون، تجار صغار، الشباب المتمدرس، مستخدمون و موظفون صغار). لكن، و لأنني لم أفهم هذا، هنا توجد بشكل واضح جدا حسب ما أرى، واحدة من جذور أخطائي اليمينية لربيع 1979، إن فئات البورجوازية الصغيرة هذه، لا يمكن أن تصل إلى استقلالية سياسية، إديولوجية و تنظيمية اتجاه "الأنتلجانسيا" الحالية، إنها غير قادرة على الإفلات من الهيمنة الإديولوجية، و أيضا السياسية و التنظيمية التي تمارس عليها من طرفها، إلا إذا تشكل قطب ثوري بروليتاري، و الذي بنقده، دون تنازل للإصلاحية ، و بدوره في تنظيم النضالات الملموسة للطبقة العاملة و الجماهير الأساسية للفلاحين، سيبدأ في

بلورة البديل، الذي حوله يمكن أن تلتف هذه الفئات الجذرية للبورجوازية الصغيرة، و القوى السياسية التي تنبثق عنها، و في غياب هذا القطب، لا يمكن لهاته الشرائح من البورجوازية الصغيرة باعتبارها كذلك، أن تفلت من الهيمنة الإديولوجية "للأنتلجانسيا" الحالية. و القوى السياسية التي تنبثق عنها على الأقل عفويا، سقطت في مآزق سبق و أن أدت إلى عدد من المحاولات التي كانت محكوم عليها مسبقا بالفشل. و هذا نتيجة للسبب التالي: إن فئات البورجوازية الصغيرة لا يمكنها بنفسها (ذاتيا) أن تؤسس مشروعا ثوريا*. و أوضح، مع وجود احتمال أن أكون ثقيلا – أقول قطبا ثوريا بروليتاريا و ليس حزب البروليتاريا، و لأن بناء هذا الحزب هو سيرورة طويلة، تتكون خلالها الأشكال الأولى للنضالات الثورية الجماعية، و انطلاقا من هذه النضالات في القاعدة، الأشكال الأولى لجبهة القوى الثورية، لكن الأمر لا يتعلق بصيغة جديدة و غريبة لإشكالية "البيضة و الدجاجة". فالقطب الثوري البروليتاري مكون عبر السيرورة نفسها لإندماجات التنظيمات الثورية الماركسية – اللينينية مع الطليعة المناضلة للطبقة العاملة. فعبر هذه السيرورة، إذن و بمجهود الإنغراس داخل الطبقة العاملة و الجماهير الأساسية، يجب أن تكون البداية. و مجهود الانغراس هذا، هو ما سيخلق الظروف لتشكيل جبهة ثورية مع القوى المستجيبة لشروط محددة، و تم تحديدها. كان يظهر لي أن نص يناير 1980 كان واضحا، و ليس به غموض حول هذا الأمر، أقول الأنتلجانسيا الحالية و أسطر على الحالية، لأن هذا المصطلح ليس له من قيمة إلا إذا كانت ملموسة. في الممارسة هؤلاء المسمون "مثقفين" حاليا: أساتذة جامعيون، أطباء، محامون، مهندسون الخ... الذين يشكلون الفئة العليا للبورجوازية الصغيرة و البورجوازية المتوسطة البيروقراطية، هم جزء لا يتجزأ من النظام الكومبرادوري، و في أحسن الحالات لا يتميزون عنه إلا بمواقف إصلاحية. و في المستقبل، مثقفون ثوريون حقيقيون، بعضهم انبثق من البرولتاريا، قادرون على إنتاج ثقافة ثورية – فكم عددهم اليوم ؟ - سيعرفون تحت قيادة حزب البروليتاريا كيفية المشاركة في النضال الثوري، كذلك على الجبهة الثقافية و الإديولوجية. إن عدم إدراكي في ربيع 1979، لاستحالة وجود القدرة لدى الفئات التي أسميها "جذرية" من البورجوازية الصغيرة، على بناء مشروع ثوري مستقل*، و بالتالي الإفلات

* . إن تاريخ الحركات الشعبوية، التي استطاعت الوصول إلى السلطة في أمريكا اللاتينية، غني بالدروس، حيث يفشلون، كما هو الحال بالنسبة لكولارت في البرازيل، أو يستسلمون أمام الامبريالية، كما هو الحال بالنسبة ل"الحركة الوطنية الثورية"، لسنوات الخمسينات في بوليفيا، أو يرتمون في أحضان الوصاية السوفياتية كما هو الحال بالنسبة لفيديل كاسترو. لكن يجب أيضا دراسة ما لم يتم إنجازه حتى اليوم من وجهة نظر ماركسية، و أقرب حالة إلينا هنا، التجربة الشعبوية للجزائر تحت رئاسة بن بلا، خلال 1962- 1965، و كذا أسباب فشله النهائي.

بنفسها من هيمنة الأنتلجانسيا الإصلاحية الحالية، أدى بي بالتالي، إلى الظن بأن هذه الفئات الطبقية و القوى السياسية المنبثقة عنها، تكون قادرة على الإطاحة بهذه الهيمنة الإصلاحية، حتى داخل الحزب الرئيسي للبرجوازية الصغيرة: الإتحاد الإشتراكي للقوات الشعبية.

أظن، أنه هنا، يكون السبب المباشر للمواقف التي اتخذتها في ربيع 1979 حول الإتحاد الإشتراكي، و كذا النقد الخاطئ الذي قمت به في هذا الصدد بالنسبة لبيان 18 أبريل، إنه و بدون شك، فلهذه الأخطاء جذور أكثر عمقا، و التي سأحاول فيما بعد توضيحها. في السابق، و انطلاقا من البداية، يجب علي فحص أسس الموقف الخاطئ الذي كان يقضي بدعم شعار "إسقاط النظام".

2) لماذا شعار "إسقاط النظام" كشعار مركزي للمرحلة الحالية هو خاطئ، و يؤدي في نهاية الأمر إلى مواقف يمينية؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، يجب أولا فهم لماذا هذا الشعار قد يظهر كخطوة إلى الأمام، بالنسبة "للخطة التكتيكية المشتركة" لأكتوبر 1974، و للبرنامج الديموقراطي لدجنبر 1976 بالنسبة للقوى المسماة "وطنية و ديموقراطية"، أي القوى الإصلاحية.

في هذا الإطار، فإن البرامج التكتيكية آنذاك، كانت أكثر إصلاحية خصوصا و أنها اندرجت في إطار مشروع "جبهة القوى المعارضة للنظام الحالي" (1974) *، أو في طرح هدف عزل "النواة الفاشية" (1976) .و لأنه لم يتم فهم هذا من طرفي في بداية 1976، فقد كنت كذلك حساسا للنقد - من اليسار ظاهريا – لمثل هذه البرامج التي كانت إصلاحية، لأنها لا تطرح مشكل السلطة. من هنا، على ما يظهر، كان واقع وضع إسقاط النظام كشعار تكتيكي مركزي، يظهر كما لو أنه صحيح، و يعطي هكذا طلاءا براقا و جذريا لتحليل المشتري و المنصوري لسنة 1978. و بالتدريج، خلال ربيع 1979، كنت ملزما بوضع تمييز داخل البورجوازية الصغيرة، بين قوى و فئات طبقية إصلاحية و قوى و فئات طبقية جذرية، لكن مع الخطأ المشار إليه أعلاه (انظر رسالتي لنهاية يونيو 1979إلى عضو القيادة)، هذه الوضعية جعلتني أفهم، أجل، بدأت في فهم مظهر من المواقف اليمينية للتحليل السياسي للمشتري و المنصوري، بموازاة مع واقع ممارستهم، التي بدأت منذ نهاية

* . المشروع ليس خطة، إنه مشروع ثوري لمجتمع متحرر من التبعية، و المشروع الوحيد الممكن، هو المشروع البرولتاري للثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية.

* . هذا التعبير "النظام الحالي" في السياق المحدد للأطروحات، المنتسبة للفترة، لم يكن يعني أبدا أكثر من "الطغمة الحاكمة" بعناصرها الثلاثة (الحسن-عبد الله – الدليمي) المفترض أنها تمثل عقبة كبرى أمام تقدم ديموقراطي، يفترض فيه أن يكون ممكنا، لا يختلف في العمق عن صيغة "النواة الفاشية" لسنة 1976.

ماي، بعد مشاركتهم في عملية 18 مليون. لكن كما لاحظ ذلك أحد الرفاق مؤخرا، لم أفعل إذن سوى استبدال موقف يميني محبوك بموقف يميني آخر أكثر حبكة. (الخطأ الذي اقترفه مع ذلك هذا الرفيق، هو أن يظن أن هذا الموقف ما زال موقفي).

في الواقع، في عمق أطروحاتي لهذه الفترة (يونيو – شتنبر 1979)، كنت أظن فيها أنه يمكننا أن نرتبط حاليا بجبهة القوى الثورية – الشيئ الذي هو بالأساس بورجوازي صغير – لها كهدف رئيسي، إسقاط النظام عن طريق العنف الثوري للجماهير، مع احتمال تهييئ وسط هذه الجماهير مستقبلا، شروط تجاوز قيادة البورجوازية الصغيرة لهذه الجبهة، إلى قيادة البروليتاريا التي سيتم بناؤها. كان الخطأ الرئيسي هو الأخذ بتكوين جبهة القوى الثورية كطريق لبناء الحزب البروليتاري، مستبدلا في الواقع، كما لوحظ ذلك سابقا و بحق، المرور عبر الشبيبة المدرسية بالمرور عبر جبهة القوى الثورية، عوض الانخراط مباشرة في العمل الطويل و الصعب، للانغراس في الطبقة العاملة و الجماهير الأساسية، بقصد بناء حزب البروليتاريا، هذا العمل الذي يخلق إذن الشروط لتكوين مثل هذه الجبهة، في إطار سيرورة بناء حزب البروليتاريا. سأسعى لاحقا، ابتداءا من فهم هذا الخطأ الرئيسي، إلى الرجوع للجذور الرئيسية لهذه الأخطاء.

لكن، لماذا كان مثل هذا الموقف في العمق موقفا يمينيا ؟

تحديدا للسبب المذكور أعلاه، حول الحدود الموضوعية للفئات الجذرية للبورجوازية الصغيرة، لأن مثل هذه الفئات لا يمكن لوحدها بناء مشروع ثوري منسجم، لهدف سياسي مركزي متعلق بسلطة مرتكزة على قوى سياسية منبثقة من هاته الشرائح، كنتيجة للنضال الثوري للجماهير من أجل إسقاط النظام.

إن هذا الموقف (الموقف السابق) يؤدي إلى المساهمة في زرع الأوهام في صفوف الجماهير، و بين المناضلين الماركسيين اللينينيين، الذين تضعهم تلك الأوهام، منذ الآن، أمام المآزق التي لا يمكن تجنبها لمثل هاته السلطة، مساهمين لاحقا، هكذا، في خلق شروط هزيمة خطيرة للجماهير الشعبية، و التي ستمكن بقوة من عودة النظام الكمبرادوري بشكل معلن، أو تكوين نظام بورجوازية الدولة، الذي لن يكون إذن سوى شكلا أكثر استقرارا للتبعية.

أكثر من ذلك، فهو موقف يميني ، لأنه، و هو الذي لا يضع ثقة كافية في القوى العميقة للطبقة العاملة، و للغريزة الطبقية (الوعي الحسي) لطليعتها المناضلة، الشيئ الذي يؤدي إلى التقليل من إمكانية المناضلين الثوريين الماركسيين اللينينيين في تشكيل نواة حزب البروليتاريا، من خلال عمل طويل و صبور، و لكن مباشر، داخل القلعات البروليتارية الرئيسية، عن طريق الإنصهار مع العناصر المتقدمة من الطبقة العاملة، و هذا باستقلال كامل عن البورجوازية الصغيرة، بما في ذلك القوى الثورية المنبثقة عن الشرائح الراديكالية من

البورجوازية الصغيرة. و لقد قادني هذا، بذات الوقت، لوضع مصداقية مبالغ فيها، لإمكانيات هذه القوى المنبثقة من البورجوازية الصغيرة الجذرية في ضمان القيادة الفعلية لنضالات هذه القطاعات الطليعية للطبقة العاملة، و إلى المبالغة بذات الوقت، في تقدير الإمكانيات النضالية ل ك. د.ش c.d.t الشيئ الذي لا يعني طبعا تجاهلها.

إن هذا لا يعني مع ذلك السقوط في الانحراف المعاكس، النازع إلى تجاهل هذه الشرائح الجذرية للطبقة البورجوازية الصغيرة و القوى الثورية المنبثقة منها، بل بالعكس، فبقدر ما يتطور العمل المباشر للتجدر في الطبقة العاملة و الجماهيرالأساسية، بقدر ما يصبح ممكنا و ضروريا كسب هذه القوى للمبادئ الأساسية للعنف الثوري الجماهيري، و للأهداف الأساسية ل ث.و.د.ش.

و من هنا، الموقف الوحيد الصحيح الموضوع من طرف أغلبية اللجنة الوطنية في نص 30 غشت : تذكير الجماهير بدون ملل، بأن المخرج الوحيد من الاستغلال الذي تعاني منه، هو الطريق الطويل و الشاق الذي سيقود إلى ث.و.د.ش بقيادة حزب البروليتاريا، و تبيان أن الشعارات التكتيكية ليس لها كهدف سوى ضمان شروط ضرورية دنيا لبقاء هذه الجماهير المناضلة، و لتوسيع وسائل نضالها من أجل تحقيق الهدف أعلاه.

و هكذا، فإن هذه الشعارات التكتيكية الموضوعة كمعالم للهدف الإستراتيجي للثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية، ستنفلت من الإصلاحية، في حين أنها أي الشعارات لن تخدم – و هي مفصولة بطريقة أو بأخرى عن هذا الهدف – سوى الإصلاحية، و المفاهيم اليمينية القديمة و الجديدة. و على أساس هذا الموقف، فإن المهام العاجلة لمنظمتنا، و المحللة في مشروع دجنبر، تأخذ تماسكها، و لا أرى ضرورة للرجوع إلى ذلك.

و يبقى علي، و بعد عرضي هذا، و لفهم أسس هذه الأخطاء السياسية، أن أشير و لو أوليا لجذورها الأساسية، لكن قبل ذلك سأشير بذات الوقت – و لا يمكن السكوت عن هذا – إلى خطأين مضبوطين، و لكن خطيرين يتطلبان و لا شك من بعد، تحليلا و نقدا ذاتيا عميقين.

الأول، هو تصريحي بمكان الزيارة (parloir)، غداة مناقشة "بيان 52" في ماي 1979، لمناضلين طلبة، أكيد أن الحجج، التي أثرتها في هذه المرحلة لتبرير عدم احترام – فاضح - لأبسط المفاهيم الأولية للمركزية الديموقراطية، لم تكن إلا حججا سكولاستيكية. إن عمق المشكل، هو أنني لم أكن مقتنعا، و للأسباب السياسية المذكورة أعلاه، بصحة موقفنا في التنظيم المركزي المحلي، و الذي دافعت عنه بنفسي في التجمع العام. لهذا، تضاف أسباب ذاتية غير مبررة، لا أقل و لا أكثر: انتهازية إزاء محاوري، مرتبطة بسلوك بورجوازي محض، ألا

هو الحفاظ على موطئ قدم في المعسكرين، و رد فعل و تحدي تجاه(ب) الذي كان حاضرا، و الذي اصطدمت به بالأمس: رفض توجيه متعلق ب أ.و.ط.م، صادر عن أعضاء آخرين من اللجنة الوطنية، و الذي لم أشارك في وضعه.

ثانيا، هو انسحابي من المنظمة المركزية المحلية بداية يوليوز. أدقق بسرعة، إن حججي بخصوص التمييز ما بين "التوجيه و التسيير" لم تكن سوى تطبيقا بيزنطيا على تنظيم ماركسي لينيني لممارسات مؤسسات رأسمالية، لكن ينبغي علي في هذه النقطة، كما في نقط أخرى، أن أتساءل عن بقايا سنين طويلة من ممارسة كهذه. إن السبب المباشر، الغير مقبول، هو أنني لم أكن أريد الانفصال عن بقية "المجمدين" الذين كنت أشاركهم آنذاك عدد من وجهات النظر السياسية – و ليس وجهة نظر "التجميد"، و ممارسة الصراع الجماهيري المفتوح، الذي لم يكن أبدا صراعا سياسيا – و السلوكات الذاتية في أبريل إزاء "الرفاق الأربعة" الذين عادوا إلى التنظيم المركزي المحلي، و كانت تصور لي رجوعهم إلى المنظمة المركزية المحلية، كآلية حربية ضد "المجمدين" في الوقت الذي كان فيه همي الوحيد هو العمل على عودة أغلبيتهم (لهذا صرحت بداية شتنبر، أنني على استعداد للرجوع إلى المنظمة المركزية المحلية، بمجرد ما تأخذ هذه الأخيرة قرار فتح نقاش موسع مع المجمدين).

لكن الأمر كان يتعلق، مع ذلك، بالانسحاب من الموقع. و مهما كانت الصعوبات الحقيقية أو/ و المزعومة، فإنه كان علي أن أتابع العمل داخل المنظمة المركزية المحلية. لكن لاشك أن أنانيتي ك "قائد أعلى"، كانت تجعل هي أيضا من الصعب علي تقبل وجودي ضمن الأقلية.

- و لنأت إلى الجذور الأساسية، و التي أعتقد أنني أدركتها في أصل هذه الأخطاء. و لدي هنا بعض ما أقوله حول سيرورة هذا الإدراك: عندما تكون بعض المسلكيات متجدرة في العمق، مغروسة خلال عشرات السنين من الممارسة البورجوازية الصغيرة، فإنها لا تكون صعبة الإقتلاع فقط، و إنما هي مستحيلة الإدراك بمجرد التفكير. إننا بحاجة إلى هزات عنيفة، و أكيد أن التفكير حول ما يمكن أن تزهره هذه الهزات، سيسمح باستخلاص دروس مقبولة و دائمة و مساعدة على تصحيح السلوكات. و لقد كانت الهزات، هزات نونبر، و أدقق أنه في ظل الحالة التي وصلنا إليها آنذاك، كان قرار 12 نونبر 1979، الوحيد القادر على ضمان حماية المنظمة. لكن، لم نر هكذا، ذهاب العديد من رفاق النضال، - بدون مرارة –، لا أتكلم بالطبع عن مجموعة المشتري و المنصوري، و عن المنحطين، و لكن عن الأغلبية التي ظلت إما ثورية، كأولئك الذين توصلوا إلى تبني أطروحات عفوية في النظرية، تصفوية في الممارسة، أو الذين انحرفوا كثيرا بسبب العديد من

التأرجحات خلال هذه السنة، و بدون رحمة، لدرجة لم يتشبتوا فيها بأي نظرية. إن هذه المرارة، ما كان لها أن تضعف الأمل الذي يمكن أن نحتفظ به ليوم رؤية البعض يعودون، أو الإلتقاء بهم في نفس طريق بناء حزب البرولتاريا، هذا الطريق الصعب و الملتوي.

لكن هل يمكن غسل اليد عن موصل نونبر، بالإعلان عن "موضوعيته"؟ إننا "لم نعرف معالجة الداء لإنقاذ الإنسان" إن قبضة سلوكاتنا البرجوازية الصغيرة و اصطداماتنا الذاتية، و فردانيتنا، كل هذا، في هذا المكان المغلق، السجن، جعل أن السياسة لم تتطور بصفة صحية. و في هذا الجو، فإن أعداء منظمتنا، و بالدرجة الأولى مجموعة المشتري و المنصوري و المنحطين، قد عملوا و هم مرتاحون، على تحطيم المعنويات و فك التعبئة و زرع الشك.

فكم من باب أغلقناه بأخطائنا، بسبب عدم تفاهمنا، كم من شكوك زرعناها بسبب أخطائنا و تمزقاتنا ؟ لا أتكلم عن المجهودات الأخيرة في أكتوبر، و بداية نونبر، بل عن تراكم أخطاء هذه السنوات، عن انفجارها سنة 1979، عن هذا الانفجار الذي ساهمت فيه كثيرا بأخطائي، ليس فقط السياسية، و إنما بتذبذباتي، بفردانيتي، باصطداماتي مع أحسن الرفاق.

يجب عندئذ، مراجعة أنفسنا، إن الأمر لا يتعلق بنزعة أخلاقوية، و إنما بحقيقة عميقة أولية للثورة البرولتارية، تلك التي ذكر بها ماو تسي تونغ تلامذة بكين في فجر الثورة الثقافية يوم 30 يوليوز 1966، مهنئا إياهم على روحهم النقدية إزاء الكوادر المخطئة، موصيهم آنذاك بمساعدة هؤلاء الكوادر على تصحيح أخطائهم مضيفا: "لقد علمنا ماركس بأنه لا يمكن للبروليتاريا أن تتحرر بنفسها إلا بتحرير كل الإنسانية، و إني لأناشدكم أيها الرفاق أن تعيروا اهتماما كبيرا لهذه الحقيقة".

هذا مالم نكن (في التنظيم المحلي)، و لم أكن أنا كذلك قادرا عليه. فلنذهب إلى العمق، و إلى الأعمق. فبعد الإعتقالات و التعذيب، و سنوات العزلة، و استشهاد زروال و سعيدة، يمكن على الأقل هنا، أن نفكر بالأساس، بأنه هكذا كان مصيرنا.

لكن هنا، الآن، أعرف، و ليس فقط كترديد شفوي، أو من بنات أفكاري، أن هذا الطريق لن أكون فيه – و هذا شيئ كثير- سوى مجرد معبد بسيط (بكسر الباء) لطريق طويلة قيد البناء، أعرف أنه لايهم كوني لن أرى اللحظات المشرقة التي نتجه إليها، بل و لاحتى إشراقاتها الأولى، أعرف أن آخرين سيكونون هناك، خير مني، صقلتهم السنوات المظلمة. من أجل بناء هذا الطريق، أعرف أنه لا بد من الإلتصاق و التشبت بهذه الجوانب الحادة من الجبل، الذي علينا تسلقه. يمكن أن نبدأ إذن، بفهم جذور فقداننا للصبر، و أنانيتنا و فردانيتنا، و يمكن أن نبدأ بتجاوزها.

هنا و الآن، لا يمكنني التطرق لتحليل منطقي ، بالمعنى الكامل، لهاته المسلكيات، لأن ذلك يعني العودة إلى الوراء بالنسبة للعشر سنوات الماضية من النضال، على الأقل. و هذا ما سأحاول فعله لاحقا. و سيساعدني النقاش الجماعي للتجربة الماضية للمنظمة من أجل تعميقه، و نفس الشيئ بالنسبة لجميع الرفاق و المنظمة باعتبارها كذلك، من أجل الانتقال إلى مرحلة عليا من النضال و العمل.

حول بيان المرتدين:
الانتهازية... والكذب في خدمة الارتداد عن طريق الثورة المغربية

تقديم:

اطلعنا على "بيان موجه للشباب المغربي والرأي العام..." روجه الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية (ا.ش.ق.ش) في مناطق عدة، و في القطاع الطلابي على الخصوص، و أثنى عليه عبد الرحيم بوعبيد، زعيم الاتجاه اليميني داخله، في محاضرة بالقنيطرة، في إطار مواجهة الاتجاهات الديموقراطية الثورية، سواء داخل الحزب أو خارجه، و دعا مناضلي الحزب لقراءته و الاتعاظ به !*.

والبيان صادر بتاريخ 22 فبراير 1980، موقع من طرف المشتري والمنصوري، وهذين الأخيرين كانا عضوين - سابقا – في منظمة "إلى الأمام"، و لقد وقعه فيما بعد ثمانية آخرون اختاروا نفس الطريق. والواقع أن هذا البيان ليس موجها ضد "إلى الأمام" والحركة الماركسية اللينينية المغربية (ح. م . ل. م) فقط، بل ضد عموم الحركة الثورية المغربية، و الاتجاهات المناضلة المتقدمة داخل ا. ش . ق . ش وحزب التقدم والاشتراكية . إنه يدخل في إطار تصعيد هجوم القوى الرجعية والإصلاحية على الحركة الثورية في الظرف الراهن.

إنه من غير المجدي الجواب على أطنان الأكاذيب و التشويهات و الافتراءات، التي يكتظ بها بيان هؤلاء المرتدين، و ذلك نظرا لسخافتها. لكن لا بد من تسجيل التناقض الصارخ بين زعمهم، أنهم انسحبوا من "إلى الأمام" في نهاية 1976، و كونهم أصدروا بيانا في يونيو 1979 يعلنون فيه تجميد عضويتهم من هذه المنظمة. إلا أن الحقيقة تقول، أنهم سجلوا إفلاسهم مع بداية 1976، في إطار الحملة

---

* . جاء في محاضرة ألقاها عبد الرحيم بوعبيد في القنيطرة ما يلي:

"لقد وصلتني في الحزب رسالة من بعض إخواننا، الذين لا زالوا في السجون ونأمل أن تشملهم قرارات الإفراج التي شملت غيرهم ... هؤلاء كانوا يعتبرون أنفسهم متياسرين، ومن حق كل واحد أن يسير في الاتجاه يقتنع به، إلى أن نلتقي مرة أخرى في المسيرة الطويلة الحقيقية، التي تميز المناضلين عن غيرهم. هؤلاء الإخوان قاموا بفضل نزاهتهم الفكرية، وجرأتهم بممارسة نقد ذاتي، وأرسلوا لنا وثيقة أعتبر أن على كل مناضل منا أن يطلع عليها، لأن الأمر يتعلق بشباب أدركوا خطر الانتهازية السياسية، سواء كانت صادرة عن البرجوازية أو البيروقراطية أو التياسر. لهذا أيها الإخوان، أيتها الأخوات، فإننا اليوم نطمئن على مسيرتنا النضالية، التي جاءت بنتائج إيجابية،منذ أن قررنا سنة 1972 بأن نرفع الحجر البيروقراطي علينا كحزب". المحرر 7.8.1980

القمعية الشرسة التي تعرضت لها "إلى الأمام"، و ذلك بانهزامهم أمام العدو. و منذ ذلك الحين، و هم يحاولون فرض بضاعتهم الانهزامية الإصلاحية على "إلى الأمام" و "ح . م . ل . م"، و بشتى الأساليب الخبيثة في الصراع. و مع انهزامهم في هذا الصراع، لم يجدوا لأنفسهم من غير القوى الإصلاحية و اتجاهاتها اليمينية والأكثر إصلاحية ملجئا و نصيرا.

إن هؤلاء المرتدين يحاكمون مشروع ح . م. ل. م و تجربتها، انطلاقا من مشروعهم المغرق في الإصلاحية واليمينية (هذا المشروع الذي لا يتجرؤون على طرحه بشكل واضح، ويغلفونه بسيل من الجمل الطنانة و العبارات البراقة)، و من حقدهم على الحملم و"إلى الأمام" و الحركة الثورية عموما. و هذا ما أعمى أبصارهم فجعلهم يعتبرون تجربة "إلى الأمام" كتجربة فاشلة جملة و تفصيلا، بل و قد أدى بهم الغرور بالنفس، إلى مستوى إطلاق أحكام قاطعة و نهائية على ماضي و حاضر و مستقبل الصراع الطبقي في البلاد، فمنحوا الأحزاب الإصلاحية أحقية أزلية لتمثيل الجماهير الشعبية، و نزعوا كل شرعية على الحملم و الحركة الثورية، معتبرين أن الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية مجرد "مشروع وهمي".

و خلافا للمرتدين الذين يشطبون بجرة قلم، تجربة عشر سنوات من الكفاح و التضحيات، و المواقف المتشبثة بقضايا الجماهير الشعبية، و يريدون محوها من ذاكرة شعبنا. نعتبر أن الحركة الثورية و الحملم تعيش، في الظرف الراهن، مخاضا عسيرا، كانعكاس للصراع الطبقي الذي يخترق المجتمع المغربي، مخاضا تفرز من خلاله الأنوية الثورية، و تتقهقر العناصر و الاتجاهات الانتهازية، و يقذف بها في مزبلة التاريخ.

و خلافا لمنهج المرتدين التبريري و لتعاملهم الذاتي و لمنطلقاتهم الإصلاحية، سننطلق في تعاملنا مع تجربة الحملم و"إلى الأمام"، من الرغبة في تقويم أخطائها، و تنمية و تعزيز مكتسباتها، و تصحيح و تثوير ممارستها، لتساهم في المسيرة الشاقة للقوى الثورية، نحو إنجاز النصر على الرجعية و الامبريالية.

I . عرض مركز لأهم أطروحات البيان:

1 . يعتبر المرتدون أن تشكيل حملم كبديل ثوري ماركسي – لينيني للأحزاب الإصلاحية، مشروع وهمي لا يرتكز على الواقع، و لكن فقط على رغبات مجموعات من الطلبة وذلك للأسباب التالية:

- إن الانفصال عن الأحزاب موقف خاطئ، لأن هذه الأحزاب هي "المواقع الفعلية للتغيير"، و الكلام عن تجاوزها من طرف الجماهير كلام فارغ. كما أن هذا الانفصال جاء نتيجة لمشاكل نقابية و سياسية برزت بشكل رئيسي في الطلبة والتلاميذ.

- إن تنظيمات الحملم، تشكلت كتنظيمات طلابية، و ظلت تعيش أزمة منذ نشأتها تتعلق بمشروعها، حيث "أن الانتقال من التعبير الفكري والسياسي للطلبة، إلى محاولة التمثيل الطبقي السياسي و الإديولوجي للطبقة العاملة و الفلاحين ، إشكالية مغلوطة، "تنطلق من"إيمانية عمياء تطابق بين بروز "إلى الأمام" و ظهور الوعي الثوري لدى الجماهير"، مما أدى ب "إلى الأمام" إلى "إعطاء نفسها أهمية تاريخية لزعامة الثورة".

2 . كما أن الأساليب والتكتيكات المستعملة لإنجاز المشروع كانت خاطئة من وجهة نظرهم:

- الذهاب إلى العمال وترديد أطروحات وصيغ ماركسية، و الاعتقاد بأن الجماهير ستتبناها، اللجوء للدعاية و المناشير والتحريض لنشر "الدعوة".

- موقف خاطئ من العمل العلني و العمل السري: كانت "إلى الأمام"، حسب زعمهم، تعشق السرية وترفض "مبدئيا" و بشكل مسبق الإمكانات العلنية و الشرعية.

- موقف من الإصلاحات والبرلمان: رفض و احتقار كل إصلاح و محاربة كل من يناضل من أجل انتزاع الإصلاحات. رفض البرلمان بشكل "مبدئي" لأنه لعبة رجعية، الهدف منها تدويخ الجماهير وتحريف وعيها.

- تقديس العنف ونقل نماذج جاهزة من الثورات (الثورة البلشفية والثورة الصينية).

- معاداة الأحزاب الإصلاحية واعتبارها خائنة، و تحميلها مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع في البلاد. معاداة المنظمات الجماهيرية و تشكيل بدائل سرية لها.

- استغلال قضية الصحراء لتصعيد العداء للأحزاب الإصلاحية، و إذكاء الحماس للاقتتال بين الشعوب، و نسج نظريات خيالية حول الثورة في الغرب العربي.

3 . إن هذا المشروع و هذه الأساليب و التكتيكات ترتكز على فكر رفضوي إرهابي و فوضوي مغامر، لشباب متمرد على الأوضاع، و تنم عن جهل تام لقوانين الصراع الطبقي في البلاد، و يستبدل معرفة الواقع بالمعرفة الكتبية و بالإرادية مما يؤدي إلى تحاليل ذاتية.

4 . هذه أهم أطروحات البيان. لن نتطرق هنا لما طرحه المرتدون من أكاذيب حول تعامل "إلى الأمام"مع تناقضاتها الداخلية، لأننا نعتبر أن الرد على مثل هذه الأكاذيب، لا يمكن أن يستفيد منه سوى البوليس والأعداء الطبقيين ، الذين يحاول المرتدون إقناعهم بأنهم تراجعوا عن كل القناعات والالتزامات الثورية، وأنهم أهل للالتحاق بجوقة "الإجماع الوطني".

II . مشروعية النضال الثوري أم مشروعية إصلاح النظام الرجعي القائم؟

إن المرتدين يرسمون صورة قاتمة جدا ل"مشروع" و أساليب عمل و تكتيكات "إلى الأمام" والحملم، صورة كلها ظلام في ظلام، بينما تاريخ الأحزاب الإصلاحية يصبح عندهم، تاريخ مشرق تتخلله بعض الأخطاء الثانوية ارتكبتها هذه الأحزاب في النضال، و تعاملت معها نضاليا حسب زعمهم.

إن منهجهم التضليلي ينطلق من نظرة مشوهة لتاريخ الصراع الطبقي في بلادنا، نظرة تنتقي من الواقع ما يتلاءم و رغبتهم في الارتماء في أحضان الإصلاحية، و ما يبرر حكمهم على "إلى الأمام" و الحملم بالإفلاس، في نفس الوقت الذي تطمس فيه هذه النظرة أو تحتقر حركة الجماهير، لتصبح في منظورهم مجرد انتفاض لبعض القبائل أو تمرد لشباب طائش.

وإذا كان الأساس النظري الضمني وغير المعلن عنه صراحة، ل"تقييم" المرتدين لتجربة "إلى الأمام" والحملم، هو التراجع التام عن الماركسية اللينينية، فإننا على عكس ذلك، سننطلق من هذه المبادئ نفسها لمحاكمة تجربة "إلى الأمام" والحملم، و لإبراز مدى ارتداد أصحاب البيان عن الماركسية اللينينية وعن طريق الثورة.

إن التناقض الرئيسي الذي يعيشه المجتمع المغربي، يتمثل في التناقض التناحري بين الكمبرادور و ملاكي الأراضي الكبار وسيدتهم الامبريالية من جهة، وبين مجموع الجماهير الشعبية من جهة أخرى. و في وضع بلد تبعي للامبريالية، يتوفر على طبقة عاملة مستقلة المصالح، و على جماهير واسعة من الفلاحين المهددين بالتفقير والبلترة، فإن الحسم النهائي لهذا التناقض لصالح الجماهير الشعبية لا يمكن أن يتم بقيادة البرجوازية الوطنية، أو حتى البرجوازية الصغيرة، بل إن الطبقة العاملة هي المؤهلة لقيادة الثورة، بفضل حزبها و عبر تحالفها مع الفلاحين، (الذين يشكلون حليفها الموثوق به) و مع مختلف الطبقات والفئات الوطنية. إن حسم التناقض الرئيسي في المجتمع لصالح الجماهير الشعبية، يتطلب إنجاز الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية (ث. و. د.ش) بقيادة البرولتاريا، وهذا ما يستوجب النضال الدؤوب، من أجل بناء الحزب المستقل للطبقة العاملة، الحزب الشيوعي المغربي، وبناء الجبهة الوطنية الديموقراطية الشعبية، التي تمثل مختلف الطبقات والفئات الشعبية، و بناء التحالف العمالي الفلاحي الذي يشكل العمود الفقري لهذه الجبهة. إن إنجاز الثورة الوطنية والثورة الاشتراكية، و إرساء دكتاتورية البرولتاريا، يشكل الطريق الحتمي نحو انتصار الاشتراكية و بناء المجتمع الشيوعي.

إن المرتدين قد تراجعوا تماما عن ضرورة الثورة الوطنية كخطوة أساسية، نحو انعتاق الجماهير من الاستغلال والاضطهاد، وعن ضرورة بناء حزب البرولتاريا قائد هذه الثورة، وعن بناء التحالف العمالي – الفلاحي، واستبدلوا ذلك بمفهوم غامض هو "التغيير" (أو التغيير

الجدري)، و استبدلوا (رغم تبجحهم بالتشبث بالمادية التاريخية) التحليل المادي – التاريخي للتناقضات، بمفهوم غامض حول "قوى التقدم و قوى التخلف"، دون تحديد هذه القوى، و كذلك طمسوا الطبيعة الدكتاتورية الرجعية للنظام القائم، و سكتوا تماما عن الهيمنة الامبريالية.

فلا غرابة أن يؤدي بهم هذا الارتداد و هذه الانتهازية، إلى مستنقع الإصلاحية، و إلى اعتبار الثورة الوطنية مجرد "مشروع وهمي"، لا علاقة له بالصراع الطبقي، بينما ما تقدمه الإصلاحية من مشاريع "للتغيير" هي التي تنطلق من متطلبات الصراع الطبقي.

و إننا إذ نعتبر أن الطريق الوحيد لانعتاق الجماهير الشعبية هو إنجاز الثورة الوطنية، لابد لنا أن نتساءل، هل بإمكان الأحزاب الإصلاحية أن تنجزهذه المهام الجسيمة؟

إن هذه الأحزاب لا يمكنها بتاتا أن تقوم بهذه المهام، فهي تمثل مصالح فئات من البرجوازية الصغيرة، و من البرجوازية الوطنية، و تعمل على بسط هيمنتها على الجماهير الشعبية، و خطها السياسي خط إصلاحي انتظاري، يهدف رغم كل التغليفات و كل الطمس الإديولوجي، إلى محاولة إصلاح النظام القائم، بدل القضاء عليه، و ممارساتها السياسية غنية بالتخاذلات و المناورات و الخيانات لمصالح الجماهير الشعبية، وليس من قبيل الصدفة، أن يمر المرتدون مر الكرام على فترات عصيبة من تاريخ شعبنا: فترة 1956 – 1963، التي عرفت خلالها الجماهير و قواها المناضلة أقسى الهزائم، و خاصة في ظل الحكومات الوطنية، (تصفية جيش التحرير و المقاومة المسلحة، مجزرة الريف، منع الحزب الشيوعي المغربي)، انتفاضة 23 مارس 1965، و تهافت الأحزاب على التفاوض مع الحسن، و دماء الجماهير التي سقطت في البيضاء لم تجف بعد.

و قد تكلفت الأحداث التي وقعت في السبعينات، (التحالف مع الرجعية في مسألة الصحراء، و ما صاحب ذلك من مشاركة في "المسلسل الديموقراطي" و من تخاذل في الدفاع عن قضايا الجماهير) بتبيان مدى انغماس هذه الأحزاب في الإصلاحية.

إن انسحاب المناضلين الذين شكلوا تنظيمات الحملم، من الأحزاب الإصلاحية، لم يكن وليد بعض المشاكل النقابية والسياسية التي برزت في الطلبة، كما يزعم ذلك المرتدون، بل جاء نتيجة لتقييم طبيعة هذه الأحزاب الطبقية، و خطها و ممارستها السياسية، و العلاقات البيروقراطية التي كانت تتحكم داخلها، مما كان يؤدي إلى استحالة إحداث تغييرات داخلها.

إن واقع الصراع الطبقي في نهاية السبعينات، (و ليست رغبة بعض الطلبة المتمردين على الأوضاع) كان يطرح و بإلحاح ضرورة انطلاق مسيرة بناء حزب البرولتاريا، وبناء أدوات الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية. إن الانسحاب من الأحزاب الإصلاحية، و بناء

تنظيمات ماركسية لينينية، يستمد شرعيته من الطموح إلى المساهمة في إنجاز هذه المهام الجسيمة، والفعل في الصراع الطبقي في اتجاه ثوري بدل انتظار أزمات النظام للتفاوض معه، أو انتظار مد نضالي جماهيري للركوب عليه، لخدمة بعض المصالح الطبقية للبرجوازية الوطنية والصغيرة.

إن "إلى الأمام" تستمد شرعيتها من شرعية و ضرورة الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية، و شرعية و ضرورة بناء حزب البرولتاريا، و من ضرورة و شرعية مساهمة المناضلين الماركسيين اللينينيين في هذه المسيرة الشاقة والعسيرة. إن هذه الضرورات، هي ما يسميها الإصلاحيون القدامى والجدد، "إيمانية عمياء" تارة و"إرادية" أو "مغامرة" تارات أخرى.

إن الانفصال عن الأحزاب الإصلاحية، لم يكن مقتصرا على المناضلين الذين يتواجدون في القطاع الطلابي و قطاع التلاميذ فقط، بل شمل كذلك بعض القطاعات العمالية والفلاحية و المثقفين، مع أن الأغلبية فعلا كانت تتكون من الطلبة و التلاميذ و المثقفين، وهذا ليس بالطامة الكبرى، اللهم بالنسبة لمن يؤمن بالخطيئة الأصلية. إن الشباب المثقف قد لعب دورا هاما جدا، في الحركات التي أدت إلى إنشاء العديد من الأحزاب الشيوعية (الحزب الشيوعي الصيني، الألباني، الفتنامي ...)، و إذا كانت القاعدة الاجتماعية للحملم، تتشكل أساسا من الطلبة والتلاميذ والمثقفين حاليا، فإنها طرحت على عاتقها ضرورة التجدر وسط الطبقة العاملة والفلاحين، كمهمة حيوية من أجل إنجاز انصهار الماركسية اللينينية بالحركة العمالية، و من أجل بناء الأنوية الأولى للحزب البرولتاري.

و لا شك أن التقييم النقدي الصارم و الصريح لتجربتها، و من منطلق مصلحة البرولتاريا، و بالارتكاز على الماركسية اللينينية، سيساعدها على إنجاز هذه المهمة التاريخية.

إن ما يطرحه المرتدون حول استحالة "الانتقال من التعبير السياسي والفكري عن فئات طلابية، إلى محاولة التمثيل الطبقي السياسي والإديولوجي للطبقة العاملة والفلاحين"، زيادة على المغالطات التي أوضحناها أعلاه، إنما يعبر في العمق عن تراجعهم عن النضال الشاق والتضحيات الجسام، التي تفرضها مسيرة بلترة منظمة مشكلة أساسا من المثقفين، وعن تهافتهم على الالتحاق بالأبراج العالية لأساتذتهم الإصلاحيين.

III . خط و تجربة "إلى الأمام" بين التقييم الموضوعي و تضليلات المرتدين:

1 . إن المرتدين يعتبرون أن فكر "إلى الأمام" السياسي فكر رفضوي، مغامر، إرهابي، فوضوي، إلى غير ذلك من النعوتات، وأنها تجهل القوانين الموضوعية للصراع الطبقي و تستبدل معرفة الواقع بمعرفة كتبية ...

إننا نعتبر أن خط "إلى الأمام" السياسي والإديولوجي خط متناقض، فيه ما هو سديد و ما هو خاطئ. و من هذا المنطلق، أي من منطلق أن المعرفة لم تنزل من السماء دفعة واحدة على منظمة "إلى الأمام"، و بالتالي ليست منزهة عن الخطأ، لا نعتبر أن كونها في بعض الأحيان بلورت مواقف ذاتية، و استقت نماذج من تجارب ثورية، و قدمت تحاليل مهزوزة، يشكل فشلا نهائيا و وصمة عار لا تنمحي، ما دامت "إلى الأمام" تعمل على تقييم خطها وتجربتها.

إن "إلى الأمام" لا تدعي المعرفة المطلقة، و لا تؤمن بالمعرفة المسبقة التي يتبجح بها المرتدون، و تعتبر أن معرفة الواقع و قوانينه الموضوعية سيرورة، و أن هذه المعرفة لن تتأتى إلا من خلال الاندماج بحركة الواقع من أجل تغييره. إن اكتساب معرفة متقدمة لقوانين الصراع الطبقي تمر عبر التجدر وسط الجماهير الشعبية، و في مقدمتها الطبقة العاملة والفلاحين. أما أطنان النعوتات من أمثال الفوضوية والإرهابية والشبكية ... فإن تجربة "إلى الأمام" و صراعها ضد مختلف النزعات الإرهابية والفوضوية والمغامرة، كافية لدحض ادعاءات الإصلاحيين الجدد، و يكفي الرجوع لأدبيات "إلى الأمام" للتأكد من تفاهة هذه المزاعم.

2 . مسألة التجدر وسط الطبقة العاملة و الفلاحين:

إذا كان المرتدون يعتبرون أن تجدرالمنظمات الماركسية اللينينية وسط الجماهير الشعبية مسألة مغلوطة من الأساس، فإنهم "اجتهدوا" للبحث عن أسباب فشل هذه المنظمات، في تجربتهم السابقة في التجدر في الطبقة العاملة والفلاحين في أساليب عملها: "الذهاب إلى العمال و ترديد أطروحات و صيغ ماركسية، و الاعتقاد أنها تستطيع قيادتهم". إن مثل هذا التقييم سطحي، و لا ينفذ لأسباب فشل الحملم في التجدر. إن مسألة فشل "إلى الأمام" في التجدر وسط الطبقة العاملة و الفلاحين، لا يمكن التخلص منها باعتبارها "مسألة مغلوطة"، كما يفعل المرتدون، أو بإرجاعها إلى أخطاء في أساليب العمل. إن المسألة تطرح طبيعة التوجه السياسي العام. ففي فترة 1970 – 1972، و في ظل الأوضاع المتميزة بانفجار التناقضات داخل النظام، و بدينامية الحركة الجماهيرية، و بالخصوص الشبيبة التعليمية، و بضعف القوى الثورية و من ضمنها الحملم و"إلى الأمام" على المستوى السياسي والتنظيمي، كان التركيز على نضالات الشبيبة التعليمية و الدفع بها إلى أقصاها، لتلعب دور المفجر للتناقضات الطبقية، و ذلك في ظل سيادة مفهوم الثورة على الأبواب، و قد ساعدت هذه الأوضاع على السقوط في انحراف سياسي، نظر له فيما بعد بأطروحة "الشبيبة التعليمية مقدمة تكتيكية للحركة الجماهيرية".

و قد استمر هذا التوجه و تعمق خلال فترة 1972 – 1974، رغم أن حركة الشبيبة التعليمية بدأت تعرف جزرا كبيرا. هكذا فإن فشل "إلى الأمام" في التجدر وسط الطبقة العاملة والفلاحين، يجد أساسه في التوجه للشبيبة التعليمية والتركيز عليها (التركيز على العمل في أوط

م، ثم محاولة بنائه سريا بعد الحظر، بناء النقابة الوطنية للتلاميذ). و قد ظلت العلاقة بين المنظمة و الطبقة العاملة، تتميز بالأساس، بعلاقات الاتصال بين مناضلين مثقفين و بين بعض العمال، و لم ترق هذه العلاقات إلى مستوى اندماج المناضلين الماركسيين اللينينيين بالطبقة العاملة. كما أن الإمكانيات القليلة المتوفرة في الطبقة العاملة، كان التعامل معها في كثير من الأحيان بشكل مثقفي، و كانت دعايتنا كثيرا ما تتميز بالفوقية.

إن التوجه السياسي الخاطئ نحو التركيز على الشبيبة التعليمية، إذا ارتكز على عوامل موضوعية في الظرف السياسي آنذاك، (نمو حركة الشبيبة التعليمية) فإنه وجد في التركيز الطبقي البرجوازي الصغير للتنظيمات الماركسية اللينينية، قاعدة مادية له، تساعد على استمراره و إعادة إنتاجه بأشكال أخرى. و يمكننا الآن أن نفهم لماذا لم يستطع بعض المناضلين المخلصين المستعدين للانتحار الطبقي، التجدر وسط الطبقة العاملة والفلاحين رغم محاولاتهم.

إن هذه الرغبة و هذا الطموح اللذين كانت تعبر عنهما وثائق المنظمات، ارتطما بالتوجه السياسي الخاطئ، الذي لعب التركيب الطبقي البرجوازي الصغير للمنظمات، دورا هاما في ظل ظروف موضوعية محددة في استمراره وإعادة إنتاجه.

إلا أن مسألة التركيب الطبقي البرجوازي الصغير، لا يجب النظر إليه بشكل ميكانيكي، انطلاقا من أصل الأفراد الذين تتشكل منهم المنظمات الماركسية اللينينية، أو من أهميتهم العددية داخل هذه المنظمة أو تلك، لأن مثل هذه النظرة تقفز على التحولات الكبيرة التي تعرفها هذه المنظمات، بفعل الفرز المتواصل الذي تشهده منذ نشأتها، كانعكاس لاحتداد الصراع الطبقي، و تتابع و شراسة حملات القمع بالأساس. إن هذا الفرز يشمل و بشكل مترابط و معقد و متفاوت، كلا من التركيب الطبقي و الممارسات و الخطوط السياسية و الهياكل التنظيمية لمختلف فصائل الحملم.

و إذا كانت هذه العملية ما زالت مستمرة، فإنها تؤدي بشكل ملتو إلى بروز اتجاهان أساسيان:

- اتجاه يعتبر أن خط "إلى الأمام" خط متناقض، و أن بناء خط سديد ليست عملية مثقفية يمكن إنجازها بعيدا عن نار الصراع الطبقي، و بالانسحاب من ساحة النضال الثوري ضد العدو الطبقي، كما يفعل المرتدون، بل هو مسيرة نضالية شاقة و طويلة. إن هذا الاتجاه، يتشبث بالجوانب السديدة البرولتارية في خط "إلى الأمام"، و برصيدها النضالي، و ينطلق من ذلك لتقييم التجربة و تصحيح الأخطاء. هكذا و عبر هذا المسار النضالي المعقد، تنضج شروط تبلتر المنظمة، و تجدرها وسط العمال والفلاحين، و مساهمتها في عملية بناء حزب البرولتاريا المغربي.

- اتجاه ينطلق من بعض الأخطاء أو الفشلات المؤقتة، للحكم النهائي والقاطع على "إلى الأمام" والحملم. بالفشل و لتبريرارتداده و تخليه التام عن طريق الثورة.

3 . مسألة السرية:

من أبرز التحاليل السطحية التي يقدمها المرتدون تلك الفكرة التي مفادها أن السرية بالنسبة ل"إلى الأمام" كانت نوعا من العشق تمارسه هروبا من الواقع، و كرد فعل يساري و طفولي طائش على "النضال الشرعي" الذي تخوضه الأحزاب الإصلاحية، و كذلك بسبب التأثر بإيديولوجيات يصفونها بالإرهابية واليسارية والمغامرة.

إن ما يحاول المرتدون تغطيته بمثل هذه الادعاءات، هو أن الحملم كانت أول حركة سياسية مغربية طرحت مسألة العمل السري على أسس سديدة، فخلافا لنزعة الشرعية الانتهازية للأحزاب الإصلاحية، و لنظرة الاتجاه الديموقراطي – الثوري، الذي كان يحصر العمل السري في تشكيل شبكات مسلحة معزولة تماما عن الجماهير، تنوب عنها في ممارسة العنف، فإن الحملم طرحت مسألة السرية في جدليتها مع العمل العلني السياسي، و اعتبرت أن التنظيمات يجب أن تكون سرية على العدو و ليس على الجماهير.

إن ادعاء المرتدين، لا يعد فقط تجنيا على كل العناصر و القوى الديموقراطية الثورية، و الماركسية اللينينية، التي مارست أنشطتها الثورية السرية، و وقفت في أقسى الظروف بجانب الجماهير، و لكنه إخلال حتى بأبسط مقومات تحليل موضوعي للعوامل الاجتماعية والسياسية، التي فرضت بروز ممارسات سياسية ثورية، مثل السرية و لمسؤولية النظام الملكي الدكتاتوري بشكل خاص.

إن الحركة الماركسية- اللينينية المغربية، لم تختر طريق السرية والعمل "خارج القانون" السائد، بمحض المتعة في معاكسة تلك "القوانين الموضوعية" العجيبة، التي يلوح بها المرتدون في تحليلهم، مثل عصا سحرية، و لا إمعان بالإتيان بما يناقض الأحزاب لمجرد مناهضة الإصلاحية. إن الحملم حركة ثورية و تحمل جنين بديل بروليتاري للوضع القائم، مما يضعها في صلب الصدام التناحري مع النظام القائم و مع ترسانته القمعية، لذلك فإن مزاوجة الحملم بين مهمتي بناء تنظيماتها السرية و خوض النضال الجماهيري في عملية جدلية واحدة، يشكل قفزة هامة في تجاوز الإصلاحية و نزعة المشروعية الانتهازية. ففي الوقت الذي كانت ترسي هياكلها بسرية تامة عن أجهزة العدو، استعملت واجهة صحيفة علنية وعملت، بل تحمل أعضاؤها مسؤوليات في بعض الاتحادات المحلية لاتحاد المغربي للشغل (ا.م.ش) و في أ.و.ط.م والاتحاد الوطني للمهندسين واللجنة الوطنية لمناهضة القمع، والعديد من الجمعيات الثقافية والاجتماعية.

أن التعامل مع قضية السرية من وجهة نظر التصور الثوري الماركسي اللينيني للتغيير، يدحض تحامل المرتدين على السرية. إن الأخطاء التي ارتكبتها الحملم في ممارستها الثورية لا تمس جوهر مشروعها كما يدعي الإصلاحيون الجدد، و الخطأ المرتكب في قضايا النضال السري ليس هو "تقديس" السرية، و التخلي عن كل ما عداها، و لكن هو عدم إتقان أساليب العمل السري وعدم إتقان الاستعمال المتزامن للسرية مع العلنية، و للعمل الشرعي مع العمل اللاشرعي. لكن ذلك ليس وحيا يسقط من السماء، بل إنه يكتشف من خلال النضال الثوري الشاق.

4 . الموقف من الإصلاحية:

إن المرتدين يكذبون، حين يدعون أن الحملم كانت ترفض مطلقا كل إصلاح، فرغم أن نصوص مختلف فصائل الحملم و كتاباتها النظرية، لم تتوسع في معالجتها لهذا الموضوع، فإن الحملم قد انخرطت في الممارسة السياسية اليومية في عدة نضالات جماهيرية مطلبية هامة، وأسهمت فيها بطرح خطط نضالية و شعارات تستهدف تجنيد الجماهير، حول مطالب محددة، ومن أجل صيانة أو انتزاع مكاسب و إصلاحات معينة. إلا أنه يجب الإقرار أن "إلى الأمام" قد تعاملت أحيانا بشكل ذاتي مع بعض التنازلات التي فرضتها الجماهير بنضالها على الحكم، (مثلا رفض الوداديات التي اضطر الحكم إلى إعطائها بضغط من النضالات البطولية للتلاميذ). إن الحملم لم تكن ترفض الإصلاح في حد ذاته و بمعزل عن الأوضاع والأهداف التي يرتبط بها، إنها كانت ترفضه كلما استعمل كسلاح لنسف المصالح الحقيقية للجماهير، و كلما استعمل كأداة للتنفيس عن أزمات الحكم الرجعي و تقوية دعائمه.

إن الإصلاحية هي الاستراتيجية الوهمية للتغيير، المبنية على مراكمة الإصلاحات الجزئية، للوصول سلميا إلى التغيير، الذي يخدم مصالح البرجوازية الوطنية و بعض فئات البرجوازية الصغيرة، بدون المس بجوهر الاستغلال. إن الحكم يستفيد من هذه النزعة الإصلاحية لدى القوى البرجوازية والبرجوازية الصغيرة، لتحريف نضالات الجماهير، و منع أي بديل ثوري من التبلور و الرسوخ.

أما حول إمكانية أو عدم إمكانية تحقق و قيام مؤسسات ديموقراطية برلمانية، في إطار النظام السياسي القائم، فإننا نعتقد أن تحاليل و مواقف منظمة "إلى الأمام" سديدة و ثورية في جوهرها، لأنها أكدت دوما على استحالة قيام ديموقراطية برلمانية برجوازية في أوضاع بلادنا الراهنة، و على أنه يستحيل حتى في حالة أخذ النظام ببعض سياسات و تقنيات اللعبة الديموقراطية البرلمانية، أن تشكل هذه التجربة ضمانة أو قنطرة لإحقاق الديموقراطية الاقتصادية والاجتماعية.

إن أهم الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي حققتها، و طبل لها النظام خلال أزيد من عشرين سنة، قد استخدمت كواجهات تستر و تموه حقيقة "التنمية" الاقتصادية الامبريالية الكمبرادورية، التي تهيكلت في إطارها و توطدت دعائم الطبقات السائدة، واقترفت أفظع الانتهاكات و الطعون في حق الطموحات و المكتسبات الشعبية.

إننا لا نعني من تسطيرنا لهذه الصورة القاتمة للأوضاع المتردية، التي اجتازتها الجماهير و قواها الثورية الحقيقية، أن هذه التجارب كلها لم تفرز لحظات وإمكانيات، تفرض فيها القوى التقدمية والجماهير بعضا من حقوقها. إن هذه الإمكانيات موجودة، لكن توظيفها الخلاق والثوري مرهون بمدى قدرات الثوريين على استيعاب متطلبات الكفاحات الجماهيرية، و صياغة الأهداف الثورية الملموسة التي يتوجب تحقيقها في الظروف الملموسة المحددة.

إن التطبيل الهائل الذي يقام حاليا للديموقراطية اللبرالية وللبرلمانية، يطرح علينا مهمة مزدوجة: محاربة كل الأوهام الإصلاحية والمفاهيم البرجوازية حول الديموقراطية من جهة، والاستفادة من كل الإمكانيات التي تتيحها اللعبة الديموقراطية من جهة أخرى.

5 . العنف الثوري:

لقد تغاضى المرتدون، و سيرا على منهجهم التضليلي، عن تبني "إلى الأمام" والحملم للمبدأ الماركسي اللينيني : العنف الثوري الجماهيري ، في مواجهة النزعات الإرهابية والشبكية، و كأسلوب حاسم للقضاء على هيمنة الامبريالية والرجعية على بلادنا. كما خانتهم الجرأة على التخلي الصريح عن هذا المبدأ السديد، (رغم تخليهم الضمني عنه)، فاجتهدوا في الإجهاز على تعامل الحركة الثورية والحملم مع مبدأ العنف: الطابع الفوقي والشبكي للحركة المسلحة في 3 مارس 1973، وفرة التفاصيل والتخطيطات والاستراتيجية والمثالية أحيانا فيما يتعلق بمواقف "إلى الأمام"، الانتفاضة ثم الحرب الشعبية الطويلة الأمد، المناطق المحررة، مناطق الصدام ...) كما أنهم سكتوا عن قصد عن المجهودات النظرية التي قامت بها "إلى الأمام" منذ بداية نشأتها، من أجل توضيح أسس مختلف أشكال العنف الثوري، و إبرازها لوجهة النظر الماركسية بصددها، و تقديم تحاليل نقدية للنماذج السائدة آنذاك، و التي عرفت رواجا كبيرا أمريكا اللاتينية (الغفارية وكل أنواع الشبكية والانقلابية).

لقد حاولت "إلى الأمام" منذ 1972، أن تبلور رؤية استراتيجية لسير وإنجاز الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية، تتلاءم مع الشروط الموضوعية لبلادنا و مع مسلسل تبلور و نضوج القوى الذاتية للجماهير العمالية والفلاحية. و العيب في كل ما بلورته المنظمة من تحاليل في هذا الشأن، لا يكمن- كما يدعي المرتدون – في مبدإ العنف الثوري أو عدم ملاءمته مع الواقع، أو في خطأ إثارته و الدعاية له و تبيان

أهميته القصوى بالنسبة لبلادنا. إن المبادئ الماركسية اللينينية و الأهداف الثورية التي اعتمدتها "إلى الأمام" في مجهودها من أجل بلورة رؤية استراتيجية صحيحة تماما. و لكن "إلى الأمام" قد أسرفت كثيرا في البحث عن تفاصيل العملية الثورية، و البث في أشكال و أساليب مدققة، لا يمكن أن تنبثق، و تتحدد إلا في خضم الممارسة الثورية للجماهير العمالية والفلاحية نفسها، و بقيادة حزب البرولتاريا.

6 . الموقف من الأحزاب الإصلاحية:

إن المرتدين يعتبرون أن "إلى الأمام" كانت تكن العداء للأحزاب الوطنية التقدمية، و تعتبرها خائنة و تحملها مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع في البلاد، و تعتبر أنها مجموعة من محترفي السياسية و ليست لها تمثيلية طبقية.

إن الموقف الثوري من الأحزاب الإصلاحية، ليس هو تزكية ممارستها - كما يفعل المرتدون – بل هو انتقاد كل ممارساتها التخاذلية والانتهازية واللاديموقراطية، والعمل على جرها إلى مواقف و ممارسات نضالية، و هذا يعني صراعا سياسيا و إديولوجيا ضد خططها و أساليبها و مواقفها، و في نفس الوقت استغلال كل إمكانيات العمل النضالي المشترك. إن مهادنة الأحزاب الإصلاحية الانتهازية، هو تراجع عن أحد أهم واجبات الثوريين. و على عكس ذلك، فإن ممارسة الصراع السياسي والإديولوجي و طرح البديل الثوري الماركسي اللينيني للأحزاب الإصلاحية، و لمواقفها و ممارساتها، ضرورة تفرضها مصالح الشعب المغربي بطبقاته وفئاته الوطنية.

لقد تميز تعامل "إلى الأمام" و الحركة الماركسية اللينينية مع القوى الإصلاحية، خلال الفترة الأولى من نشاطهما ببعض الممارسات الحلقية، حيث لم تكن تستعمل كل إمكانيات العمل النضالي المشترك، و ذلك انطلاقا من نظرة احتقارية لهذه القوى و لمواقفها الانتظارية على العموم، و كرد فعل على أساليب الصراع العدائية و الخطيرة، التي كانت تمارسها ضد الحملم في كثير من الأحيان، و كان على من يتغنى بالموضوعية أن يشير على الأقل إلى الممارسات العدائية العنيفة التي استعملت فيها السلاسل، والتي كانت تلجأ إليها بعض هذه القوى الإصلاحية حين تنهزم جماهيريا، أو عندما تريد فرض هيمنتها على الجماهير الشعبية.

وفي 1974 سقطت "إلى الأمام" في خطأ سياسي، حيث دعت القوى الإصلاحية إلى تكوين"جبهة معارضة النظام القائم"، في الوقت الذي كانت فيه هذه القوى تضع اللمسات الأخيرة لتحالفها مع الحكم في مسألة الصحراء كما أن أحد أخطاء "إلى الأمام" في التعامل مع الأحزاب الإصلاحية، كان يكمن في عدم فهم التناقضات داخلها، و عدم نهج سياسة سديدة تجاه التيارات الثورية أو المناضلة بصفة عامة.

إن تجربة شعبنا تبين بما لا يدع مجالا للشك، جسامة المسؤولية التي تتحملها الأحزاب الإصلاحية، فيما آلت إليه الأوضاع في البلاد بعد الاستقلال الشكلي. كما تبين أن هذه الأحزاب خانت المطامح و الآمال التحررية العميقة لشعبنا، بتهافتها للتفاوض على ظهر كل حركة

جماهيرية، و بتزكيتها أو سكوتها على تصفية جيش التحرير والمقاومة و قمع انتفاضة الريف ... كما أن هذه الأحزاب التي تدعي أنها تريد بناء الاشتراكية، و التي تطرح على نفسها في برامجها و خططها أهداف سامية، مثل التحرر الوطني الفعلي والديموقراطية والاشتراكية، تخون في العديد من مواقفها و ممارساتها الملموسة هذه الأهداف النبيلة التي تستعملها لتغليط الجماهير و الهيمنة عليها. إلا أن هذه الخيانات تتحمل مسؤوليتها الاتجاهات اليمينية داخل الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، بينما ظلت الاتجاهات الثورية داخله، تكافح و تناضل بجانب الجماهير في أحلك شروط القمع والإرهاب.

إن واقع الأحزاب الإصلاحية بعد 1965، (التجاوز العفوي للأحزاب الذي عبرت عنه انتفاضة مارس 1965، ركود نشاطها في فترة حالة الاستثناء ...) قد دفع "إلى الأمام" عند نشأتها، إلى احتقار دور الطبقات الوسطية في الثورة، وكذلك إلى اعتبارأن الأحزاب الإصلاحية قد أفلست، و تحولت إلى مجموعات من محترفي السياسة، حيث طرحت كشعار استراتيجي، الدكتاتورية الديموقراطية للعمال والفلاحين الفقراء، هذا الشعار الذي ينفي دور الطبقات الوسطية في الثورة، كما أن اعتبار الأحزاب كمجموعات محترفي السياسة موقف خاطئ، لأنه يقفز على تمثيليتها الطبقية.

لكن هذه المواقف تطورت في اتجاه تحديد القاعدة الاجتماعية لأحزاب الإصلاحية، و تمثيليتها الطبقية و تحديد دور الطبقات الوسطية في الثورة. و هذا ما عبر عنه مفهوم الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية و مفهوم جمهورية المجالس الشعبية تحت قيادة حزب البرولتاريا، كما بدأت "إلى الأمام" تبلور نهجا سديدا للتعامل مع الأحزاب الإصلاحية و الاتجاهات داخلها.

7 . الموقف من المنظمات الجماهيرية:

لعل من أسخف الأكاذيب التي نسجها خيال المرتدين، ذلك الافتراء القائل بمعاداة "إلى الأمام" للمنظمات الجماهيرية، ورغبتها في تشكيل بدائل سرية لها.إن "إلى الأمام" والحملم دافعتا بكل حزم و تفان عن أ.و.ط.م، و اعتبرتا إياها مكسبا لجماهير الطلبة يجب صيانته و تعزيزه. و في أحلك ظروف القمع و في ظل حظر النظام لهذه المنظمة الطلابية، ظلت "إلى الأمام" تكافح من أجل استمرارها و الحفاظ على رصيدها، و من أجل بنائها في السرية، وتناضل بجانب جماهير الطلبة دفاعا عن مصالحهم المادية و المعنوية و عن حقهم النقابي. كما أن "إلى الأمام" و الحملم استطاعتا خلال سنتي 1971 – 1972، قيادة حركة التلاميذ المناضلة من أجل حقها النقابي. و قد كان هذا العمل إيجابيا، لأنه ساهم في إضعاف العدو و إفشال التوجه الإصلاحي نحو المساومة، و في رفع وعي و نضالية جماهير التلاميذ. إلا أن بناء النقابة الوطنية للتلاميذ و أ.و.ط.م في السرية، يجمد طاقات هائلة وسط الشبيبة التعليمية، طاقات كان من الضروري توظيفها للتجدر وسط

الطبقة العاملة والفلاحين (وجود تناقض مع فقرة سابقة). أما بالنسبة ل"ا.م.ش"، فإن موقف "إلى الأمام" كان واضحا و ثابتا، و هو العمل داخلها باعتبارها النقابة الأكثر تمثيلية للعمال و الموظفين والمستخدمين، و بصفتها النقابة المناضلة آنذاك، حيث أن أغلبية النضالات كانت تخاض في إطارها. و لقد كانت "إلى الأمام" تنتقد البيروقراطية النقابية، و تطرح ضرورة عزلها من طرف العمال. و قد اعتبرت "إلى الأمام" أنها ارتكبت خطأ بالتركيز على التحريض الفوقي ضد البيروقراطية النقابية، و طرحت كبديل ضرورة العمل القاعدي داخل "ا.م.ش"، و بناء اللجان العمالية السرية كلجان ثورية، لتجدير العمل النقابي في إطار ا.م.ش. و للعمل السياسي داخل الطبقة العاملة، و ليس كبديل للتنظيم النقابي ا.م.ش.كما يدعي المرتدون. و رغم وعي "إلى الأمام" بطبيعة القيادة البيروقراطية المتعفنة المتسلطة على ا.م.ش.، فإنها لم تفكر قطعا، و خلافا لما يطرحه المرتدون، في خلق نقابات موازية، و ذلك إيمانا و وعيا منها بضرورة الحفاظ على وحدة الحركة العمالية. و من هذا المنطلق بالضبط كان انتقاد "إلى الأمام" للعمل التقسيمي الذي قام به الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، بإنشائه للكنفدرالية الديموقراطية للشغل، هذا التقسيم الذي يباركه المرتدون لمجرد أن ا.ش.ق.ش هو المسؤول عنه. و مع تنديدنا بالعمل التقسيمي الذي قام به ا.ش.ق.ش لابد من تسجيل، أن ك.د.ش أصبحت أمرا واقعا، و أن الحركة العمالية النقابية أصبحت تتوفر على مركزيتين نقابيتين مناضلتين، رغم إصلاحية و بيروقراطية قيادتيهما، و أننا نعتبر أنه يجب العمل في كل من ك.د.ش و ا.م.ش، و خصوصا في النقابات الأكثر تمثيلية. فهل هذا موقف عدائي من ك.د.ش و ا.م.ش؟ و هل انتقاد العمل التقسيمي الذي ارتكبه ا.ش.ق.ش.يمكن اعتباره عداءا لك.د.ش؟

8 . الموقف من قضية الصحراء الغربية:

إن ما يحاول المرتدون طمسه تحت أطنان من التشويهات، هو أن الأساسي في موقف "إلى الأمام" من قضية الصحراء الغربية سديد تماما. فبالنسبة لهم، إن هذا الموقف لم يكن وليد البحث الجدي، و قد تعاملت معه "إلى الأمام" بشكل لا مسؤول، و استعملته لتصعيد العداء للأحزاب الإصلاحية، و إذكاء الحماس للاقتتال بين الشعوب. و الحقيقة أن موقف "إلى الأمام" من قضية الصحراء الغربية موقف بروليتاري سديد، و يخدم – خلافا لما يدعيه المرتدون، الذين يهولون من تدخل القوى العظمى في المنطقة، متناسين السيطرة الامبريالية على بلادنا – قضية انعتاق شعوب المنطقة من سيطرة الامبريالية والرجعية، و يخدم كذلك وحدتهم الفعلية، التي تستجيب لمصالحهم، و ليس الوحدة القسرية التي يحاول نظام ملاكي الأراضي الكبار والكمبرادور و سيدته الامبريالية فرضها على الشعب الصحراوي، و تتحمس لها الأحزاب الإصلاحية الشوفينية. إن صراع "إلى الأمام" ضد شوفينية الأحزاب وعمالتها و ذيليتها للحكم، في هذه المسألة، و فضح مناورات النظام و مخططات الامبريالية الجهنمية ضد شعوب المنطقة واجب ثوري، و لا يمكن أن يعتبره تصعيدا للعداء ضد الأحزاب الإصلاحية،

إلا من غرق بدوره في مستنقع الشوفينية و الإصلاحية. إن مساندة كفاح الشعب الصحراوي من أجل تقرير مصيره على كامل تراب الساقية الحمراء و وادي الذهب، تحت قيادة ممثله الشرعي و الوحيد الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء و وادي الذهب، يعد، في عرف الإصلاحيين الجدد، إذكاءا للحرب بين الشعوب. أما أن تطبل الأحزاب و تزمر من أجل تسعير الشوفينية و العداء بين الشعبين المغربي و الجزائري، فذلك تعبير عن "نضاليتها" و "وطنيتها" و"تقدميتها" بالنسبة للمرتدين. إن "إلى الأمام" لا تؤيد الحرب من أجل الحرب، كما يزعم المرتدون، و إنها واعية تمام الوعي بجميع الآلام والتضحيات الجسام التي تفرضها الحرب على شعوب المغرب العربي، لكنها تحمل مسؤولية الحرب و بكل وضوح – و خلافا للمرتدين – للحكم الرجعي و الامبريالية. إن المرتدين يتباكون على الآلام التي تلحق بشعوب المنطقة بفعل الحرب، دون تحديد أن النظام الملكي التوسعي، هو الذي يشن حربا ظالمة على شعب يدافع عن قضيته الوطنية العادلة. و إذا كانت "إلى الأمام" قد ارتكبت بعض الأخطاء في تعاملها مع قضية الصحراء الغربية، فإن المرتدين يتناسون، لحاجة في نفس يعقوب، الموقف الأول للحملم، الذي يتكلم عن حق جماهير الصحراء في تقرير مصيرها، و إعادة بناء الوحدة مع المغرب على أسس وطنية ديموقراطية بدل الاعتراف الواضح للشعب الصحراوي بحقه في تقرير مصيره، على كامل تراب الساقية الحمراء و وادي الذهب. و يكتفي المرتدون بتوجيه انتقاداتهم إلى نظرية الثورة في الغرب العربي، و إلى اعتبار مسألة إنجاح الثورة في الصحراء هي المهمة المركزية للثوريين الماركسيين اللينينيين المغاربة. إلا أن هذه الأخطاء لا تمس جوهر موقف "إلى الأمام" الأممي البرولتاري – كما يريد المرتدون الإيحاء بذلك – هذا الموقف الذي دافعت عنه في أقسى ظروف القمع، و في وجه الهجوم المسعور للقوى الإصلاحية والرجعية الشوفينية. إن المرتدين لا يتكلمون عن حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره، ويطرحون شعار "الحل السياسي السلمي" (دون توضيح أي حلم سلمي يقصدون: هل حل سياسي سلمي على أساس احترام حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره أم حل سياسي تصفوي لكفاح هذا الشعب؟) و يجهزون على مواقف "إلى الأمام" و من ضمنها حق تقرير المصير نفسه، الذي يعتبرونه متسرعا. و هذا موقف انتهازي و تراجعي ضمني عن مساندة قضية الشعب الصحراوي العادلة.

مناضل

صدرت الوثيقة في مجلة "إلى الأمام"

السلسلة الجديدة – عدد 4 – غشت 1980

ملحق

المنظمة الماركسية . اللينينية المغربية
"إلى الأمام"

تعميم داخلي
تنبيه

أقدم المدعوان المشتري و المنصوري مؤخرا، على إصدار نص "بيان سياسي"، مؤرخ في فبراير 1980، أشرف "الإتحاد الإشتراكي للقوات الشعبية"، على طبعه و توزيعه بشكل واسع.
و هذا "البيان" عبارة عن تهجم مليئ بالأكاذيب و الإفتراءات، موجهة ضد منظمتنا و مجموع الحركة الماركسية اللينينية و الحركة الثورية المغربية.
أمام هذا، نرى أنه من الضروري التذكير، و لو بصفة موجزة، ببعض المعالم البارزة في تطور هذين العنصرين منذ اعتقالهما في 1976.
لقد كان المشتري عضوا في اللجنة الوطنية المنبثقة عن الندوة الوطنية التي انعقدت في 1 و 2 يناير 1972، كما كان عضوا في كتابة المنظمة. أما المنصوري فقد كان مسؤولا في منطقتي فاس و الشمال خلال حقبة معينة.
و عند اعتقالهما، و عوض الصمود و مقاومة التعذيب، التجئا إلى طريق التفاهم مع البوليس، و الإعتراف بأسرار المنظمة، مساهمين بذلك في تفكيكها في الداخل، خلال فترة فبراير/ مارس 1976.
و في سجن عين البرجة بالدار البيضاء، عمدا خلال فترة سبتمبر/ دجنبر، إلى العمل التكتلي ، لمنع الرفاق الذين ينتقدونهما و يفضحون مسؤوليتهما في الإعتقالات، و المتشبتين بالمبادئ الثورية لمنظمتنا، من التعبير عن مواقفهم بشكل ديموقراطي.
و في سجن القنيطرة الذي انتقلنا إليه، مع باقي المعتقلين منذ مارس 1977، مع بعض شركائهما في البيان المذكور، عملا من أجل الإعتراض على تطبيق مبدأ المحاسبة على الإنهزام أمام العدو، الوارد في النظام الداخلي لمنظمتنا، إلا أنهما سرعان ما انفضحا و انعزلا سياسيا، وإثر ذلك اتخذت المنظمة قرار توقيفهما، ضمن مجموعة العناصرالتي ارتكبت أخطاء مماثلة (في يوليوز 1977) و بالرغم من ذلك، فقد استمرا

في أعمالهما التخريبية ضد المنظمة، مما أثار سخط جميع مناضلي منظمتنا عليهما، و رغم التجاوزات و الأخطاء التي رافقت ذلك السخط خلال سنة 1978، فقد أتيحت لهما كل الظروف للمساهمة في النقاشات السياسية، التي جرت في صفوف المنظمة، ابتداءا من النصف الثاني من السنة المذكورة، غير أنهما حاولا مرة أخرى استغلال هذه الإمكانية لنفس السلوك الانتهازي و التخريبي.
و هكذا، سعيا إلى الاستفادة من جو البلبلة الذي كان سائدا لدى عدد من المناضلين، لجلب توقيعاتهم على البيان المعروف "بيان التجميد"، في يونيو 1979. .و لقد استطاعا أن يساهما في نسف مجهودات مناضلي منظمتنا، الذين لم يدخروا جهدا لإقامة حوار بناء مع الرفاق الذي جمدوا عضويتهم، و لكن لم يمض وقت طويل، حتى اتضح من خلال الصراعات السياسية، أن أهدافهما الحقيقية، إنما كانت التهجم على المنظمة وتخريبها.
هكذا، و بعد استنفاذ كل إمكانيات العمل معهما على أسس مبدئية، تم اعتبارهما منسحبين، و أعلن عن ذلك في تعميم داخلي صدر عن المنظمة في 12 نونبر 1979، و بذلك تم وضع حد لأحلامهما في التسلط من جديد على منظمتنا، و جرها إلى مستنقعات الإصلاحية، فظهرا على حقيقتهما البئيسة حاليا، كإصلاحيين و وصوليين، لا يترددون في نشر الأكاذيب ، و اعتماد التشهير لتدنيس الرصيد النضالي لمنظمتنا، و لمجموع الحركة الثورية المغربية.
نظرا لكل ما سبق، فإنه يتحتم على منظمتنا، أن تدخل في اعتبارها، أن العنصرين المذكورين، قد أصبحا يتصرفان كعدوين للمنظمة، و الحركة الماركسية اللينينية المغربية، و الحركة الثورية، و أن نستخلص الدروس و النتائج الداخلية اللازمة من ذلك، هذا إلى جانب الرد السياسي الصارم الذي ينبغي تقديمه لدحض أطروحتهما اليمينية التصفوية.
إن هذا الموقف و الإجراءات المستخلصة منه، تنطبق كلها على العناصر التي وقعت معهما "البيان السياسي" المذكور و هم:
العريش- الطريبق– أمناي– بوراس– بوغابة – بنعمر- المجاهد.

المنظمة الماركسية اللينينية المغربية
"إلى الأمام"
شتنبر 1980

الجزء الثالث

ملف الخط اليسراوي العفوي الجديد

الحملم و منظمة"إلى الأمام" و قضايا الحزب و الوحدة و الحركة الجماهيرية*

* . عند طبع هذه الوثيقة، تم اعتماد مخطوط أصلي مكتوب بخط صاحب الوثيقة. و لأن النص الأصلي لم يكن يحمل عنوانا، و لم يكن موجها للنشر، على الأقل عندما تم التوصل به في نهاية 1979، و رغم أن النص تم نشره فيما بعد، في مجلة "الغد" المغربية، و قام بإعادة نشره أحد المواقع الإلكترونية التقدمية، و في كلا الحالتين حملت الوثيقة عنوانا واحدا، فإننا قمنا بوضع عنوان آخر مستلهم من مضمون الوثيقة، دون أن يحمل ذلك العنوان حكما مسبقا، و ذلك حرصا على الأخلاق العلمية.

الوثيقة تنتمي إلى فترة 1979، حيث دار صراع قوي بين المدافعين عن الحملم و منظمة "إلى الأمام" و ثراثهما الثوري، و الداعين إلى حل المنظمات الماركسية اللينينية المغربية، و الذهاب فرادى إلى الطبقة العاملة، و ذلك انطلاقا من أن تلك المنظمات هي منظمات بورجوازية صغيرة، لا تستطيع التجذر وسط الطبقة العاملة و لا بناء حزبها الثوري، و كل إعادة لبنائها لن يقوم سوى بإعادة إنتاج تنظيمات برجوازية صغيرة، تحاول الهيمنة على الطبقة العاملة.

هكذا، و بعد أطروحات الخط اليميني الإصلاحي، المنكرة لأية شرعية تاريخية للحملم و منظمة "إلى الأمام"، و الداعية إلى مواجهتها عبر التحالف أو الالتحاق بالاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، مما يسمح بالتجذر داخل الطبقة العاملة من خلال الانخراط في "جبهة القوى الديموقراطية و الثورية" بقيادة الاتحاد الاشتراكي، ظهرت للوجود أطروحات أخرى تنكر هي الأخرى ثورية التنظيمات الماركسية اللينينية، ناعتة إياها بالبرجوازية الصغيرة، و مبعدة إياها عن أية علاقة بالطبقة العاملة، و في منحى يسراوي، دعا أصحابها إلى حل تلك المنظمات و الالتحاق بالطبقة العاملة كأفراد، و بذلك أطلق على هذا التيار اسم التيار العفوي التصفوي و العدمي.

تقديم

تكتسي أطروحة الحزب لدى الحركة الماركسية اللينينية المغربية أهمية خاصة، ذلك أن البعض اليوم، في ظل النقاشات حول الأزمة و التقييم، يريد أن يثبت وجود عناصر بروليتارية في نهج الحركة السياسي و الايديولوجي، إنطلاقا من طرح مسألة الحزب البروليتاري

لم تكن مثل هذه الدعوات الأولى من نوعها التي عرفتها الحملم و منظمة "إلى الأمام"، فقد عرفت فترة 1970 – 1972 ظهور أفكار و تيارات دعت إلى تشتيت المنظمات الماركسية اللينينية، من خلال إرسال مناضليها إلى مجموعة من القطاعات الجماهيرية، و ذلك بمبرر أن هذه التنظيمات بورجوازية صغيرة و يجب العمل على بلترتها، بإرسال مناضليها إلى تلك القطاعات الجماهيرية كأفراد خارج أي تأطير للتظيمات الثورية الماركسية اللينينية، و استطاعت منظمات "إلى الأمام" و"23 مارس" التغلب على هذه التيارات. و بالنسبة لمنظمة "إلى الأمام"، فقد شكلت الندوة الوطنية الأولى المنعقدة يومي 31 دجنبر 1971 و فاتح يناير 1972، منعطفا حاسما في القضاء على مثل هذه الأطروحات بالأجوبة التي قدمتها حول التجذر داخل الطبقة العاملة، و دور الجريدة المركزية و القيادة المركزية، و التأكيد على وحدة الحملم، إلا أن الأفكار التي تبنتها الندوة الوطنية الأولى، لم تكن كافية لاجتثاث جذور مثل هذه الأفكار العفوية، و انتظرت المنظمة صدور وثيقة "عشرة أشهر من كفاح التنظيم، نقد و نقد ذاتي"، و ذلك في 20 نونبر 1972، لتقدم الرد الحاسم و الفاصل، من خلال بلورة شعار"من أجل بناء منظمة طليعية و صلبة و راسخة جماهيريا"، شعار مصحوب بمجموعة من الشروط اللازمة لتحقيقه (انظر الوثيقة على موقع "30 غشت").

هكذا، عادت نفس الأفكار مرة أخرى للظهور، خلال سنة 1979، في سياق وضع هو نفسه الذي مهد لظهور التيار اليميني الإصلاحي، مع فارق أن الأولى حاولت ادعاء الثورية و الجذرية، بكونها تدافع عن الطبقة العاملة و مشروعها الثوري.

و قد كان يقود هذا التيار كل من عبد الله زعزاع و عبد الفتاح الفاكيهاني، و كلاهما كان عضوا سابقا في قيادة منظمة "إلى الأمام"، و ذلك منذ الندوة الوطنية الأولى. عبد الله زعزاع كعامل و عبد الفتاح الفاكيهاني كطالب، هذا الأخير التحق بالكتابة الوطنية للمنظمة بعد خروجه من السجن سنة 1973، بعد الحكم عليه بالبراءة في محاكمة الدار البيضاء في غشت 1973.

و بعد انتقال معتقلي "درب مولاي الشريف"، مجموعة 26 في 16 يناير 1976 إلى السجن المدني (غبيلا) بالدار البيضاء، و بعد ذلك بأيام أصدرت القيادة الوطنية بالسجن المدني "غبيلة" بالدار البيضاء قرار توقيف رفيقين من المنظمة، من بينهما عبد الله زعزاع عضو اللجنة الوطنية للمنظمة، و ذلك لمسؤوليته عن اعتقال مجموعة من أطر المنظمة، من بينهم إدريس بن زكري، فؤاد الهيلالي، عبد الله الحريف و مصطفى التمسماني و آخرون، بالإضافة إلى الإدلاء بالعديد من المعلومات حول المنظمة.

من طرف هذه الحركة.و لقد إشتد فزع بعض الاتجاهات التي أعطت و لازالت تعطي على المستوى النظري موقعا جوهريا لمسألة الحزب في نهجها، خاصة منظمة " الى الأمام" التي تبلور لديها خلال سنة 1972، مفهوم معين للحزب و نواته القائدة، منظمة المحترفين الثوريين، و التي ترى اليوم أن الطعن في التصورات التي بلورتها في هذه المسألة، هو الرجوع بالحملم إلى ماقبل نشأتها، بل إلى ماقبل 130 سنة من نضال البروليتاريا، و تجربة الحركة الشيوعية العالمية، و ذلك حين بدأنا نقدم بعض الانتقادات في هذا الصدد.

و قد صادق على هذا القرار، مجلس الأطر لمنظمة "إلى الأمام" بالسجن المدني بالدار البيضاء، مع تحفظ واحد. و قد وافق المعنيان على قرار التوقيف. و بعد محاكمة الدار البيضاء و صدور أحكامها في فبراير 1977، و بعد انتقال المعتقلين السياسيين إلى السجن المركزي بالقنيطرة يوم 7 مارس 1977، و إلى حدود مارس – أبريل 1978، ظل عبد الله زعزاع ملتزما بقرارات المنظمة، التي كرستها من جديد قرارات يونيو 1977، حيث اعترف الرفيق بأخطاءه و قدم نقدا ذاتيا عنها، إلا أن هذا الوضع سيتغير في منتصف 1978، و خاصة سنة 1979، حيث بدأت تتصاعد حملات الهجوم و العداء للمنظمة، و تنظم ملتقيات لذلك بسجن العلو بالرباط، حيث تجمع خليط من الأطر القديمة للحملم، و عناصر أخرى انتهازية منتمية للفصائل الماركسية اللينينية. هكذا انطلقت حملات اتهام المنظمة بالبيروقراطية و الستالينية و الهيمنة إلى غير ذلك من النعوت. في هذه اللحظة بدأت مواقف عبد الله زعزاع تتغير في اتجاه الابتعاد عن خط المنظمة الثوري، إلى أن ظهرت بشكل سافر من خلال مساهمته في بلورة و مشاركته في "بيان التجميد للعضوية من منظمة "إلى الأمام" الصادر في يونيو 1979، و الذي وقعة 52 مناضلا. و تميز عبد الله زعزاع بإصداره لوثيقة "الحد الفاصل بيننا"، التي تعتبر الوثيقة التأسيسية لهذا التيار التصفوي، الذي بعد توقيع أعضائه، و هم أغلبية الموقعين على بيان التجميد للعضوية، أصدروا توضيحا يعلنون من خلاله، عن هويتهم السياسية و الإديولوجية، و يفترقون مع اتجاه المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري اليميني، الذي كان هو الآخر قد وقع بيان التجميد للعضوية من المنظمة، و كلاهما "التوضيح" و"الحد الفاصل بيننا" كانت قد أصدرتهما مجلة "آفاق" الصادرة آنذاك بفرنسا، في عدديها 3/ 4 و العدد 5. و من المعروف أن مجلة "آفاق" كان يصدرها مجموعة من العناصر الانتهازية، التي انقطعت علاقة المنظمة بها، منذ 1976 بالنسبة للبعض، و عادت للظهور في أجواء الصراع داخل المنظمة، و محاولة استثماره لأغراض انتهازية.

أما عبد الفتاح الفاكيهاني، عضو الكتابة الوطنية للمنظمة إلى حدود اعتقاله في حملة دجنبر 1975 . مارس 1976، فقد انضم إلى الثنائي عبد الله المنصوري و المشتري بلعباس ليشكلوا خلال تواجدهم بالسجن المدني "عين برجة" بالدار البيضاء، ثلاثيا يمينيا واجه الخط الثوري للمنظمة، قبل و إبان محاكمة الدار البيضاء في يناير- فبراير 1977 . و بعد الانتقال إلى السجن المركزي بالقنيطرة، في مارس 1977، و بعد نقاش مستفيض معه، انتهى بقبوله قرارات يونيو 1977، و التي أوقفته من المنظمة بسبب مسؤوليته في درب مولاي الشريف عن مجموعة من الاعتقالات التي مست المنظمة، الشيئ الذي أدى به إلى الانفصال عن باقي المجموعة الثلاثية. و قد ظل عبد الفتاح الفاكيهاني ملتزما بقرارات المنظمة و مواقفها إلى حدود منتصف 1978، حيث بدأت مواقفه

و حتى يكتسي هذا النقاش وضوحا لابد منه منذ البداية، فإن مفهوم منظمة المحترفين الثوريين طرح من طرف لينين في الفترة ما بين 1902 و 1906 في عدة كتابات، و أصبح منذ التجربة البلشفية عمادا من أعمدة التنظيم الحزبي بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية، إلا أن هذا لايعني بالنسبة للماركسين اللينينيين ، تخليهم عن مهمة التطوير الدائمة، التي يمكن أن تمس هذا المفهوم أيضا، إذا ما أثبت تطور النضال السياسي الثوري البروليتاري ضرورة ذلك. لكن المشكل الراهن بالنسبة لنا لا يرقى الى هذا المستوى، و إنما يتمحور حول موقع هذا المفهوم لدى الحركة الماركسية اللينينية، و نهجها السياسي العام من خلال التجربة، و إذا كانت مسألة الحزب نقطة التقت حولها كافة الاتجاهات داخل الحملم، إلا أن منظمة الى الأمام كانت الاتجاه الوحيد الذي أولى لها أهمية خاصة، و قام ببلورة تصورات مدققة حولها. و لقد تم تسطير ذلك عبر أطروحات سياسية و نظرية سنحاول التعرض لبعضها و ذلك كالتالي:

. إعتبرت منظمة الى الأمام، أن الحركة الماركسية اللينينية تشكل النواة الأولى لحزب البروليتاريا الثوري المنشود.

· إن مهمة الحملم هي بناء هذا الحزب، و ذلك انطلاقا من تشييد منظمة صلبة للمحترفين الثوريين تشكل النواة القائدة للحزب.

تتغير نحو اتجاه عفوي فوضوي، سيعبر عن نفسه لاحقا، خلال و بعد صدور بيان يونيو 1979 ("بيان التجميد للعضوية ..."). لقد استطاع هذا التيار التصفوي أن يجر إلى صفوفه العديد من المناضلين المنتمين للتنظيمات الثورية شبه الجماهيرية، و التي كانت تشكل قاعدة أساسية للتيار الثوري، الشيئ الذي لم يستطع التيار اليميني تحقيقه، مستغلا في ذلك الفراغ الذي تركه صراع الأطر الثورية ضد الثلاثي اليميني الجديد الممثل في : أبراهام السرفاتي و بلعباس المشتري و عبد الله المنصوري و أتباعهم، و قد كان أحد أسباب هزيمة الخط الثوري عند انطلاق سيرورة الصراع ضد الخط التحريفي الجديد، بعد انتهاء الصراع ضد الثلاثي اليميني. و بعد صدور قرارات 12 نونبر 1979، عرف هذا الاتجاه التصفوي حالة من التشتت ثم الانقراض حيث تخلى العديد من أعضائه عن الفكر الماركسي اللينيني، و البعض الآخر عن الفكر الماركسي، و تبنى الآخرون خطوطا إصلاحية جسدوها بالالتحاق بصفوف الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بعد خروجهم من السجن، و ظل آخرون على خط ديموقراطي و انتهى المآل بآخرين إلى التخلي عن أي نضال، أما زعيمي التيار فتحولا إلى، إما إلى تبني فكر الثورة البورجوازية الفرنسية، أو العمل في المجتمع المدني خارج أي عمل سياسي (حالة عبد الله زعزاع) أو تبني فكر ديموقراطي إصلاحي بدون تبعات سياسية (حالة عبد الفتاح الفاكيهاني). أما حلم الذهاب إلى الطبقة العاملة فقد ذهب أدراج الرياح.

· إن تشييد منظمة للمحترفين الثوريين، يمر عبر الاعتماد على المقدمة التاكتيكية، الشبيبة المدرسية التي تشكل المثقف العضوي للجماهير الشعبية، و التي ستفرز أطرا متمرسة على النضال السياسي الثوري، تحمل فكر و إيديولوجية البروليتاريا و تنقله للطبقة العاملة و الفلاحين و باقي الجماهير الشعبية.

· و اعتبرت منظمة الى الأمام أخيرا أن وحدة الحملم خطوة ضرورية على طريق بناء هذه المنظمة و الحزب.

و إذا كانت هذه هي الأطروحات النظرية السياسية و الايديولوجية التي بلورتها الى الأمام خلال مسيرتها، و على الخصوص منذ 1972 في مسألة الحزب، فماذا كانت تجربة الحملم و ضمنها منظمة الى الأمام على مستوى الممارسة في ظل الصراع الطبقي ؟

لقد ارتبطت هذه التصورات حول الحزب، بتعامل ضيق من طرف الحملم، مع الحركة النضالية للجماهير، يقوم على عملية الفرز بين مناضلي الشعب، بهدف واحد و وحيد، هو استقطاب العناصر المتحمسة للاحتراف الثوري، و بالتالي لم تكن تعطي هذه الحركة أهمية للنضال الجماهيري إلامن زاوية تزودها بالأطر، و ذلك في ظل عملية انتقاء نخبوية، تتخذ فيها المستويات العليا الموقع الرئيسي من الإهتمام على المستوى التنظيمي، و لا تشكل المستويات الدنيا سوى مرحلة إنتقالية و تدريبية فقط.

و هكذا فإن عملية تأطير الجماهير، لم تكن مطروحة في الواقع الملموس بالنسبة للمحاولات التي ارتبطت بتجربة الحملم، في مجال النشاط وسط التنظيمات الجماهيرية، فلقد تميزت بإخضاع هذه التنظيمات للتوجيه المباشر للحملم: كما هوالحال بالنسبة لأوطم و ن و ت(النقابة الوطنية للتلاميذ)، أما التنظيمات الشبه جماهيرية، فاتخدت أشكالا معقدة جدا، و مستويات متعددة على نمط المدارس البرجوازية، ينحصر هدفها الوحيد في الإستقطاب للمنظمة المركزية. إن الخلط بين العمل السياسي الثوري و العمل النقابي الثوري، كان من نتائج هذا الفهم لمسألة التنظيم و منظمة المحترفين الثوريين. و لقد نتج عن هذا النهج، أن أطر و مناضلي الحملم، كانت تنتقل تدريجيا من الارتباط العضوي بالجماهير في مواقعها النضالية، الى موقع العزلة عنها في ظل السرية و الإحتراف. و بدل أن تعرف الحركة تقدم سيرورة إدماج مناضليها الثوريين، حدث عكس ذلك، بحيث أنه بدل عملية البلترة التي كان يسعى إليها مناضلوها، الذين أفرزتهم الشبيبة المدرسية، حدثت عملية البرجزة للأطر النادرة التي كانت تنتمي للطبقة العاملة، إذ تم عزلهم عن مواقعهم، و هكذا لم تكن تشكل الحملم طوال

تجربتها و لحد الساعة، سوى مجموعة من التنظيمات الثورية، لاتوجد بينها و بين حركة الجماهير أية ارتباطات عضوية، خارج بعض التأثير في صفوف الشبيبة المدرسية.

إن التجربة تبين فشل اعتماد الحملم على الشبيبة المدرسية، من أجل حل مشكلة الأطر، و من دلائل هذا، التراجعات الهائلة، التي عرفتها هذه الحركة في صفوفها منذ انحسار المد النضالي في حركة الشبيبة المدرسية سنة 1972، بالإضافة الى طبيعة الأطر التي استخلصتها الحملم من هذه الشبيبة، و التي لايمكن اعتبارها بأي حال من الأحوال، أطرا بروليتارية، و لم تتمكن الحملم من إنجاز عملية توحيد فصائلها، و لكنها عرفت منذ 72، إلى اليوم سيرورة انشقاقات و تشتت واسعة. فماذا يعني هذا ؟ إن التنظيم الذي بنته "إلى الأمام" و تنظيمات الحملم عموما، لم تكن تنظيمات للمحترفين الثوريين، و لا أنوية بروليتارية، و إنما كانت مجموعة هياكل حرفية مغلقة، ارتبطت أساسا بالشباب المدرسي، و برزت هشاشتها أمام أجهزة القمع، و ظلت الإعتقالات تحطمها في الأعماق مرات عديدة، و إلى يومنا هذا.

و هكذا يبقى علينا اليوم، تحليل هذه الأطروحات و الممارسات، حتى نعطي للواقع الذي تعرفه الحملم، مضمونه الحقيقي و دلالته الطبقية، في واقع الصراع الطبقي، و هذا هو الغرض من هذا الموضوع، الذي لايدعي لنفسه اكتمال الوضوح أو امتلاك الحقيقة، و إنما هو مساهمة في طرح مجموعة من الإشكالات، كمشروع للبحث و التحليل، و هي محط للنقد و الصراع.

I. كيف نشأت الحملم و ماذا تمثل اليوم؟

إن تجربة الحركة الشيوعية العالمية، و المبادئ العامة النظرية في الماركسية اللينينية، تحدد بوضوح، أن النواة لحزب البروليتاريا، تتشكل من العناصر الطليعية ،كفاحيا و سياسيا، و إديولوجيا، في صفوف الحركة العمالية، و ليس مجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار، المتمرسين في الكفاح السياسي الثوري، و المتبنين لبعض الحقائق العامة للماركسية اللينينية، من الزاوية الفكرية أو اللفظية، و في غياب حزب البروليتاريا، لا يمكن لأي مثقف ثوري برجوازي صغير،لم يعرف سيرورة الانصهار في بوتقة الحركة العمالية، و بارتباط عضوي بها، و لم تفرزه الحركة العمالية كأحد قادتها الثوريين، أن ينصب نفسه ممثلا لها أو معبرا عن مصالحها، و هذا وحده لايكفي، لأنه في واقع

الصراع الطبقي ببلادنا و خصوصياته، تتبلور النواة البروليتارية، بارتباط مع تبلور الخط البروليتاري، الذي يجسد القيادة الفعلية للطبقة العاملة، لباقي طبقات و فئات الشعب، فهل هذه العناصر تتوفر في الحملم و لو بشكل جنيني؟

أ. إن الحركة الماركسية اللينينية لا يمكن لها أن تكون إلا نتاجا للصراع الطبقي ببلادنا. و لقد برزت هذه الحركة في ظل شروط طبقية محددة، و ذلك وطنيا و قوميا و عالميا: و بدون الغوص في تحليل معمق لنشأة هذه الحركة، لا بد من تسجيل ميزتين:

. إن نظرة عامة على تطور الأوضاع بعد 65، تبرز النهج الذي سارت عليه الطبقة أو الطبقات السائدة بالمغرب، و الذي لم يترك هامشا للنشاط السياسي للأحزاب التقليدية داخل بنية النظام. و فرض عليها أن تقف في صف المعارضة، من خارج هذه البنية، مما وفر الشروط للكشف عن عقم خطها الإصلاحي، و أدى إلى تقليص مواقع التأثير السياسي و الايديولوجي من طرف هذه القوى على الجماهير الشعبية.

. إن مرحلة ما بعد 67، جسدت انطلاقة حركة جماهيرية نضالية، تميزت باستقلالية نسبية، عن تأطير القوى السياسية و النقابية التقليدية، و تمركزت أساسا في نضالات الطبقة العاملة المنجمية، و انتفاضات فلاحية في بعض المناطق التي تعرف همجية المعمرين الجدد.

إن هتين الميزتين، بالإضافة الى عناصر أخرى (مرتبطة بالصراع الطبقي و مستوى تطوره الموضوعي و بتأثير التطورات الحاصلة على مستوى القوى الثورية بالوطن العربي، و على المستوى العالمي...) دفعت بالصراع السياسي و الإيديولوجي في صفوف البرجوازية الصغيرة الى التقدم، و انعكس هذا داخل الاحزاب البرجوازية الصغيرة، و خاصة في بعض المواقع الديناميكية، كالمثقفين و الشبيبة المدرسية، و لقد تفاوتت الإختيارات بين العديد من الإتجاهات داخل هذه الأحزاب، و من بين الإختيارات التي أفرزت في هذه المرحلة، كانت الحملم، و تجلى هذا في انسلاخ عدد من العناصر الشابة من المثقفين أو الشبيبة المدرسية عن هذه القوى، و التحامها في ظل توجه فكري و سياسي مستقل، تشكلت أرضية الالتقاء النضالية بالنسبة لأفراده داخل الشبيبة المدرسية، و أساسا في أوساط الحركة الطلابية. و لقد انصهرت

القاعدة السياسية الإيديولوجية للحملم، في ظل حركة فكرية تميزت بتبنيها للفظ الماركسية اللينينية، و نقد الأحزاب الاصلاحية و"التحريفية" بالبلاد.

ب- أما على مستوى المواقف السياسية، فلقد تميزت نشأة الحملم بطرحها لموقف جدري واضح من النظام القائم، و تشديدها على القضية الفلسطينية.

هكذا، فإن الحركة لا تعدو كونها حركة سياسية ثورية، برزت كنتاج للصراع السياسي و الايديولوجي في ميدان طبقي معين، هو ميدان البرجوازية الصغيرة، و تحت تأثيرها، و لاحتداد الصراع الطبقي عموما بالبلاد، و لا علاقة للبروليتاريا بوجود هذه الحركة إذا إستثنينا عنصرين هما:

. التأثير الخارجي للرصيد الفكري السياسي و الايديولوجي لتجربة البروليتاريا العالمية، و الحركة الشيوعية الأممية على المثقفين و الشباب عموما، و الذي تجلى بالنسبة للحملم في تبنيها للماركسية اللينينية، و بعض الانتقادات الجزئية و المتفرقة الشائعة حينذاك حول"التحريفية".

. التأثير الخارجي للحركة النضالية للطبقة العاملة المغربية على البرجوازية الصغيرة في تلك الفترة.

لقد أبرزت التجربة الملموسة للحملم، و على مدى أكثر من 10 سنوات من عمرها تقريبا، أن السيرورة التي عرفتها هذه الحركة، لم تكن سيرورة الاندماج بالبروليتاريا و طلائعها، بل على العكس من ذلك، عرفت هذه الحركة سيرورة عزلة متصاعدة، ليس إزاء البروليتاريا فحسب، و إنما أيضا عن قاعدتها الاجتماعية (التي أفرزتها الشبيبة المدرسية)، و هي اليوم أبعد ما تكون عما كانت عليه حين نشأتها، عن أن تشكل نواة للبروليتاريا(حزبها)، كما أن التجربة، تبرز، أن التطور السياسي و الايديولوجي للحملم، لم يعمل على ضرب القاعدة الطبقية، التي إنطلقت منها هذه الحركة، و إنما عززها، و ذلك ببلورة تصورات شمولية، تؤدي جميعا إلى مشاريع ثورية برجوازية صغيرة. إن منوعات البرامج التي تقدمها الحملم، من نظرية الثورة في الغرب العربي، الى المجلس التأسيسي...الخ، و التنظيرات المحيطة بهذه المنوعات، في غياب أي تحليل علمي لواقع الصراع الطبقي ، و مصالح البروليتاريا المغربية، و بارتباط عضوي مع هذه الطبقة و حركتها النضالية

الملموسة، كل هذا يشكل دليلا آخر على الطبيعة الطبقية لهذه الحركة، و هكذا لا نستطيع اليوم اعتبار الحملم مجرد مجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار الثوريين، يسعون للارتباط بالحركة العمالية و المساهمة في بناء حزب البروليتاريا، ذلك أن الحركة منذ نشأتها الى اليوم، تعززت كتنظيمات قائمة بذاتها، خطا و ممارسة، تسعى لبسط هيمنتها السياسية و الايديولوجية على الطبقة العاملة، و باقي الجماهير، على الاقل على مستوى مشاريعها الثورية.

II. هل تتلخص مهمة بناء الحزب في عملية بناء منظمة المحترفين الثوريين و لو مرحليا ؟

إن مفهوم الحزب هو أشمل بكثير من المنظور التراكمي الكمي الذي إعتمدته الحملم، و حين طرح لينين مسألة منظمة المحترفين الثوريين في سنة 1902، كانت البروليتاريا الروسية قد قطعت أشواطا كثيرة في عملية تأطير نفسها، سياسيا و إيديولوجيا و تنظيميا، و كان المستوى الملموس الذي بلغه نضالها يتطلب الارتقاء إلى مرحلة عليا. فلقد كانت الحلقات الاشتراكية الديمقراطية الروسية منتشرة عبر أنحاء البلاد، داخل أوساط الحركة العمالية، و كان لهذه الحلقات عملها الدعائي و التحريضي و التنظيمي و جاء طرح لينين لمنظمة المحترفين الثوريين اعتبارا:

. كون الاحتراف الثوري أصبح ضرورة ملموسة، و ملحة بالنسبة للمناضلين الثوريين، حتى يتمكنوا من إنجاز المهام الملموسة للنضال الثوري في روسيا حينذاك و كان الإخلال بالاحتراف، معناه الاخلال بهذه المهام، التي لم تكن نهائيا تصورات قبلية جاهزة لعملية الثورة.

. و لكون الضرورة النضالية بدأت تفرض تنظيما مركزيا محكما، من أجل توحيد نضال البروليتاريا الروسية، و تعميم التجارب المختلفة و المتباينة، و تطور الوعي السياسي و الإيديولوجي، و هذا نقيضا لواقع الشتات في صفوف الحركة العمالية الروسية، و تجاوزا لتأثيرات الإنحرافين الاقتصادوي و العفوي، و هكذا فإن لينين لم يكن يتصور بناء منظمة للمحترفين الثوريين على طريق بناء الحزب، و إنما كان يرى بناء منظمة للمحترفين الثوريين كإحدى مكونات الحزب البروليتاري، دون الفصل فيما بين هذه المكونات بأية مرحلة.

و لقد كانت الشروط التاريخية في روسيا متوفرة لتأسيس مثل هذا الحزب بجميع مكوناته. كما أن لينين حين يطرح مهمة بناء منظمة من المحترفين الثوريين، فإنه لايطرحها على عاتق مجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار، و إنما يطرحها على المناضلين الثوريين

في صفوف الحركة العمالية، مهما كانت أصولهم الطبقية، و لكن على قاعدة الارتباط العضوي و الفعلي بالحركة العمالية، في ظل مسيرة ثورية أدت إلى أن يصبحوا أبناء للطبقة العاملة، يدافعون بالملموس عن مصالحها القريبة و البعيدة، لهذا فإن اختزال الحركة الماركسية اللينينية، و على الخصوص منظمة الى الأمام، لمسألة الحزب، في بناء منظمة للمحترفين الثوريين، هو إختزال يقوم على نفي واقع التجربة اللينينية و تشويهها، و هذا الانحراف القائم ليس بخطأ شكلي، و إنما انحراف يعكس تصورا نخبويا، يؤدي إلى فهم معضلة الحزب باعتبارها معضلة أطر متمرسة فقط تستطيع قيادة الجماهير.

إنه طريق السقوط في البلانكية و نزعة التآمر عبر طريق متعرج. إننا نعتبر أن حزب البروليتاريا ليس بحزب نخبوي، لكنه حزب جماهيري ثوري، يجسد الاستقلال السياسي و الايديولوجي و التنظيمي للطبقة العاملة، بقيادة طليعتها الواعية و المنظمة، كما أننا نعتبر أن الحزب البروليتاري لا يشكل هرما تنظيميا يبنى على مراحل، من القمة الى القاعدة، لكنه مجموعة من التنظيمات تمر من الاشكال الأكثر جماهيرية، إلى الأكثر سرية، و تتبلور ضمن نفس المسيرة الواحدة، و تجسد تطور و تقدم نضال البروليتاريا ضد أعدائها، و هكذا فإن الحزب نتاج ذاتي و موضوعي لصراع البروليتاريا، إذا كان يشكل أداة تنظيمية ثورية، فهو قبل كل شيء مضمون سياسي و إيديولوجي طبقي، لا يمكن لأية فئة إجتماعية أو طبقة أخرى غير البروليتاريا أن تبلوره مكانها.

و هكذا أيضا نرى أن مهمة بناء الحزب بما فيها مهمة بناء منظمة المحترفين الثوريين، ملقاة على عاتق الطبقة العاملة، و ينحصر دور الثوريين الراغبين في المساهمة فيها، الاندماج بحركية الطبقة العاملة المغربية في ظل مسيرة نضالية ملموسة، ينجز فيها هؤلاء الثوريون المهمات الأولية و العملية في صفوف الحركة العمالية، حتى يصبحوا مناضلين شيوعيين حقا، و أبناء مخلصين للطبقة العاملة، هذه المهام التي تكمن أساسا في المساهمة في التأطير و الرفع من مسستوى الوعي السياسي الطبقي الثوري.

III. حول المقدمة التكتيكية

لقد تبلور بعد 72 تصور يربط مهمة الحزب بالمقدمة التاكتيكية، التي تشكلها الشبيبة المدرسية بالنسبة للجماهير، و ذلك بناء على الاعتبارات التالية:

إن الشبيبة المدرسية تشكل القطاع الجماهيري الذي يخوض نضالات ذات طابع سياسي مكشوف، ستتبلور من خلاله عناصر مناضلة ثورية تتبنى الماركسية اللينينية، و تستطيع لعب دورها داخل الجماهير الشعبية الكادحة، كأطر ثورية بروليتارية.

إن الشبيبة المدرسية لها مميزات خاصة ببلادنا، فإذا كانت الحركة في ظل ظرف محدود زمنيا قوة سياسية لها إستقلاليتها النسبية عن باقي القوى السياسية في المجتمع، إلا أنه من اللازم أيضا تسجيل أن حركة الشبيبة المدرسية، ستظل دوما كما كانت كذلك تاريخيا، حتى في بلادنا، حركة ديمقراطية في خطها العام، ذات طبيعة طبقية برجوازية صغيرة، مع بعض المميزات الخاصة الناتجة عن واقعها كفئة إجتماعية لها موقع محدد في عملية الانتاج، على مستوى المجتمع. و هذا ينفي إمكانية بروز أطر بروليتارية أو نواة للمحترفين الثوريين من صفوفها، بالمضمون الماركسي اللينيني ، فحركة الشبيبة المدرسية، يمكنها أن تفرز مناضلين برجوازيين صغار ثوريين، من خلال حركتها الخاصة، و يمكن لهذه الأطر أن تتبنى الماركسية اللينينية كفكر، إلا أن الأطر البروليتارية، و منظمة المحترفين الثوريين، لا يمكنهم التبلور إلا من خلال مسيرة عسيرة، لنضال البروليتاريا نفسها، و هذه مرحلة لا يمكن القفز عليها بأية وصفات سريعة مهما كانت ممنطقة.

و إذا كان الطابع السياسي المكشوف، لشعارات الشبيبة المدرسية، قد ظل يميزها عن باقي القطاعات الجماهيرية العاجزة عن ذلك، فإن تسجيلها كحقيقة و كميزة من مميزات الصراع الطبقي ببلادنا، يلقي على عاتق الشيوعيين المغاربة أعباء جسيمة، من أجل فتح الطريق الثوري أمام الطبقة العاملة و طليعتها الثورية، في النضال السياسي ، و هذا يعني الإندماج المباشر بالنسبة لمجموع المثقفين الثوريين، المتبنين للماركسية اللينينية بالحركة العمالية و طلائعها المناضلة، من أجل تطوير كفاحيتها و وعيها السياسي، و المساهمة في بناء حزب البروليتاريا. و يبقى في الأخير أن خزان الأطر البروليتارية هي الطبقة العاملة نفسها.

ج. الحركات الماركسية اللينينية داخل الشبيبة المدرسية كظاهرة حديثة.

إن وجود حركات سياسية تتبنى الماركسية اللينينية داخل حركات الشبيبة المدرسية، هي ميزة تكاد تكون عامة، سواء في ما يسمى بالعالم الثالث، أو حتى في بعض البلدان الامبريالية، و في الوقت الذي يتميز فيه وضع الحركة العمالية بانحسار في موقعها، على مستوى

الصراع السياسي كقوة طبقية مستقلة، رغم الأزمة العامة التي تشمل النظام الرأسمالي العالمي، و التي تنعكس على أوضاع الطبقة العاملة بشكل حاد.

إلا أن هذه الحركات الماركسية اللينينية في صفوف الشبيبة المدرسية، التي برزت في الستينيات و على مدى أكثر من 15سنة مضت، لم تحصد في تجربتها سوى الفشالات الذريعة، التي تزيد منها أزمة الحركة الشيوعية العالمية، و الغموض السياسي و الإيديولوجي القائم فيها. لقد افتقدت كافة الأحزاب الشيوعية لتوجيه بروليتاري، و تحولت الى أدوات في أيد فئات طبقية لا علاقة لها بالطبقة العاملة، و ذلك في غالبية بلدان العالم، و تحت أقنعة مختلفة في المظهر، متماثلة في المضمون، و سواء على مستوى تلك القوى، التي تمكنت من الإستيلاء على السلطة أو تلك التى لم تتمكن من ذلك،(الصين، الفيتنام، الاتحاد السوفياتي، ألبانيا...ثم أحزاب الأممية الثالثة في أوروبا.)، و يمكننا القول اليوم، بأنه كما جسدت سنة 1914 و ما بعدها، مرحلة إفلاس بالنسبة للأممية الثانية و الثانية و النصف، في ظل تحولات طبقية جوهرية طرأت على البنية الاجتماعية السياسية و الإيديولوجية للأحزاب الاشتراكية الديمقراطية، بارتباط مع التحولات التي حصلت في صفوف الطبقة العاملة و الحركة العمالية، و في علاقة مع التطور الذي عرفه النظام الرأسمالي العالمي نحو الامبريالية، فإن المرحلة الحالية تشكل نهاية فترة تاريخية طويلة من حياة الحركة الشيوعية العالمية، تبقى في ظلها المبادئ الأساسية للماركسية سديدة و حية، إلا أن الماركسية اللينينية تحتاج بشكل ملح، الى قفزة نوعية تعصف بالعديد من القوالب الجامدة، و التصورات السياسية و الإيديولوجية، التي تبلورت في المرحلة التاريخية الماضية، و التي أصبحت اليوم عائقا في وجه تطور آفاق الثورة البروليتارية.

و لا يمكن اعتبار الحركات السياسية القائمة خارج الحركة العمالية، و التي استحوذت على رصيد الطبقة العاملة الفكري و النضالي، إلا إحدى منوعات الثوروية البرجوازية الصغيرة le révolutionnisme petit bourgeois أفرزها واقع أزمة الحركة الشيوعية العالمية و الحركة العمالية، و تلقى لنفسها مرتعا في ظروف الأزمة، بينما هي بعيدة كل البعد على أن تكون بديلا ثوريا.

د: و لكن هل يمكن أن تشكل الشبيبة المدرسية قنطرة عبور للفكر الثوري الماركسي اللينيني الى الطبقة العاملة و الجماهير الشعبية؟

لقد انطلقت منظمة إلى الامام من تصور، أن الوعي لا تمتلكه الطبقة العاملة من خلال العلاقات الضيقة بينها و بين مستغليها المباشرين، و إنما تمتلكه إنطلاقا من العلاقات الاجتماعية الواسعة التي تربط هذه الطبقة بمختلف الطبقات الأخرى.

إن هذا الطرح في عموميته رغم كونه طرحا سديدا، لايعطينا إمكانية الإجابة بوضوح عن دور المثقفين في بلورة الوعي الطبقي لدى البروليتاريا، لكنه يعمل على تعويم هذه المسألة ليصل في النهاية إلى بلورة تصورات خاطئة، حول علاقة الشبيبة المدرسية بالطبقة العاملة و مجموع الجماهير الشعبية. إن العلاقات بين مختلف الطبقات في المجتمع، علاقات معقدة و متشابكة لها أشكال مباشرة أو غير مباشرة. و المثقفون هم كما كانوا تاريخيا و لايزالون، يشكلون ناقلة لمختلف الايديولوجيات véhicule ،. و بالتالي فإن قيام العديد منهم بإيصال الفكر الثوري الماركسي اللينيني للجماهير الشعبية و الطبقة العاملة، مسألة حتمية بوعي من هؤلاء أو غير وعي من طرفهم، و لهذا تكتسي الدعاية للفكر الماركسي اللينيني في صفوف المثقفين، و تعزيز موقع هذا الفكر على مستوى الواجهة الثقافية، بخلق حركة فكرية داخل المثقفين تسعى لهذا الهدف، كل هذا يكتسي أهمية لا بد من الإشارة إليها، لكن موقع المثقف الثوري الماركسي اللينيني هو موقع آخر بالأساس، ذلك أن تحديده كمثقف ثوري، لا ينبع إلا من خلال ارتباطه الفعلي بالجماهير الكادحة و حركيتها النضالية، و هو يلعب حقا دور القنطرة بين مجموعة من المعارف (الماركسية اللينينية، تجارب البروليتاريا و الشعوب....الخ) و بين الطبقة العاملة، من خلال عملية الاندماج، و يمكن لهذا المثقف أن يكون برجوازيا صغيرا من زاوية أصله الطبقي، كما يمكن أن يكون مثقفا عاملا أيضا. و لا يشكل ما يأتيبه هؤلاء المثقفون الثوريون من معارف للطبقة العاملة، إلا عنصرا من عناصر أخرى متعددة (تجربة الطبقة العاملة الملموسة، الصراع السياسي و الايديولوجي بين مختلف التوجهات الطبقية في صفوف الطبقة العاملة...) و هذا كله في ظل تمازج ضمن الحركة النضالية، تتم من خلاله عملية فرز الأنوية البروليتارية، و تبلور الخط الثوري البروليتاري داخل الحركة العمالية. إن مساهمة المثقف الثوري لا تجعل منه أتوماتيكيا عنصرا بروليتاريا، بل يمكن ألا يستطيع هذا المثقف تجاوز التصورات التي أتى بها للطبقة العاملة، و بالتالي يبقى حتى في صفوف الحركة العمالية عنصرا طبقيا غريبا عن الطموحات البروليتارية، بينما يمكن له أيضا أن يعرف سيرورة الإنصهار، الذي تجعل منه حقا إطارا للبروليتاريا في نضالها الثوري.

و من هنا نخلص، إلى أن دور المثقفين الثوريين البرجوازيين الصغار المغاربة يبدأ بعملية الاندماج الفعلي بالحركة العمالية و الطبقة العاملة. و في هذا تكمن مساهمتهم في عملية بناء حزب البروليتاريا الثوري المغربي، الشيء الذي حادت عنه منذ إنطلاقتها الحملم، و ذلك لاعتبارات ذاتية و موضوعية.

هـ . لماذا تبنت الحملم طرح المقدمة التاكتيكية؟

إن طرح المقدمة التاكتيكية هو انحراف عن مبادئ الماركسية، باعتبار أنه يعوض مرحليا بالنسبة لمهمات الماركسيين اللينينين المغاربة، عن طليعية الطبقة العاملة بتنظير طليعية فئة اجتماعية و طبقية أخرى غيرها، و لكن لا يكفينا اليوم نقد مجموعة الأطروحات الخاطئة التي اتخدت موقعا خاصا في تجربة الحملم، بل يجب كذلك البحث عن جذورها الطبقية من جهة، و عن الشروط الطبقية التي أنتجت هذه الأطروحات في ديناميتها و تفاعلاتها من جهة أخرى. و لقد حددنا في البداية بعض المعالم حول الجذور الطبقية التي أفرزتها الحملم، و لقد تفاعلت هذه الحركة مع شروط طبقية، سنحاول الإشارة إليها باعتبارها خطوطا عامة جدا من الواجب التعمق فيها لاحقا.

لقد عرفت الحملم في المرحلة مابين 70-72، تجربة سياسية تجلى فيها فشل محاولاتها القليلة في النفاذ إلى مواقع الجماهير الثورية الأساسية، خاصة و أن المد الذي عرفته الحركة الجماهيرية منذ مطلع 68،كان كاف قد بدأ في الانحسار التدريجي، و نظرا أيضا للتخلف الذي عبرت عنه الحملم، التي لم تكن ملائمة للنشاط خارج المثقفين و الشبيبة المدرسية، و هذا في الوقت الذي كان تأثير الحملم داخل الشبيبة المدرسية يتعاظم، و يمتد من صفوف الحركة الطلابية إلى صفوف حركة التلاميذ بشكل واسع، و بارتباط مع تنامي المد النضالي لحركة الشبيبة المدرسية، هكذا برزت أطروحة المقدمة التكتيكية بحدة في سنة 70، نظرا لعدة اعتبارات منها:

. واقع تقبل الشبيبة المدرسية لأطروحة الحملم، و الانتشار السريع لأفكارها في صفوف هذه الشبيبة، و العزلة القائمة على مستوى الارتباط بمواقع الجماهير الأساسية.

. و لكون حركة الشبيبة المدرسية في مدها كانت ترفع فعلا شعارات سياسية مكشوفة الطابع، على عكس مواقع الحركة الجماهيرية الاخرى.

. و لقد كان برنامج الحملم العام يكتنفه الغموض، و هكذا أصبحت الشبيبة المدرسية بالنسبة لبعض الاتجاهات، أداة لتفجير الثورة المغربية، انطلاقا من إعتبارها "رأس الرمح" الذي سيدفع بالحركة الجماهيرية إلى مستوى الانتفاضة الفاشلة، على نمط ثورة 1905 الروسية، تسمح بالارتباط بالجماهير من طرف الحركة، في ظل عملية سريعة، نتيجة للظروف التي ستخلقها هذه الانتفاضة بمساهمة الحملم.

. و لقد لعب تأثير انتفاضة البيضاء في 65، دورا كبير في هذا الطرح، خاصة و أن التقييم الذي كان لدى الحملم لهذه الانتفاضة، يعتبر بالضبط أن الشبيبة المدرسية لعبت دور المفجر لها، و انطلقت الجماهير كافة حولها في هذه الانتفاضة، الشي ء الذي يفتقد للنظرة الموضوعية، إذ أن الطبقة العاملة المغربية لم تساهم في 65 إلابشكل ثانوي.

و لقد تم التخلي في 72 عن أطروحة الانتفاضة الفاشلة، و لكن دون أن تنسف الأسس التي أدت إليها، و كان هذا التخلي ناتجا عن تطورات الصراع الطبقي، و بالنسبة لحركة الشبيبة المدرسية نفسها، التي بدأت بدورها مسيرة الانحسار عن مدها النضالي، و ذلك مع بداية ترتيب الأوضاع الذي دخل فيه النظام بعد الهزات العنيفة التي عرفها ما بين 70_72، ثم تحت تأثير أيضا الإعتقالات الواسعة التي عرفتها الحملم في 72.

و هكذا بدأت تتبلور المفاهيم التي تطرقنا لها في هذا النص حول الشبيبة المدرسية، و علاقتها بالحزب و الجماهير، إنطلاقا من عملية نقد سطحية، تفترضها التطورات، و كتبرير إيديولوجي لاستمرارية الحملم في صفوف حركة الشبيبة المدرسية، و علينا اليوم أن نسجل أن كافة اتجاهات الحملم قد تخلت نظريا عن أطروحة الشبيبة المدرسية، دون إعطاء أي تحليل لذلك، له طابع تقييمي نقدي للتجربة السابقة. كما أن هذا التخلي يتوافق مع واقع التواجد العملي الوحيد للحملم، في الشبيبة المدرسية و المثقفين، مما يؤكد طبيعة هذا التخلي اللفظي.

IV. حول مسألة الوحدة

إن الحملم تنظر إلى الوحدة بين فصائلها المختلفة، باعتبارها خطوة على طريق بناء حزب البروليتاريا المغربي، و لقد كانت الوحدة، و قبل 72 ، رغبة حارة و عامة، لعبت فيها شروط مد الحركة الجماهيرية، و أساسا الشبيبة المدرسية دورا كبيرا، خاصة بالنسبة لمنظمة "إلى الأمام"، التي كانت ترى أن تبني الماركسية اللينينية هو قاسم مشترك كافي للتوحيد، و انطلاقا من أن جميع الماركسيين اللينينين يسعون لبناء حزب البروليتاريا، و التي سيتم التوصل إليه بسرعة أكثر و عمل أفضل، إذا ما تضافرت جهود الحركة الماركسية اللينينية في منظمة موحدة، إلا أن الفترة مابعد 1972، التي شكلت بداية الانحسار في هذا المد للحركة الشبيبية المدرسية، فجرت في صفوف الحملم خلافات بارزة و مباشرة حول عدة قضايا، كالسرية و الإحتراف و الحزب و الجبهة....إلخ، و في هذه المرحلة تبلور طرح لدى منظمة "إلى الأمام" حول مسألة الوحدة، يرى ضرورة قيامها على قاعدة خط سياسي سديد و موحد، مع بقاء اعتبارها خطوة ضرورية على طريق بناء الحزب البروليتاري، الذي تمثل الحملم نواته الأولى .فماهي منزلقات هذا الرأي الذي مازال قائما لحد الساعة وسط اتجاهات الحملم ؟

أ. مسألة الوحدة في تجربة الحركة الشيوعية العالمية

سنضطر هنا إلى انتقاء بعض النمادج من تجربة الحركة الشيوعية العالمية لإلقاء الأضواء على هذه المسألة، و هكذا فبالنسبة لماركس و إنجلز، طرحت هذه القضية حول علاقة مجموعة إيزناخ الاشتراكية الديمقراطية الألمانية(ليبنخت) وبين مجموعة اللاساليين داخل الحركة العمالية الألمانية، و كانت مسألة التوحيد رغبة حارة لدى الحركة العمالية الألمانية، و هدفا بالنسبة للاسال و مجموعته، من أجل إعادة لحزبه، بعد ما عرف إنحسارا كبيرا نتيجة النزعة السلطوية و الحلقية، التي كانت تتجلى في تعامله مع الحركة العمالية الألمانية، و كان الصراع حينذاك يدور حول برنامج الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (برنامج غوتا)، و لقد عبر كل من ماركس و إنجلز عن رفضهما لهذه الوحدة، التي تقوم على برنامج غير بروليتاري، و كانا يريان أن الوحدة بين هاتين المجموعتين، يجب أن تشكل خطوة متقدمة في نضال البروليتاريا، و لهذا من اللازم أن تتوفر فيها الشروط اللازمة لذلك، و في إستحالة هذا، يمكن الاكتفاء باتفاقات عملية، تستهدف مواجهة العدو المشترك، بدل الغوص في صنع برامج غير مفيدة أو اتفاقات حدود دنيا تجسد تراجعا على المستوى الذي وصلت إليه نضالات البروليتاريا، و الوضوح الذي امتلكته فيها على المستويين السياسي و الايديولوجي، أما بالنسبة للينين فلقد طرحت قضية وحدة الماركسيين

اللينينيين (أو الإشتراكيين الديمقراطيين الروس) مرات متعددة، نذكر منها مرحلة 1902 مع ما العمل؟ (حيث كانت حركة الاشتراكيين الديمقراطين الروس تعرف اتساعا و تقدما سريعا في صفوف الطبقة العاملة الروسية، التي بدأت العديد من شرائحها تنحاز للنضال البروليتاريي، في الوقت الذي ينعدم فيه برنامج واضح للإشتراكية الديمقراطية الروسية، و تعرف هذه، تشتتا و تذبذبا كبيرا، جسده بروز عدد من الاتجاهات التي تنظر للعفوية و الاقتصادوية لدى قادتها. و لقد كانت الوحدة بالنسبة للينين ضرورة لتقديم النضال البروليتاري، ضدا على الاتجاهات الإنتهازية داخل الحركة الإشتراكية الديمقراطية العمالية الروسية، و خطوة متقدمة ملازمة لتأسيس حزب البروليتاريا الروسية.

و لقد طرحت المسألة، مسألة الوحدة من طرف لينين من جديد، بعد تأسيس الأممية الثالثة، و ذلك حين معالجة الإنشقاقات عن أحزاب الأممية الثانية، و لقد كان الموقف الذي اتخدته الأممية في مؤتمراتها الثلاث الأولى في هذه القضية (حيث ساهم لينين في صياغة المقررات)، يعتبر أن الاتجاهات الشيوعية المتواجدة في صفوف الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية، يجب أن تتحد على قاعدة توجيهات الأممية الثالثة، في جوانبها السياسية و الايديولوجية و التنظيمية من جهة، و أن تعمل على بناء الأحزاب الشيوعية في بلدانها على قاعدة عمل جماهيري واسع في صفوف الحركة العمالية، من طرف أنوية شيوعية داخل الحركة العمالية من جهة أخرى. و كانت الأممية الثالثة تناضل من أجل ألا تتحول العناصر الشيوعية المتواجدة في صفوف الطبقة العاملة، إلى مجموعات معزولة، و ألا تؤسس الأحزاب إلا على قاعدة جماهيرية واسعة في صفوف الحركة العمالية. أما التجربة الألبانية فهي تبين أن عملية توحيد الشيوعيين الألبان، و عملية تأسيس الحزب، كانتا في نفس الوقت. الشيوعيون الألبان تواجدوا داخل الحركة العمالية منذ سنة 1928 ، إلا أن الوحدة لم تتم إلا في سنة 1941، مع تأسيس الحزب. و كانت عملية التوحيد هذه حينذاك، رغبة تجسد إحدى ضرورات النضال المباشر الملموس في مواجهة الإحتلال الإيطالي النازي من جهة، كما أنها كانت نتيجة الصراع الطويل و الحاد بين مختلف الإتجاهات داخل الشيوعيين الألبان من جهة أخرى. و لقد تمت عملية التوحيد في ظل حركة قاعدية داخل المجموعات الألبانية تحت التوجيه السياسي للعناصر الطليعية المنتمية لمجموعة كورسي(انورخوجة)، و ضدا على مواقف القيادات التقليدية لهذه المجموعات.

ب . فماهي خلاصاتنا من هذه التجربة ؟

لم تكن الوحدة بالنسبة للشيوعيين رغبة ذاتية، أو مبدءا مجردا، و إنما كانت تطرح في شروط تواجد اتجاهات ماركسية ثورية داخل الحركة العمالية، يشكل تواجدها خطوة متقدمة في نضال البروليتاريا.

و لقد توافرت في كل التجارب التي استعرضناها شروط ذاتية و موضوعية داخل الحركة العمالية، جعلت من عملية التوحيد ضرورة ملموسة (و ليست مبدءا مجردا أو نظريا) بالنسبة للأنوية البروليتارية الثورية، المتواجدة في صفوف مختلف الإتجاهات الماركسية داخل الحركة العمالية. هذه الأنوية التي لم تكن تتجسد بالضرورة في القيادة السياسية التقليدية لهذه الاتجاهات.

و إذا كانت الوحدة من خلال التجارب التي إستعرضناها ملازمة لتأسيس حزب البروليتاريا، و ليس خطوة على طريق بناءه، فإننا لن نغامر هنا باستخلاص قانون عام، لكننا نرى أن وحدة بين الماركسيين اللينينيين داخل الحركة العمالية، يجب أن تعمل على تقدم المسيرة الثورية للبروليتاريا بشكل ملموس، و لا تؤدي إلى تخلفها أو إجهاض في مسيرة تطور الوعي السياسي و الإيديولوجي للطبقة العاملة.

ج . فماهو موقع الحملم من وحدة الحركة الماركسية اللينينية طبقا لتجربة الحركة الشيوعية العالمية ؟

أولا:إن أحد الشروط الأساسية كما رأينا في مسألة الوحدة، هو التواجد في صفوف الحركة العمالية كاتجاهات عمالية ماركسية ثورية، و هذا الشرط مفقود في واقع الحملم تاريخا و حاضرا، لهذا فإن توحيد هذه الحركة، لا يمكن أن يقود الى إنجاز خطوة البناء لحزب البروليتاريا، و إنما هو يدخل ضمن سيرورة أخرى، أي تلك التي تقود إلى تأسيس منظمة تضم مجموعة من الثوريين البرجوازين الصغار يتبنون أفكارا ماركسية لينينية.

ثانيا: و لكن الحملم لم تقف عند حدود كونها تجمعا للثوريين البرجوازيين الصغار المتبنين للفكر الماركسي اللينيني، بل كان لكل اتجاه من اتجاهاتها منذ البداية برنامج عام و تنظيم و أساليب عمل، و كذلك ممارسة سياسية في الواقع الطبقي القائم، و لم تكن الوحدة لتتم "إلا على قاعدة خط سياسي موحد و سديد"، و هذا يعني أن هذه الوحدة لن تكون إلا عملية تأطير و توظيف الطبقة العاملة في مسيرة ثورية برجوازية صغيرة.

د . لماذا لم تتم عملية التوحيد ؟

لقد عرفت الحملم منذ 1972، على الخصوص، مسيرة تشتت ما فتئت تتعمق باستمرار، فماهي أسباب هذه الظاهرة؟

إن الإتجاهات الماركسية اللينينية المغربية المختلفة، توعزها إلى المسألة التنظيمية أو القمع أو الإنتهازية اليسارية أو اليمينية أو العدمية الوطنية...إلخ، من التبريرات التي لا تشكل في نظرنا إلا عملية تغميض للأسباب الأساسية التي حالت دون توحيد الحملم: هذه الوحدة التي لن تتم، و لم تتم في ظل البنى السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية الطبقية، التي بلورتها الحملم. إن وجود حركة سياسية ترتكز قاعدتها الإجتماعية على فئات المثقفين أو الشبيبة المدرسية، لا يمكن أن يكون إلا انتقاليا. ذلك أن الشروط الخاصة بالصراع الطبقي في بلادنا قد بررت هذا البروز، بسبب تخلف عملية الفرز ظرفيا بين الطبقات الشعبية على مستوى السياسي و الإيديولوجي، و تخلف هذه الطبقات عن صياغة برامجها و أهدافها الخاصة و المتميزة في النضال السياسي كطبقات أو كفئات طبقية (و هذا حال البرجوازية الصغيرة المغربية أساسا)، جعل من الشبيبة المدرسية ظرفيا، قوة سياسية لها استقلاليتها النسبية، التي عبرت عنها الحملم، كما عبرت عنها النضالات السياسية المختلفة لهذه الشبيبة منذ 1965.

إن العشر السنوات التي مضت، جسدت مرحلة مخاض بالنسبة لمجموع الطبقات الاجتماعية، انعكست تأثيراتها على الشبيبة المدرسية و على الحملم، و عرفت الصراعات السياسية و الايديولوجية تطورا في صفوف الحملم، تحت تأثير التطورات الطبقية الحاصلة في المجتمع، و تأثير الحركة النضالية للجماهير و التطورات التي عرفتها الحركة الجماهيرية خاصة على مستوى البرجوازية الصغيرة و الطبقة العاملة المغربية.

و من بين نتائج عملية الفرز المستمرة، الفرز المتواصل بين الإختيارات الإصلاحية و الراديكالية داخل الحملم، و مع تعاظم الدور السياسي للمواقع الطبقية الأخرى خارج الشبيبة المدرسية، أصبحت عملية الفرز هذه تقوم على أساس استقطاب سياسي طبقي بين قوى البرجوازية الصغيرة ذات القواعد الاجتماعية الواسعة و الثابتة ، و بين اتجاهات الحملم المختلفة في أوساط الشبيبة المدرسية، هذا التقاطب الذي لازال جنينيا و الذي تتجلى معالمه في ثلاث اتجاهات عامة :

· القطب الإصلاحي البرجوازي الصغير: و الذي يمثله داخل الحملم اتجاه "23 مارس" الجريدة، و الذي لايشكل إلا رافدا من روافد السياسة التي تنهجها الأحزاب الإصلاحية التقليدية تحت غطاء"الواقعية الثورية"، مع حفاظه على اللفظ الماركسي اللينيني ، و بحثه عن توطيد روابطه بالفئات المثقفة من البرجوازية الصغيرة.

· القطب الراديكالي البرجوازي الصغير: الذي يعرف لحد الآن غموضا كبيرا، فهو يبرز أساسا مع تنامي النضال الجماهيري حيث يتجسد في بعض توجهات الحملم و الاتجاهات الجذرية في صفوف الأحزاب التقليدية أو النقابات.

· القطب الراديكالي الفوضوي: (إن الفوضوية هنا لا تعني أي مطابقة مع الاتجاه الفوضوي التاريخي المعروف): و الذي يتجلى فيما تبقى من منظمة إلى الأمام على مستوى الحملم، و يجد قاعدته التقليدية في توجهات الحركة الطلابية و الشبيبة، دون غيرها لحد الآن، و يعيش وضعية التشتت و العزلة الخانقة عن الجماهير.

و لقد أدى غياب قاعدة ثابتة اجتماعية خارج الشبيبة المدرسية إلى عزلة العناصر الثورية المنبثقة عنها، و لعب دورا في مسيرة التخالف و التشتت التي عرفتها الحركة الماركسية اللينينية، خاصة أن هذه الحركة قد حددت لنفسها مشاريع ثورية لايمكن أن تنجز إلا بمساهمة أوسع الجماهير، الشيء الذي أصبح مستحيلا في غياب الارتباط بهذه الجماهير.

و بقدر ما عرفت الشبيبة المدرسية إنحسارا في مدها النضالي، و بقدر ما تعمقت تعقيدات الصراع الطبقي ، تعمقت أيضا مسيرة التشتت و العزلة، إن النهج الحلقي داخل الحملم يجد أسبابه العميقة في هذه العناصر، و في طبيعة القاعدة الإجتماعية التي أفرزت هذه الحركة، كما يجد جدوره أيضا في الرصيد السياسي و الإيديولوجي للحركة الثورية المغربية منذ ما قبل الاستقلال الشكلي، و التي كانت من ميزاتها الأساسية منذ الحركة الطلابية، تتكون من عناصر يمكن اعتبارها برجوازية صغيرة ، فإن خصوصيات هذه الحركة تؤدي إلى ربطها أكثر فأكثر بالجماهير الشعبية. أما التلاميذ فيمكن إعتبارهم أشباه بروليتاريا semi-prolétariat، نظرا لواقعهم و إنتمائهم لأوساط فلاحية و عمالية أساسا، و لطبيعة التعليم في بلادنا التي تدفعهم للإتحاق بصفوف الطبقة العاملة نظرا للتصفية المنهجية.

إن الروابط التي تجمع ما بين الشبيبة المدرسية و خاصة التلاميذ ، و بين الطبقات الأساسية روابط عضوية تفتح آفاق إنتشار الفكر الماركسي داخل هذه الطبقات عبر قنطرة الشبيبة المدرسية،كما أن طموحات حركة هذه الشبيبة يمكن إعتبارها تعبيرا عن مطامح الجماهير الشعبية ، و لهذا فالشبيبة المدرسية تشكل المثقف العضوي لهذه الجماهير.

. و هكذا تتجلى لدينا معالم الحزب المزمع بناءه من طرف منظمة إلى الأمام و الحملم ، ذلك أنه ينطلق من منظمة للمحترفين الثوريين تفرزها الشبيبة المدرسية المثقف العضوي ، ليتسع داخل الطبقات الثورية .

. و سنحاول مناقشة هذا الطرح من بعض جوانبه النظرية ، و كذلك من بعض جوانب الصراع الطبقي في بلادنا و خصوصياته و هكذا:

أ. حول المثقف العضوي.

في محاولة البحث عن إمتدادات هذه الأطروحة داخل الحركة الشيوعية االعالمية، نجد أنها تبلورت أساسا لدى غرامشي، إلا أنها تجد جدورا لها عند لينين أيضا: إن لينين يرى بأن كل طبقة إجتماعية تفرز مثقفيها الخاصين بها، فالبرجوازية تفرز ثقافتها و المثقفين الذين يدافعون عنها و يبلورونها يعتبرون مثقفين برجوازيين، و الطبقة العاملة بدورها تبلور مثقفيها الذين هم أساسا عمال، إكتسبوا من خلال مجهوداتهم أو شروطهم الخاصة إمكانية التعبير عن ثقافة عمالية.

و كما أن المثقفين البرجوازيين، ليسوا دائما من زاوية إنتماءهم الطبقي أبناء للبرجوازية، بل هم في شروط هيمنة البرجوازية على المجتمع، يمكن أن يكونوا أبناء للبرجوازية الصغرى أو الطبقة العاملة يتبنون و يدافعون عن ثقافة و إيدولوجية البرجوازية، فإنه من الممكن أيضا أن تصبح عناصر مثقفة برجوازية صغيرة أو برجوازية جزءا من مثقفي الطبقة العاملة، إلا أن هذا لايتم إلا في إطار تطور الصراع الطبقي، و بروز الطبقة العاملة كقوة طبقية مستقلة تستقطب حولها فئات طبقية و إجتماعية أخرى، و بالتالي يتم هذا بعد أن يتقدم تبلور الوجود السياسي المستقل للطبقة العاملة في خضم الصراع الطبقي.

و إذا كان تقسيم المجتمع إلى طبقات يبقى هو القاعدة الأكثر عمقا التي ترتكز عليها التقسيمات السياسية في هذا المجتمع، إلا أن هذه القاعدة الراسخة لا تبرز في نهاية المطاف، إلا مع مسيرة التطور التاريخي، و بموازاة مع تطور الوعي لدى هذه الطبقات، و هذا يتم من

خلال الصراع السياسي، و المثقفون في المجتمع يعبرون و يعكسون بوعي أكثر و تصميم أكثر و أمانة أكثر عن تطور المصالح الطبقية و تطور التقسيمات و التجمعات السياسية فيه، و تشكل الشبيبة المدرسية الجزء من المثقفين الذي يتفاعل بحيوية مع هذا التطور.

هذه هي بتركيز عام وجهة النظر اللينينية من مسألة المثقفين و علاقتهم بالطبقات الاجتماعية، و هي وجهة نظر تحدد أن وجود مثقفين يعبرون عن مصالح الطبقة العاملة في صفوف الطبقة العاملة مسألة طبيعية، أما وجود مثقفين يعبرون عن مصالح هذه الطبقة خارجها، فهذا رهين بتطور الصراع الطبقي و تطور الصراع السياسي ضمنه، و الذي يؤدي الى فرز الطبقة العاملة كقوة سياسية متميزة عن باقي القوى السياسية الطبقية المتواجدة فيه.أما بالنسبة لغرامشي ، و لقد كان من بين القلائل في صفوف المفكرين الشيوعيين الذين إنهمكوا على دراسة المسألة الثقافية بشكل خاص، و هو يرى أن أية طبقة إجتماعية أو فئة طبقية تنمو على التربة الخاصة –le terrain originel- لإنجاز وظيفة جوهرية في عالم الإنتاج الاقتصادي، و تخلق في نفس الوقت عضويا من صفوفها شريحة أو شرائح من المثقفين الذين يعطون لهذه الطبقة أو الفئة إنسجامها و تماسكها و وعيها بوظيفتها الخاصة، ليس فقط في المجال الاقتصادي، و إنما أيضا في المجال السياسي و الاجتماعي (إن غرامشي يعطي مضمونا خاصا و واسعا لمفهومي المثقف و الثقافة)، و هو يفصل بين "المثقفين التقليديين" و بين المثقفين العضويين، و يميزهم عن بعضهم البعض، بل يضيف أن من الخصوصيات الأكثر أهمية لذى أية طبقة تسعى للوصول إلى السلطة، الصراع التي تخوضه من أجل الاستيعاب و الإحتواء الإيديولوجي للمثقفين التقليديين، و يتم هذا بسرعة و فعالية أكثر، إذا ما كان في قدرة هذه الطبقة أن تفرز بشكل أوسع، في نفس الوقت، مثقفيها العضويين.

أما ماوتسي تونغ، فإنه لم يتعرض لهذه المسألة بوضوح، إلا أنه طرحها في بعض جوانبها الملموسة، و هكذا فمن بين التصورات التي تبلورت لديه مايلي:

إن المثقفين لايشكلون طبقة إجتماعية، و لكن إنتاجهم الفكري يمكن أن يستعمل و هو يستعمل فعلا من طرف طبقة سائدة، أو تلك التي تطمح للسيادة، و لهذا فإن أي عمل فكري لا يمكن فصله عن السياسة، و من أجل تحديد ثورية أو عدم ثورية أو رجعية مثقف ما، يوجد مقياس حاسم ، يكمن في معرفة ما إذا كان هذا الأخير يرغب في الارتباط و يرتبط فعليا بالجماهير العمالية و الفلاحية، إلا أن المثقفين

قبل أن يرتموا قلبا و قالبا في النضال الثوري للجماهير و يقررون خدماتها و الانصهار فيها، فإنهم أحيانا يسقطون في عديد من الأخطاء، لذا، فإنه مهما كان المثقفون الثوريون يلعبون دورا طليعيا و يقومون بدور القنطرة، فإنهم ليسوا جميعا ثوريين حتى النهاية.

و لقد بدأت تتجلى لماوتسي تونغ أهمية مسألة المثقفين بشكل ملح، منذ سنة 1957، حين طرح بأن السلطة في يد أية طبقة كانت، لا يمكنها أن تظل قائمة، بدون مثقفين. و لهذا فعلى البروليتاريا الصينية أن تكون مثقفيها الخاصين بها ses propres intellect، و كان هذا هو أول طرح يمس بصلة للمثقف العضوي، و يمكننا اعتبار أن ماوتسي تونغ جعل من بين مهمات الحزب العمل على فرز مثقفين عمال من صفوف الطبقة العاملة.

فماهي خلاصاتنا على ضوء كل ما سبق حول المثقف العضوي ؟

إن المثقف العضوي لا يشكل ناقلا لإيديولوجية طبقة غير الطبقة التي ينتمي إليها، و لكنه أساسا المعبر عن إيديولوجية طبقتة الخاصة، و لو في أشكال جنينية، و الشبيبة المدرسية ليست سوى فئة من المتعلمين تتضارب وسطها مختلف الايديولوجيات، و يظل الطابع العام لاختياراتها هو الطابع الديمقراطي الذي يمكن أن يأخذ في مراحل و ظروف معينة مضمونا جدريا، إلا أنه يظل دوما ديمقراطيا برجوازيا صغيرا حتى في تعبيراته الجدرية.

إن تحديد علاقة الشبيبة المدرسية بالجماهير الشعبية بإعتبار الأولى مثقفا عضويا للثانية، مسألة غير سديدة، بإعتبار أن هذا المفهوم إتخد مضمونا دقيقا و واضحا وسط الحركة الشيوعية العالمية، بل إنه في واقع بلادنا الخاص عبرت الشبيبة المدرسية لحد الآن عن طموحات هي أقرب منها إلى البرجوازية الصغيرة الراديكالية، من قربها لأية فئة طبقية أخرى في المجتمع.

ب . المقدمة التاكتيكية

إن تجربة الحركة الشيوعية العالمية تبرز أنه إذا كانت الماركسية قد برزت داخل الحركة العمالية الغربية في أربعينيات القرن 19، فإنه لم يتجلى خلال هذه المرحلة نضال سياسي متميز داخل الشبيبة المدرسية، إلا أن التجربة الروسية، تؤكد أن الشبيبة المدرسية لعبت دورا في رفع الشعارات السياسية خلال نضالاتها، في وقت كانت فيه الحركة العمالية في روسيا عاجزة فيه عن ذلك. و يسجل لينين ذلك بقوله في 1900 ما مضمونه أن الوقت الذي كانت فيه الشبيبة المدرسية تخوض لوحدها النضال السياسي قد بدأ يولي، و لقد أصبحت

الحركة العمالية و الاشتراكية الديمقراطية داخلها، قادرة على خوض النضال السياسي ضد القيصرية. و يقول لينين في مجال آخر بأن الوقت الذي كانت فيه حلقات الاشتراكية الديمقراطية الروسية تضم العديد من الطلاب و قلة من العمال قد مضى ، و إن حلقاتنا اليوم تضم العشرات و المآت من العمال في كل أنحاء روسيا، و من هنا نخلص إلى أن لينين لم يكن يسجل دور الشبيبة المدرسية في النضال السياسي، إلا كظاهرة سلبية، تعتبر المهمة الأولى و الأولية للشيوعيين، هي تجاوزها بالاندماج المباشر بالطبقة العاملة، و حركتها، و دفع نضالاتها خطوات إلى الأمام، لكي ترقى إلى مستوى تحمل مسؤولياتها التاريخية.

أما التجربة الصينية، فمن بين الأحداث البارزة فيها أحداث 4 مايو، التي لعبت فيها الشبيبة المدرسية دورا كبيرا، إلا أن خصوصيات النضال السياسي في الصين أدت إلى تجاوز دور المثقفين عموما، بما فيهم الشبيبة المدرسية، بسرعة كبيرة، و لم يكن للشبيبة دور متميز كفئة إلا في المرحلة ماقبل 1919 .

إن تاريخ حزب العمل الألباني يؤكد على دور الشبيبة المدرسية في النضال السياسي خلال التجربة الألبانية، كما يبرز بشكل عام موقع شرائح البرجوازية الصغيرة الهائل داخل حزب العمل. و من خلال إستقرائنا لهذه التجربة، نجد أنه في خلال مرحلة ماقبل التأسيس للحزب لعبت الشبيبة المدرسية دورا نضاليا هاما، خاصة و أن الطبقة العاملة حينذاك، لم تكن تتجاوز عدديا بضعة آلاف، و كان النمط الحرفي للإنتاج واسع جدا.

و هكذا فإننا نخلص، من خلال إستعراضنا لبعض التجارب (و لو في عموميتها) بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية، إلى أن دخول الشبيبة المدرسية معمعان النضال السياسي ليست ظاهرة جديدة، و إنما كانت مسألة قائمة تاريخيا في تجارب عدة، منذ بداية القرن الحالي، و نخلص أيضا، إلى أنه في إمكان الشبيبة المدرسة أن تعبر في ظروف محددة، أو في ظل مرحلة بكاملها، عن مطالب سياسية مكشوفة تكون القطاعات الجماهيرية الأخرى دون مستوى التعبير عنها، في ذلك الظرف أو المرحلة، إلا أن الشيوعيين تاريخيا لم يعملوا على تنظير هذا الواقع و تشريع إستمراريته، بل إعتبروه دوما عنصرا سلبيا، من مهامهم الأكثر أولوية تجاوزه، بإعطاء الطبقة العاملة دورها الطليعي.

إن واقع الصراع الطبقي ببلادنا، أبرز دور الشبيبة المدرسية كأحد المواقع النضالية في مواجهة الاستعمار، و ذلك تحت قيادة سياسية طبقية برجوازية الطبيعة، مترسخة في عدد من المواقع الجماهيرية الأخرى، و ملقية بهيمنتها حتى داخل الحركة العمالية المغربية. و لن نغفل هنا، أن المناوشات الأولى للبرجوازية المغربية مع الاستعمار، إنطلقت في بداية الثلاثينات من "القرويين"، و من تشكيل جمعيات الشبيبة بالرباط و فاس تضم شباب مثقفين، و هذا ليس فريدا من نوعه على الإطلاق، ذلك أن البرجوازية في كافة المجتمعات تعتمد في نشاطها السياسي على الفئات المثقفة بشكل كبير.

إلا أن مرحلة الاستقلال الشكلي، سجلت منعطفا جديدا و بداية مسيرة جديدة بالنسبة للشبيبة المدرسية، خاصة منذ مؤتمر أزرو في مطلع الستينيات لأوطم، و لقد إرتبطت الشبيبة المدرسية خلال الستينات بالإتجاه الرديكالي البرجوازي الصغير داخل إ و ق ش (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية)، و عبرت في 65 عن رفضها للنظام القائم بوضوح.

و في سنة 69، برز في صفوف الشبيبة المدرسية إتجاه سياسي جديد، تجسد في الحملم، و على قاعدة توجهات سياسية ثابتة، لم تعد لها تجليات ظرفية، و إنما تحولت إلى مستوى تصور سياسي عام، عبرت عنه كل الصراعات التي دارت في المؤتمر 14 لأوطم و مقررات مؤتمره 15، و النشاط في صفوف حركة التلاميذ. إن هذه التوجهات السياسية للشبيبة المدرسية جعلت من حركتها منذ الاستقلال الشكلي إلى يومنا هذا، و التي كانت من ميزاتها الاساسية الحلقية المدقعة.

هذه هي الأسباب التي تبدو لنا بشكل أولي كعناصر حالت في وجه عملية التوحيد داخل الحملم، و التي تدفعنا إلى اعتبار إستحالة تحقيق هذه الوحدة خارج الأقطاب التي تعرف سيرورة التشكل حاليا.

خاتِمة

1 . إن النقد للأطروحات التي عالجناها هنا، لازال ناقصا، و لم نتطرق هنا لعدة قضايا مرتبطة به، نذكر منها على سبيل المثال، خطط الحملم في العمل داخل الطبقة العاملة، مسألة السرية و الاحتراف كتصور و كتجربة عملية عند الحملم، مسألة مناطق الصدام عند

منظمة إلى الأمام، موقعها بالنسبة لمفصلة الحزب، مسألة الجبهة و علاقتها بالحزب، علاقة الحزب بالنضال الديمقراطي، و مسألة العنف ...إلخ.

كما أننا نعتبر أن هذا النص، حتى و لو عالج هذه القضايا، لا يمكن أن يشكل تقييما إلا من خلال استيعاب الشروط الطبقية التي أنتجت كافة هذه التصورات، و هذا شيئ لا يمكن أن تعوضه بعض"الفلاشات" الواردة هنا.

إن أهمية هذا النص تكمن في محاولته نقد بعض التصورات الأساسية في أطروحات الحملم، ذلك، بإعتبار أنه إذا كان الوعي بفشل الممارسة السياسية للحملم حاصلا اليوم بالنسبة لأغلب اتجاهاتها، إلا أن عملية نقد الفكر السياسي الذي برر هذه الممارسة لازالت متخلفة، و لا زالت الأطروحات الأساسية للحملم تشكل قاسما مشتركا لمجموع إتجاهاتها التقليدية أم"االجديدة".

2 . إن الحكم التاريخي على تجربة الحملم، يستلزم وضوحا نظريا بالنسبة للثوريين حول المهمات الراهنة، الشيء الذي يغيب في هذا النص، نظرا لما يتطلبه هذا من إنطلاقة ممارسة ثورية نقيضة في ساحة الصراع الطبقي، و هو شيء، يجب تسجيل غيابه و بشكل حاد لحد الساعة، و في الأخير، إن هذا النص وجهة نظر متواضعة تبحث عن الحقيقة الثورية، و هي موضوعة للنقد و الصراع.

ب.ز

1979/12/12

حول أزمة اليسارالجديد

بقلم: عبد الكريم الإدريسي

مرت أكثر من عشر سنوات على نشوء إحدى القوى السياسية، التي كيفما كان الموقف منها، أحدثت، و تركت تأثيرات فكرية و سياسية في المجتمع. و الاتجاه الذي نتحدث عنه هو الحركة الماركسية-اللينينية. الآن تبرز هذه الحركة في مظهر مخالف لحالة النشأة. فقد انقسمت إلى عدة اتجاهات، منها من لازال متمسكا بالمبادئ الأساسية الأولى التي انطلقت منها، و يوجد من يبتعد عن تلك المبادئ إلى هذاالحد أو ذاك.

من أسباب هذا التشتت، أن الحركة الماركسية فشلت في تحقيق الأهداف التي كان من المسلم به نظريا، أن تكون الآن منجزة، و على رأسها بناء حزب ماركسي، و كان ذلك يعني في الأدبيات، الإعلان عن وجود حزب برصيد نظري هام، و بتأطير واسع و صلب للطبقة العاملة، حزب يستطيع قيادة نضالات الجماهير بوجه عام.

و الفشل مضاعف، لأن الحركة الماركسية لم تستطع إنجاز هذا الهدف الأساسي من بين أهدافها، و خرجت من تجربة عشر سنوات من العمل السياسي، أضعف مما كانت عليه في بدء نشأتها.

السؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن، أمام أزمات من هذا النوع هو: هل الأمر يتعلق "بفهم و استيعاب و تطوير" الماركسية كفكر أم بالتطبيق؟ لكن طرح السؤال بهذه الطريقة، يتضمن، أن الماركسية هي الطرف المثال الخالي من أية مشاكل، و أنها أيضا كمصطلح تعني شيئا دقيقا.

خارج هذا الطرح، سيحاول المقال تحديد الأسباب الأساسية لأزمة الحركة الماركسية المغربية، رابطا ذلك بأزمة الماركسية بوجه عام، و سيطرح أفكارا للنقاش- يتحمل كل مسؤوليتها – أكثر مما يطرح بديلا متكاملا و أفكارا نهائية.

1) . الإطار الإديولوجي:

تشكلت في المغرب صيغة خاصة للماركسية، انطلاقا من سنة 1970 (لن نناقش هنا ماركسية حزب التقدم و الاشتراكية رغم علاقتها بالأولى.

هذه الصيغة تلتقي مع صيغ أخرى، نشأت في البلدان الاشتراكية. فما هي مكوناتها ؟

1 . المادية الجدلية:

لما نشأت الحركة الماركسية، كان من ضمن الأسس التي ترتكز عليها، الجانب الفلسفي في الماركسية أي المادية الجدلية، و هي مجموع الأفكار الفلسفية لماركس و انجلز و لينين و ستالين وماو تسي تونغ و جورج بولتزر، الذي كان تأثيره أكبرإلى جانب ماو تسي تونغ، نظرا لبساطة كتاباتهما و استعمالهما لمنهج بيداغوجي تعليمي. كانت هذه المادية الجدلية بالنسبة لها، و جهة نظر فلسفية مناضلة، ليس فقط على المستوى: الفلسفي، و إنما كذلك على المستوى السياسي، بمعنى أن الصراع الفلسفي بين المادية و المثالية كان يوظف في الدعاية السياسية. ولعل ذلك راجع لظروف النشأة، التي تتميز عادة بغلبة جانب النقد المتطرف لكل ما هو قائم، و لم يلعب في العرف دورا سلبيا.

لكن كون المغرب بلدا إسلاميا، و بلدا فقيرا من حيث التقاليد الديموقراطية، فإن ذلك كان يسهل اتهام أي مناضل ماركسي بالزندقة و الشعوذة...و في بلادنا لازال لمثل هذه التهم و مع الأسف حظ كبير، خصوصا و أن الأمية تساهم في تخليده ، و الأميون أكثر قابلية من غيرهم لتقبل الدعايات على العموم، كيفما كانت يافطتها السياسية.

لكن مشكلا كبيرا يطرح نفسه باستمرار، و يتجنب الماركسيون مناقشته بوضوح، و هو نفور الغالبية العظمى للشعب المغربي من الفلسفة الماركسية و كل فلسفة مادية

و بصدد الإسلام، برزت وسط الحركة الماركسية, مع الزمن بعض الأطروحات الجزئية جدا. فحين يتعلق الأمر بشخصيات معروفة الولاء للحكم, يعتبر حديثها عن الدين ديماغوجية و شعوذة و فكرا غيبيا و تضليلا.

و يتم إبراز التناقض بين تصريحات هذه الشخصيات و بذخها... المتناقض مع الإسلام، مع جانبه المشرق، التقدمي. فالإسلام إذن في هذه الحالة وسيلة تحتمي بها طبقة مستغلة، و لكن حين يشار إلى الجانب المشرق أو التقدمي، فإن الحركة تنزع من أيديها كل سلاح نظري أمام الاتجاهات السياسية التي تدعي بالضبط الدفاع عن هذا الجانب التقدمي.

(لقد قرأنا عند رودنسون فكرة قريبة من الفكرة التي عبرنا عنها). و حين يتعلق الأمر بالجماهير، تبرز فكرة أخرى تطرح أن الجماهير تجد عزاءا في الدين و تحتمي به ضد الاستغلال و الاضطهاد. و يصبح الإسلام كما في حالة المستغلين وسيلة في غير محلها. لأن العزاء ليس بالنسبة للماركسيين و المناضلين عموما أفضل الوسائل لمقاومة الاستغلال و الاضطهاد.

فالحركة كانت تعبر بشكل غير منتظم عن آراء تنسجم إلى هذا الحد أو ذاك مع إديولوجيتها العامة، متجنبة طرح السؤال الأساسي: كيف يجب التعامل مع مسألة الدين في النضال السياسي ؟ و بما أن تجنب المشاكل لا يحلها، استمرت الحركة في الدعاية للمادية خارج إطاراتها الخاصة، و أن الفئات التي كانت تتقبل ذلك هي أجزاء من الشبيبة المدرسية و المثقفين، في حين أن العزلة كانت تتسع منذ الأصل تجاه الطبقات الشعبية.

هذا الغموض يرجع من جهة إلى رسوخ الدين و في نفس الوقت إلى استمرار قناعة قديمة لدى الماركسيين استمرت منذ انجلز إلى الآن، و هي أن الصراع بين المادية و المثالية سينتهي بانتصار المادية، التي تتدعم بالاكتشافات و الاختراعات العلمية (كصنع المواد الحية في المختبرات)، هذه الفكرة نشأت في عصر كانت فيه جدة و كثرة الاختراعات و الاكتشافات، المرتبط بانطلاقة صناعية مذهلة، نسبة للعهد السابق، قد أدت بالفكر المثالي عموما إلى الانحسار. هذا التطور ولد الوهم بإمكانية انمحاء الفكر المثالي. و ها نحن نرى اليوم أن بعض نتائج هذه الانطلاقة الصناعة العلمية (العزلة الفردية, الاستيلاب التكنولوجي ...) ترمي بفئات واسعة من الشباب الأوربي و الأمريكي، ليس نحو المسيحية، و لكن نحو طقوس شديدة الغرابة.

و طالما أن الإنسان يفكر في مجتمع مقسم إلى فئات متصارعة في المصالح و متباينة في أنماط العيش، و يمر فكره بالضرورة عن طريق الإحساسات و يعيش مشاكل وجودية (كالموت و عدم اللمس التجريبي للامحدودية الكون و غيرها من المقولات الفلسفية) فإن معرفته للطبيعة و البشر ستبقى متعددة الأبعاد، متباينة في التأطيرات الفكرية كيفما كان مستوى التقدم العلمي الذي هو دائما نسبي.

ننتهي بهذه الفكرة، ليس إلى قدح الصراع بين المذاهب الفلسفية، ولكن إلى نقد فكرة الانتصار الساحق الكلي لفلسفة معينة على الفلسفة أو الفلسفات الأخرى، بمحوها على صعيد مجتمع بأسره أو على صعيد البشرية كلها.

إن اتباع هذا السبيل لا جدوى منه، و ينتهي بأصحابه إلى مآزق كبيرة، و خصوصا إذا وظفت الأجهزة السياسية في العمل على تحقيق هذا الانتصار المستحيل. و لا نعتقد أنه يوجد الآن من يثق بادعاءات قادة حزب العمل الألباني حول القضاء النهائي على الأديان.

نتوقف عند هذا الحد لأنه ليس من موضوعنا مناقشة منزلقات الحملات الدينية التبشيرية و نتائجها.

2- الصراع الصيني– السوفياتي و الثورة الثقافية

الفكر السياسي للحزب الشيوعي الصيني، كان أقوى منابع فكر الحركة الماركسية، و يرجع ذلك للوزن العالمي للصين كبلد اشتراكي، و لكونها بلدا من العالم الثالث، و لجذرية مواقفها السياسية تجاه حركات التحرر الوطني في نهاية الستينات. و من بين ما نقلته الحركة دون تمحيص كبير عن التجربة الصينية، المضامين الملموسة الصينية لمفهوم التحرير الشعبي بقيادة البرولتاريا وحزبها السياسي، و هي مضامين تقترب قليلا من تلك التي أعطاها الفتناميون لنفس المفاهيم. لقد تبنت الحركة الماركسية مجمل الاستراتيجية الصينية لفترة الثلاثينات.

ما كان يشجع على عدم التساؤل العميق حول هذه الاستراتيجية، أن الحكم دخل منذ 1970 في مرحلة اهتزازات لم يتم تجاوزها إلا مع نهاية 1973.

وقد تمت داخل الحركة أفكار تجعل من الجماهير كيانا مقدسا مستعدا لكل شي ء، وفي كل حين لولا سياسة "الإصلاحيين" أو"البيروقراطية".

وقد تبنت الحركة الماركسية كذلك، الموقف الصيني من الاتحاد السوفياتي، وملخصه أن الاتحاد السوفياتي أصبح دولة تحريفية وربما رأسمالية، و أن عداءها لستالين هو عداء لدكتاتورية البرولتاريا و الاشتراكية. والغريب في هذا النقد، هو أن الاتحاد السوفياتي مباشرة بعد 1960 تحول فجاة إلى بلد تحريفي ورأسمالي. منذ 1970 كانت مجموعة" المانفستو" الإيطالية قد تساءلت حول هذا التحول، وحاولت تفسيره بإرجاع جذوره إلى مرحلة حكم ستالين. لكن التأثير الإديولوجي والسياسي للصين ساهم في إنقاد تجربة ستالين من النقد، الشيء الذي كان يبرر كل سياسات الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي منذ 1924حتى 1960، و يعطيها بالتالي صبغة النموذج الاشتراكي. وإنه لمعبر ألا تنشر الكتابات التي ينتقد فيها ماو ستالين، ولو جزئيا، إلا متأخرة، ومن طرف مراقبين أجانب.

وتأثرت الحركة أيضا بأساليب الصراع السياسي التي انتهجت في الثورة الثقافية، والتي تستند إديولوجيا على الفهم الصيني الثنائي للديالكتيك: في كل شيء يوجد ضدان متصارعان، ضدان اثنان، بالمعنى الحسابي. فداخل الحزب مثلا، يوجد خطان: الخط البورجوازي والخط البروليتاري. و إذا حدث أن تواجدت عدة خطوط، فأحدهما بروليتاري، والباقية منوعات لا غير. و الاتجاه المسيطر هو الذي كان

يقرر في صحة الخط الفلاني أو خطئه. فالخلاف مع اتجاه أو فكرة معينة، إما يرفع المرء إلى عرش الخط البروليتاري أو يهبط به إلى حضيض الدفاع عن المصالح الطبقية للبرجوازية.

و كان لهذا الخيار الصعب أثر في دفع المناضلين إلى تجنب الصراع الأديولوجي و السياسي والتسليم بما ينزّل من فوق. إن هذه التوجهات هي بالطبع مغربية.و التأثيرات الصينية و غيرها تساعدها بالأطر و القوالب المناسبة، الشيء الذي يزيدها قوة في قوة.

و مرورا نقول إن تاريخ الصراع السياسي في المغرب، منذ لم يكن للصين ولا للبلدان اشتراكية أي تأثير كبير،كان مطبوعا بالإجهاز على المواقف المخالفة و المعارضة. فعلى هذا المستوى لم يضف أي جديد.

و تبنت الحركة الماركسية أيضا موقف ستالين و الحزب الشيوعي الصيني من التروتسكيين، باعتبارهم إما عملاء الامبريالية أو مجموعة من المخربين أو الإيباحيين! هذا الموقف لم و لن يكون له أثر سياسي مباشر، لأنه لم يوجد اتجاه تروتسكي يذكر بالمغرب، و لكنه يبين مدى قابلية الحركة الماركسية لهضم أطعمة جاهزة كيفما كان تركيبها. من هو تروتسكي؟ ما هي مواقفه، كيف قتل، ما هو البعد التاريخي لخلافه مع ستالين، هل اطلعنا على مؤلف واحد من مؤلفاته... هذه الأمور لم يكن ينتبه لها الكثير.

3- تقييم هزيمة 1967 و أبعاده:

هزيمة 1967 هزت العالم العربي. وشكلت منعطفا تاريخيا في تفكير و ممارسة عدة حركات سياسية عربية. وخضعت لتحليلات توجه أصابع الاتهام لجهات مختلفة. و التقييم الذي تبنته الحركة الماركسية المغربية كان للجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين. هذا التقييم كان ينشر على صفحات مجلة الحرية ، و نشرة الثوري، يتلخص في ما يلي:

انهزم الجيش المصري، و التفسيرات العسكرية هي ذات طابع تقني تبريري. المشكل يكمن أساسا ليس في الأخطاء العسكرية، و إنما في البنية الطبقية للنظام المصري التي حتمت عليه أن ينهج حربا كلاسيكية خاسرة. و النظام المصري يدخل ضمن الأنظمة البرجوازية الصغرى العربية التي لعبت لفترة دور المعبر و المدافع عن بعض مطامح الجماهير. لكن الهزيمة تكشف عن عجزها على قيادة حركة التحرر الوطني العربية حتى النهاية، هذا العجز المسجل في طبيعتها الطبقية. و الهزيمة هي تسجيل للإفلاس التاريخي لهذه الطبقة في عجزها على إنجاز هذه المهمة المطروحة منذ 1967 على عاتق البروليتاريا و اليسار الماركسي.و يمكن تركيز هذا التلخيص في عبارة واحدة: الإفلاس التاريخي للبرجوازية الصغرى في قيادة حركة التحرر الوطني العربية.

لقد انتشرت هذه الأطروحة في صفوف الحركة الماركسية المغربية بسرعة الحريق، و ذلك في وقت كانت فيه الأحزاب المغربية التي يطلق عليها بورجوازية صغيرة تعاني من عزلة سياسية كبيرة و أزمات داخلية حادة. لم ينتبه أحد إلى أن إسرائيل انتصرت بأسلوب كلاسيكي برجوازي (هجوم سريع بالطيران)، و ليس بأساليب بروليتارية.

نقول هذا لتبيان تراجع أبسط الأسئلة المنطقية أمام قوة الإديولوجيا، (التي كانت تشير ضمنيا إلى قوة إسرائيل بعبارة التحالف أو الثالوث الامبريالي-الصهيوني-الرجعي).

و تحليل الجبهة الديموقراطية قطع بسهولة خارقة عدة مسافات نظرية: هزيمة 1967 عسكرية- ليست فقط عسكرية- النظام المهزوم برجوازي صغير-البرجوازية الصغرى عموما ليس لها نفس طويل- **حجم الهزيمة عنوان على الإفلاس التاريخي للبرجوازية الصغرى العربية.**

فالذي أفلس حسب تحليل الجبهة الديموقراطية، ليس نظاما عربيا أو مجموعة أنظمة فحسب، و إنما طبقة اجتماعية بكاملها في كل العالم العربي.

البعد السياسي لهذا الانزلاق، أن ما نعتت به بعض الأنظمة، و ما اتخذ اتجاهها من مواقف، سيتخذ اتجاه كل الأحزاب و النقابات و الشخصيات العربية، التي يصح حسب التحاليل الماركسية، نعتها بأنها برجوازية صغيرة.

- منطق تراتب أنماط الإنتاج في خط استوائي كما طرحه ستالين (المجتمع البدائي، الرق، الإقطاع، الرأسمالية، الاشتراكية)، يجد هنا تجسيدا له على مستوى الطبقات: الإقطاع (ثورة عز الدين القسام)، البرجوازية الصغرى (ثورة 22 يوليوز، و الثورة بقيادة فتح)، ثم البرولتاريا أو اليسار الجديد.

و قد حدث أن طبق نفس النهج على الحركة الطلابية المغربية ،الشيئ الذي جسده أحد المناضلين في المؤتمر الرابع عشر للاتحاد الوطني لطلبة المغرب، إذ قسم تاريخ النقابة إلى حقبتين كان المؤتمر الرابع عشر، كما رآه، بمثابة إغلاق للثانية منهما: سيادة البرجوازية الوطنية في النقابة إلى حدود 1959، ثم سيادة البرجوازية الصغرى إلى حدود المؤتمر الرابع عشر، أي سنة 1971، و ما يتبع المؤتمر هو مرحلة سيادة اليسار.

و فيما يخص خطأ تقييم هزيمة 1967، فقد بينت حرب أكتوبر أنه ليس ضروريا أن يكون نظام عربي معين، اشتراكيا ،و لا تقدميا، ليهاجم و يصمد في وجه إسرائيل، كما ليس ضروريا أن يلجأ إلى حرب "غير كلاسيكية". و تبين أن للتحالفات الدولية وزن هام في تقرير مصير حروب من ذلك النوع (دور صواريخ سام السوفياتية). أما الأنظمة العربية المسماة برجوازية صغيرة، فقد تدعمت منذ 1969 بالنظام الليبي، و لا زالت عدة منظمات تنعت بالبرجوازية الصغرى، تلعب أدوارا نضالية ذات وزن على صعيد العالم العربي كله. و حين يلجأ شعب مقهور إلى أساليب بسيطة في الحرب، فليس حبا في طول أمدها، و لكن يفعل ذلك لضعف إمكانياته المادية، بشرية كانت أم عسكرية. و توصل م. ت. ف (المقصود هنا منظمة التحرير الفلسطينية) إلى المزاوجة الراهنة بين أساليب حرب العصابات و الحرب النظامية، يفسر إلى حد كبير نجاحها العسكري، فيما سمي بالحرب السادسة.

2) . تحاليل و مقولات سياسية.

1-الطبقات الاجتماعية:

التحليلات التي بلورتها الحركة الماركسية للمجتمع المغربي،لم تستند على دراسات معمقة. و هي خالية من الجديد، نسبة إلى الأطروحات الأولى التي انطلقت الحركة على أساسها.

و السمة البارزة لتلك التحاليل، أنها كانت تبالغ في ضعف الطبقة السائدة، و في دور الامبريالية في تسيير البلاد. و قد جاءت حوادث 1971 و 1972 لتحول هذه النظرة إلى قناعة راسخة و أبدية.

فالحكم يرى إليه على أنه مشدود بخيط عنكبوت. و المعضلة الاستراتيجية التي كانت تطرح للماركسيين، هي كيفية مواجهة التدخل العسكري للامبريالية، في حالة تصاعد نضال الجماهير، أما الحكم فأمره كان يظهر بسيطا للغاية.

هذا التقييم كان يشجع عدم الاجتهاد في القيام بتحليل معمق لأوضاع الطبقات الاجتماعية و تصارعها. إن الهدف الأساسي من التحليل الطبقي هو تحديد موازين القوى بين الطبقات، و بالأساس بين الطبقات المضطهدة و الطبقة أو الطبقات السائدة، و ذلك لتقدير قوتها و تأثيرها الاجتماعي و السياسي ، و نهج خطط سياسية بناءا على ذلك. هذه الأمور التي تتطلب البحث، هي معطاة سلفا: الطبقة السائدة ليست إلا دمية طفيلية في يد الامبريالية.

فما الفائدة السياسية من الخوض في عناء تحليل سيوصلك إلى نتيجة توجد لديك مسبقا؟ هكذا كانت تحاليل الحركة الماركسية، تظهر أساسا كتأكيد لمقولات مسبقة، تدعم ببعض الأمثلة و بالمقارنات، و الإشادة بنضال الجماهير، و شرح الأهداف الاستراتيجية.

إن الحركة كانت تنظر إلى الطبقة السائدة باحتقار كبير، كما كانت تعطي للامبريالية جبروتا يفوق قوتها الحقيقية، و إلقاء كل المساوئ على ظهر الامبريالية، لدرجة تحويلها من مفهوم اقتصادي سياسي إلى عبارة أخلاقية ترمز إلى الشر، ناتج عن فكر الحركات الوطنية الجذرية الماركسية و غير الماركسية، التي لا تقيم فرقا بين الامبريالية و الاستعمار.و من جهة أخرى فكثير من حركات التحرر الوطني، بعدما تبني نظامها السياسي تستمر في إلقاء كل مشاكلها الداخلية على الامبريالية، لتغطية عجزها الخاص، أو لتبرير سياستها القمعية، و لسنا أول من أشار إلى هذا الواقع.

و كان الحكم يعتبر هشا، و غير مستند على قاعدة اجتماعية صلبة.

و للحفاظ إديولوجيا على كون الحكم ضعيفا، تبذل مجهودات لتبيان "فشل" كل محاولاته الهادفة إلى توسيع نفوذه السياسي و الاجتماعي. و كان ذلك حتميا، لأنه ينقد بناءا نظريا كاملا من التلاشي . و مجرد الإشارة إلى بعض مظاهر قوة الحكم، يتم نعته مباشرة باليمينية، و عدم الثقة بحركة الجماهير....

و خارج الطبقة السائدة، توجد الطبقات التي سميت بالوطنية، و هي بالترتيب البرجوازية الوطنية، البرجوازية الصغرى، الطبقة العاملة، الفلاحون، ثم أشباه البروليتاريا، و يقصد بهم العاطلون و المشردون.

و الطبقة التي ستقود الثورة في المغرب، هي الطبقة العاملة، تعطاها نفس النعوت التي أعطيت للطبقة العاملة الأوربية في عصر آخر، بناءا على موقع محدد في علاقات الإنتاج و العلاقات الاجتماعية آنذاك (درجة خطيرة من الفقر، غياب الوزن المالي للطبقات " الوسيطية"...).

فالطبقة العاملة المغربية، يقال عنها أنها هي الثورية حتى النهاية، فليست لها أية وسائل إنتاج، لا تتوفر إلا على سواعدها، و ليس لها ما تخسره سوى قيودها. هذه المقولات العامة، لاتجيب بالطبع على بعض الأسئلة الملموسة التي يطرحها وضع الطبقة العاملة المغربية، كارتباط العمال بالبوادي، و انتشار الأمية في صفوفهم بشكل خطير، و ابتعادهم خلال حقبة طويلة من الزمن عن خوض نضالات سياسية، و درجة تأثرهم بالإديولوجيات السائدة، و درجة التمايزات بينهم على مستوى التخصصات و الأجور ...الخ .

و حين تخوض الطبقة العاملة نضالات نقابية، تتم الإشادة بها، و تعطى كبرهان لتأكيد المهمة أو"المهمات التاريخية الملقاة على عاتقها".

أما حالات الجمود، فتفسر بسياسة اتجاه المحجوب بن الصديق و عبد الله ابراهيم.

أما انتشار الأمية في صفوف العمال و تعبيرهم عن أفكار أو مواقف غير ثورية أو غير مادية، فيتم تبريره و تجاوزه بأطروحة ترى أن للطبقة العاملة، و الجماهير عموما، وعيا حسيا بمشاكلها، بالاستغلال الرأسمالي، و بضرورة النضال من أجل الاشتراكية، و أنها عبر عمل المثقفين الماركسيين، و عبر نضالاتها هي، ستتوصل إلى الوعي العقلي بذلك. أولا الوعي/ الحسي هو تناقض في العبارات. و لكن ما يراد قوله هو أن للعمال معرفة حسية، ستتحول عبر ما ذكرنا، إلى معرفة عقلية. ثانيا، لا نعرف مجموعة بشرية، كيفما كانت بدائيتها، تنحصر معرفتها في الإحساسات، و الحيوانات هي التي قد يصح عليها هذا القول.

فانجذاب الطبقة العاملة نحو إديولوجيات متباينة، و في الغالب غير ماركسية، يغلف بتحويل أنماط تفكيرها إلى درجة متدنية من المعرفة، إلى مستواها الحسي. هكذا تحول عقول العمال إلى أرض خلاء مستعدة سلفا لاستقبال الفكر الماركسي المغربي. فالمثقفون، و البرجوازية، لا يقال عنهما أن لهما معرفة حسية بمصالحهما، يقال بكل بساطة وعي برجوازي صغير أو برجوازي. أما الجماهير، فإنها لم تتجاوز بعد مستوى المعرفة الحسية. و العقل الخالص الذي ينتج العلم يوجد لدى المثقفين الثوريين. ليس ما نقوله من باب تأليه العمال و الجماهير، أو إعطاؤهم مقدرات خارقة. إن ضعف الوعي السياسي لدى غالبيتهم، و انتشار الأمية المهول في صفوفهم يدعو إلى مراجعة بعض المسلمات، و يصعب على شعب أن يتحرر من كل أشكال السيطرة الديماغوجية (الدولوية، أو الحزبية، أو الطائفية، أو القبلية) إذا كان جله عبدا للحرف، لكننا بالمقابل نعتبر أن للعمال و الجماهير ثقافة و فكرا و وعيا و إديولوجيات.

و إن نظرة الحركة الماركسية إلى الطبقات الأخرى، لا تختلف كثيرا عما ورد في كتابات ماوتسي تونغ و لي ذوان و تريونغ شينه، و نلاحظ هنا أن النظريات الأساسية التي تاثرت بها الحركة، قد أبدعها قادة ماركسيون، كانوا على رأس دول اشتراكية. هذا مع استثناء الجبهة الديموقراطية، التي تستمد تأثيرها من قوة التضامن القومي العربي، و باستثناء المؤسسين الأولين ماركس و انجلز، رغم أن الأول لم يكن ماركسيا. فآراء بوخارين و تروتسكي و غرامشي و مجموعة المانفستو – و أشار لنا أحد الأصدقاء إلى دمتروف الشيئ الذي ذكرنا بكلارا زتكين و روزا لوكسمبورغ- كانت كلها إما ضعيفة التأثير أو مجهولة كليا.

2 . استقلال 1956:

على منوال الاتجاهات الجذرية في الحركة الوطنية، كانت الحركة الماركسية، تعتبر استقلال 1956، مجرد استقلال شكلي. و كان لها دافع إضافي للخروج بهذا التقييم، و هو أن استقلال لا يتحقق بقيادة حزب ماركسي، يكون إما شكليا، و إما ينتهي ليصبح شكليا، إذا لم يبرز حزب ماركسي لمواصلة النضال نحو الاشتراكية.

فلأن الحركة الوطنية برمتها، لم تبلور أي برنامج بعيد المدى لما بعد الاستقلال، فإن الاتجاهات الجذرية داخلها، بعدما لمست أن البلاد تتجه في مسار غير تقدمي، أو غير وطني، كما يقال، قفزت على ذلك الفراغ السياسي في تصورها السابق، و أصبحت تعتبر أن الاستقلال شكلي، و أن شيئا لم يتغير باستثناء المظاهر السطحية. مرورا، نقول أن غياب ذلك البرنامج البعيد المدى، يفسر جزئيا على الأقل التضاربات و التعطل في تطور الإديولوجية السياسية لحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

فالشعار الرئيسي الذي جند كل الشعب المغربي، إعلان الاستقلال و رجوع الملك محمد الخامس، قد تحقق. و ساهمت الحركة الوطنية و عناصرها الأكثر جذرية في حكومات و مؤسسات، كانت تستهدف منها بناء اقتصاد وطني و تحرير البلاد من السيطرة الامبريالية. و دخلت الدولة، نظرا لوزن الحركة الوطنية في عدة إصلاحات. بموازاة ذلك كانت الدولة تدعم أجهزتها الجديدة الممغربة كالجيش و الشرطة و الدرك، و هذا الصراع بين اتجاه واضح، الحكم، و اتجاه متضارب، الحركة الوطنية، حسم لصالح الأول. و قد عرفت بنية المجتمع خلال تلك الفترة تحولات كبيرة.

فظروف نضال الاتجاهات الجذرية في الحركة الوطنية تبدلت. لقد أصبح يغيب العامل الأجنبي كعنصر تجنيد جماهيري. و البورجوازية المتوسطة المحلية التي كانت تلعب دورا كبيرا في النضال ضدالاستعمار، لم تبق مصالحها مهددة بنفس الحجم، و نقتصر على هاتين النقطتين.

و سواء بالنسبة للحركة الماركسية المغربية، أو بالنسبة لبعض الاتجاهات داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، فإن مساندة الجماهير بالملايين للمقاومة و جيش التحرير، ظل يفهم على أنه كان تعاطفا مع جذرية المواقف السياسية، و جذرية أساليب النضال ضد الاستغلال و الاضطهاد الطبقي فقط. و هذا خطأ نظري كبير. إن النضال الطبقي يمكنه أن يحقق التفافا جماهيريا هائلا، و هذا بديهي. لكن الفرق ينحصر في أن السخط على الاستعمار يبرز بشكل تلقائي، و ينمو بشكل مذهل إذا وجدت قيادة سياسية وطنية، في حين أن السخط

على الاستغلال و الاضطهاد الطبقي المحلي، يمر بمنعرجات معقدة. كما أن حجم التضامن العربي و الإسلامي و العالمي، يختلف من حالة لأخرى. فليس بديهيا، و تاريخ المغرب يؤكد ذلك، أنه بمجرد حصول الاستغلال و الاضطهاد الطبقي ، يحصل السخط الجماهيري، و يحصل التعاطف مع كل طليعة تتبنى النضال الجذري ضد ذلك الوضع. و نعطي كلمة السخط معنى قويا، المعنى الذي أعطاه لها لينين في تحديد شروط الانتفاضات.

3) . التجربة العملية:

1- جوانب سياسية:

إن الحركة الماركسية لم تكن فقط حركة فكرية، بل كانت حركة سياسية ساهم مناضلوها بقسطهم في الصراع من أجل غد أفضل للجماهير، و ذلك بالأساليب التي أملتها عليهم قناعاتهم. و إثر انطلاقها، كانت غير واضحة بالنسبة للشعب، و ذلك من حيث التنظيم. و هذا سر انتشار تسميتها بالجبهة، نسبة إلى الجبهة الموحدة للطلبة التقدميين، و هي تنظيم انتخابي قادته الحركة في الجامعة سنة 1970. و كانت الحركة تتشكل من المنظمتين اللتين، ستسميان فيما بعد "إلى الأمام" و 23 مارس، نسبة إلى نشرتيهما.

وفي بداية 1972، عرفت" 23 مارس" انفصالا أفرز اتجاها سمى نفسه "لنخدم الشعب"، نسبة إلى عنوان إحدى مقالات ماو تسي تونغ.

القطاع الذي نشطت فيه الحركة بتأثير واسع، هو القطاع الطلابي. و قد كان لها ذلك التأثير، لأنها ضمت في صفوفها مناضلين نقابيين بارزين في الجامعة، كانوا ينتمون قبل 1970 لحزب التقدم و الاشتراكية (الرباط أساسا) و الاتحاد الوطني للقوات الشعبية (فاس أساسا).

و قد ناضلت الحركة في القطاع الطلابي، من أجل إصلاح التعليم، سواء من الناحية المادية أو الهيكلية، إذ كانت تعمل من أجل إقرار برامج جديدة غير متحجرة و غير استعمارية، و كانت في هذا النضال تعمل إلى جانب مناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الذين بدأ تأثيرهم يضعف بشكل ملموس بعد المؤتمر الرابع عشر، إذ كانوا قبله يشكلون تيارا تقدميا قويا.

لكن الحركة كانت تحاول تحميل القطاع الطلابي أكثر من طاقاته. كانت لها، كما أسلفنا أهداف سياسية طويلة المدى. و القطاع الذي تبدأ به في تطبيق سياستها، هو ذلك الذي ترتبط به ارتباطا وثيقا أي القطاع الطلابي. و قد تجسد ذلك في مقررات المؤتمر الخامس عشر، التي كانت متطرفة في عدد من النقط، و على رأسها الموقف من الأحزاب السياسية.

و نظرا للصيت الكبير الذي كان يتمتع به الأوطم عالميا، فإن سيطرة الجبهة عليه، شكل دقا لناقوس الخطر بالنسبة للحكم الذي دخل ضده في حملة قمعية واسعة النطاق. و باستقلال عن ذلك، كانت قد شنت حملة اعتقالات في صفوف الحركة في بداية 1972. و في ظروف جد صعبة واصلت الحركة نشاطها بإصدار بيانات و نشرات تساند النضالات الجماهيرية، و بدأت تهتم أكثر فاكثر بالعمل في الثانويات. و رغم عدم اتفاق أحد أجنحتها، لجأت بشكل فوقي إلى إعلان تأسيس نقابة سرية للتلاميذ، و استطاعت بذلك لف الجزء المستعد للتعاطف معها كحركة ماركسية فقط، أما القطاع الذي فشل فيه عملها بشكل يكاد أن يكون مطلقا، أو قل بشكل مطلق، هو القطاع العمالي.

فالعمل في النقابات، كان عبارة عن صراع مفتوح و فوقي مع القادة النقابيين، الذين كانوا يتهمون دون تمييز بالبيروقراطية و الوصاية على العمال،أما العمل المباشر مع العمال فكان يطرح لهؤلاء عدة مشاكل. كيف التعامل مع الماركسية كفلسفة، كيف الانتقال من أساليب عيش عادية، أو نشاط نقابي معلن، إلى هياكل سياسية مغلقة يوجد بها مثقفون و برامج سياسية "شديدة الخطورة". و انخراط الحركة في أوساط طلابية و تلاميذية، كان يكبل نشاطها السياسي الذي يولد نفسه باستمرار في نفس الأوساط، و إحدى الأطروحات التي كانت تشجع على الاستمرار في نفس النهج، هي تلك التي تعتبرأن الطلبة و التلاميذ يشكلون طليعة تكتيكية، بمعنى مؤقتة، للحركة الجماهيرية، و قد تعرضت في بعض الأوساط لنقد واسع. و تمشيا مع أطروحة تقول بورود الوعي الاشتراكي إلى العمال من لدن المثقفين، فقد ظل الطلبة و التلاميذ يعتبرون كمثقفين ثوريين، جسرا ضروريا للعمل في أوساط الطبقات الشعبية.

في الوقت الذي بقي فيه عملها منحصرا في الشبيبة المدرسية،كان الحصار المضروب حول الحركة يزداد ضيقا، في هذا الجو، انفجرت قضية الصحراء الشيئ الذي عمق تشتتها و عزلتها السياسية.

2- القضية التنظيمية:

منذ نهاية 1972، فرض على الحركة تبديل أساليبها التنظيمية جذريا. لقد كانت قبل هذا التاريخ، تتكون من تنظيمات شبه علنية. هكذا تمت إعادة قراءة كتاب "ما العمل" للينين، الذي قال عنه يوما أحد المناضلين عن حق أنه أصبح بمثابة إنجيل.

فقد اضطرت مجموعة من مناضلي الحركة إلى احتراف العمل السياسي – لذلك تبدلت جوهريا نوعية أنشطتهم فيما قبل جماهيرية- و نشير هنا إلى أن "إلى الأمام" كانت صاحبة التنظيم الأكثر تماسكا، و وضوحا من حيث الهياكل. وقد حوفظ على الهياكل السابقة: الخلايا،

مكاتب النواحي و اللجنة الوطنية أو اللجنة المركزية، ثم الكتابة أو المكتب السياسي. هذه الهياكل بقيت على حالها سوى في نقطة واحدة، و هي أن ولوجها أصبح يخضع لشروط شديدة الصرامة.

الجانب الذي تم فيه الابتكار، هو الهياكل المرتبطة بهذا التنظيم، أو التابعة له. منظمة 23 مارس أحدثت شكلين: اللجنة النقابية و اللجنة السياسية. أما "إلى الأمام"، فقد أحدثت من 1972 إلى 1974، اللجن الديموقراطية و مجالس المناضلين فيما يخص العمل النقابي، ثم الحلقات و لجان النضال و اللجن الأساسية، و هي تابعة للمنظمة. الفرق بين الأشكال الثلاثة الأخيرة من الناحية النظرية،كان وظيفيا. لكن مع طول الممارسة، تلاشى هذا الفرق، كما بدأ يتلاشى بالتدريج الفرق بينها ككل، و بين الهياكل الداخلية.

و نظرا للطابع المكثف لعملها النظري، و الطابع المغلق لعملها السياسي، أصبحت تلك اللجن عاجزة عن المزج بين إنجاز برامجها من جهة، و خوض نشاط جماهيري ذي وزن من جهة أخرى. فأصبحت بدل تأطير الجماهير، تفصل في الغالب، المناضلين عن الأوساط الجماهيرية التي برزوا فيها، بحيث يتقدمون أكثر في إنجاز الأنشطة الغير الجماهيرية، هكذا اختنق التنظيم من الداخل. فأساليب عمل من هذا النوع، تتنافر مع وضع الطبقة العاملة المغربية و طاقاتها التعليمية.

فالفشل في العمل داخلها، و تراجع نفوذ الحركة في القطاع الطلابي و التلاميذي، مرده في نفس الوقت إلى الخط السياسي، و كذلك إلى الأساليب التنظيمية، هذا دون نسيان الظرف السياسي العام، الذي كان يتميز في الحقبة التي نتحدث عنها بقساوة، تفترض فيمن ينخرط في الحركة الماركسية ، أن يكون على قدر من الشجاعة.

3- النشاط الثقافي:

لعل الحياة الثقافية في المغرب، تأثرت كثيرا بالمد الماركسي في بداية السبعينات. فالحركة الماركسية في مجرى النضال الطلابي لسنوات 1969-1970 ، و الذي كان مصحوبا بحركة تسييس واسعة النطاق، استمرت إلى حدود منع الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في يناير 1973. ذلك الجو، هو ما أرخ له مذيع التلفزة بقولته الشهيرة: إنه لكارثة أن يسيس التعليم.

فقد تعددت النقاشات و الندوات السياسية و الثقافية، و استعمال المنهج الماركسي ، ساهم في تعميم عدة مفاهيم فلسفية و سياسية معاصرة، كما في تعريبها و توسيع تداولها. و قد برزت سنة 1971 مجلة " أنفاس" باللغة العربية، فساهمت في تطعيم النقاشات و

الصراعات الثقافية.و لأن الطلبة الجبهويين كانوا متمركزين في كليتي الآداب بالرباط و فاس، فقد أصبحوا أساتذة متفرقين في عدة مدن. و كان جزء كبير منهم، يساهم في إثارة و دعم الأنشطة الثقافية بالمدن التي يدرسون فيها.

و كان كثير من الطلبة و التلاميذ يعطون لتلك الأنشطة دفعا قويا، إذ حولوا قاعات المحاضرات من قاعات إنصات إلى قاعات مساهمة و حوار و جدال، الشيئ الذي كان يزعج بعض المحاضرين الذين لم يتمرنوا على هذا النوع من المشاكسة.

لكن الطريق الذي صرفت فيه كل هذه المجهودات، كان طريق المنهج فقط. كان لذلك آثاره الإيجابية دون شك، لكن جانب الضعف، هو شبه غياب إنتاجات أدبية و فنية و دراسات تاريخية و فلسفية قريبة من النهج الذي كان متداولا، حتى ليصل تكرار مقولاته أحيانا إلى الكاريكاتور. الآن فقط، بدأت تبرز بعض الإنتاجات المتأثرة بالجو الذي تحدثنا عنه، متأثرة بأي طريقة؟ إن هذا مطروح على النقاد.

و خارج المثقفين المستقلين، فإن الحركات السياسية التي تضم في صفوفها فرقا قوية من المنتجين في ميدان الثقافة، تبقى كما في السابق حزب الاستقلال، الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ومثقفوا الدولة. و يلاحظ نهوض ملموس في إنتاج المثقفين المنخرطين في حزب التقدم والاشتراكية.

4) . الأزمة العامة للحركة الشيوعية والفكر السياسي الماركسي:

الطابع الأساسي لمشروع الحركة الماركسية المغربية هو الفشل، على الأقل بالنسبة للإحدى عشر سنة الأولى من وجودها، و يلاحظ المرء دون عناء، أن هذا كان مآل عشرات الحركات السياسية التي كانت لها نفس الرؤى الإديولوجية و السياسية بشكل عام.

إن الاكتشاف التدريجي لأنظمة الحكم في الاتحاد السوفياتي و الصين الشعبية، و للعلاقات التي كانت تنسجها مع شعوبها، و مع القوى السياسية المعارضة، بالإضافة إلى الاقتتال الدامي بين دول الهند الصينية، و ابتعاد الطبقة العاملة في الغرب كله عن الإديولوجيا، و المنظمات الماركسية ذات النهج البلشفي –الصيني، كل هذا أثار موجة نقد واسعة و تساؤلات عميقة حول أسباب هذه الأزمة.

لا ننتهي إلى أن إنجازات الأنظمة الاشتراكية كانت ضعيفة، أو إلى أن النضالات التي قادتها الأحزاب الشيوعية كانت في غير محلها، لأن تلك الأنظمة تحولت إلى أنظمة قمعية في معظمها. فالأحزاب الشيوعية بقيادتها لعدد من النضالات الوطنية، أو الاجتماعية ، لعبت دورا

تقدميا هائلا في التاريخ. هذا الدور تم القيام به بفكر سياسي و أساليب و موروثات محلية، أعطت النتاجات التي نعرفها حاليا، و هي منافية للميزات التي كان يوصف بها النظام الاشتراكي نظريا.

و على الصعيد النظري الصرف، فإن أزمة الماركسية ليست ناتجة عن الأخطاء النظرية الواردة في كتابات ماركس و انجلز و لينين و ستالين و ماوتسي تونغ، فهذا لايفلت منه أي مفكر على الإطلاق، **ولكن لأن تشكل الماركسية كمنظومة فكرية، حتم التشبث من طرف الماركسيين بكل آرائهم على مر العصور، و بآرائهم هم وحدهم لا غير**. و هذا هو الحد الفاصل بين العلم و الماركسية ، بين العلم النسبي و الإديولوجيا المطلقة المغلقة.

كان لينين مثلا يزعم بأن حل المجلس التأسيسي، و انفراد الحزب البلشفي بالسلطة من الأمور العارضة في الثورة الروسية.

لكن النموذج الروسي سيؤخذ بحذافره في التجارب اللاحقة. فالأحزاب الشيوعية تحكم بمفردها، و تصريح بعضها بوجود أحزاب أخرى حليفة، كما يفعل الحزب الشيوعي الصيني، ليست له أية قيمة. و يتبين ذلك بمجرد مراجعة القانون الداخلي للحزب، الذي يسطر ضرورة القيادة المطلقة للحزب في جميع القطاعات، و في هذه النقطة، لا يوجد فرق يذكر بين المؤتمر العاشر و المؤتمر الحادي عشر.

و إن جانبا كبيرا من الخنق الذي تعانيه شعوب الدول الإشتراكية.

يرجع إلى أنها محرومة من التعبير عن أي رأي، و من الخوض في أي نشاط يخالف، و لو إلى حد بسيط السياسة الرسمية للحزب. إن الماركسيين يقرون بوجود الطبقات و إديولوجياتها، لكنهم يحاولون حصر أو جر إديولوجيات كل الطبقات إلى الماركسية بعد سيطرتهم على السلطة، و يحاولون حصر كل التعبيرات السياسية في حزب واحد. الوهم قائم على مستويين، يمكن إقناع كل الناس بمنظومة معينة، ثم يمكن أن يتقدم الحزب بسرعة في محو الطبقات (ولنتذكر أوهام "شيوعية الحرب"). ما يقع أن الصراعات السياسية تختفي تحت الضغط من أماكن تعبيرها العادية، و تنفذ إلى داخل الحزب، و قد تقزمت. و مع التحولات التي تطرأ على السلطة، لا تبقى أطر الحزب القديمة تدافع بنفس الحماس الأصلي عن مصالح الجماهير، النتيجة أن الشعب يختنق، و أن ممثلي الطبقات و الفئات العليا يتصارعون حول الهيمنة على السلطة، و ذلك بلغة ماركسية تتحول إلى شفرة تتطلب الترجمة لكي تفهم.

و المراقبون الغربيون المتتبعون للأحزاب الشيوعية، يتنبؤون بطريقة مدهشة بمصير بعض الأطر (انتقال، عزل، اعتقال، خطر الإعدام)، و ذلك بدراسة النعوت الفلسفية و السياسية التي تلصق بهم بالتدريج في وسائل الإعلام الرسمية.

فالأنظمة الرأسمالية الغربية تسمح لكثير من الاتجاهات بالتعبير عن آرائها و بناء أحزاب سياسية. و تستفيد من ذلك فروع جل أحزاب العالم الثالث في تلك الدول. أما البقية، ماهو غير التعبير عن الرأي و تأسيس حزب "غير إرهابي"، فهذه المقارنات مسألة صراع و موازين قوى.و لن تجد طبقة مستعدة للتنازل عن مصالحها مبتسمة، و حتى إذا ابتسمت، فتذكر قول الشاعر: إذا رأيت أنياب الليث بارزة ...هذه المقارنات نعقدها في "الشمال".

فالدول الاشتراكية أعنف في مواجهة **شعوبها** من الدول الرأسمالية. و همومها تختلف. فالدولة الرأسمالية يهمها بالأساس شبكة الاستغلال، و ليفكر كل فيما يشاء، إذا كان الرأسمال بخير، و بالطبع لا يمكنه أن يكون بخير، إلا على حساب شعوب العالم الثالث، التي يسحقها الاستغلال الامبريالي و المحلي ثم الاضطهاد السياسي. و ما أحلى جدالات اليونانيين إذا تناسينا العبيد! أما الدول الاشتراكية التي تقول بالماركسية اللينينية، فيهمها أن يكون الرأسمال بخير.

و ألا يوجد لها مفكرون كبار غير ماركسيين ، وألا يوجد أي حزب غير ماركسي، ولا أية نقابة أو صحيفة غير ماركسية، و ألا يقع شيئ مماثل في دولة حليفة.

إن هذين الشكلين من الاستغلال و الاضطهاد الرأسمالي و الاشتراكوي بصبغتيهما الشمالية و الجنوبية، هي ما يطرح على شعوب العالم الثالث أن تتحرر منه. و تجربة شعوب العالم الثالث أصعب تجربة لأنها تخاض في ظرف تختل فيه موازين القوى لصالح الامبريالية. و نشير هنا إلى أن التجربة القصيرة للشيلي في عهد أليندي، و التجربة البولونية من وجهة نظر نقابة التضامن بالخصوص، غنية جدا، و تحتاج إلى دراسة.

لحد الآن لم نطلع على أجوبة حول القضايا التي تثيرها أزمة الحركة الشيوعية، سوى أنها مشاكل و عوارض ظرفية، و أن النقد يتسم بالتضخيم و التشويه ... و إذا كنا نقر بأن كثيرا من أجهزة الإعلام الامبريالية تهاجم الدول الاشتراكية في إطار الدفاع عن مصالحها، و إخفاء ممارساتها (الهجوم على الشعب الفيتنامي، مساندة العنصريين و الأنظمة الدكتاتورية)، فإن هذا ليس كافيا للتخلص من أسئلة حتمتها أزمة شيوعية لا سابق لها في التاريخ، و تنبع من ظروف عيش الملايين من البشر في البلدان الاشتراكية، و هي ظروف منافية لجو السعادة و الحرية و الخلق و الابتكار المخيم على المشروع النظري للمجتمع الاشتراكي.

و إذا كانت الدعاية الامبريالية لوحدها كافية لإحداث أزمة من هذا النوع، فإن أي مشروع تقدمي سيحكم عليه منذ الآن بالفشل، لأن الدعاية الامبريالية لن تتوقف، فأمام تجاهل أزمة من هذا النوع، لا يبقى للماركسيين المغاربة، سوى الانحياز التدريجي لمواقف الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي، كما يظهر أنه يقع بالنسبة للجبهة الشعبية و الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين.

فالطابع الوطني و التقدمي لنضالهما لم يتغير، لكن المشروع الصيني بالنسبة لهما قد أفلس، لذلك فرغم كل شيئ، نعتبر أن فشل الحركة الماركسية لحد الان، راجع بالأساس للترجمة العملية لمواقفها، و ليس أساسا لعلمية أو عدم علمية فكرها. و ما طرحته على نفسها في الأصل، ليس أن تكون حركة سياسية قوية، و لكن أن تعمل على بناء مجتمع خال من كل أشكال الاستغلال و الاضطهاد التي عرفها التاريخ، و هذا هدف نبيل.

الآن، و بعد أن تم الاكتشاف و التعرف على أشكال جديدة اشتراكوية للاستغلال و الاضطهاد، ما هي البراهين و التوجهات النظرية على الأقل الدالة على التوجه نحو ذلك الهدف. و هذا السؤال يطرح نفسه على كل مناضل تقدمي.

صدرت هذه المقالة بمجلة "الجسور" المغربية
العدد الثالث، السنة الأولى، اكتوبر- دجنبر 1981.

إعادة البناء في مواجهة العفوية و الفوضوية

تقديم

أ-هذه الصفحات هي عبارة عن رد على بعض الطروحات التي تغزو هي الأخرى الساحة السياسية للحركة الماركسية-اللينينية المغربية، و هي واردة في توضيح لبعض المناضلين الذين سبق لهم في يونيو 1979 أن وقعوا ما سمي " بيان لتجميد للعضوية من منظمة "إلى الأمام"، غير أنه بعد أشهر غير هؤلاء المناضلين وجهة نظرهم من بيان يونيو 1979، و طرحوا توضيحا يبينون فيه خلافاتهم الجديدة مع بيان يونيو و منظمة " إلى الأمام" و الحركة الماركسية – اللينينية عموما. و توضيحهم هذا الذي سيكون ملحقا مع هذا الرد، أثار اهتمام مناضل، كما أثار الغموض حول طروحات حل الحركة الماركسية-اللينينية مجسدة في تنظيماتها، بلبلة لدى العديد من المناضلين في منظمتنا " إلى الأمام" خاصة و أن النقط التي يثيرها هذا "التوضيح" تلتقي مع عدد من الطروحات أو تقاسمها نفس التحليل و الأرضية التي تنطلق منها، أطروحات تقول بالالتحاق بالطبقة العاملة لأن أية إعادة للبناء و لأية منظمة كانت، لن يعمل إلا على إعادة إنتاج التجربة السابقة: بناء منظمة بورجوازية صغيرة تعتمد على الشبيبة المدرسية أساسا.

و رغم أن أصحاب الوثيقة قصدوا منها مجرد توضيح لخلافاتهم الحالية مع بيان يونيو و قناعتهم السياسية و النظرية، فإن ما أثاروه رأيت فيه خلافات جوهرية، انطلاقا من مهمات المنظمة الراهنة، و على رأسها مهمة إعادة بناء منظمة صلبة و راسخة جماهيريا، و ما تشكله طروحات التوضيح من انحراف و خطورة، هي الآن تجد رواجا لها في واقع الأزمة الحالية للحركة الماركسية-اللينينية المغربية.

ب- و في إطار الصراع الديموقراطي الذي نرغب فيه على أساس ان يكون هادفا و بناءا ورفاقيا، أقوم بهذا الرد، مساهمة في إجلاء بعض الغموضات التي تثيرها أطروحات فوضوية وتصفوية تتطلب التصدي الجماعي.

ج- و إن المنهج الذي سأتبعه في هذا الرد، ينطلق من معالجة عدد من الطروحات في تسلسلها حسب التوضيح نفسه حتى يسهل على القارئ تتبع الأفكار الواردة في التوضيح و الرد عليها، مستعملا على رأس كل نقطة عنوانا يهدف إلى إبراز نقطة عن أخرى، و قد يلاحظ رفاقي الأعزاء ذلك غير ضروري، ربما، و لكني اخترت ذلك لأسباب منهجية تقرب الموضوع من رفاقي.

د- و أخيرا إن نقدكم لما ترونه غير صحيح، و ما قد أكون فيه مخطئا أمر ضروري، بل و واجب كل مناضل منا حتى نتقدم في إنجاز مهامنا.

ا-الحركة النقدية: جذورها و انحرافاتها

تشير التوطئة التي تحتل قرابة النصف من الصفحة الأولى، أن بيان يونيو "جاء في شروط معينة من الصراع داخل المنظمة، و في ظل تنامي حركة نقدية جنينية تجاه تجربة و وقائع المنظمة و الحركة الماركسية-اللينينية، جسد هذا البيان حلقة من حلقات تطورها ، و مستوى معينا من الوعي بأخطاء هذه الحركة السياسية النضالية".

إن هذه التوضيحات الأولية التي قام بها هؤلاء المناضلين منعتهم ربما من تحديد هذه " الشروط " المعينة" من الصراع داخل المنظمة و إبراز ما هي هذه "الشروط" التي تنامت فيها " حركة نقدية جنينية اتجاه التجربة".

نسمح لأنفسنا هنا بإعطاء بعض التوضيحات الأولية حول هذه الشروط التي جاءت فيها هذه" الحركة النقدية الجنينية"، و التي لم تكن إلا مرحلة "أرقى"من مراحل الوعي بالتجربة و بأخطاءها، و سوف نحاول رسم الإطار السياسي الذي جاءت فيه هذه"الحركة النقدية".

عرفت الساحة السياسية منذ 1978 تناميا في نضالية الحركة الجماهيرية، فنضالات الطبقة العاملة عرفت توسعا خاصة خلال 1978، قياسا بالسنوات السابقة، فاتخذت طابع الاتساع و التضامن في بعض القطاعات، كما كان الحال مثلا في مدينة المحمدية، و دخول أهم القطاعات في إضرابات لا محدودة أو إنذارية، كالسكك الحديدية و النقل الحضري. كما أن الفلاحين عرفوا بعض التحركات النضالية لمواجهة سياسة النهب و التشريد، كما كان في حالة فلاحي تمارة. كما أن قطاع التعليم عرف تحركات نضالية هامة، و خاض رجال الصحة والأبناك نضالات دفاعية هامة. كما سجلت بداية 1979 تحركات للشبيبة المدرسية، بجانب الدفاع عن مطالبها، كانت لها تحركات سياسية فوقفت رافضة زيارة الشاه، و أحيت ذكرى استشهاد سعيدة، و تخلل هذه النضالات صراعات سياسية حول قيادة أ.و.ط .م، و المسألة التنظيمية بين الطلبة الاتحاديين و التيارات الأخرى المتحالفة معهم، و بين القاعديين. و خرجت للوجود الكونفدرالية الديموقراطية للشغل التي تبنت عددا من النضالات خصوصا في التعليم و الصحة. كما أن الاتحاد المغربي للشغل وجد نفسه أمام المد الجماهيري، و أمام ك.د.ش، مضطرا لتبني نضالات الطبقة العاملة، و التعريف بأوضاعها المتردية و مطالبها المادية. و بالنسبة للنظام، فلم يكن ليسمح بهذه النضالات الجماهيرية، بل حتى القطاعات التي استطاعت أن تنتزع مكاسب مثل(أوطم: رفع الحظر) فلم يكل من العمل

على إفراغها من مضامينها الديموقراطية و التقدمية. بل إن سياسة الجزرة و العصا، المناورة و القمع ظلت هي القاعدة، و اعتبارا للقمع هو الوجه الرئيسي في هذه السياسة.

و كان على الإصلاحية أن تسرع بين الحين و الآخر إلى " إبراز السلم الاجتماعي" و ارتباطه بتمتين " الجبهة الداخلية" و النقد الشكلي " للمسلسل الديموقراطي"و الصمت على نضالات الجماهير، و توجيه العداء نحو الخارج و القوى الثورية، و على رأسها منظمتنا، هذا في الوقت الذي عرف فيه النظام هزائم متكررة في حرب الصحراء عسكريا و ديبلوماسيا و عزلة سياسية.

إن جدلية هذا الوضع: النضال و القمع، تتعمق في ظروف تتميز فيه الحركة الثورية عموما و المنظمة بوضع ضعيف على جميع الأصعدة، و بكلمة مختصرة في ظرف أزمة من جراء عمليات الإجهاض المتتالية من طرف النظام لضرب القوى الثورية، و لتصفية مكتسبات الحركة الجماهيرية، و من جهة أخرى فشل الخطوط السياسية و الإخفاق في إنجاز المهمات الرئيسية المطروحة على عاتقنا.

و على الصعيد الإفريقي و العربي و الدولي، سجلت عدة تحولات سياسية يتقدمها كفاح الشعب الصحراوي و انتصاراته المتتالية العسكرية و الدبلوماسية و السياسية، و انفضاح سياسة النظام الاستعمارية من خلال تدخلاته في الزايير و دول إفريقية أخرى.

و عربيا، مواقفه الخيانية من تأييده الخجول لمعاهدة " كامب ديفيد" و استقباله للسادات مباشرة بعد عودته من"كامب ديفيد"، ثم استقباله للشاه المطلوب رأسه من الشعب الإيراني، كما أن انتصارات الشعوب في إيران و نيكاراغوا، و ما خلفه هذا من تأثير سياسي و فكري، نظرا لأن القوى المناضلة في هذه البلدان ضد الدكتاتوريات بها، انتصرت و هي في شكل جبهات شعبية و وطنية، و موقف نظرية العوالم الثلاث من الصراعات الدولية له هو الآخر، بجانب وضع الحركة الشيوعية العالمية و مشاكلها، تأثير لا يمكن نكرانه على العديد من الآراء و الطروحات داخل المنظمة لصيف 79 ، بجانب هذه التحولات السياسية، هناك واقع التهميش الذي تعرفه المنظمة و الصراعات التي عرفتها نتيجة للخلافات في تقييم الوضع السياسي و التجربة.

في هذا الإطار السياسي العام، ازدهرت الصراعات داخل المنظمة، و هذا أمر إيجابي جدا، ساعد على خلخلة بعض مفاهيمنا التي اعتقدنا في صحتها طويلا (مثل سدادة الخط السياسي في جوهره، و نظرية الثورة في الغرب العربي ، و الخطة التكتيكية، و المقدمة التكتيكية) كل هذه المفاهيم أصبحت مثارا للنقاش، و هذا إيجابي و سليم، رغم الأساليب الخاطئة التي عرفها الصراع لكن أمرها ثانوي هنا.

إن ما يسميه أصحاب التوضيح ب " الحركة النقدية" هو في هذه الحدود إيجابي، لكن كيف تعامل العديد من مناضلي المنظمة مع الوضع السياسي الذي ذكرناه أعلاه؟ كيف انعكس هذا الوضع العام للصراع الطبقي في بلادنا و العالم على مفاهيم العديد من مناضلي المنظمة في 1979؟ أو كيف تعاملوا من جهة مع هذا الوضع، و من جهة أخرى مع وضع المنظمة الضعيفة ؟

سنعطي على ذلك أمثلة واضحة:

إن تنامي النضالات الجماهيرية (عمالا و فلاحين و برجوازية صغيرة عموما) لم يؤطر من طرف الحركة الثورية المغربية و خاصة المنظمة، فالمنظمة إذن مهمشة، و سبب فشالاتها هو سيادة خط انتهازي يساري، يجب محاربته لأنه أدى بالمنظمة إلى التركيز على الشبيبة المدرسية بدل إنجاز مهمة التجدر في الطبقات الأساسية: العمال و الفلاحون، و إن هذا الخط السياسي هو السائد حاليا، لأنه يعيد تجربة المنظمة التي فشلت، فهو يعيد بناء منظمة داخل الطلبة و التلاميذ و يساريين متطرفين بشكل عام. و دفعهم هذا إلى الوقوف من الناحية السياسية إلى جانب الاتحاديين و التيارات الأخرى، و هم حين يقومون بهذا العمل يعتبرون أن الخط السياسي الذي ساد في المنظمة – الانتهازية اليسارية- كان خطا حلقيا اتجاه الأحزاب خاصة الاتحاد الاشتراكي، و حتى يمكن محاربة هذا النهج السياسي القائم حاليا في المنظمة سيكون من المطروح العمل حاليا على إنجاز "جبهة القوى الثورية و الديموقراطية" من أجل الإسراع بالتخلص من "الانتهازية اليسارية" و التجدر داخل الطبقات الأساسية عن طريق هذه الجبهة، التي يكون الاتحاد الاشتراكي من الناحية العملية، و حسب هذا المنطق، هو قائدها ما دام وضع المنظمة ضعيف جدا. لماذا "جبهة القوى الثورية و الديموقراطية" و ليس بناء الحزب البروليتاري كمهمة مركزية على الثوريين إنجازها، يجيب " رفاقنا " بأن الثورات نجحت في إيران و أسقط رموزا و لم يكن في هذه البلدان أحزاب بروليتارية قائدة. إن "حركة النقد" هذه انجرت نحو منزلقات يمينية، فحولت المهمة المركزية الملقاة على الثوريين – بناء الحزب- إلى مهمة تشكيل جبهة يكون الثوريون في ذيلها، هذا لأننا كنا في السابق "حلقيين" مع الأحزاب البرجوازية الصغيرة، فبدل أن نبحث عن أسباب الأخطاء و نحللها لتصليب التوجهات السياسية للمنظمة، يقوم "رفاقنا" من "حركة النقد" برمي المنظمة في أحضان البرجوازية الصغيرة و الاتحاد الاشتراكي،لأن ظروفا تاريخية من تنامي الصراع الطبقي فرضت على قيادته اليمينية الإصلاحية تبني بعض النضالات الجماهيرية.

إذا كانت منزلقات هذه "الحركة النقدية" سياسية، كما مثلنا على ذلك أعلاه، فإنها على المستوى التنظيمي أدت بأصحابها – لمواجهة الانتهازية اليسارية- إلى إعلان لتجميد العضوية من المنظمة، و تصعيد حملة الإجهاز على مناضلي المنظمة، و أدى ذلك إلى إخراج أسرار المنظمة بدعوى "الصراع الجماهيري" ضد قيادة المنظمة.

و لا ينبغي أن يفهم من هذا، أن المنظمة خلال تجربتها لم يكن لها هي الأخرى أخطاؤها في هذا الصراع مثل أساليب الصراع الخاطئة من تصعيدات و بعض الأخطاء في تجسيد المركزية الديموقراطية، لكن هذا لا يقلل من مجهودات المنظمة المتتالية من أجل حل المشاكل بانتهاج مرونة أكبر، و اعتبارها أن الصراع الدائر في المنظمة صراع سياسي و إديولوجي و لا يمكن حله إلا سياسيا، و عدم لجوئها رغم الخروقات لأبسط مبادئ المركزية الديموقراطية و العلاقات التنظيمية من رفض للانضباط و اتهامات خطيرة لقيادة المنظمة، رغم هذا لم تلجأ المنظمة لأي قرار تنظيمي ، لكن أصحاب "الحركة النقدية الجنينية" ذهبوا بعيدا بتعميم آرائهم و خروقاتهم و إفشاؤهم لأسرار المنظمة، مما اضطر المنظمة فيما بعد إلى اعتبارهم منسحبين بعدما رفض هؤلاء المساهمة في أي نقاش تقترحه المنظمة، باعتبار أن آراء الجميع داخل المنظمة على قدم المساواة غاضين الطرف عن أخطر الأخطاء التي مارسها جزء هام من الذين يطلق عليهم و يطلقون على أنفسهم رواد"الحركة النقدية" في ضرب المنظمة.

هذه هي "الحركة النقدية" التي يتحدث عنها أصحاب النقد، و هي حركة في أطروحتها السياسية و نتائجها التنظيمية يمينية صرفة. نعم للنقد الإيجابي و الهادف، نعم للصراع السياسي و الإديولوجي الديموقراطي، نعم لكل مبادرة ثورية جريئة تشجع على التفكير وفق المبادئ الماركسية-اللينينية... ولا للنقد و الصراع إذا انطلق من منطلق ضرب الرصيد الكفاحي للمنظمة.

إن أصحاب التوقيع ينطلقون منذ البدء من أنهم لم يعودوا متفقين على بيان يونيه، وأنهم طوروا موقفهم، فهل كان هذا "التطور" في اتجاه الاقتراب من المنظمة أم الابتعاد عنها؟ لنرى ذلك:

يعتبر التوضيح بأن "النقد الجنيني" هو "أرقى نقد"، يقول النص بالحرف:

"إن بيان يونيه كان حلقة في سيرورة وعي مجموعة من الرفاق بجذور أسباب واقع الحركة الماركسية-اللينينية المغربية التي تعيش أزمة كبيرة...و كانت ميزة هذه الحلقة الرقي في تفسير هذا الواقع من مستوى إرجاع أسبابه إلى غياب صمود مجموعة من الرفاق و الأطر أثناء الاعتقال و خطأ بعض الأطروحات السياسية المنحرفة، أو بعض السياسات المتبعة في تجربتنا داخل الحركة الطلابية أو حركة التلاميذ...الخ...إلى مستوى طرح أسباب الأزمة التي تعيشها "إلى الأمام" ترجع أساسا لسيادة خط سياسي برجوازي صغير ذو طبيعة "انتهازية يسارية" "(التشديد من طرفي).

هناك إذن " رقي في الوعي"، " رقي" في تفسير أسباب الأزمة لدى هؤلاء الرفاق. إن أصحاب التوضيح يريدون مغالطتنا عندما يعتبرون "الحركة النقدية الجنينية" هي التي جعلت الوعي يرقى إلى مستوى إدراك اننا مخطئين، حينما اعتبرنا أن غياب الصمود هو سبب الفشل، و

الحقيقة أن أولى التقييمات للتجربة لم تكن تعتبر غياب الصمود بشكل مجرد و عام كان سببا وحيدا لفشل المنظمة في إنجازمهماتها، لكنها اعتبرت أن الفشل الرئيسي آت من عزلة التنظيم عن الجماهير و الابتعاد عنها، و يأتي عدم الصمود كميزة في هذه التجربة. و لكن الذي جائت به التقييمات الأولية للتجربة ، و منذ زمان، هو أنه لا يصح أن تفسر الانهيارات للعديد من الرفاق و القياديين منهم أساسا بخطإ الخط السياسي . إنه في رأيي، عندما يبيع رفيق قائد المنظمة للعدو، و يفصل في إفشاء أسرارها التنظيمية، لا يمكنه أن يظل قائدا، و لا حتى رفيقا عاديا داخل المنظمة، لأن إهداء أسرار المنظمة لا يبررها كون خط هذه المنظمة خاطئ أو سديد، لأن المسألة الأولى المشروحة في مواجهة العدو، الحفاظ على المنظمة و التضحية في سبيلها، و ليس التضحية بالمنظمة من أجل إنقاذ الذات. إن التوضيح يريد مغالطتنا إذن، و نحن نورد هذه الحقيقة فقط التي يتناساها أصحاب التوضيح لتبرير هذا الذي يسمونه "الرقي" في تفسير أسباب أزمة المنظمة. هذا الرقي الذي لا يعني في جوهره غير التخلي عن مبدأ الصمود الذي تعتز به المنظمة باعتباره أحد عناصرها الثورية.

وقع "رقي " في التفسير من "عدم الصمود" كسبب في فشل هذه التجربة إلى "الانتهازية اليسارية" كفشل كذلك. التفسير الثاني "أرقى"من الأول !!! شيئ غريب حقا!

إن بيان يونيو يجعل من سيادة الخط"الانتهازي اليساري" هو أصل المصائب. الأمر في نظري لا يختلف، فإذا كان من يعتبر بأن فشل التجربة يرجع للخط السياسي لأنه خاطئ، فهو حين يقول في يوم آخر بأن الخط السائد و الذي ساد في تجربة المنظمة هو "الانتهازية اليسارية"، لم يحصل عنده أي "رقي"، فإذا كان هناك خط "انتهازي يساري" فهو خاطئ. الفرق هو أنه في 1978 كان البعض يقول بخطإ الخط السياسي في جوهره، و اليوم يقول"سيادة الانتهازية اليسارية". أي"رقي" طرأعلى تفسير الأزمة؟! هناك إذن تراجع على أهم مكتسبات تجربة المنظمة: الصمود كحجر من أحجار الزاوية في خطها. و لقد استطاعت الممارسة أن تثبت بما لا يدع مجالا للتردد على أن قادة "حركة النقد الجنينية" الذين "ارتقوا" في أسباب تفسير الأزمة، هم الذين قدموا المنظمة بمزيد من التفصيل و الشرح لأجهزة البوليس.

إن"حركة النقد" لعبت دورا في إبراز مختلف الطروحات السياسية داخل المنظمة بكل تلاوينها، و هذا أمر إيجابي جدا. و لكن انحراف "حركة النقد" إلى المنزلقات التي مثلنا عليها، نعتبر أصحاب بيان يونيو أخطأوا في المنطلقات و النتائج. و لا يزال سؤالنا مطروحا على أصحاب التوضيح الأخير أنفسهم الذين ينتقدون بطريقتهم بيان يونيه.

سنحاول فهم مواقفهم أكثر من خلال النقط التالية:

II-الحركة الماركسية-اللينينية المغربية حركة سياسية برجوازية صغيرة

ما هو الوعي الجديد الذي تبلور لدى رفاقنا أصحاب التوضيح؟ ينتقدون أولا بيان يونيو 1979 الذي يعتبر الحركة الماركسية اللينينية المغربية(الحملم) " تتقاطبها الانتهازيتين اليمينية و اليسارية"، و الأخيرة هي الأخطر في المرحلة الحالية. أصحاب التوضيح يقولون: "أغلب اتجاهات الحملم منذ نشأتها، و رغم الصراعات التي مرت بها، و التناقضات التي عرفتها ظلت دوما تحمل تصورا متناقضا حول واقع الحملم، ما بين اعتبارها حركة مثقفين ثوريين ماركسيين- لينينيين من جهة، و بين اعتبارها نواة أولى و مشروعا لحزب البروليتاريا الثوري المغربي من جهة أخرى... و لذلك فإن بيان يونيو لم يخرج عن هذا التناقض".

إن أصحاب التوضيح إذن يختلفون مع بيان يونيو، و اعتبروه لم يحل التناقض الذي كانت الحملم غارقة فيه، ما هو البديل إذن؟

يجيب التوضيح على ذلك من خلال تساؤلين : هل الحملم تشكل نواة الحزب البروليتاري المغربي ؟ أي هل تنظيمات الحركة الماركسية –اللينينية، و تنظيمنا على رأسها في الظرف الراهن، يمكنها أن تكون حجرة على طريق بناء الحزب؟ هذا هو السؤال الأول، و السؤال الثاني مرتبط بالأول، هل الحملم حركة مثقفين ثوريين؟

إن رفاقنا أصحاب التوضيح ينتهون إلى الجواب بأن الحملم حركة سياسية منفصلة عن البروليتاريا و معزولة عن الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة.

- ما هي الحيثيات التي تؤدي إلى هذه النتيجة؟

أ- "إن البروليتاريا ليست معطى مسبق و خارجي عن حركة البروليتاريا، و لا يمكن أن تنبثق إلا من خلال نضالات البروليتاريا و من صفوف طليعتها الكفاحية، و تتشكل هذه النواة في صلب الحركة العمالية في ظل ارتباط عضوي فعلي بها"

ب-"الحملم حركة سياسية انبثقت من صلب الأحزاب البرجوازية الصغيرة، و من نضالات الشبيبة المدرسية، و ظلت مدى تجربتها تجد قاعدتها الاجتماعية و النضالية في هذه الشبيبة، مفتقدة لأي موقع داخل الحركة العمالية".

إن الإستشهادين المعروضين كحيثيتين معناهما أن نواة البروليتاريا لا يمكنها أن تكون من الحملم، فالمهمات الملقاة مثلا على عاتق منظمتنا، و التي تصب كلها في المساهمة في بناء الحزب البروليتاري المغربي ، تكون حسب هذه الحيثيات مجرد وهم. فالحملم حركة سياسية برجوازية صغيرة ... الحملم ليست حركة مثقفين ثوريين، و ما دامت هي كذلك فلا يصح أن نقول على حركة برجوازية صغيرة مثل الحملم أنها ستعمل على إنجاز مهماتها التي على رأسها المساهمة في بناء الحزب البروليتاري.

لكن كيف يعتبر رفاقنا أن الحملم ليست حركة مثقفين ثوريين؟ يجيب رفاقنا: "أن أحد الخصائص الجوهرية للمثقفين الثوريين الماركسيين اللينينيين هو اندماجهم العضوي و الفعلي بحركة الجماهير، ذات المصلحة الأساسية في الثورة، و في مقدمتها الحركة العمالية".

"إن حركة المثقفين الثوريين لا يمكنها أن تكون حركة بروليتارية، تحدد لنفسها إنجاز مهمات البروليتاريا بديلا عن البروليتاريا نفسها، و لا يمكنها كذلك أن تبني علاقاتها الداخلية على قاعدة التنظيم الحزبي البروليتاري، لأنها لا تشكل حزبا للبروليتاريا".

استشهدت بما جاء به رفاقنا من حجج للدفاع على هذه المقولة:

"الحملم حركة سياسية بورجوازية صغيرة" و "لا يمكنها أن تعمل على بناء حزب البروليتاريا أو المساهمة فيه"

سنضع عنوانا للرد على هذا الطرح في صيغة سؤال:

- الإشكالية العملية هي: كيف يتم الارتباط و الاندماج بين الحملم و حركة البروليتاريا المغربية؟؟

1-هل " نواة البروليتاريا معطى مسبق " و "خارجي عن حركة البروليتاريا"؟

أ- لنحدد أولا بأن البرويلتاريا هي معطى له خصوصيته، حتى يسهل علينا تحديد هل نواة البروليتاريا تنبثق من هذه الخصائص نفسها، المتوفرة في واقع البروليتاريا المادي، أم أن النواة البروليتارية معطى مسبق، بمعنى أنه يأتي من خارج الطبقة العاملة، يأتي بعيدا عن حركة البروليتاريا النضالية؟

• تميزت البروليتاريا بشكل عام في كل البلدان، و في بلدنا كذلك، بكونها الطبقة المعرضة للاستغلال أكثر، بشكل مباشر، و لأبشع صوره المادية و المعنوية، مما يجعل هذه الطبقة تكون مؤهلة موضوعيا و تطمح لتغيير أوضاعها. فهي بحكم امتلاكها لسلعة واحدة هي قوة عملها، و حرمانها من ملكية وسائل الإنتاج، تكون لها المصلحة الأساسية و الأولى في الثورة. و البروليتاريا بوعيها –عبر التنظيم السياسي المستقل – لمصلحتها كطبقة، و بضرورة هذه الثورة، لن تعمل إلا على خسران قيدها الذي يكبلها به مستغلوها و أعداؤها الطبقيون. كما أنها بحكم واقعها المتردي تحمل مشروع تجاوزه نحو مجتمع ينتفي فيه استغلال الإنسان للإنسان.

• من مميزات البروليتاريا ثانيا، تواجدها في مراكز الإنتاج الرأسمالي العصرية، مما يجعلها ترتبط بوسائل الإنتاج الأكثر تقدما. إن هذا العنصر يجعلها كذلك تكتسب خبرة تقنية، مما يجعلها مؤهلة عبر الممارسة لاكتساب المعطيات الأولية للمعرفة العلمية، التي تتطور بشكل ثوري، مع تنامي وعيها السياسي الذي يفترض ضرورة الحزب المستقل لها.

إن تواجدها في الوحدات الإنتاجية الرأسمالية الكبرى خاصة، يفرض عليها أن تعمل جماعيا، مما يجعل المعطيات الأولى الموضوعية للعمل الجماعي المنظم ممكنة، و ما يفرضه هذا العمل الجماعي من إمكانيات للإنضباط، و إعطائه عبر التنظيم دوره الثوري. إن هذا يؤهلها لخلق و ابتكار أشكال راقية من التنظيم تعتمد على المركزية الديموقراطية.

•إن مميزات البروليتاريا ثالثا، أنها كطبقة يرتبط تحريرها لنفسها من الاستغلال و الاضطهاد، باعتبارها الطبقة الثورية حتى النهاية، بتحرير المجتمع بكل طبقاته الوطنية و فئاته المناهضة للامبريالية و الكمبرادور و الملاكين العقاريين، و لذلك فنضالها مرتبط حتما بمختلف الطبقات و الفئات الوطنية في المجتمع، و التي على البروليتاريا أن تقود هذا النضال في إطار مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية (ث.و.د.ش).

• من مميزات البروليتاريا رابعا، هو أنها بحكم ارتباطها بنمط الإنتاج الرأسمالي السائد عالميا، يجعلها تدخل خندق البروليتاريا العالمية المعادية للامبريالية و استغلالها للشعوب.

ب-إن تحرير هذه البروليتاريا من القمع و الاستغلال و الاضطهاد يفرض بالضرورة وعي هذه البروليتاريا و تجذيرا للإديولوجية الثورية داخلها، و التفافها حول هذه الإديولوجيا الثورية التي هي إديولوجيتها، لأن هذه الإديولوجيا ليست إلا التعبير النظري على وجودها كطبقة و موقعها في نمط الإنتاج الرأسمالي، هذه الإديولوجيا هي الماركسية –اللينينية كما يقول "بتلهايم".

إن الماركسية - اللينينية لها أسسها المادية في واقع البروليتاريا، و لذلك بالضبط كان لهذه النظرية الثورية تلك القدرة على الالتحام بالطبقة العاملة بسرعة خارقة، إذا ما توفرت الشروط الموضوعية و التناقضات التي تعيشها البروليتاريا درجة معينة من الحدة.

إن البروليتاريا بحكم واقعها و الاضطهاد الممارس عليها، تلجأ إلى أشكال من "التنظيم" لقوتها للدفاع عن مصالحها، و لكن هذا التنظيم، ليس في حقيقته إلا نوعا من التحقيق العفوي للإديولوجية البروليتارية، تنظم نفسها لأن ذلك مفروض عليها لتواجه شروط الاستغلال، و لبيع قوة عملها في شروط أفضل، هذا النوع من التنظيم يكون عفويا و غير صلب، لا يكون قادرا على الاستمرار بحكم انعدام الرؤية الواضحة لمصالحها الطبقية كطبقة تواجه طبقة مضطهديها الرأسماليين. و التجربة النضالية للطبقة العاملة في بلدنا أبرزت ذلك بشكل واضح في نضالات عمال مناجم خريبكة و جرادة، حيث كان العمال يخلقون في هذه القلعات أشكالا من التنظيم في صيغة لجان عمالية تسير الإضراب، و تعمل على إنجاحه ما أمكن، تجاوزا لمناورات البيروقراطية النقابية و إدارة هذه المؤسسات، و لكن سرعان ما ينتهي هذا الشكل من التنظيم بانتهاء الظروف التي فرضته مؤقتا، أو عندما تخف حدة الصراع نسبيا. و إن المسلسل النضالي الذي مرت به الطبقة

العاملة المغربية رغم تجاوزه في بعض الشعارات و الأشكال النضالية للبرجوازية، لم يحقق في الحقيقة استقلاليتها السياسية و الإديولوجية و التنظيمية، ولم يؤد بنضالاتها إلى تجاوز سقف النضال الاقتصادي كما تنظر إليه البرجوازية و التحريفية في بلادنا.

إن تجاوز هذه الهشاشة و هذه الصفة المؤقتة، و تحقيق استقلاية الطبقة العاملة سياسيا و إديولوجيا،هو ما يعطي هذا الدرس العظيم و الضروري لنجاح الثورة: الحزب. هذا الجهاز الإديولوجي و السياسي البروليتاري المتميز، حزب ماركسي- لينيني يحمل الإديولوجية البروليتارية.

إننا نعتبر أن النواة البروليتارية ليست معطى مسبق، بل هي كامنة في الواقع المتحرك للطبقة العاملة و نضالها، لكن كيف يمكن للبروليتاريا إدراك ذلك؟ كيف يمكن الرفع من مستواها النضالي العفوي ليصبح نضالا سياسيا واضحة مراميه الطبقية؟ كيف تتوصل البرولتاريا إلى الإدراك العقلي لأهمية التنظيم و الحزب المستقل، و تجاوز إدراكها الحسي بخلق أشكال هشة مؤقتة تفرضها ضرورة النضال الاقتصادي؟

هذا هو المشكل إذن، يسجل هذا التوضيح رؤيتي إلى النواة البروليتارية. لأن الجواب عليها سيكون ناقصا ما دام أصحاب التوضيح يعتبرون "إلى الأمام" و الحملم عموما ليست حركة مثقفين ثوريين، و هو ما أرفضه تماما.

2- يقول التوضيح :" الحملم حركة سياسية انبثقت من نضالات الشبيبة المدرسية " و"من صلب الأحزاب البرجوازية الصغيرة"و يقول أيضا "الحملم ليست حركة مثقفين ثوريين ماركسيين –لينينيين، و إنما هي قوة سياسية تعتمد على قاعدة اجتماعية محددة تكمن في الشبيبة المدرسية و تعيد إنتاج نفسها".

إن أصحاب التوضيح في دفاعهم عن حل التنظيمات الماركسية-اللينينية المغربية، كما سنوضح ذلك بعد قليل، لم يكلفوا أنفسهم تحليل الأسباب التي أدت بهم إلى "الإزدهار" الذي عرفته التجربة داخل هذا القطاع، و يكتفون بتسطير"الحملم قوة سياسية برجوازية صغيرة"، و سنحاول هنا إعطاء خطوط أولية أو أفكارا عامة حول هذه الظاهرة.

إن الواقع الاجتماعي لفئة الشبيبة المدرسية واقع غير متجانس، و هي بشكل عام تنتمي إلى البرجوازية الصغيرة (الطلبة خصوصا)، و هي تدخل ضمن الجماهير الواسعة للبورجوازية الصغيرة، أي تلك الطبقة التي لا يمكن أن تحقق مصالحها الموضوعية إلا بانتصار ال "ث.و.د.ش تحت قيادة البروليتاريا.

و تتميز الشبيبة المدرسية بكونها ذا ت حساسية أكبر للصراع الإديولوجي من بقية الفئات الأخرى من البرجوازية الصغيرة. و هذه الصراعات ليست رغبة ذاتية أو نتيجة لأعمال فردية، بل، هي تعبير عن آراء و مواقف تيارات سياسية تعبر عن نفسها في كثير من الأحيان بشكل منظم، و هي تعكس مصالح موضوعية لطبقات اجتماعية أوشرائح فيها.

و في هذا الإطار العام، و في ظروف تاريخية دقيقة اجتازها الصراع الطبقي بالبلاد، يمكن فهم تشكل ما يطلق عليه بالحملم في نهاية الستينات. و يمكن تلخيص هذه الظروف التاريخية كما يلي:

•على الصعيد الوطني:

- الأزمة التي عرفتها الطبقة الحاكمة في إعادة تهيكلها كطبقة مرتبطة بنمط إنتاج رأسمالي تبعي، و أزمة الامبريالية نفسها من جهة، و مرتبطة بالتوسع المتسارع في نهاية الستينات للملكية العقارية الرأسمالية الكبيرة.
- مقاومة الجماهير الفلاحية لهذا التوسع.
- النضالات الأولى للطبقة العاملة في 1968 بعد فترة الركود الطويلة التي عرفتها تحت هيمنة البيروقراطية النقابية.
- الظهور الجديد لنضالات الشبيبة المدرسية في 1968 و بعد أن استخلصت تيارات سياسية بعض الدروس من إفلاس القوى الإصلاحية بعد مارس 1965.

•على الصعيد الخارجي:

- بروزالمقاومة الفلسطينية في مقدمة الثورة العربية بعد إفلاس البرجوازيات العربية في يونيو 1967، و بروز تنظيمات داخل المقاومة الفلسطينية تستند على الماركسية اللينينية.
- المكتسبات التي حققتها البروليتاريا الصينية من خلال نجاح الثورة الثقافية في الصين و تأثيرها على العديد من الثوريين في عدة بلدان.

إن هذه الظروف سهلت عملية تشكيل منظمات ذات طموح ثوري و مكونة أساسا من مثقفين و طلبة و تلاميذ يتبنون الماركسية-اللينينية. و هذا لايعني أنها قاعدة اجتماعية قادرة عل عكس النتائج التي يصل إليها أصحاب التوضيح، و ذلك لسبب رئيسي هوأنه يستحيل البناء الصلب لتشكيلة سياسية و اجتماعية على قاعدة الشبيبة المدرسية، لأنها هي نفسها لا تكسب قاعدة مباشرة و قارة في الإنتاج و علاقات الإنتاج.

أقول ببساطة، بأن هذا الوضوح لم نكن نمتلكه في 1970 عند النشأة، و لقد كانت مختلف التيارات المتواجدة في هذه التنظيمات تظن أنها ستتمكن بدون صعوبات كبيرة من تحقيق ارتباط بالجماهير الأساسية (العمال و الفلاحون). و لم تكن الخلافات حول أية طبقة يمكن إعطاؤها الأولوية و الأهمية الأكثر. الطبقة العاملة؟ أم الفلاحين؟ كما أن شكل العنف الثوري هو الانتفاضة أو الحرب الطويلة الأمد، و دور العنف في عملية الثورة بشكل عام، و العلاقة بين الحزب و الجماهير حول عملية بناء الحزب، لم تكن هذه القضايا و الخلافات حولها لتظهر إلا بشكل ثانوي في ديناميةو حيوية نشوء تنظيمات كانت بالفعل تعتبر نفسها ماركسية-لينينية، من خلال القطيعة التي أعلنها مناضلوها مع الإصلاحية و التحريفية.

إن فئات البورجوازية الصغيرة التي ينبثق منها هذا الجزء من الشبيبة المدرسية، لا يمكنها حل التناقض الرئيسي في المجتمع الذي لها مع العدو الطبقي للشعب إلا إذا وضعت نفسها تحت قيادة البروليتاريا، في العملية التي تؤدي إلى الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية.

إن تنظيمات المثقفين الثوريين المتبنين للماركسية-اللينينية تجمع أساسا مثقفين و مناضلين من الشبيبة المدرسية الذين توصلوا إلى الوعي التاريخي بهذه الحقيقة الموضوعية.

إن التناقض الذي يجب أن تحله هذه التنظيمات هو التالي: إن القاعدة الاجتماعية التي ترتكز عليها لا يمكنها بنفسها، و خلافا لما كان سائدا لدينا في بداية السبعينات أن تلعب دورا محركا في الصراع الطبقي، لأن هذه القاعدة التي تسجل بأنها موضوعيا ثورية تتأثر بشكل عام في نضالها بنضال مجموع الشعب، و تتأثر بشكل خاص بمنوعات البورجوازية الصغيرة، و تكون معرضة للانحرافات، يمينية و يسارية. و نعتقد بأن الأسلوب الوحيد لتجاوز هذا التناقض هو بناء منظمة صلبة من المناضلين الثوريين المتمرسين بالنضال تحت نيران العدو، و هؤلاء المناضلين الذين يتخلون عن جوهرهم البورجوازي الصغير، و يستطيعون من خلال الممارسة إنجاز عملية التجذر في الطبقة العاملة و الطبقات الأساسية، و على أساس نظرة سديدة لعملية بناء الحزب البروليتاري، نظرة سديدة لطليعة هذا الحزب نفسه في ارتباط مع العمل داخل الجماهير.

إن هذا الفهم هو الذي يرفضه رفاقنا أصحاب التوضيح دون أي تحليل لخصائص الشبيبة المدرسية و المثقفين الثوريين في بلادنا، و كيف يمكن تجاوز الأخطاء السابقة.

"الخاصية الجوهرية للمثقفين الثوريين الماركسيين – اللينينيين هو اندماجهم العضوي و الفعلي بحركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة. و لا يمكنها أن تشكل خارج الحركة الجماهيرية" هكذا يقول التوضيح، و هو لا يأتي بجديد لأن خاصية المثقفين الثوريين الماركسيين – اللينينيين هي حقا العمل و الارتباط بالجماهير و الاندماج الفعلي بها، و الجماهير الأساسية منها.

كما نعتبر أن هؤلاء المثقفين الثوريين ليس من حقهم و لا يصح مطلقا أن ينصبوا أنفسهم كبديل عن البروليتاريا، فهم ليسوا أوصياءا عليها، و لا يصح مبدئيا أن يكونوا كذلك، هذا صحيح تماما، لكن خلافا لرفاقنا أصحاب التوضيح، نعتبر أن الحركة الماركسية-اللينينية حركة مثقفين ثوريين، و نعتبر منظمتنا منظمة ثورية تتبنى الماركسية - اللينينية، مهما كانت الأخطاء و الانحرافات في التعامل مع النظرية الثورية كمنهج و مرشد للعمل، و لا يزال مطروحا عليها رغم الفشالات التي هي فشالات مؤقتة أن تسير في اتجاه تصليب نفسها من خلال إنجاز مهماتها في التجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين و حسب واقعها الذاتي و طاقاتها.

و كخلاصة لهذه النقطة التي كان عنوانها الكبير الحركة الماركسية-اللينينية المغربية حركة سياسية بورجوازية صغيرة. نقول إن النواة البروليتارية لا يمكنها أن تبزغ بين عشية و ضحاها و بشكل عفوي من داخل الطبقة العاملة و نضالها الاقتصادي المحدود. فإذا كانت هناك إمكانيات هائلة داخل الطبقة العاملة لتبني الفكر الثوري و تحقيق إديولوجيتها، فإن هذا الأمر يتطلب من التنظيم الثوري المتبني لإديولوجيا الطبقة العاملة، و من خلال الممارسة داخل الطبقة العاملة، و الارتباط العضوي بها و الاندماج بطلائعها، أن يساهم فعلا في تقدم مسلسل بناء الحزب البروليتاري و ذلك من خلال النضال و التنظيم داخل البروليتاريا. هناك عمليتان تسيران في اتجاه فرز النواة البروليتارية فلنبسطهما على الشكل التالي:

1) واقع الطبقة العاملة:

و يتضمن:

- الاستغلال كنتيجة لعلاقات الإنتاج و ما يوفره ذلك من إمكانيات و طاقات و رغبة حسية و وعي حسي في الانعتاق و التحرر.
- الارتباط بوسائل الإنتاج المتقدمة و ما يوفره من إمكانيات و من استعداد للتنظيم و الانضباط.
-العمل الجماعي و ما يوفره من وعي حسي بضرورة الوحدة و النضال.

2) تنظيمات المثقفين الثوريين الماركسيين-اللينينيين

- التبني للنظرية الثورية و التشبث و الاهتداء بها، و ما يوفره ذلك من التحام بالطبقة العاملة باعتبار الإديولوجيا المتبناة من طرف هذه التنظيمات هي إديولوجيا البروليتاريا.
- المساهمة السياسية المرتبطة بالممارسة لمواجهة هيمنة الفكر البورجوازي على الطبقة العاملة، و شحذ هذه الأخيرة لتمسك بسلاحها النظري و التنظيمي و السياسي و تطوير وعيها الطبقي.
- الاستعداد المتوفر لدى هؤلاء المثقفين الثوريين و تنظيماتهم للممارسة، من خلال التجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين.

إن الالتقاء و الاندماج بين هاتين العمليتين في النضال و الصراع الطبقي و بارتباط مع نضال كافة الشعب و فئاته الوطنية، يوفر إمكانية بروز نواة البروليتاريا، التي ليست مشكلتها مشكلة معطى مسبق أو معطى موضوعي قائم، بل هو نتيجة كفاح و نضال.

III-الحركة الماركسية-اللينينية المغربية لن تتجذر؟!...

هذا العنوان اخترناه لإبراز جانب آخر في رؤية أصحاب التوضيح، فإذا كان الجانب الأول متعلق بالأساس الطبقي و التحديد السياسي، فإن هذا الجانب التنظيمي الذي ندخل فيه الآن يخص الجانب التنظيمي و جانب العلاقات الداخلية لتنظيمات الحملم و المنظمة خصوصا، سنحاول الرد على أهم ما جاء في هذه النقطة.

" إن الحركة الماركسية اللينينية المغربية هي حركة بورجوازية صغيرة نظرا لعلاقاتها الداخلية البيروقراطية و تنظيمها النخبوي و الشبكي، و بالنظر لعلاقاتها مع الجماهير ذات الطبيعة الفوقية و الحلقية، و بالنظر لتوجيهاتها السياسية و الإديولوجية التي حددت مشاريع ثورية ذاتية و جاهزة، تبلورت خارج حركة البروليتاريا المغربية و حركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة"

إن تجربة المنظمة في ميدان العلاقات الداخلية هي الأخرى كانت محملة بمضامين خاطئة حول المركزية الديموقراطية، فغلبت المركزية تحت ضغط و شروط العمل السري و صعوبة النقاش الديموقراطي الواسع، في واقع التجربة، هذا واقع موضوعي لا ننكره، و لكن لا يبرر التركيز على المركزية لدرجة البيروقراطية.

ففي تجربة المنظمة لم يكن الصراع السياسي و الإديولوجي الديموقراطي الواسع يخترق عموم المنظمة عموديا و أفقيا في كل القضايا السياسية التي تهم المنظمة و الثورة، و لا يعني هذا أن الصراع و النقاش كان منعدما، بل على العكس، كانت هناك صراعات سياسية، لكن لم تعمم على مستوى عموم المنظمة لإبداء الآراء حولها، و لقد مارسنا هذا الفهم و نحن مقتنعين بأطروحة وحدة المنظمة: وحدة الفكر والإرادة ووحدة الممارسة.

و هذا الفهم صحيح إذا اعتمد على الوحدة المبنية على الصراع الإديولوجي و السياسي. في هذه العلاقات الداخلية مارست عمليا دور المقرر، القيادة بشكل عام، و دور المنفذ، الباقون من إطارات المنظمة. كيف يمكن تثوير هذه العلاقات التي لنا وعي بخطئها، من خلال عملية ارتباطنا الوثيق بالجماهير، و كيف كنا نسير في اتجاه بناء خط سياسي جماهيري؟ إن داخل المنظمة كانت تسود نظرة مثالية لا جدلية للوحدة السياسية و الإديولوجية، وحدة بدون تناقض. و هذه الوحدة كانت تجد تبريرها النظري في نموذج الحزب ذو الفكر الوحيد الذي كانت تمرره الأممية الثالثة. إن الأساس الموضوعي لهذه النظرة المثالية هي التي تجعل المثقف البورجوازي الصغير يضع الفكر فوق الواقع الملموس الذي لا يمكن تلمسه إلا انطلاقا من الممارسة النضالية وسط الجماهير. إن هذه النظرة التي تجعل الفكر متفوقا على الممارسة، و بالتالي سمو التنظيم على الجماهير، و داخل المنظمة سمو أو تفوق القيادة على القواعد. و لقد كان هذا صحيحا بالنسبة للعديدين منا قياديين أو مناضلين قاعديين.

هل كنا تنظيما شبكيا نخبويا؟ كما جاء في الاستشهاد الذي انطلقنا منه في هذه النقطة. في مارس 1973 انتقد التنظيم بشدة حركة البلانكيين في نص "الوضع الراهن و المهام العاجلة للحملم" لأنها حركة اعتمدت الشبكية و لم تعتمد على الجماهير في توجهها السياسي و الإديولوجي و العملي. و ليس معنى هذا أننا من الناحية العملية كنا قد تجذرنا وسط الجماهير عموما، بل إن النتائج العملية التي وصلنا إليها في هذه التجربة، من بينها في تقييمي الخاص، أن المنظمة كانت تنحى منحى منظمة شبكية. فالمسألة التنظيمية كتجسيد لتوجهات سياسية، أدت في شروط القمع و اشتداده إلى تزايد عدد المناضلين الذين يدخلون في السرية و ممارسة نوع خاطئ من الفهم للاحتراف الثوري. حيث أصبح من الناحية العملية كل من يدخل السرية يبتعد بالتدريج عن عمله المباشر وسط القطاعات التي كان يعمل بها (عمالية أو فلاحية أو شبيبية).

و لقد عمق هذا الابتعاد عن الجماهير أخطاء الهيكلة التنظيمية، و قد يكشف تقييم التجربة عن جزئية أو شمولية هذه الخلاصة مستقبلا، لكن الممارسة التي عاشها العديد من المناضلين تصل إلى أن المنظمة كانت تنتفخ بعدد من "المحترفين" الذين ألجأهم القمع إلى ذلك، و يبتعد المناضل بالتدريج عن الجماهير.

هل كانت سيرورة المنظمة ستقبل هذا الوضع؟ إن الجواب سيكون رهينا بمدى وعي المنظمة بخطأ التوجه الذي حدد تلك الهيكلة من خلال الممارسة داخل الجماهير، و هذا ما لم يتوفر و بالقدر الكافي في تجربة المنظمة.

هل كانت لنا علاقات فوقية مع الجماهير؟ بشكل عام جدا و فضفاض نقول نعم. في تعاملنا و تعامل الحركة الماركسية-اللينينية المغربية مع جماهير الشبيبة المدرسية، كان هذا واضحا بالنسبة ل"إلى الأمام"و " 23 مارس"، فدعوتنا الفوقية لبناء " النقابة الوطنية للتلاميذ" و قيادتها التي كانت كلها من أطر هذه التنظيمات مثال ساطع.

و لكن هل في عملنا داخل الأحياء و داخل الطبقة العاملة و الفلاحين كانت هذه العلاقات فوقية؟ لا نعتقد ذلك بحكم التجربة المتناقضة و المتنوعة لنا في هذه القطاعات. هل كانت العلاقات النخبوية و الشبكية و الفوقية نتيجة للتوجهات السياسية و الإديولوجية؟ نقول هنا لقد اصبح الوعي حادا بخطإ التوجهات السياسية التي سار عليها التنظيم، أو على الأقل مراجعة العديد من جوانبها و طروحاتها.

هل هذه التوجهات السياسية حددت " مشاريع ثورية ذاتية و جاهزة تبلورت خارج حركة البروليتاريا المغربية و حركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة..." كما يرى أصحاب التوضيح؟

نتساءل في البداية، ما هي هذه المشاريع الثورية و الجاهزة؟ هل مقولة بناء الحزب البروليتاري المغربي مقولة قبلية جاهزة تفرض قسرا على البروليتاريا المغربية؟ هل تحديد " العنف الثوري" فرض قسري على البروليتاريا؟ هل بناء التحالف العمالي –الفلاحي مشروع ثوري ذاتي و جاهز؟ هي جاهزة في نظر التوضيح و ذاتية لأنها تبلورت خارج حركة البروليتاريا المغربية. رغم العلم بأنها إحدى الدروس الأساسية في نجاحات البلاشفة و الثورة الصينية.

و إذا كانت الأطروحات النظرية استراتيجية كانت أم تكتيكية، مبادئ ماركسية- لينينية أو إسهامات ثوريين مثل ماو، تعد في نظر أصحاب التوضيح مشروعا ثوريا جاهزا و ذاتيا . نحن نقول: إن البروليتاريا كطبقة ثورية لايمكن لنضالها الاقتصادي العفوي أن يتحول إلى نضال طبقة تدرك مصالحها كطبقة، مصالحها المعادية و المناهضة لطبقة مستغليها إلا بامتلاكها لسلاح التنظيم و سلاح النظرية الثورية، إن تحررها من الاستعباد و القهر و تحرير المجتمع معها و الإنسانية، لن يتم بتكسير الآلات و الإضرابات الطويلة النفس. إن هذا لوحده لا يكفي أبدا ولم يكن ليكفي، فضرورة تجذر الإديولوجية الثورية داخل البروليتاريا و عن طريق المثقفين الثوريين و تنظيماتهم المندمجة بها اندماجا لا يقبل الانفصام، و عن طريق طلائع هذه البروليتاريا أمر حيوي، و من ينتقص من ذلك لن يخدم البروليتاريا.

إنني لا أتفق مع هذا المفهوم الذي أعطاه رفاقنا أصحاب التوضيح للمثقف الثوري. فهو لكي لا يكون بديلا عن البروليتاريا عليه أن لا يحمل أي مشروع لبناء الحزب البروليتاري، عليه ألا يفكر و يمارس أو يتمرس على العلاقات الداخلية التي ينبغي أن تحكم العاملين في حزب

البروليتاريا مستقبلا، عليه ألا يمارس المركزية الديموقراطية و ألا يطالب بالانضمام إليها، عليه في الأخير أن يبتعد عن كل قالب تنظيمي ما دام هذا المثقف الثوري ليس في حزب البروليتاريا الذي لم يولد بعد، و لكي يمارس ذلك، عليه أن ينتظر ما دام الحزب لم يولد بعد.

إن فهمنا للتجربة السابقة لا يصح أن يولد عندنا رد فعل على عدم إمكانية التجذر من داخل تنظيمات ماركسية- لينينية. فرفاقنا ينتقدون العلاقات الداخلية في صفوف المنظمة و بين هذه الأخيرة و الجماهير، لينكروا فيما بعد أهمية المبادئ الماركسية – اللينينية التي تحكم التناقضات الداخلية، و يضربون عرض الحائط كل رصيد المنظمة و التجربة الثورية للحركة العمالية العالمية.

إن خلافنا مع هذه النظرة عميق جدا، فهو خلاف جوهري حول تحديد المهمة الآنية المطروحة على المنظمة و الثوريين الماركسيين-اللينينيين عموما، هو خلاف حول هل يمكن بناء منظمة ماركسية لينينية تتجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين و بقية الجماهير، أو حل التنظيمات و الارتماء في أحضان البروليتاريا لتبني هي حزبها مباشرة. إن هذا الفهم يجعلنا ننحني بإجلال أمام عفوية النضال العمالي من غير أن نفهم بأن هذا المد العفوي "يتطلب وعيا عاليا من العمل السري و السياسي و التنظيمي " كما قال لينين في "ما العمل؟"

إن الأسس التي اعتمد عليها رفاقنا في سحب الدور الذي يمكن أن تلعبه التنظيمات الثورية الماركسية – اللينينية الحقيقية في تجذير الوعي البروليتاري و تمرسها و بلترتها هي الأخرى داخل هذه العملية من الاندماج و الارتباط و الممارسة النضالية، و اعتبار التنظيمات فقط بورجوازية صغيرة و لا يمكن أن تعيد إلا إنتاج تجربتها. إن هذا الفهم قاد رفاقنا إلى نظرة تصفوية لتجربة المنظمة و الحركة، و إلى تقديس العفوية العمالية في النهاية و سيفصح التوضيح عن نفسه أكثر فيما بعد.

IV لنحارب كل الانحرافات داخل المنظمة و الحركة الثورية عموما

يستمر التوضيح كاشفا جذوره الإديولوجية أكثر عندما يتعرض في جزء منه إلى نقد بيان يونيو الذي يصف المنظمة و خطها بكونه "انتهازي يساري".

يقول التوضيح: " إن تحديد الانتهازيتين (اليمينية) و (اليسارية) داخل الحركة العمالية يعتمد على مقياس الخط البروليتاري الشيء الذي يناقض بالنسبة لبيان يونيو إمكانية وجود خط بروليتاري داخل الحملم، أو على الأقل إن تبلور هذا الخط البروليتاري داخل صفوف الحملم ممكن على قاعدة دحر الإنتهازيتين ...أما نحن فترى بأنه ليس بإمكان أية حركة سياسية مهما كانت نظرياتها أو برامجها ثورية، أن تبلور خطا بروليتاريا خارج صفوف الحركة العمالية و طليعتها، و هذا لايعني بأنه يكفي لهذه الحركة أن تجد لها امتدادات في صفوف الحركة العمالية لكي تتمكن من ذلك، و لكنه يعني أن الخط البروليتاري تبلوره طليعة البروليتاريا نفسها و مثقفوها العضويون..."

أدرجنا هذا الاستشهاد رغم طوله، لأن أصحاب التوضيح ينكرون على التنظيمات الماركسية- اللينينية المغربية، و خصوصا "إلى الأمام" إمكانية بلورة خط بروليتاري، و من تم لا مجال لأي تحديد سياسي من صنف الانتهازية اليمينية أو الانتهازية اليسارية من جهة، ولأن الصراع الحالي داخل المنظمة و الحملم هو لمواجهة هذين الصنفين من الانتهازية من جهة أخرى.

و نحن نرد على هذا، مسجلين منذ البداية بأن أصحابنا على حق عندما يقولون بأن أية حركة سياسية مهما كانت برامجها الثورية و نظرياتها ليس بإمكانها أن تبلور حقا خطا بروليتاريا بمعزل عن حركة واقع البروليتاريا و مساهمتها في بنائه، و التحام هذه الحركة بها و بنضالاتها و ارتكازها على نظرية ثورية حقة: نظرية البروليتاريا : الماركسية – اللينينية. إن كسب خط بروليتاري هو مسيرة أعوام، مسيرة طويلة و شاقة و معقدة تعقد الصراع الطبقي نفسه، و تعقد عملية المعرفة نفسها، و تعقد العلاقة الجدلية القائمة بين النظرية و الممارسة.

إن جزم رفاقنا بأن حركة المثقفين (و المقصود بها الحملم) ليس من مهمتها بلورة خط بروليتاري، مسألة في نظري غير صحيحة، فالبلورة لا تعني قط أن الشيء جاهز، إن البلورة هي عملية يتفاعل فيها ما هو ملموس بما هو نظري تفاعلا جدليا يؤدي إلى الوصول إلى نتيجة ما. هذا هو معنى البلورة، فإذا كان رفاقنا يعنون بالبلورة الفكر القبلي الجاهز، و يجتهدون بكل تفكيرهم البيزنطي لإعجاز الحملم، فإني أقول أن الخط هو مسيرة، و بلورته عملية تتجاوب فيها الممارسة و النظرية، فهم الواقع بهدف التحكم فيه و تغييره. فنحن نكون على خلاف إذن.

إن رفاقنا يائسين تماما من الحملم، بل و مجندين لمحاربتها. فالحملم في منطقهم، لا دور لها من غير التبعية للطبقة العاملة طريقا، باعتبار هذه الأخيرة هي مصدر المعرفة اليقينية الصحيحة، و لأنها "بروليتاريا" فهي لوحدها القادرة على بلورة خط بروليتاري.

ما هو إذن دور هؤلاء المثقفين العضويين الذين تنتهي بهم الفقرة المستشهد بها، إذا لم تكن عملية البلورة يشكلون طرفا مهما فيها في البداية، قبل تجذر الوعي البروليتاري. إن التوضيح يجعل هذا الارتباط العضوي مجرد عملية تدخل ضمن المساعدة التقنية، و إن المنظمة حين تقول بإعادة بناء منظمة صلبة و راسخة جماهيريا، فإنها تعني منظمة ليست لها مهمة تقنية، بل تقوم بعملها الثوري انطلاقا من اختيار طبقي هو البروليتاريا. إن الإقصاء العملي للمثقفين الثوريين و تنظيماتهم الماركسية-اللينينية من مهمة بلورة خط البروليتاريا ينطلق من وجهة نظر التوضيح، من أن نضال الطبقة العاملة الاقتصادي سيوصلها إلى النضال السياسي عبر دينامية هذا النضال المستقلة. و هذا هو ما يطلق عليه "الاقتصادوية" و التي تعتمد على قاعدة أن الوعي هو انعكاس ميكانيكي للواقع، و تلكم هي القاعدة النظرية التي يرتكز عليها في الجوهر هذا التوضيح الذي نناقشه.

بالنسبة لي، أعتبر بأن هناك انتهازية يسارية و يمينية، انطلاقا من أن القاعدة الاجتماعية للحملم (البورجوازية الصغيرة) لا يمكنها أن تلعب دور المحرك للصراع الطبقي، رغم أن هذه الحملم هي موضوعيا ثورية، لكنها تتأثر بشكل خاص بمختلف الإديولوجيات البورجوازية و البورجوازية الصغيرة و انتهازياتها، و أساسا اليمينية، خاصة في فترات القمع المكثف و جزر الحركة الجماهيرية (مثال الخط الداخلي و بناء الأطر في السلم الذي نظرت له" 23 مارس" خلال و بعد حملة الإرهاب و القمع التي تعرضت لها حركة 3 مارس).

و في نفس الوقت فإن هذه الانزلاقات اليمينية تحكم على هذه التنظيمات بالتفكك السريع لقاعدتها الاجتماعية، و نظرا لطبيعتها الثورية موضوعيا، فإن قادتها سرعان ما يجدون المخرج باحترافهم السياسة ، و بشكل ينظر للتبعية للقوى الإصلاحية.

أما الانزلاق الإنتهازي اليساري، كالذي عرفه جزء من خط المنظمة و ممارستها و في فترات متفاوتة، و بحكم تناقض هذا الخط، فإنه يسد الباب (أي هذا الانزلاق) أمام أي عمل جدي للتجذر في الطبقة العاملة (مثال تسخير كل طاقات المنظمة في 1975 إلى مجابهة الدعاية الشوفينية – و إن كان هذا أمرا ضروريا- بدعاية فوقية و إغراق المدن بالمنشورات، في حين لم تقم المنظمة بالوقوف عند أكبر ضربة وجهها لها العدو في 1974 و بداية 1975. كان هذا العمل مجرد هروب إلى الأمام بدل العمل على إرساء الجذور داخل الطبقات الأساسية.

يقول التوضيح: " إن مهمة البناء و إعادة البناء التي وردت في بيان يونيه بشكل غامض، و التي تطرحها اليوم أغلب اتجاهات الحملم تحت صيغ متعددة، لا تشكل في نهاية المطاف إلا عملية محافظة على الأرضية الطبقية البورجوازية الصغيرة للحملم، و يستحيل على حركة تقوم على بنية سياسية و إيديولوجية و تنظيمية بورجوازية صغيرة أن تعمل على بناء حزب البروليتاريا. و لهذا فإن المهمة الأساسية الملقاة على عاتق المناضلين الثوريين الذين يطمحون للمساهمة في بناء حزب البرولتاريا إلى جانب الطليعة البروليتارية، هي الإندماج النضالي العملي و العضوي بحركة الطبقة العاملة خاصة، و حركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة عامة. و هذا الاندماج (يستلزم التخلي عن كافة الهياكل التي تقف حاجزا ما بين هؤلاء المناضلين و بين حركة الطبقة العاملة. (التشديد من عندي)

إن أصحاب التوضيح يتجاوزون ما سبق أن طرح في بيان يونيو 1979 فيما يتعلق بإعادة البناء، و يطرحون الآن فهما محددا. فإن إعادة البناء غير مطروحة كمهمة رئيسية في الظرف الراهن، لأن هذا لا يعني غير إعادة إنتاج التجربة داخل قطاع بورجوازي صغير هو الشبيبة المدرسية.

المنظمة ترى في الظرف الراهن مهمة إعادة البناء، في الوقت الذي يرى فيه أصحاب التوضيح أن مهمة الثوريين، أن لا يخلقوا بينهم و بين البروليتاريا حواجز بناء أو إعادة بناء تنظيماتهم.

إنه خلاف عميق حقا، ألا توافقوني على ذلك؟ لماذا تطرح المنظمة مهمة إعادة البناء؟

إذا انطلقنا ككل الثوريين حقا، في تحليلنا لدور البروليتاريا التي نعتبر انتصارها حتمية تاريخية انطلاقا من مميزاتها التي تعرضنا لها في هذا الرد، فإننا نجد واقعها المادي يدفعها لجملة من النضالات، هي في حقيقتها وعي جنيني و حسي بوعيها الطبقي، هو تعبير عن معرفتها الحسية. هذه المعرفة التي لن ترقى إلى الإدراك العقلي إلا مع تجذر الوعي الثوري داخلها و ما يفرض ذلك من عمل للثوريين . إن هذا الوعي الحسي هو في حقيقته رفض للواقع، و اقع الاستغلال و الفقر و الاضطهاد، بعفوية كذلك، لأن واقع البروليتاريا المزري يشعرها باستمرار بالظلم، يجعل عددا من العمال مستعدين للنضال رفضا لهذا الظلم، و هذا الاستغلال، إن عدد هؤلاء العمال يتعاظم باستمرار، لكنهم لا يدركون أن هذا الاستغلال و هذا الاضطهاد يخترق مجتمعا بكل طبقاته الوطنية، و بأنه في يوم ما لا يستطيع المرء تجرع مرارة هذا القهر، و لا يدرك بأن انعتاقه من هذا الوضع صعب، و بأن أعداءه هم كذلك "يناضلون" (إن صح التعبير) بكل الوسائل السياسية و الإديولوجية و التنظيمية و القمعية للإبقاء على هذا الوضع، و لا يدركون من خلال نضالهم العفوي و الاقتصادي ضرورة العمل المنظم إلا في حدود "الوحدة" العمالية لإنجاح الإضراب أو تكسير آلة، إنهم لا يدركون بالضبط بأن هذا التنظيم الذي يحسون نجاعته عند الضرورة، و بين الحين و الحين، هو ما ينبغي الوعي به، وعيا يرقون به من مستوى الاصطدام مع رب المعمل إلى الحقد المنظم على طبقته بأسرها، يرقون إلى مستوى الربط بين نضالهم – الذي يعمل رب المعمل على تكسيره و حينما يعجز تتدخل قوات القمع لحمايته و حماية ممتلكاته، يطلقون الرصاص إذا "اقتضى"الحال ذلك – سيرقون إلى هذا الربط بين رب المعمل وطبقته و الدولة القمعية. إن هؤلاء العمال لا يدركون أهمية عمل منظم يجمع و يستوعب طاقاتهم النضالية المتزايدة لهم و لكل العمال، ليصير نضالهم نضال طبقة.

إننا نشاهد اليوم و كل يوم هذا الزخم من السخط الجماهيري العارم و لكنه صامت. إنه يعطينا القدرة على التفاؤل و على العمل الجاد الدؤوب، و لكن الخيبة تصيبنا عند الفشالات كما حال أصحابنا، فهم لم يفهموا أن العمل المنظم – عمل منظمة ثورية، عمل منظمة في السرية و تحت الملاحقات البوليسية اليومية – هو عمل أضمن من ذلك الحل الذي وجدوه بكلمة "التنظيمات تعرقل الوصول إلى الطبقة العاملة"، فلقد فوجؤوا بهذا التصاعد لحركة عمالية لا محيد لها عن النضال، انبهروا أمام تحركاتها العفوية أوالمنظمة إلى حدود في إطارات نقابية بورجوازية و إصلاحية، انبهروا لأن العمل السري لمنظمة سرية لا يمكنه أن يصل حد السخط العام الجماهيري الواسع، لأن الأول متقلص يعمل لأجل تنظيم هذا السخط و بتكتم ضروري تفرضه الظروف القائمة، تنظيم لأجل تجذير أبعاد هذا السخط، و العمل الثاني هو عمل علني سهل لأنه نضال نقابي أو إضراب أو تحرك عام. فالأول قياسا إلى الثاني يبدو متقدما لكنه يعتمد على الكيف و عدم قدرة

منظمة ثورية على احتواء السخط الجماهيري كمنظمتنا مثلا، يجد تفسيره المادي في واقع احتداد الصراع الطبقي، فحركة عمالية هي أصلا سابقة لعمل سياسي منظم و ثوري داخل هذه الحركة العمالية. إن عدم توازن كهذا لا ينبغي تجاوزه بإلغاء التنظيمات الثورية من أجل الدخول في حركة السخط العام و العفوي و مسايرته، بل ينبغي تجاوزه بعمل دؤوب و شاق و منظم و هادف.

إن هذه المنظمة السرية المشكلة من المحترفين الثوريين المنظمين، و التي تريد بحزم إعادة بناء نفسها في شروط بلادنا، يفترض أن يتربى فيها مناضلون ثوريون ليس بالكتب الكلاسيكية أو الإسهامات التي قدمها الثوريون فقط، بل في الانصهار بنضال الطبقة العاملة حتى يتصلبوا حقا و حتى يصير الجيش الصغير و المنظم قادرا على تنظيم معمل بأكمله.

إن مثل هذه المنظمة في شروط بلادنا تكون أصعب على الاصطياد البوليسي و لا ينبغي أن نجزع من الأخطاء السابقة و اصطياد البوليس لنا. علينا أن نجعل من الفشل و أسبابه دروسا للنجاح مستقبلا. إن وجود هذا التنظيم يقوي الثقة و العزم و يشجع على خوض النضال و الكفاح بقوة من أجل بناء الحزب، و تعميق هذا الإيمان من خلال التجذر الواسع وسط الجماهير العمالية و الفلاحية أساسا.

إن مثل هذه المنظمة تتربى من خلال تنظيمها للجماهير، و من خلال الممارسة، و باندماجها مع طلائعها و تشييد الأنوية الأولى للحزب. إن منظمة من المحترفين الثوريين يكون بإمكانها أن تتقن أساليب العمل السري و أساليب العمل العلني، القادرة أن تشيع الثقة بقوتها و صلابتها و الحزم في إنجاز مهماتها في صفوف مناضليها و الجماهير، و كذلك حتى في حلفاء البروليتاريا الاستراتيجيين و التكتيكيين. إن هذه المنظمة هي التي ينبغي أن نعمل على بنائها على طريق بناء الحزب الشيوعي المغربي بجانب كل الثوريين المغاربة، و باندماج واسع و عميق مع طلائع البروليتاريا أساسا.

إن دور منظمتنا ليس نابعا من رغبة ذاتية لمثقفين ينزلون رسلا على البروليتاريا يعطونها طريق الخلاص، بل إنه نابع من اختيار لموقف و موقع طبقي أول ما يفترض هو أن يكون كل منا ضل في هذه المنظمة مبلترا أو أن يجعل التبلتر مهمة ضرورية من خلال الممارسة.

إن دور المنظمة هو تقديم العمال الطليعيين بدرجة أولى للوقوف على خط واحد مع المثقفين الثوريين من وجهة نظر حزبية، لأن هذه المنظمة تضع نصب أعينها و بصورة رئيسية رفع العمال إلى مستوى البروليتاريين الثوريين و ليس "الهبوط" إلى مستوى الوعي المتدني لجماهير العمال كما يريد لنا أصحابنا.

إن أصحاب التوضيح لا يوافقون طبعا على كل هذا، و يجعلون من فهمهم لطريق بناء الحزب البروليتاري لن يمر عبر هذه الضرورة التي نسميها: إعادة بناء منظمة ماركسية- لينينية صلبة و راسخة جماهيريا. إنهم يتخلون عن إحدى الدروس الأساسية في الثورة الروسية

حيث لم يتشكل الحزب إلا بعد عمل دام ما يقرب من عشر سنوات. انظروا ما يسجله بتلهايم في كتابه: "الصراعات الطبقية في الاتحاد السوفياتي" ص 94 " إن الدور الذي لعبه الحزب البلشفي في 1917 لا يجب أن ينسينا أن هذا الحزب لم يتواجد إلا بعد خمس سنوات، لأنه ولد في ندوة براغ بين 3 و 7 من شهر يناير 1912. إن هذه الندوة قد مكنت من ولادة حزب لم يكن هو التجميع البسيط لبعض المناضلين أو بعض المثقفين الثوريين، لأن تأسيس هذا الحزب قد سبقته أكثر من 10 أعوام من النشاط النظري و التنظيمي..."

إن أصحاب التوضيح يضربون بهذا الدرس الذي هو ملك للتجربة البروليتارية في كل مكان. و لكن لنستمر في مقارعة آراء أصحاب التوضيح. في جزء آخر يقول التوضيح:

"لذلك فإن بناء منظمة ما، لايمكن أن يتم باعتبارها تنظيما بروليتاريا تحكمه العلاقات البروليتارية، ما دام موقع هؤلاء لا يتجاوز حدود مثقفين ثوريين يسترشدون بالماركسية-اللينينية و يمارسون على قاعدتها وسط الحركة العمالية، و ما دامت الشروط التاريخية لم تتهيأ بعد لهذه العملية التي تنجزها العناصر البروليتارية الطليعية والواعية في صفوف الحركة العمالية..."

و في هذه الفقرة يسقط أصحاب التوضيح في تناقض طالما تحاشوه من قبل في "نقدهم" لإعادة البناء. فهم يعتبرون بأن إنجاز عملية إعادة البناء لمنظمة بروليتارية من مهام طلائع البروليتاريا الواعية في صفوف الحركة العمالية، و التي يمكن أن تساهم فيها عناصر مثقفة مسترشدة بالماركسية- اللينينية التي استطاعت أن تتحول إلى عناصر بروليتارية من خلال عملية الاندماج...". نتساءل ماذا يعني هذا؟ هل هو تأخير لعملية بناء هذه المنظمة حتى يتم الاندماج؟ هل يعني أن أصحاب التوضيح يخافون من المثقفين البرجوازيين الصغار في مقابل وضع كامل الثقة – .....- العناصر الطليعية الواعية من البروليتاريا !! إنهم ينكرون لفظيا أهمية التنظيم، و لا يخرجون عن ضرورته لكن بمنظور خاص. و لنا أن نتساءل عن أي "منظمة"يريدون، هل تلك المنظمة للمحترفين الثوريين حقا؟ طبعا سندعهم يفصحون عن أنفسهم و عن مبادئهم التي ليست هي المركزية الديموراطية.

يقول التوضيح:" لايعني بالنسبة لنا نفي العمل المنظم، و لكن العلاقات السياسية التي تقام بين المناضلين الثوريين يجب أن تحدد من خلال عنصرين هما:

- النقاش والتعاون الذي تفرضه شروط النضال السياسي الثوري وسط الحركة العمالية و حركة الجماهير في مواجهة العدو.
- تطوير الوعي السياسي الذي يفترض خلق الأدوات و الأساليب المختلفة للصراع السياسي و الإديولوجي بين هؤلاء الثوريين و تبادل الدروس و التجارب بارتباط عضوي مع الحركة النضالية للجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة.

"إن هـذه الطاقـات السياسـية قائمـة على قاعـدة الممارسـة الثوريـة الملموسـة وسـط الجمـاهير العماليـة مـن جهـة، و على قاعـدة الديموقراطية الثورية من جهة أخرى..."

إن أصحاب التوضيح يستعيضون في هذا العمل المنظم الذي لا ينكرونه عمليا عن المبادئ الحازمة اللينينية في ميدان التنظيم بالتضامن و التعاون الذي " تفرضه ضرورات النضال السياسي الثوري". ماذا يعني هذا بالملموس؟ أي تضامن هذا يمكن أن يرتكز على أسس إنسانية صرفة من نوع التآزر؟ و ما هذه الضرورات السياسية الثورية؟ هل في الاحتراف؟ هل في العمل السري؟ ما هي أساليب تطوير الوعي السياسي للطبقة العاملة؟ هل هي الجريدة؟ أو على الأقل إحدى الوسائل الممكنة...من يضمن سير جريدة نعرف أن نجاحها مرهون بكونها جريدة مركزية صادرة عن تنظيم له أسسه و مبادؤه و أجهزته السياسية و التقنية؟ ما عسى أن يكون توجه هذه الجريدة مثلا هل هو نوايا هؤلاء المناضلين البروليتاريين أو هو بالضبط ذلك "التنظيم" الذي يريد أصحابنا خلقه.؟

أيضا هذا الصراع السياسي و الإديولوجي الذي يتحدثون عن وقوعه ما عسى يكون فحواه بين هؤلاء الثوريين؟ هل تبادل التجارب ؟ لقد مرت الحملم في تجربتها بتبادل التجارب في كل القطاعات التي تواجدت فيها تنظيماتها، و لكي نتبادل التجارب يجب أن يستفيد منها أكبر عدد ممكن، كيف يمكن تنظيم هذه العملية؟ يجيب رفاقنا إذا نحن سألناهم عن كل هذا، بأن العمل المنظم له قواعد: قاعدتين بالضبط:

- قاعدة الممارسة الثورية الملموسة.
- قاعدة الديموقراطية الثورية.

أي مقياس يحدد"الممارسة الثورية الملموسة"؟ بالنسبة لي، إن الممارسة الثورية هي تجسيد لتصور ثوري، هي إغناء له باستمرار هي عملية تغني النظرية الثورية. بالنسبة لأصحابنا الذين يجعلون من المثقف الثوري إنسانا ينزل إلى الطبقة العاملة للإندماج بها، ما هو مقياس الثورية لهذا المثقف الذي نخلع عنه صفة "الثورية"، ما دام أصحابنا يقولون بأنه لا يصح النزول إلى الطبقة العاملة بأفكار جاهزة و قبلية؟!

القاعدة الثانية: "الديموقراطية الثورية" عن أي ديموقراطية ثورية نتحدث؟ نسجل منذ البدء أنه لا ديموقراطية ثورية فعلية بدون مركزية. و مادام أصحابنا ينفون المبادئ التنظيمية اللينينية بحكم عدم توفر حزب البروليتاريا، فماذا يبقى إذن، نقول لهم بكلمة غير مخادعة: تبقى كلمة (الديموقراطية) بدون صفة "الثورية".

إن الديموقراطية ضرورة من ضرورات العلاقات الداخلية، بل هي شرط حيوي لتجسيد وحدة متقدمة في المنظمة، و لكنها ديموقراطية مرتبطة دوما بممارسة صحيحة للمركزية. نعم لديموقراطية مبنية على مركزة للآراء السديدة، نعم لهذا المبدأ: " المركزية الديموقراطية" و ينبغي أن نحترم دوما طرفيه المتناقضين.

إن أصحابنا ينكرون هذا المبدأ كما حللنا ذلك من قبل. إذن فلا نغالط أنفسنا، إنهم يدعون ببساطة إلى"ديموقراطية" التي تعني النقاش الواسع و الموسع و الذي لا يمكن أن يخلص إلى أي نتيجة.

هل يمكن تحقيق هذا المبدأ: "الديموقراطية"؟ في اعتقادي نعم إذا توفرت الشروط التالية:

الشرط الأول: العلنية، لأن ديموقراطية تعني النقاش المفتوح الذي لا يعلم أحد متى يقفل بابه في غياب أداة منظمة ينكرها أصحاب التوضيح و يدعون لحلها.

ماذا تفترض العلنية؟ عملا شرعيا بلا شك.

هل يفكر أصحابنا في هذه " الديموقراطية" خاصة في ظروف بلادنا، اللهم إذا حصروا عملهم الثوري داخل النقابات الحالية، أو حشروا أنفسهم في نقاشات الصالونات، لأن عملا سياسيا ثوريا يعرفون ربما أن النظام يناهضه، فكيف يسمح هذا النظام لمناضلين ثوريين بالتحرك علانية و في نيتهم بناء حزب طبقي يشكل عدوه المباشر. نظن أن الأمر لا يحتاج إلى تعليق.

الشرط الثاني : الديموقراطية تفترض أصلا، كمبدأ بورجوازي، مسألة الانتخاب، نتساءل من سينتخب من و لماذا؟ كيف يكون هذا في ظروف المحاصرة الدائمة للطبقة العاملة.

لا نريد أن نذهب في النتائج المنطقية لطرح هاتين القاعدتين فقد نصل إلى" ما لا تحمد عقباه" النظرية و العملية، لكننا نسجل بأن هذا النوع الذي يريده أصحابنا من المنظمات لن يكون غير "مجمع للحكماء" يرفض المبادئ الفعلية لنجاحات البروليتاريا يجردها من أسلحتها الناجعة و أهمية التدرب عليها و ممارستها، لهزم أعدائها و قيادة نفسها و المجتمع. إن ضرورة منظمة ماركسية- لينينية ينبغي عليها لكي تحقق شعار"صلبة و راسخة جماهيريا" أن تتمرس من خلال النضال و الاندماج بالبرولتاريا و بطلائعها المتقدمة و الواعية لبناء"أنوية" أولى لحزب البروليتاريا المغربي.

و خلاصة نقول: إن أصحاب التوضيح حينما يعتبرون بأن إعادة بناء المنظمة، أو أي منظمة أخرى في صفوف الحملم، هي عملية غير مطروحة لأنها تعرقل تقدم وعي البرولتاريا، و المطروح بالتالي على كل المناضلين الثوريين هو حل هذه التنظيمات و النزول إلى الطبقة

العاملة للاندماج في طلائعها، حينما يقولون هذا يتناقضون عندما يطرحون مجموعة "مبادئ" خاصة تنظم هذا العمل. و هم بذلك على مستوى التنظيم يقدمون مفاهيم غريبة عن الماركسية-اللينينية، مفاهيم تجسد الفوضية في ميدان العلاقات. إن هذا الفهم لن يعمل إلا على تقديم البروليتاريا هدية إلى أعدائها الطبقيين في نهاية المطاف، مهما كثر الحديث عن الحزب البرولتاري.

إن الرؤية لتكتمل لدينا:

- تقديس العفوية العمالية و الركوع أمامها باندهاش.
- اعتبار البروليتاريا ستبني حزبها لوحدها و هي قادرة على ذلك.
- لا ضرورة للمبادئ اللينينية في التنظيم ما دام الحزب لم يوجد.

تلكم هي خصائص تلك النظرة التي عملنا على نقدها في النقط المعالجة في هذا الرد. و إننا لنواجه خطر هذه الطروحات في صفوف الحركة العمالية المغربية، خطر الفوضوية و العفوية و الاقتصادوية. علينا أن نحارب هذه المفاهيم التي تجد أرضيتها الخصبة في واقع التفكك و ضعف القوى الثورية المغربية عموما في وقت تتقدم فيه نضالية الطبقة العاملة على رأس نضال مجموع الشعب و تطرح في ظروف القمع و الإرهاب مهمة شاقة على الثوريين الحقيقيين.

تعرض التوضيح لمسألتي الوحدة بين فصائل الحركة الماركسية- اللينينية و مسألة الصحراء الغربية كذلك. و فيما يخص المسألتين، أعتبر أن عددا من وثائق المنظمة تجيب عليها باستفاضة خاصة في أرضية المهمات المستعجلة.

و يمكن أن أطرح خاتمة لهذا الردعلى طروحات أصحاب التوضيح. إن الرد كان هدفي منه هو إبراز خطأ هذه الطروحات في نقط محددة تعد حساسة في الوضع الحالي لحركة ثورية ماركسية-لينينية مغربية، هذا من جهة، و من جهة ثانية الرغبة في المساهمة في الصراع الديموقراطي بين كل اللذين لا يزالون مقتنعين بالبروليتاريا و حتمية انتصارها، و خاصة بالنسبة لمناضلين مثلي في"إلى الأمام"، يسعون إلى

تفهم الخلافات الدائرة في صفوف الثوريين، و بين منظمتهم و خصومها السياسيين من انتهازيين من كل التلاوين، و ذلك بغية الفعل في الصراع و تشكيل قناعات على أساسه، قناعة مشتركة داخل منظمتنا.

إن القضايا التي تم التركيز عليها في هذه المحاولة المتواضعة، عمدت إلى أطروحات داخل التنظيمات الماركسية- اللينينية المغربية و على رأسها "إلى الأمام"، و اعتماد تحليل حاولت إبراز أسسه النظرية بتحديده بالاقتصادوية، حيث يرى أن مهمة الثوريين الحالية هي النزول إلى الطبقة العاملة، و اعتبار مهمة بناء الحزب هي مهمة البروليتاريا و انطلاقا من واقعها المادي لوحده، هذا الواقع الذي سيدفع بها إلى بناء الحزب، و ما على الثوريين إلا الاندماج بطلائعها. و لقد حاولت ما أمكنني تبيان أن هذا الفهم هوانحراف و ضرب لرصيد المنظمة الكفاحي و لتجربة البروليتاريا العالمية و عدم فهم لطبيعة و أهمية دور إعادة بناء منظمة صلبة و راسخة جماهيريا و ما هي حدود العملية و أهدافها.
و من جهة ثانية، و على المستوى السياسي ينظر أصحاب التوضيح للعفوية، إذ أن هذا الحزب البروليتاري سيترعرع أو ربما سيبزغ من نضال البروليتاريا الاقتصادي لوحده، مركزين ذلك في مقولة "البروليتاريا هي التي تخلق حزبها".

إن هذه النظرية العفوية، هي تجسيد سياسي للنظرية الاقتصادوية في فهم الواقع المعقد في بلادنا، و الذي تتشابك خيوطه و تتداخل، فيها واقع الطبقة العاملة المضطهدة و إمكانيات وعيها الحسي بذلك، و الإديولوجية البورجوازية الصغيرة التي تريد لها البقاء في حدود سقف النضال الاقتصادي لا غير، الشيء الذي لا يجعل البروليتاريا تسير في اتجاه الوعي الذي يريد لها أصحاب البيان، بقدر ما يتخلف هذا الوعي في غياب منظمة ثورية من المحترفين الثوريين تجعل على عاتقها مهمة الرفع من وعي البروليتاريا إلى مستوى الوعي الحزبي وعيا طبقيا في النهاية.
إن تأكيدي هنا على نظرتهم العفوية لن يخدم في النهاية إلا البورجوازية كما أوضحت في الرد.
و على المستوى التنظيمي تسود مفاهيم الفوضوية، حيث ينكر أصحاب التوضيح أهمية المبادئ اللينينية في التنظيم، من مركزية ديموقراطية و انضباط و تربية على العلاقات الحزبية، و يطرحون بدائل في العلاقات غامضة و منحرفة، تبين أبسط ما تبين، خوف البرجوازيين الصغار الذين عجت بهم تجربة المنظمة والحركة من الانضباط. إن فهما فوضويا في ميدان التنظيم هو ضرب لأهم مكتسب بيد البروليتاريا و سلاحها القوي، رغم الحديث العام عن أهمية الحزب و دوره في التوضيح.

وعلى مستوى أساليب العمل حسب التوضيح، هو سيادة التجريبية كما أوضحت ذلك في نقد الأسس و العلاقات التي يتصورها أصحابنا بين" المثقفين الثوريين".

إن كل هذه الأطروحات تصب في اتجاه تصفية الرصيد الكفاحي للمنظمة*، و رد فعل برجوازي صغير على العلاقات التي عرفتها تجربة المنظمة و الحركة عموما. و هي انحراف في صفوف من يريدون فعلا العمل داخل الحركة العمالية المغربية، و خدمة أهدافها الاستراتيجية و المرحلية.

* . بعد بحث دقيق و مضني تعذر علينا إدخال هذا الفصل ضمن سياق الوثيقة، و هو بالمناسبة جزء أصيل منها لكنه غير مكتمل إما لضياع بقيته أو ربما لعدم اكتماله، و احتراما للأمانة الفكرية قررنا نشره هنا كملحق بعدما تأكدنا أن جل النقط المسطرة في بدايته قد تم التطرق لها في الوثيقة، ما عدا هذا الجزء الخاص بالمركزية الديموقراطية الغيرالكامل، وعليه ارتأينا أن نضعه كملحق للوثيقة تعميما للفائدة واحتراما للنزاهة الفكرية.

الملحق

علاقات جديدة بديلا عن المركزية الديموقراطية

في الجزء الثاني من التوضيح نجد النقط التالية:

1-المركزية الديموقراطية. 2-إعادة البناء. 3-الوحدة. 4-الصحراء.

و هذه النقط لا يعتبرها التوضيح متجليات لأزمة الحملم على عكس ما فعل بيان يونيو، و لذلك فهو يوضح الأسس التي جعلت أصحابه لا يرون هذه المتجليات قائمة، و من جهتي أناقش ما أجد نفسي في تعارض معه.

1-المركزية الديموقراطية:

يقول التوضيح: "...و رغم الغموض الذي يحيط بالتطورات التي عرفها هذا المبدأ على مدى تجربة الحركة الشيوعية العالمية، فإنه يبقى مبدءا لينينيا قام على أساسين هما:

- الضرورات التي تفرضها شروط النضال السياسي الثوري للبروليتاريا ضد أعدائها الطبقيين.
- التجسيد للعلاقات البروليتارية داخل التنظيم الحزبي للبروليتاريا..."

أعقب على هذا الأمر: يعرف رفاقنا ربما أن لينين وضع اللبنات الأولى لهذا المفهوم الذي يعتبره أصحابنا مبدأ للعلاقات البروليتارية منذ عام 1902، و يعرف رفاقنا بأن جماعة الإسكرا بل و الحزب الاشتراكي الديموقراطي ليسوا كلهم بروليتاريين منذ ذلك الحين، و مع ذلك، كانت هذه العلاقات.هذه مجرد ملاحظة بسيطة. يضيف التوضيح: " لهذا فالمركزية الديموقراطية لا يمكن اختزالها أو ممارستها من خلال بضعة قوانين جامدة و ثابتة أوعلى شكل وصفات جاهزة تطبق وفقا للرغبات الذاتية للأفراد أو التنظيمات، و إنما هي مبدأ له مضمون سياسي و إيديولوجي طبقي قبل أن يكون مبدءا تنظيميا، و لا يمكن

و أسجل في النهاية، بأن هذه المساهمة المتواضعة جدا قد يكون فيها من الثغرات هي الأخرى الشيء الكثير، ولكني آمل أن تكون بقدرها الضئيل حبة زيت في فتيل الصراع السياسي و الإديولوجي الديموقراطي الهادف لتقديم مسيرتنا الثورية.

مناضل

تطبيقها حتى وسط الطليعة البروليتارية إلا في مستوى متقدم من تطور الحركة العمالية و نضالها السياسي الثوري و تقدم مستوى وعيها الطبقي.. نحن أيضا نعتبر بأن المركزية الديموقراطية ليست مبدءا تنظيميا، كما نعتبرها إفرازا من إفرازات نضال البرولتاريا عبر تاريخها النضالي، و هي كذلك إحدى المكتسبات الجوهرية لأي عمل سياسي شريطة تجسيدها الحي والخلاق في واقع الممارسة النضالية. و هي قبل كل هذا ذات مضمون طبقي، فهي تجد أسسها المادية في المزايا التاريخية التي تكتسبها الطبقة العاملة من نمط حياتها الإنتاجية و دورها في علاقات الإنتاج، تلك المزايا التي تقوم على:

-العمل الجماعي و تقسيم العمل الذي يعني الابتعاد عن الفردية و ما يخلقه من أنانية و فردية و فوضوية.

-الوحدة المتزايدة باستمرار للمصالح النهائية للبروليتاريا و التماسك الداخلي بين صفوفها لمواجهة الاستغلال الطبقي الذي يقوم به أعداؤها الطبقيين.

-الانضباط الصارم و روح المثابرة و الصبر و طول النفس الذي يميزها كطبقة لها مصلحة قصوى في الثورة،نظرا لكونها في مواجهة دائمة مع المستغلين و المضطهدين.

هكذا نرى المركزية الديموقراطية. هل طبقنا بشكل سديد المركزية الديموقراطية في تجربتنا كمنظمة؟ أجيب ب "لا" إننا لم نتعامل مع المركزية الديموقراطية بشكل حي و خلاق في واقع التجربة. فالمركزية انطلقت من منطلق صحيح هو وحدة الفكر و الممارسة و الإرادة داخل المنظمة، و لكن مارسنا هذا المنطلق بطريقة و أساليب خاطئة. فالوحدة ظلت بالنسبة لنا داخل المنظمة قائمة بطرد التناقض وطمس طابعه الجوهري، فعملنا في الممارسة على بناء منظمة مبنية على الفكر الوحيد. و اليوم ندرك بمزيد من العمق أن شرط الوحدة الصحيحة داخل المنظمة يفترض المركزية الديموقراطية..

الجزء الرابع

ملف جماعة نظرية "العوالم الثلاث"

نظرية "العوالم الثلاث": الوضع الدولي والإقليمي والمحلي *

*** ملحوظة: نظرا لأن الوثيقة لم تكن أصلا تتوفر على عنوان، فعنوان الوثيقة من وضع الموقع.**

هذه الوثيقة تنتمي إلى الحقبة الأولى من الثمانينات من القرن الماضي، و قد برزت كوجهة نظر تعبر عن موقف أصحابها الذين عدلوا الخط الإديولوجي لمنظمة "إلى الأمام" و الحملم. و الوثيقة لم تكن معدة أصلا للنشر، و لم يسبق أن نشرت، إضافة إلى كون أصحابها ظلوا مجهولي الهوية إلى يومنا هذا ، نظرا للكتمان التام الذي أحاطوا به توزيع الوثيقة، لكن وجود الوثيقة حقيقة تاريخية مؤكدة، من أكثر من مصدر، ثم أننا اعتمدنا نسخة أصلية مكتوبة بخط يد أصحابها، و ننشرها هنا خدمة للحقيقة و التاريخ.

في مجرى الصراعات التي عرفتها منظمة "إلى الأمام" و الحملم، نهاية السبعينات – بداية الثمانينات، لم تحتل وجهة نظر هذه، دورا بارزا في الصراعات السياسية و الإديولوجية الداخلية، التي طبعت الفترة، و ظلت وجهة نظر أقلية، ظل أصحابها مجهولي الهوية، و يعود ذلك لعدة أسباب:

- **أولها** أن الاتجاهات التحريفية داخل الحملم، و داخل منظمة "إلى الأمام" كانت قد بدأت توجه نظرها نحو الاتحاد السوفياتي، بشكل محتشم منذ منتصف السبعينات، تحت شعار "الاتحاد السوفياتي حليف تكتيكي لحركات التحرر العربية "(دشنت هذا المسار "الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين" و منظرها نايف حواتمة ...)، و وجدت هذه الأطروحة صدى داخل الحملم، و خاصة لدى منظمة "23 مارس"، بينما كانت بعض العناصر القيادية داخل منظمة "إلى الأمام" ترددها منذ 1974 (مثال المشتري بلعباس ...) و بشكل سافر بعدما أصبحت أدبيات "الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين" و"الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، تتكلمان عن الاتحاد السوفياتي و المنظومة الشرقية كبلدان اشتراكية، و بطبيعة الحال كان لهذا تأثير كبير على منظمة "23

I- الوضع الدولي

1- -شهد العالم منذ الستينات تغييرات أدت في مجملها إلى انقسامه إلى ثلاث عوالم.

مارس"، بينما تطلب الأمر وقتا لابأس به ليصبح مجموعة من قيادي "إلى الأمام" يتغنون بالاتحاد السوفياتي كدولة اشتراكية، و قد حصل هذا في ظروف خاصة، أهمها قطع القيادة الجديدة للمنظمة، التي أشرفت على ما سمي بمسلسل "إعادة البناء" مع الخط الإديولوجي السابق لمنظمة "إلى الأمام" (الماركسية – اللينينية خط ماو) الذي أصبح الماركسية – اللينينية فقط، قبل أن تحذف اللينينية هي الأخرى لتصبح "الماركسية" فقط خطا إديولوجيا للمنظمة.

لقد كانت التطورات التي كان يعرفها "الاتحاد السوفياتي" بداية الثمانينات، خاصة بعد وفاة برجنيف ، و التي مست تولية منصب الأمين العام للحزب الشيوعي بالاتحاد السوفياتي، من طرف شيوخ المكتب السياسي للحزب قد بدأت تحرك اهتمام المعتقلين السياسيين بالسجن المركزي. و قد كانت تولية أندروبوف في 12 نونبر 1982 منصب الأمين العام للحزب، بداية اهتمام خاص من طرف بعض قادة "إعادة البناء" بما يجري في الاتحاد السوفياتي.لكن الرجل لم يعمر طويلا في منصبه، فقد توفي بعد 16 شهرا من توليته، ليخلفه شيخ آخر هو شيرينكو الذي بدوره لم يستمر طويلا حيث توفي هو الآخر، لكن سيزداد الاهتمام بما يجري في الاتحاد السوفياتي مع صعود ميخائيل غورباتشوف، الذي راهن عليه الكثيرون، من بينهم التحريفيون الجدد داخل منظمة "إلى الأمام" بقيادة أبراهام السرفاتي، و ازداد الاهتمام بما يسمى ظاهرة غورباتشوف التي روج لها الغرب الامبريالي كثيرا، الذي كان يعرف صعودا قويا للريغانية و التاتشيرية، و استطاع غورباتشوف بعد طرحه لبرنامجه بمدينة لنينغراد في يونيو 1985، ثم بعد ذلك خطابه في سمولني الذي أعلن فيه "علينا إعادة بناء أنفسنا" التي عرفت بالبيريسترويكا، التي لا زمها أيضا شعار الكلاسنوست التي تعني الشفافية، أي إعادة البناء في إطار الشفافية، للتأكيد على حرية التعبير. هكذا قاد غورباتشوف الاتحاد السوفياتي تحت شعارات الإصلاح الاقتصادي و الاجتماعي من أبريل 1985 إلى 25 دجنبر 1991 تاريخ تقديمه استقالته بعد انقلاب يلتسين، إلى السقوط النهائي.

شكلت الغورباتشوفية فترة انتعشت فيها التحريفية داخل منظمة "إلى الأمام" و برز أبراهام السرفاتي كمنظر رئيسي لذلك، حيث كان يعتبر أن الطبقة العاملة السوفياتية قد استعادت، بمجيء غورباتشوف، قيادة الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي، و كان يرى أن أوربا الشرقية ستتأثر بذلك، و أعلن أبراهام السرفاتي أنه بصدد إعداد كتاب جديد (لم يعرف النور كما هي وعوده دائما) للبرهنة على هذا التحول الجديد. و في هذه الفترة، انتشرت الرسائل الموجهة إلى غورباتشوف و القيادة السوفياتية.

2- العالم الأول يتشكل من القوتين الأعظم، الولايات المتحدة و الاتحاد السوفياتي، و هما يتنافسان من أجل الهيمنة على العالم، و هما العدوان الرئيسيان لجميع بلدان و شعوب العالم، بما فيها شعوب الاتحاد السوفياتي و الولايات المتحدة.

- الاتحاد السوفياتي: منذ ارتداد الحزب و الدولة في الاتحاد السوفياتي عن الماركسية-اللينينية، بدأت الرأسمالية الاحتكارية للدولة تحل تدريجيا محل الدولة الاشتراكية، و بدأ النظام يتحول من دكتاتورية للبروليتاريا إلى دكتاتورية على البروليتاريا و باقي شعوب الاتحاد السوفياتي، يمارس سياسة الهيمنة و التوسع و العدوان و تحول إلى بلد امبريالي – اشتراكي أي اشتراكي في الظاهر، و امبريالي في الباطن. و لقد

و بعد هذه الحركية النشيطة للتحريفيين الجدد، ستحل فترة الإحباط بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، و سيعلن التحريفيون الجدد قطيعتهم مع اللينينية باعتبارها المسؤولة تاريخيا عن سقوط التجارب الاشتراكية.

إن هذا اللغط كان في حقيقته تغطية لجوهر الصراع الدائر آنذاك بالاتحاد السوفياتي، بين اتجاه رأسمالية الدولة و اشتراكية السوق المرتبط بالبيروقراطية الحزبية و الدولة، و اتجاه التحول النهائي إلى اقتصاد السوق، والتخلي عن اليافطات الاشتراكية و غيرها، و مع يلتسين انتصر الاتجاه الثاني، الشيء الذي أدى إلى التفكك النهائي للاتحاد السوفياتي، حيث أعلنت الامبريالية العالمية كذبا و زيفا عن سقوط الاشتراكية، الشيء الذي تلقفه التحريفيون الجدد و اعتبروه حقيقة ثابتة، ليشرعوا في مراجعاتهم التاريخية التي قضت على منظمة "إلى الأمام" و خطها الثوري.

- **ثانيها،** كانت الحملات الامبريالية ضد الاشتراكية قد بدأت تجد تأثيرها وسط المعتقلين السياسيين بالسجن المركزي بالقنيطرة، و نسوق في هذا الصدد، مثال كتاب "أرخبيل الغولاغ" لصاحبه ألكسندر سولجنستين، الذي طبلت له أبواق الدعاية الغربية بشكل واسع، و قد تطرق هذا الكتاب إلى ما أسماه بواقع معسكرات الاعتقال بالاتحاد السوفياتي، التي تلخصها كلمة "كولاغ" التي تعني "المديرية الرئيسية لمعسكرات العمل" و تدل كلمة أرخبيل على وجود هذه المعسكرات في مناطق مختلفة من الاتحاد السوفياتي. طبع الكتاب في باريس سنة 1973 و دخل السجن المركزي حوالي 1978 -1979. حظي هذا الكتاب باهتمام بالغ من طرف المرتدين و العناصر التحريفية الجديدة، لكونه كان هجوما قويا على تجربة البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي من 1917 إلى 1956 . و سيتبين فيما بعد، خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، و فتح أرشيف المعسكرات و المخابرات، أن المعطيات الحقيقية تكذب ادعاءات سولجنستين، و تبين مدى تأثير الدعايات الغربية الكاذبة حول الاتحاد السوفياتي إبان المرحلة الستالينية، و قد صدرت في هذا الصدد العديد من الإحصائيات و الدراسات بالأرقام تكذب تلك الادعاءات.

- **ثالثا،** كانت الأطروحات الأوروشيوعية، هي الأخرى قد بدأت تجد طريقها للتأثير داخل معتقلي السجن المركزي، و من المعلوم أن تلك الأطروحات قد تجمعت حولها مجموعة من الأحزاب الشيوعية التحريفية في أوربا الغربية، و نعني الحزب "الشيوعي" الإسباني، و الحزب "الشيوعي" الإيطالي و الحزب "الشيوعي" الفرنسي ، و قد لعب كتاب "الأوروشيوعية و الدولة" لصاحبه الكاتب العام للحزب "الشيوعي" الإسباني "سانتياغو كاريو" دورا بارزا في هذا الإطار، و قد تخلت الأحزاب المعنية عن المفاهيم الأساسية للماركسية اللينينية مثل دكتاتورية البروليتاريا و غيرها، بل ذهب "أنريكو برلنغر" السكرتير العام

أدى ذلك إلى تفكك المنظومة الاشتراكية التي قامت بقيادة الاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية، و ظهر تيار تحريفي على صعيد العالم مركزه الاتحاد السوفياتي، و تعتبر الإمبريالية الاشتراكية أكثر خطورة و مكرا، فهي امبريالية ناهضة و هي اليوم في موقع هجوم على الامبريالية الأمريكية، و هي تعمل على تعويض ضعفها الاقتصادي النسبي، بالاعتماد أكثر على قدرتها العسكرية و على قدرتها على التضليل باستعمالها القناع " الاشتراكي".

للحزب "الشيوعي" الإيطالي في استجواب له سنة 1981 إلى حد الإعلان عن "أن القوة التقدمية المنبثقة من ثورة أكتوبر قد استنفذت نهائيا".و نعلم مصير تلك الأحزاب التي تفككت و انتهت تاريخيا.

رابعا، لم يكن لنظرية "العوالم الثلاث" أن تنتشر لأن الاتجاه العام داخل المعتقلين السياسيين في السجن المركزي في بدايته، خلال 1976 و 1977 و 1978 كان قد أدان العملية الانقلابية التي قادها هواكيوفينغ و دينغ سياو بينغ في الصين بعد موت ماو تسي تونغ في 9 شتنبر 1976، و قام قادة الانقلاب، و هم تحريفيون معروفون، باعتقال قادة التيار الثوري داخل الحزب الشيوعي الصيني، الذين سيطلقون عليهم اسم "عصابة الأربعة"، التي وجد فيها الإعلام الغربي هو الآخر ضالته، و القادة الأربعة هم: جيانغ جينغ، زوجة ماو وعضوة المكتب السياسي للحزب ، زانغ تشونكيياو عضو اللجنة الدائمة للمكتب السياسي ، ياو وين يوان عضو اللجنة المركزية، و وانغ هونغ وين نائب رئيس الحزب، و قد تم اعتقال هؤلاء و الآلاف من الأطر الثورية للحزب الشيوعي الصيني، والزج بهم في السجون و المعتقلات، و قد تجرأ قادة الخط التحريفي للحزب الشيوعي الصيني، على تقديم هؤلاء إلى المحاكمة في نونبر 1986 بتهمة تفجير و التحريض على الثورة الثقافية البروليتارية في الصين، في الفترة الممتدة من 1966 إلى 1976، و قد أصدرت المحكمة الحكم بالإعدام على قادة الخط الثوري الذين رفض جلهم تقديم الاعتذار و التوبة عن مواقفهم، و قد تميزت في هذا الإطار زوجة ماو، جيان جينغ، التي أعلنت السلطات عن إصابتها بالسرطان، ثم بعد ذلك ادعت أنها انتحرت بزنزانتها، و لم يكن مصير الآخرين أحسن حالا، حيث تم الإعلان عن موت وانغ هونغ وين بالسجن سنة 1992، بينما تم الإعلان عن موت زانغ تشونكيياو مصابا بالسرطان سنة 2005، بينما تم الإعلان عن موت ياو وين يوان في أبريل 2005 مصابا بداء السكري.

لقد كان لكتاب "حول بعض القضايا لصين ما بعد ماو" لشارل بتلهايم دورا حاسما للاطلاع على التحولات التي عرفتها الصين بعد موت ماو و انقلاب هواكيوفينغ.

و من المعروف أن نظرية "العوالم الثلاث" قد تم تقديمها إلى العالم لأول مرة، على شكل خطاب قدمه دينغ سياو بينغ باسم الصين في الأمم المتحدة سنة 1974. و يناقض التحليل المقدم عن التناقضات في العالم كل ما عرفته الحركة الشيوعية العالمية منذ ثورة أكتوبر، و ذلك في مجال تحديد التناقضات الأساسية لعصرنا، التي يمكن إجمالها في:

* تناقض بين البرجوازية و البروليتاريا في البلدان الرأسمالية.

- الولايات المتحدة: استطاعت الامبريالية الأمريكية أن تسود العالم الرأسمالي، و ذلك بسبب قدرتها الاقتصادية و العسكرية، و قد حاولت تنفيذ مخططات عدوانية و توسعية في عدة بقاع من العالم، إلا أنها جنت هزائم كثيرة و متوالية، خاصة في جنوب شرق آسيا مما أدى إلى تصعيد النضالات الجماهيرية داخل الولايات المتحدة نفسها.

و ساعدت كل هذه الأوضاع على دخول أوربا الغربية بالإضافة إلى اليابان في منافسة الولايات المتحدة، و نتيجة لكل هذا، احتدت أزمة الامبريالية الأمريكية في عدة مجالات، من أزمة النفط إلى أزمة النقد إلى الأزمات الاجتماعية الأخرى، و تعمل الولايات المتحدة اليوم جاهدة على الحفاظ على نظام العالم القديم، و على علاقات الاستغلال التي تربطها بعدة دول، و ذلك بمحاولة الظهور بمظهر المدافع عن حقوق الإنسان، و بشكل إجمالي فإنها تحتل اليوم مواقع دفاعية بالنسبة للامبريالية الأخرى. إن كلتا القوتين العظميين تتنافسان حول الهيمنة على العالم، و تتحدثان عن الانفراج، في الوقت الذي تعملان على تقوية قدراتهما الاقتصادية و العسكرية، استعدادا للحرب، و محور صراعهما اليوم هو أوربا، و من تطويقها يحتد الصراع بينهما على مراقبة مناطق الشرق الأوسط و الخليج العربي و إفريقيا.

---

* التناقض بين الدول الامبريالية و الشعوب و الأمم المضطهدة.
* التناقض بين مختلف الدول الامبريالية.
* التناقض بين الاتحاد السوفياتي الدولة الاشتراكية و الدول الامبريالية.

بعد الحرب العالمية الثانية حصل تعديل للتناقض الرابع الذي أصبح تناقضا بين المعسكر الاشتراكي و المعسكرالامبريالي. ثم بعد موت ستالين و انتصار التحريفية في الاتحاد السوفياتي، حصل تعديل جديد في التناقض الرابع ليصبح تناقضا بين الدول الاشتراكية من جهة و الدول الامبريالية و الاشتراكية الامبريالية من جهة أخرى.

و دون الخوض في أسس هذه النظرية، يمكن القول بأنها تحريفية و مخالفة للتحديد الجوهري الماركسي اللينيني للتناقضات الأساسية في العالم.

و عموما، قدمت الوثيقة التي ننشرها لأول مرة مجموعة من الأطروحات مقسمة على الشكل التالي:

ست أطروحات في الجزء الأول المتعلق بالوضع الدولي، و ثلاث أطروحات في الجزء الثاني المتعلق بالوضع العربي، أما الوضع المحلي (الجزء الثالث) و بعد تقديم حول الهيمنة الامبريالية، و طبيعة نمط الإنتاج السائد ببلادنا، كنمط إنتاج رأسمالي تبعي ، فقد ضم مجموعة من الأطروحات حول البورجوازية الكومبرادورية، و طبقة الملاكين العقاريين، و القوة الوسطية (البورجوازية المتوسطة) و الطبقات الثورية (البورجوازية الصغيرة، أشباه البروليتاريا، الطبقة العاملة، الجنود و ضباط الصف) ثم المنظمات الجماهيرية و التعبيرات السياسية للطبقات الثورية .

3- نضالات العالم الثاني و الثالث ضد الهيمنة و العدوان و كل أشكال العدوان:

- بلدان العالم الثاني و تضم أوربا الشرقية و الغربية و كندا و اليابان و نيوزلندا و أستراليا، فهي ذات طبيعة مزدوجة، فهي من ناحية تضطهد و تستغل بلدان العالم الثالث، و من ناحية أخرى تعاني من سيطرة و استغلال القوتين الأعظم، و توجد داخل هذه الدول و بنسب مختلفة، بعض نزعات الحفاظ على الاستقلال و السيادة، و التخلص من مراقبة و سيطرة القوتين الأعظم.

- بلدان العالم الثالث، و تضم خصوصا بلدانا من آسيا و إفريقيا و أمريكا اللاتينية (أكثر من 70% من سكان العالم). لقد أحرزت غالبية هذه الدول على استقلالها في إطار الكفاح التحرري الوطني، إلا أنه ما زال أمامها أن تستكمل استقلالها الاقتصادي منه على الخصوص، و على هذا السبيل فهي تواجه اليوم خطر الاستعمار الجديد، و خاصة من جانب الامبريالية الأمريكية و الامبريالية السوفياتية، حيث تحاول كلتاهما في إطار تنافسهما نهب خيرات العالم الثالث و مراقبة الموارد و المواقع الاستراتيجية، لضمان التفوق الاقتصادي و العسكري، و في مواجهة ذلك، تعتبر بلدان العالم الثالث اليوم، القوة الرئيسية في النضال ضد الهيمنة و الامبريالية.

4- النضال التحرري للشعوب و الأمم المناضلة:

تخوض شعوب و أمم العالم المضطهدة نضالا ثوريا، من أجل التحرر الوطني من كل أشكال الاستغلال الاقتصادي، و الاضطهاد القومي و الثقافي، و من أجل حق كل شعب في تقرير مصيره و بناءالدولة المستقلة، و تناضل شعوب العالم ضد بقايا الاستعمار القديم، و ضد الهيمنة الامبريالية و يدخل نضال شعوب فلسطين و زيمبابوي و ناميبيا...الخ في هذا الإطار.

5- النضال الثوري للبروليتاريا العالمية:

تقود الحلقات و المنظمات و الأحزاب الماركسية-اللينينية في عدة أقطار من العالم، نضال البروليتاريا و حلفائها ضد الامبريالية و الامبريالية الاشتراكية و عملائها، و ضد كل الرجعيين و الانتهازيين من أجل التحرر الوطني و الديموقراطية و بناء الاشتراكية و الشيوعية ، و يتم ذلك انطلاقا من المبادئ الثورية للماركسية-اللينينية المرتبطة بالواقع الملموس لكل بلد، و اعتمادا على أوسع الجماهير الشعبية، و تخوض البلدان الاشتراكية النضال من أجل الاستقلال الوطني في الداخل، و قيادة نضال دول و شعوب العالم ضد هيمنة القوتين الأعظم، في إطار جبهة متحدة على صعيد العالم.

6-إن التناقض الرئيسي في عالمنا المعاصر، هو بين دول و شعوب العالم من جهة و القوتين الأعظم من جهة أخرى، و تعتبر دول و شعوب العالم الثالث، و ضمنها البلدان الاشتراكية القوة الرئيسية في النضال ضد الامبريالية الاشتراكية و الامبريالية.

II- الوضع العربي

لقد كانت الساحة العربية على مر التاريخ موضع أطماع المستعمرين من مختلف البلدان و الأقوام، و في كل مرة و في كل موقع كانت الأمة العربية تتصدى للغزو و تقاوم، و تقدم العديد من الشهداء في سبيل الاستقلال الوطني و الحرية و التقدم.

و في مطلع القرن العشرين، اجتذبت ثروات و أسواق و مواقع الوطن العربي، اهتمام الدول الرأسمالية التي دخلت مرحلة الامبريالية. و في كل مرة كان يحتد الصراع بينها من أجل اقتسام و إعادة اقتسام مناطق النفوذ في مختلف أجزاء الوطن العربي، هذا الوطن الذي كان و ما يزال من المواقع التي شهدت أعنف الصراعات نظرا لثرواته و أهميته الاستراتيجية و التاريخية.

و هكذا كانت فلسطين هدف الحركة الصهيونية التي توافقت مشاريعها الاستعمارية الاستيطانية مع مشاريع الامبريالية بالمنطقة، الامبريالية البريطانية سابقا و الأمريكية حاليا، و الهادفة إلى إيجاد قاعدة استراتيجية لها في المنطقة تضمن بقاء النفوذ الامبريالي.

إن الوضع الحالي في الوطن العربي يتميز بما يلي:

1- تمثل البلدان العربية جزءا لا يتجزأ من العالم الثالث، و هي بالتالي تعاني من تدخل و سيطرة القوتين الأعظم، بالإضافة إلى تهديد و عدوان القاعدة الصهيونية إسرائيل، كتعبير سياسي و قومي زائف، عن طموح البرجوازية المتوسطة و الصغيرة اليهودية الرافضة للاندماج في المجتمعات التي كانت تدفع بها نحو البلترة. و الفكرة الصهيونية من جهة أخرى حل رجعي للمسألة اليهودية، فإسرائيل باعتبارها تجسيدا سياسيا للفكرة الصهيونية، قد أقيمت على أنقاض الكيان الوطني للشعب الفلسطيني، و إسرائيل تشكل خطرا عنصريا استعماريا و توسعيا و استيطانيا على البلدان العربية، و خاصة منها الواقعة في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى كون إسرائيل تشكل رأس جسر الامبريالية الأمريكية في المنطقة، و تعمل القوتان الأعظم كل واحدة من جهتها، على إدخال البلدان العربية دائرة نفوذها سواء بالترغيب أو بالترهيب.

فالاتحاد السوفياتي باعتباره امبريالية صاعدة، ينافس الولايات المتحدة في البحث عن مناطق للنفوذ في الوطن العربي، و خاصة التي تتعرض للعدوان الصهيوني المباشر، معتمدا في ذلك على استغلال الصعوبات الاقتصادية و العسكرية على الخصوص التي تعاني منها البلدان العربية، و مؤامرات الامبريالية الأمريكية و تدخلاتها، و يستغل الاتحاد السوفياتي لافتة "الاشتراكية" و شعارات زائفة أخرى، لتنفيذ

مخططاته الامبريالية في المنطقة العربية، و يتجلى ذلك في تحركاته العسكرية و في الشروط السياسية التي يربط بها "مساعداته" للبلدان العربية، بالإضافة إلى تدعيم التيارات التحريفية داخل حركة التحرر الوطني العربية، ناهيك عن الفوائد الاقتصادية التي يجنيها من التبادل التجاري اللامتكافئ مع هذه البلدان.

أما بالنسبة للامبريالية الأمريكية، فإنها تعتمد في بسط سيطرتها على البلدان العربية، على قوتها الاقتصادية و على وجودها العسكري المتمثل في القواعد و الأساطيل، التي تحتفظ بها في عدة بقاع و في بحار المنطقة العربية، بالإضافة إلى التدخل المباشر الذي تضمنه لها القاعدة الصهيونية ... و تعمل الولايات المتحدة على تدعيم أكثر القوى رجعية و تخلفا في الوطن العربي، و خاصة البلدان المنتجة للنفط، و ذلك لضمان نهب الثروة العربية بأبخس ثمن، و تعمل الامبريالية الأمريكية أيضا على نشر الفكر الرجعي و"أسلوب الحياة الأمريكي" داخل الوطن العربي بشتى وسائل الدعاية و الإغراء... و ذلك لتثبيت سيطرتها و ترويج بضائعها و استثمار رؤوس الأموال في البلدان العربية.

بالنسبة للامبرياليات الأخرى، فرنسا و ألمانيا و اليابان و بريطانيا، فهي برغم احتلالها لموقع ثان بالنسبة للقوتين الأعظم على الصعيد العالمي، فهي ما زالت تحتفظ لها بمواقع نفوذ داخل الوطن العربي، بشكل تواجد اقتصادي و عسكري و ثقافي ...إن مجموع الدول اليوم، تتأرجح و بنسب متفاوتة مابين الخضوع لضغوط و هيمنة القوتين الأعظم و إسرائيل، أو لواحدة منهم أو للاثنين ... أو لأحدى الامبرياليات الأخرى (فرنسا على الخصوص) في الوقت الذي تتلاقى جميعها – و بنسب متفاوتة- في استغلال شعوبها و حرمانها من أبسط الحريات الديموقراطية.

إن طريق الاستقلال الحقيقي و صيانة سيادة الدولة بالنسبة لجميع تلك الدول، يمر عبر رفض كل أشكال الامبريالية و الهيمنة و الاستعمار الجديد، سواء من جانب القوتين الأعظم، أو إسرائيل أو الامبرياليات الأخرى، و إطلاق الحريات الديموقراطية داخل كل قطر عربي ، و إلغاء الحواجز المختلفة الفاصلة بين مختلف شعوب الأمة العربية، و التضامن مع باقي نضالات شعوب العالم الثالث، ضد الهيمنة و الامبريالية و الاستعمار الجديد، و من أجل السيادة و الاستقلال الوطنيين.

2- نضال الأمة العربية من أجل التحرير و الديموقراطية و الوحدة، و ضد الهيمنة و الاضطهاد و التجزئة:

حول هذه الشعارات يتمحور نضال الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، و داخل كل قطر عربي على حدى. و تأتي في طليعة هذا النضال حركة التحرر الوطني الفلسطينية، و هذا بارتباط مع كل الحركات الوطنية الديموقراطية المناضلة في مناطق الخليج العربي و البحر

الأحمر، و المغرب العربي و الشرق الأوسط، و المناطق المسلوبة كعربستان و الاسكندرونة وسفوح طروس و أنطاكية و مثلث هرمز و جزر الخليج العربي (طنب الكبرى و الصغرى و أبو موسى) و سبتة و مليلية و الجزر الجعفرية و إريثريا..

و تشمل الأمة العربية كل الفئات و الطبقات ذات المصلحة في التحرر و الاستقلال الوطنيين، و في وحدة عربية تقدمية و ديموقراطية، و تعتبر التنظيمات الجماهيرية و المعنية على الصعيد العربي خطوات متقدمة على هذا السبيل.

3- النضال الثوري للشعوب العربية:

و يشمل كل ذوي المصلحة في الثورة الوطنية و الديموقراطية الجديدة ذات الأفق الاشتراكي، و من أجل بناء المجتمع العربي الواحد و المجتمع الشيوعي، و يعتبر ميلاد المنظمات الماركسية-اللينينية في بعض البلدان العربية، خطوة هامة على سبيل إيجاد الأداة الثورية داخل كل قطر عربي أولا، و لقيادة النضال الوطني الديموقراطي و النضال الطبقي الشعبي ضد المستغلين المحليين في البوادي و في المدن.

إن التناقض الأساسي في الوطن العربي اليوم، هو ما بين القوتين الأعظم و إسرائيل و الامبرياليات الأخرى، و تشكل حركات التحرر الوطني العربي و المنظمات الماركسية-اللينينية العربية، الأدوات الرئيسية لقيادة نضال الأمة العربية من أجل الاستقلال و التحرر و الثورة.

أما التناقض الرئيسي في الوطن العربي حاليا، فهو ما بين الكيان الصهيوني و قوى الامبريالية و الهيمنة و خاصة منها الامبريالية الأمريكية من جهة، و البلدان العربية المناضلة من أجل الاستقلال و التحرر الوطنيين من جهة أخرى، و تشكل حركات التحرر الوطني و المنظمات الجماهيرية و الديموقراطية، و التنظيمات الماركسية-اللينينية العربية، الأدوات الرئيسية لهذا النضال.

III- الوضع المحلي

يشكل المغرب جزئا من الأمة العربية و من العالم الثالث، و هوحسب موقعه الاستراتيجي المطل على البحر المتوسط و على المحيط الأطلسي، و المتحكم في جانب من ممر طارق و القريب من أوربا، و أيضا بسبب خيراته البشرية و الطبيعية، فإنه كان و ما يزال هدفا لأطماع مختلف القوى الامبريالية.

لقد انتقل المغرب عبر مفاوضات "إيكس ليبان" إلى وضع جديد، يتراجع الاستعمار عن تواجده و سيطرته المباشرين في مختلف الميادين، إلى تواجد غير مباشر، خاصة في الميدان الاقتصادي، و هذا بواسطة طبقة محلية تخدمه و تشاركه في نهب و استغلال خيرات البلاد. و رغم خروج الاستعمار الفرنسي من البلاد، فإن الاحتكارات الفرنسية تأتي على رأس القوى الامبريالية المستفيدة من خيرات المغرب،

حيث أن لها عدة مصالح اقتصادية في عدة قطاعات، كالأبناك و الحديد و الكيمياء و الكهرباء و الالكترونيك، و تركيب السيارات و البناء و المواد الغذائية و المعادن و السياحة، هذا بالإضافة إلى التغلغل الثقافي المتمثل في طغيان اللغة الفرنسية في الإدارة و الإعلام و التعليم، إلى جانب الدعاية التي تباشرها أجهزة " البعثة الفرنسية" بمختلف الوسائل، كما أن فرنسا تعتبر مصدرا أساسيا من مصادر تسليح الجيش، ناهيك عن التواجد البشري المتمثل في العديد من " المتعاونين"، مدنيين و عسكريين، و كل هذا مضاف إليه استغلال اليد العاملة المهاجرة.

و تأتي الولايات المتحدة في الدرجة الثانية من حيث المصالح الاقتصادية و غيرها التي تستفيدها من المغرب، و المتمثلة على الخصوص في ميادين صناعة العجلات و الأبناك و بيع اللحوم و بيع السلاح...و تقوم الولايات المتحدة إلى جانب ذلك، بممارسة الغزو الثقافي بواسطة مؤسسات متخصصة مثل "دار أمريكا".

و في إطار المنافسة بين القوتين الأعظم على الصعيد الدولي، فقد برز الوجود السوفياتي في المغرب في الميدان الاقتصادي بشكل كبير في المدة الأخيرة، و قد شمل أهم قطاع إنتاج اقتصادي في المغرب و هو قطاع الفوسفاط، بالإضافة إلى مصالح أخرى في قطاعات مختلفة مثل الصيد البحري و الحوامض...و إلى جانب ذلك يمارس الغزو الثقافي بنشر الإديولوجية الامبريالية الاشتراكية المنحرفة عن الماركسية – اللينينية، إما بشكل مباشر أو بواسطة عملاء محليين له.و بنسب أقل هناك تواجد إسباني و إيطالي و بولوني و تشيكي و ياباني و ألماني غربي و بريطاني ...و بالنسبة لإسبانيا و إيطاليا و ألمانيا الغربية و بريطانيا، فإنهم يقومون بنشاطات ثقافية كأحد أشكال التمهيد و المرافقة لوجودهم الاقتصادي، و تختص إسبانيا بكونها ما زالت تحتل جزءا من التراب الوطني (سبتة، مليلية و الجزر الجعفرية).

يلتقي كل هؤلاء الامبرياليين حول هدف واحد، هو نهب خيرات البلاد و النيل من استقلالها تحت غطاء "المساعدة" و "القروض"... و مقابل سياسة النهب الاقتصادي و الهيمنة و التدخل و على الخصوص من قبل فرنسا و القوتين الأعظم، نجد الأقلية الحاكمة في المغرب تنهج سياسة قوامها التنازل و المساومة حول استقلال البلاد و سيادتها، مما يشكل عاملا مشجعا لتلك القوى الامبريالية على مضاعفة جشعها و تقوية نفوذها داخل البلاد في شتى الميادين.

و تتجلى السيطرة الامبريالية على أهم خيرات البلاد في:

- تفكيك الاقتصاد الوطني و دمجه بالسوق الامبريالية.
- إمساك الرأسمال الامبريالي بأهم مقدرات الاقتصاد الوطني و التحكم في توجيهه.

فبعد تراجع الاستعمار في ميدان الملكية الفلاحية و بعض استثمارات التجهيز (السكك الحديدية، الماء و الكهرباء، و جزئيا القطاع الثالث بعد مغربته) حافظ على سيطرة الامبريالية في الميدان الصناعي و البنكي ، و ذلك بواسطة الاستثمارات أو القروض التي تمنحها الأبناك، أو مخالطة مؤسسات الدولة الاقتصادية، و تقوم المؤسسات العالمية و الدول الامبريالية عبر القروض و "المساعدات"، بدور المكمل لهذه السيطرة. و هذا ما يخول للقوى الامبريالية توجيه خطط الدولة و ربط الاقتصاد الوطني بالسوق الامبريالية، و يتجلى ذلك في سياسة التنمية المتبعة الأحادية الجانب كأولوية الفلاحة على الصناعة، و أولوية الصناعة الفلاحية و الاستخراجية على الصناعة الثقيلة، كما تتجلى في النشاط الاقتصادي الإنتاجي (الصناعة التقليدية، السياحة، المباني (العقار)، تشجيع سياسة التصدير، و تصدير المواد الخام و استيراد المواد المصنعة...).

و يشكل استمرار التواجد الامبريالي في المغرب، سواء على المستوى الفني أو العسكري أو الإداري أو الثقافي، الضمانة الأكيدة لاستمرار الهيمنة الامبريالية.

إن نمط الإنتاج السائد في المغرب، هو نمط إنتاج رأسمالي له خصائصه الناتجة عن التبعية للامبريالية، فهو نمط إنتاج تبعي، و في الوقت الذي نقر فيه أنه نمط إنتاج رأسمالي، فإننا لا نعني أن للمغرب صناعة مغربية أو نقصد أنه له قوانين رأسمالية صرفة، و لكن ما نقصد هو أن علاقات الإنتاج السائدة، تمتاز ببيع قوة العمل، التي جاءت لتعويض الأشكال القديمة للعمل، مثل التويزة و العمل الجماعي الذي كان سائدا في الجماعات القروية القديمة، و هكذا لم تبق إلا شيئا هامشيا ...و من هنا فإننا نقربأن العلاقات السائدة هي علاقات رأسمالية.

الطبقة السائدة

تتشكل الطبقة السائدة من طبقتين مندمجتين عضويا:

1) البورجوازية الكمبرادورية:

لقد قام الاستعمار بمساعدة الطبقة الإقطاعية في نموها على حساب الملكية الجماعية للفلاحين، و على حساب إمكانية تكون طبقة بورجوازية تنافسه اقتصاديا و سياسيا، و بعد الاستقلال، كانت هناك طبقة إقطاعية قوية، نسبة للكومبرادور، الذي كان لايزال طبقة ضعيفة، تتمركز في التجارة، و لها جيوب في الفلاحة و الصناعة، و لكن توسع الدولة ساعد على توسيع الطابع الكمبرادوري للطبقة السائدة، و ذلك بتوسيع العلاقات الرأسمالية الكمبرادورية على حساب العلاقات الإقطاعية في الفلاحة.

و هكذا تم تحول الإقطاع إلى طبقة بورجوازية كومبرادورية زراعية، و هذا التغير غير موازين القوى داخل الطبقة السائدة، لصالح البورجوازية الزراعية، و ذلك عن طريق إدخال وسائل الإنتاج الحديثة في الزراعة، و تفويت الأراضي التي كانت بيد المعمرين إلى هذه الطبقة، إلى جانب ذلك، فإن الجانب الآخر من الطبقة الكمبرادورية، اتجه نحو القطاعات المربحة الخالية من المخاطر (الصيد البحري، التجهيز...) و حتى في هذا المجال تقدم الكمبرادور تحت حماية الدولة، بواسطة التسهيلات المالية و الضرائبية و القروض المالية و التجهيزات (قانون الاستثمارات سنة 1969 و سنة 1973)، و من خلال هذه التجربة الماضية، اتسعت نسبيا مصالح الكمبرادور(شركات مغربية خاصة، شركات مشتركة مع الدولة، شركات مشتركة مع الرأسمال الأجنبي) و ذلك في النسيج و المطاحن و الجلد و البناء و الأبناك و شركات التأمين و جزئيا في المواد الغذائية.

إن التوسع النسبي للكمبرادور خلال العشرين سنة الأخيرة، في نفس الوقت الذي يؤدي بالبورجوازية الوطنية إلى خسارة مستمرة، بمقارنة نموها مع نمو الاحتكارات، فإنه يضمن للبورجوازية المتوسطة إمكانية النمو المطلق، من حيث عدد المؤسسات و من حيث دورها الاقتصادي.

2) طبقة الملاك العقاريين:

تتجلى الملكية العقارية خصوصا في الزراعة، و هذه الملكية ليس كرأسمال فقط، و لكن كملكية عقارية تنمو في جميع المرافق، و بالخصوص في الزراعة، فهي تشمل مجمل الأراضي الشاسعة (الضيعات الكبيرة)، و توسعها يتم على الصعيد الأفقي بتوسيع الملكية، نزع أراضي الفلاحين الفقراء، أضف إلى ذلك المسائل الجارية كالبيع و الشراء و المضاربات.

سمة هذه الملكية أنها تتحول من ملكية إقطاعية و شبه إقطاعية، إلى ملكية عقارية بورجوازية أو شبه بورجوازية عن طريق الريع العقاري، باعتباره الفائض عن الربح المتوسط، و انتشار ممارسات السلعة ببيع و شراء (ميزة البرجوازية).

و يتحدد نمو الطابع البورجوازي لهذه الملكية، بالارتباط أكثر بأسلوب الإنتاج الرأسمالي. إن الظروف التي تشكلت فيها هذه الملكية العقارية البورجوازية الكبرى، جعلتها غير منفصلة اقتصاديا و اجتماعيا عن ملكية الرساميل، و السيادة المباشرة على علاقات الإنتاج، المالك العقاري يملك في نفس الوقت وسائل الإنتاج و الرأسمال، و يشرف بشكل أو بآخر على مراقبة الإنتاج، معناه أن نمو الطابع البورجوازي للملكية العقارية لا يرافقه بعكس ما وقع في البلدان الرأسمالية الأوربية نمو عقود الاستثمار الرأسمالي للملكية العقارية بين مالك وسائل الإنتاج –الرأسمالي- و المالك العقاري، و هذا كاتجاه رئيسي.

إن نمو الاحتكار العقاري و نمو طابعه البرجوازي سار باقتران مع نمو تحديث وسائل الإنتاج و علاقات الإنتاج، و تراكم الرأسمال من طرف الملاك العقاريين أنفسهم بصفة رئيسية.

فالخاصية العامة للمسالة تقوي من النفوذ الاجتماعي للبورجوازية الرأسمالية، باعتبارها مالكة العقار، فتضبط من نفوذها بمراجعة العلاقات القديمة، و تبين عدم استعدادها لتنمية الإنتاج الرأسمالي (كأساس وحيد للربح) مادامت إلى جانب الربح الرأسمالي، تسيطر على الربح العقاري.

و هذا ما يفسر أن البورجوازية تبذخ، و هذا ليس نتيجة للأخلاق أو الدين و لكن نتيجة للعلاقات، نفس الظاهرة تقوي من النفوذ الاقتصادي للملكية العقارية، باعتبار أن أصحابها يملكون إنتاجهم و لا ينغلقون بالتالي في مجرد الصراع مع البورجوازية (مالكة وسائل الإنتاج) .

تمارس الطبقة السائدة دكتاتوريتها بواسطة جهاز الدولة المنظم، بشكل يمكنها من التحكم في أهم القطاعات، حيث أن الملك هو الحاكم الفعلي الذي يملك كامل السلطات، و يمارسها إما مباشرة أو عن طريق خدامه الأوفياء، و يتعلق الأمر بالخصوص بقطاعات الجيش و الداخلية و المالية و الإعلام ...

و هذا يجعل من مشاركة هذا الحزب أو ذاك، من المعارضة في الحكومة، مجرد مشاركة شكلية في الواقع، تكاد تنحصر في تصريف مجريات الأمور و تنفيذ اختيارات الطبقة السائدة. و على سبيل المثال فإن سلطة كاتب الدولة في الداخلية تفوق سلطة وزير الداخلية، و سلطة عمداء الكليات تفوق سلطة وزير التعليم، و إلى جانب جهاز الدولة، يعتبر حزب"الأحرار" المعبر السياسي الموازي عن الطبقة السائدة، مع ما سيلحق به من تنظيمات مختلفة، سعيا وراء تأطير جماهيري، و تهميش لباقي الأحزاب خاصة منها الحكومية (حزب الاستقلال، الحركة الشعبية) اعتمادا على مظلة جهاز الدولة و احتكار العمل السياسي في البادية.

إذا كان شكل السياسة المتبعة من طرف الطبقة السائدة يختلف حسب الظروف، فإن مضمونها يظل هو نفسه، أي سياسة قوامها الاستغلال و القمع و التضليل في الداخل، و سياسة التبعية و الخضوع لهذه القوى الامبريالية أو تلك في الخارج، كاتجاه رئيسي على حساب استقلال البلاد و التزاماتها العربية و ارتباطاتها بالعالم الثالث.

أما عن إديولوجية الطبقة السائدة، فهي خليط من التصورات المثالية المترسبة عن عصور سابقة من الأفكار السابقة، و من الأفكار المستوردة من بلدان البورجوازية الأوربية على الخصوص، في عصر تفسخها، و هذا المزيج هو ما يقدم تحت يافطة "المبادئ الإنسانية" أو صلة الوصل بين الشرق و الغرب أو "التقليد و المعاصرة" أو "الفلسفة و الفكر الإسلامي"...

القوة الوسطية:

تتحدد القوى الوسطية بموقعها الوسطي في الصراع الاجتماعي الدائر في السياسة الوطنية، فهي في الوقت الذي تطمع فيه إلى أن تتولى على الأقل، مشاركة الطبقة السائدة في هذه السلطة، فإنها تجد نفسها محرومة منها في الواقع الحالي، و ذلك بفعل المزاحمة الاقتصادية و الضغط السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و الفكري، الذي تمارسه عليها الطبقة السائدة و من ورائها الامبريالية، و من جهة أخرى، فهي في الوقت الذي تلتقي فيه مع الطبقات الكادحة، في ذلك الضغط الذي تعانيه، فإنها تختلف عنها، (الطبقات الكادحة) في كونها لا تريد القيام بثورة جذرية من أجل تغيير الأوضاع بكاملها، بل كل همها هو إجراء إصلاحات على الهياكل الحالية حتى تتوافق مع مصالحها هي. و تتشكل القوة الوسطية في المغرب أساسا، من الطبقة البورجوازية و تعبيراتها السياسية المختلفة.

البرجوازية المتوسطة:

إنها الطبقة التي تعتمد في تحصيل ثرواتها بالأساس على عمل الآخرين، و هي إذ تشترك مع الطبقة السائدة في هذه الصفة الاجتماعية، إلا أنها تتميز عنها، فالنظام لايمثل سيادة مصالحها، حيث أنها تعاني من مزاحمة الامبريالية و البورجوازية الكبرى، و سيطرتها على مختلف مرافق الحياة في البلاد، و لذلك فإنها تعيش في صراع معها في مختلف ميادين تواجدهما.

لقد كانت البورجوازية المتوسطة في السنوات الأولى من الاستقلال، تشعر أنها الوريث الشرعي للمكتسبات السياسية و المادية من جلاء الاستعمار، و لقد غدى وهمها هذا، أن الطبقة السائدة و الكمبرادور، و بقايا الإقطاع، لم تكن قد رسخت بعد أقدامها في السلطة، و مع بداية الستينات، و بعد أن ركزت الطبقة السائدة أقدامها، بتدعيم من الامبريالية، و بعد أن بنت و حصنت جهاز سلطتها، دخلت فور ذلك في ترتيب الأوضاع الاقتصادية لصالحها، و لصالح الامبريالية التي تدعمها . مع هذا التطور الجديد انتكست آمال البورجوازية المتوسطة، و لمعرفة مدى هذه الانتكاسة، يجب أن ننظر إلى ما آلت إليه أوضاعها في القطاعات التي تتواجد فيها. ففي القطاع الفلاحي نجد أن ممثلي هذه الطبقة و هم الفلاحون الأغنياء، يقف خارج دائرة الامتيازات الجديدة، أي خارج ما يسمى بالقطاع العصري، الذي اقتسمه المعمرون الجدد فيما بينهم. كما أن ممثلي البورجوازية المتوسطة يقفون عاجزين عن منافسة الملاكين الكبار، لما يتوفر عليه هؤلاء من إمكانيات، و

لما يحضون به من تدعيم من طرف الدولة. إن السنين الأخيرة شهدت زيادة في التنافس على ملكية الأراضي الفلاحية، نظرا لارتفاع ريع الأرض بعد إدخال الوسائل العصرية. أما في القطاع النموذجي و الحيوي الذي تشكل البورجوازية المتوسطة قاعدته العريضة، و الذي انكبت عليه استثمارات هذه الطبقة هو قطاع النسيج، إلا أن السنين الأخيرة بدأت تشهد تمركزا كبيرا للرأسمال في هذا القطاع على حساب رؤوس الأموال المتوسطة، و قد كان ذلك في كثير من الأحيان عن طريق تدخل الدولة باعتبارها الركيزة الأساسية للكمبرادور و المدعمة إلى جانب ذلك من طرف الرأسمال الامبريالي في الغالب.

أما باقي القطاعات التي تعتبر مركزا أساسيا لنشاط البورجوازية المتوسطة، فلم تكن أحسن حالا من سابقاتها. فالقطاع التجاري على الصعيد الداخلي - رغم أنه مجال خصب للبورجوازية المتوسطة- فإنه يشهد بدوره تمركزا كبيرا نظرا لسيطرة الاحتكار. أما فيما يخص التجارة الخارجية التي تلعب دورا كبيرا في الاقتصاد الوطني، نظرا لتبعيته للسوق الامبريالية، فإنها تعتبر مجالا خاصا بالبورجوازية الكمبرادورية، نفس الوضع يعيشه قطاع البناء و الملكية العقارية المدينية، حيث تنتشر المقاولات الكبيرة ذات الإمكانيات الواسعة، التي تدفع بالرأسمال المتوسط إلى الهامش، و يلعب ارتفاع أسعار المواد الأساسية في قطاع البناء و ازدياد شدة المضاربات في قطاع البناء و الأراضي و ارتفاع الضرائب التي تمس بشكل كبير الملكيات الصغيرة و المتوسطة، يلعب كل ذلك دورا كبيرا في تقليص نمو البورجوازية المتوسطة، و يسبب تدهورا مستمرا في أوضاعها المادية. و مع كل هذه الأوضاع للبورجوازية المتوسطة، و مع غياب حركة ثورية قوية و متجذرة، فإن هذه الطبقة تعلق آمالها على جهاز الدولة الذي تطمح أن تجعل منه جهازا محايدا إن لم يكن مساندا لها و لمفاهيمها، المستقاة أغلبها من المفاهيم الدينية حول المساواة و العدالة، و من المفاهيم البرجوازية الليبرالية حول الحرية و الديموقراطية.

إنها تريد أن تحقق مجموعة من الإصلاحات على الهياكل القائمة، و لكن دون الاعتماد في ذلك على الحركة الجماهيرية المنظمة، لأن ذلك قد يؤدي بها إلى التصادم مع المصالح الامبريالية، و هذا ما لايمكنها القيام به، نظرا لعجزها الكبير، بالإضافة إلى ذلك، فإنها في حال قيام حركة جماهيرية قوية و منظمة فإنها لا تمتلك الإمكانيات للتحكم فيها و توجيهها حسب رغباتها.

إن تذبذب البورجوازية المتوسطة و ما يجعلها غير ذات ثقة يرجع إلى الأسباب التالية:

- إن نمو الرأسمالية التبعية رغم الضربات الجزئية و القطاعية التي يوجهها إلى البرجوازية المتوسطة في ظل هيمنة الكمبرادور، فهو يضمن لها نموا مطلقا لحجم نشاطها الاقتصادي و أرباحها، سواء في النقل و التجارة الداخلية أو في القطاع السياحي و النسيج، أو استفادة الفلاحين الأغنياء من السدود و العقارات الزراعية خصوصا بعد استرجاع الأراضي.

- إن البورجوازية المتوسطة رغم أنها ليست ذات سلطة سياسية، فهي توفر للدولة معظم أطرها العليا و الوسطى، و تتوغل هكذا في جهاز الدولة و تساهم بالتالي في الهيمنة الإدارية على الجماهير، و تحاول توسيع مصالحها من خلال نفوذها في الجهاز الإداري، و هكذا تختمر لديها في آخر المطاف طموحات الحصول على النفوذ السياسي و الاقتصادي، ليس بالاعتماد على الشعب أساسا، و لكن من "الداخل"بالاعتماد على العلاقات المتنامية لها في جهاز الدولة.

- أما عن التعبير السياسي لهذه الطبقة، فإننا نجد في حزب الاستقلال و حزب الاتحاد الاشتراكي، بعد التغييرات التي طرأت عليه منذ 1973، خير معبر عن مصالحها، مع الملاحظة أن العلاقة بين الطبقة و تعبيرها السياسي، ليست علاقة تطابق عام، و لكنها علاقة تداخل و تقارب، و ذلك راجع إلى التشابك الكبير الذي يطبع العلاقات الاجتماعية في المغرب.

- حزب الاستقلال:

إن مميزاته و مواقفه تتطابق مع أهم مميزات و مواقف البورجوازية المتوسطة، فهو على الصعيد الإديولوجي يجمع بين الفكر الديني و الفكر البورجوازي الليبراليأما على المستوى السياسي سي ، فإن البرنامج الأقصى للحزب يتلخص في "التعادلية"و"الديموقراطية"، و هذا يعني بصفة عامة بناء بورجوازية الدولة في إطار النظام الحالي، و الحزب يريد الاعتماد في ذلك على جهاز الدولة نفسه، بعدما فقد الحزب كل إمكانية الاعتماد على الحركة الجماهيرية التي تجاوزت أغلب مفاهيمه الإصلاحية، و هكذا فالحزب يعتمد سياسة الانتظار ريتما تحين الفرصة المواتية لالتحاقه بالسلطة، و قد يؤدي ذلك – كما هو الحال في التجربة الأخيرة- إلى التخلي على أغلب مطالبه الإصلاحية، محاولا أن يوهم نفسه و باقي الجماهيرأن التحاقه بالدولة سيجلب الرفاه و الطمأنينة.

إن تطور الحركة الثورية و تنظيمها للحركة الجماهيرية، هو الكفيل بتغيير مواقف الحزب أو على الأقل تعديلها لصالح الحركة الجماهيرية، رغم أن الحزب يظل حزبا حكوميا إصلاحيا في استراتيجيته.

- حزب الاتحاد الاشتراكي:

إن التشكيل الذي ظهر به الحزب منذ تكوينه و التطور الذي عاشه إلى بداية السبعينات، بموازاة مع التطورات التي شهدتها الساحة السياسية، كل ذلك هيأ الشروط الضرورية لإحداث انشقاق في الحزب (ا و ق ش) إلى جناحين: جناح يمثل البورجوازية المتوسطة و جناح يمثل البورجوازية الصغيرة، و قد حدث ذلك عمليا في سنة 1973، إلا أن عنصر القمع أجهض العملية و جعل طابع الانشقاق خفيا.

إن حزب ا و ق ش يتبنى إديولوجية انتقائية هجينة، تخلط بين المفاهيم البورجوازية الليبرالية و بعض المفاهيم الدينية و حتى الماركسية، و كل ذلك يقدم تحت يافطة "الاشتراكية العلمية"، أما على الصعيد السياسي فإن شعار "الديموقراطية" يعني في مفهوم و ممارسة الحزب، خطا إصلاحيا ليبراليا من نوع الديموقراطية البورجوازية القديمة.

إن الحزب بمنطلقاته الإديولوجية، أصبح جزءا لا يتجزأ من تيار الاشتراكية الديموقراطية البالية، التي تحاول أن تجدد نفسها و مد نفوذها إلى بلدان العالم الثالث. إن تطور حركة ثورية بخط سياسي صحيح، و اتساع و تجذر نضال الجماهير، هو الكفيل بكشف زيف الشعارات المزيفة التي يرفعها الحزب، و تعميق التناقضات العنيفة التي مصدرها التناقض السياسي بين المحتوى البورجوازي لغالبية قيادته، و بين المحتوى البورجوازي الصغير عموما لقاعدته، و إن ظهور جماعات مثل "الإخوان المسلمين" و"الاختيار الثوري" هو تعبير و نذير بفقدان الاتحاد الاشتراكي لبعض نفوذه وسط هذه الطبقة، و لعل هذا من الأسباب التي دفعت الاتحاد الاشتراكي إلى إعادة تنظيم صفوفه و حرصه على عقد مؤتمرات، و تقديم أبحاث سياسية و اجتماعية و اقتصادية، و إعطاء الأهمية لأول مرة إلى الجانب الإديولوجي.

إلى جانب الحزبين المذكورين، يمكن أن نجد في برامج و ممارسات بعض الأحزاب الأخرى، ما يعبر عن مصالح البورجوازية المتوسطة، كما هو الحال بالنسبة لحزب "التقدم و الاشتراكية"، إلى جانب التعبير عن بعض المصالح الآنية لفئات البورجوازية الصغرى (مثل رجال التعليم و القانون) و هذا راجع إلى تفاعل أوضاع الطبقات الاجتماعية في المغرب من ناحية، و إلى غياب الأداة الثورية القادرة على تخليص هذه الفئات من هيمنة البورجوازية.

الطبقات الثورية:

نعني بالطبقات الثورية كل الطبقات التي لها مصلحة في الثورة الديموقراطية الوطنية، مع التمييز بين مواقف و أشكال نضال كل طبقة من هذه الطبقات، التي تختلف حسب موقعها في الإنتاج و في الصراع الطبقي مع ما يطبع كل منها من خصائص.

1 - البورجوازية الصغرى: إنها الطبقة التي تعتمد في كسب عيشها على استغلال ملكيتها الخاصة و مجهودها الشخصي ، و التي لاتستغل عمل الآخرين إلا بصفة ثانوية، و حسب هذا التحديد، تضم هذه الطبقة عدة فئات غير متجانسة فيما بينها، و لعل أهم هذه التمايزات هو ما يفصل بين الفئات المثقفة و الفئات الكادحة.

و المثقف هو كل من يحصل على عيشه بفضل المعرفة التي يمتلكها، و التي تمثل في النظام القائم الذي يعتمد على تجهيل الجماهير، نوعا من الامتياز يتيح له العيش في ظروف أفضل و أحسن من الجماهيرالكادحة، و يكتسب هذا المثقف هذه الامتيازات بفضل المكانة التي

يمثلها في قسمة العمل الاجتماعي للنظام القائم، الذي يفصل بين العمل اليدوي و العمل الفكري، لقد شهدت هذه الفئة توسعا ملحوظا، و عاشت ظروفا مادية حسنة نسبيا في السنوات الأولى من الاستقلال الشكلي، و ذلك بفضل امتصاص جهاز الدولة لها، و نظرا لقلة الأطر المتوفرة آنذاك، ولكن مع تطور أزمة النظام وتعميقها فيما بعد، فإن قدرة النظام على استيعاب هذه الأطر تتقلص، رغم أن جهاز التعليم مضغوط لأقصى درجة، ليلبي فقط الحاجيات الضرورية للنظام. إن هذه الفئة من البورجوازية الصغرى، تعيش في المرحلة الحالية، أزمة خانقة باستثناء الذين يشتغلون بالخدمات الخاصة (المحامون، الأطباء)، ففي الوقت الذي ترتفع فيه الأسعار ارتفاعا صاروخيا، فإن الأجور و المداخيل العامة لهذه الطبقة تبقى مجمدة، و في أحسن الأحوال فإنها ترتفع بدرجات بسيطة، و ذلك إلى جانب ما تعانيه هذه الفئات من مقاييس النظام، التي يستعملها في الترقية، و التي تتدخل فيها عوامل الرشوة و المحسوبية و غيرها.

أما الفئة الكادحة من هذه الطبقة، فهي تتكون من الفلاحين المتوسطين و الصغار و من الصناع التقليديين و الحرفيين و التجار الصغار...و هؤلاء جميعا يعيشون حالة من التبلتر مستمرة ، فبالنسبة للبادية، فإننا نلاحظ النمو الهائل و المستمر لعدد الفلاحين بدون أرض و المهاجرين للمدن، و ذلك بسبب الهجوم المنظم من طرف الملاكين العقاريين الكبار الذي تشهده البادية، يضاف إلى ذلك سوء الأحوال، و ضعف المردود في المناطق التقليدية و بالخصوص الجبلية، التي لا يليها النظام أية أهمية إلا وقت جمع الضرائب أو ما شابه ذلك.

و لا تخرج الفئة الحضرية عن هذه السيرورة، بالنسبة للتجار الصغار، فإنهم يعيشون تدهورا مستمرا، و ذلك بفعل ارتفاع الاحتكار في التجارة الداخلية المرتبطة بالتجارة الخارجية، و كذلك ارتفاع الأسعار الذي يؤثر بشكل كبير على أرباح التجار الصغار من طرف جهاز الدولة، الذي يحملهم مسؤولية الأسعار الذي يتسبب فيه المحتكرون الكبار. أما بالنسبة للصناع التقليديين و الحرفيين ، فهم الآخرون يعيشون أوضاعا متدهورة تدفع إلى تبلترهم و تشردهم، و ذلك راجع إلى المزاحمة التي يعيشونها من طرف البضائع الأجنبية، كما أن انتشار الاحتكار يلعب دورا كبيرا في تدهور أوضاعهم، حيث يتحكم المحتكرون في المواد الأولية، التي ارتفعت أثمانها بشكل باهر و يتحكمون في تسويق المنتوجات.

إن طبقة البرجوازية الصغرى كطبقة مالكة و لو ملكية صغيرة، تعيش في الظروف الحالية تدهورا مستمرا في أوضاعها المادية و الاجتماعية، حيث تعيش تناقضا بين طموحها في تنمية ملكيتها، و الصعود إلى أعلى، و بين التبلتر و التدهور المستمر في وضعيتها، و ينعكس ذلك في كون بعض فئاتها تلجأ إلى نزعة مسالمة مع الطبقة الحاكمة، طامحة إلى تحقيق بعض المكاسب في ظل النظام السائد،

بالطرق الإصلاحية و السلمية، رافعة بذلك شعارات متغيرة بتغير الظروف، في حين أن بعض فئاتها المتضررة كثيرا من النظام، تلجأ إلى تحطيمه بكل الوسائل، متبعة في ذلك أسلوب المؤامرة و الأعمال الفردية و غيرها، تحت شعارات مختلفة، تختلف من "الجهاد في سبيل **الله**" إلى " النضال الثوري".

2- أشباه البروليتاريا:

إن ما يوحد طبقيا هذه الجماهير العريضة التي تشكل القسم الأعظم من الشعب المغربي، هو أنها مستعدة دائما لبيع قوة عملها، و تكون الجيش الاحتياطي في سوق العمل، الذي يضغط على الطبقة العاملة. أما التفاوتات داخل هذه الطبقة، فتأتي من كون معظمها فاقدا لوسائل الإنتاج، و لا يجد دائما مصدرا للعيش، أما القسم الآخر، فيملك ما لا يكفي لتغطية الحد الأدنى من العيش، مما يضطره هو الآخر لبيع قوة عمله، و تتكون هذه الطبقة من الفلاحين الفقراء و المعدمين، و من العاطلين في المدن و الباعة المتجولين و خادمات البيوت و عمال المحلات التجارية ... و تتميز هذه الطبقة بالمميزات الأساسية التالية:

أ- تضخم عددها بشكل كبير، ففي البادية نجد أن الفلاحين بدون أرض يتزايدون يوما عن يوم، و ذلك بسبب نزع أرضهم بمختلف الوسائل، و كذلك تزايد عدد الفلاحين الذين لم تعد ملكياتهم الصغيرة تكفي لسد حاجياتهم الضرورية، و ذلك إما لارتفاع الأسعار أو لتزايد الحاجيات الضرورية للحياة، حيث يضطر العديد من هؤلاء الفلاحين إلى الهجرة إلى المدن بحثا عن العمل، فيكونون بذلك الغذاء الدائم لتنمية البطالة و توسيع مدن القصدير ... و إلى جانب الفلاحين الذين يشكلون أساس تضخم طبقة أشباه البروليتاريا، هناك البورجوازية الصغيرة في المدن، حيث يفقد الحرفيون باستمرار وسائل إنتاجهم البسيطة، و تتدهور أوضاع العديد من التجار الصغار... و إلى جانب ذلك كله، فإن الشباب المطرود من المدارس يغذي هذه الطبقة باستمرار.

ب- تخلف وعيها لعدم لمسها للاستغلال كما تلمسه الطبقة العاملة النشيطة، و كذلك لعدم اهتمام الأحزاب السياسية بتأطير هذه الطبقة، قد أدى بها ذلك التخلف لأن تكون مرتعا للإديولوجية الرجعية، كما تتفشى عند هذه الطبقة كل الأمراض الاجتماعية كتعاطي الدعارة و المخدرات و القمار...

ج- تعيش هذه الطبقة أوضاعا مادية متدهورة و غير مستقرة، فهي تضطر لخلق مهن هامشية جديدة و بالأخص في المدن، و هي ثابتة الأجر و غير محددة المردود، و في المدن تسكن هذه الطبقة مدن القصدير المعرضة للدمار صيفا و شتاءا بسبب الحرائق و الأمطار، و

هذه الأوضاع تجعل هذه الطبقة تملك طاقة عنف مدمرة، تتجلى في أعمال العنف اليومية الفردية و في الانتفاضات الواسعة في البادية بالأخص.

و أمام انعدام احتكاك هذه الطبقة بالصراع السياسي، و عدم ممارستها لأي عمل نقابي، و أمام انعدام تأطير الأحزاب البورجوازية لها، و انعدام الأداة الثورية المعبر الحقيقي عن مطامح هذه الجماهير، و القادرة على تعبئتها و تنظيمها، و مع قصور وعيها الإديولوجي و السياسي فإن هذه الطبقة تعرف حاليا محاولتين للتأطير توجه طاقتها توجيها منحرفا، عن مصالحها، الأولى من طرف النظام كتنظيم من طرف الأحرار أو في الجيش.. أما الثانية فهي من طرف الاتجاه الفاشي الذي يتجلى في "الإخوان المسلمين"، مستفيدا من قابلية هذه الجماهير للعنف بسهولة و كذلك وضعها الطبقي الذي يجعلها مهيئة لإفراز " مرتزقة".

3)الطبقة العاملة:

تبقى الطبقة العاملة المغربية في طليعة الجماهير، تقود نضالاتها نحو إنجاز الثورة الديموقراطية الوطنية ذات الأفق الاشتراكي، كما في طليعة تفجير الكفاح المسلح ضد الاستعمار، وهذا الدور الطليعي يزيد من التشديد عليه النهب الامبريالي المتزايد لبلادنا، هذا النهب الذي يزيد من حدته، السياسة المتبعة من طرف الطبقة السائدة، في الوقت الذي تعجز كل من القوى البورجوازية المتوسطة وكذا الصغرى عن مواجهته.

و تتميز الطبقة العاملة المغربية بعدة خصائص يؤثر بعضها إيجابا، و بعضها الآخر سلبا على نضالاتها، و هي:

1- أنها مازالت قليلة العدد بشكل نسبي و مطلق، فإذا كانت الوضعية الاستعمارية لعبت الدور الكبير في خلقها، فإن طبيعة النهب الامبريالي و أساليبه الحديثة في بلادنا، المناهضة للتصنيع الكبير المتطور و التنمية الحقيقية، مع الحفاظ على البنيات التقليدية تعيق نمو الطبقة العاملة.

2- الارتفاع النسبي، إنما حصل في قطاع النسيج و البناء و العمال المهاجرين، لكن وقع انخفاض و على الأخص عمال المناجم، جزء كبير من الطبقة العاملة يعمل في الخارج في شروط مغايرة لرفاقهم في الداخل، فإنهم إذا كانوا يستفيدون من أجر مرتفع، فإنهم يعانون بالإضافة إلى الاستغلال اضطهادا عنصريا و غربة.

- الارتباط بالبادية، حيث ما زال بعض العمال بالمدن لم يقطعوا علاقاتهم بالبادية، كما أن العمال الزراعيين يمثلون جسرا متينا بين العمال و الفلاحين.

- انقسامها بين قطاعين : عصري متقدم تكنولوجيا، و تقليدي يعيق نمو الوعي الطبقي ، و انعدام التمركز القوي بمصانع المدن الرئيسية، حيث أن الدار البيضاء نفسها لا تعرف سوى تجمع الصناعات المتوسطة و الصغيرة.

- التحاق عدد مهم من الشباب المتعلم المطرود من المدارس بالطبقة العاملة، و ذلك يمدها بطاقات حيوية و يزيدها تجرءا على النضال.

تلك هي أهم خصائص الطبقة العاملة المغربية، التي تعيش بكل قطاعاتها وضعية تزداد سوءا باستمرار، نظرا للاستغلال المتفاحش و الاضطهاد المستمر من طرف النظام و من ورائه الامبريالية، و تتجلى هذه الوضعية بالأساس في:

1- تدني الأجور مع ارتفاع صاروخي في الأسعار و بالأخص في المواد الأساسية.

2- شروط العمل الرديئة جدا من الناحية الصحية، و خاصة في المناجم و المركب الكيماوي و عمال البادية.

3- الطرد و التوقيف و الاعتقال و التضييق على نشاطها النقابي، كما أن العديد من العمال محرومون من الضمان الاجتماعي، و كثير من المؤسسات الصناعية و غيرها، تضرب بعرض الحائط بقانون الشغل.

و في مواجهة هذه الأوضاع تعاني الطبقة العاملة من خمسة عوائق، تحد من نضاليتها و وعيها الطبقي، و هي:

1- ضعف التنقيب: ففي الوقت الذي تعرف فيه الطبقة العاملة نموا عدديا، فإن هذا النمو لم تواكبه زيادة مماثلة في التنقيب، بل إن النسبة عرفت انخفاضا، راجعا إلى محاربة الدولة والباطرونات لفكرة التنقيب تارة، و العمل على تمييعه تارة أخرى، و إلى منع بعض القطاعات من حق التنقيب نهائيا، كما أن البيروقراطيات النقابية ساهمت في الاحتفاظ بهذا الوضع.

2- التشتت النقابي: الجزء الغالب من الطبقة العاملة مقسم بين تسع نقابات، هذا التقسيم الذي مهدت له الممارسات البيروقراطية النقابية و السياسية الرجعية المتبعة من طرف قيادة ا م ش، و التي فتحت الطريق أمام مختلف الأحزاب البورجوازية، و أمام النظام لتشتيت الطبقة العاملة و تسهيل الهيمنة عليها.

3- غياب الديموقراطية النقابية، حيث أن مختلف الفئات البورجوازية تمارس دكتاتوريتها على الطبقة العاملة، و كل واحدة من خلال الطبقة التابعة لها، و لا يترك للطبقة العاملة إلا مجالا بسيطا تتحرك فيه، حيث تعمل القيادات البيروقراطية بكل الوسائل لفرض هيمنتها و معارضة المطامح الحقيقية للطبقة العاملة في التحرر و الانعتاق... و هكذا تسود داخل النقابات كل أنواع العلاقات البورجوازية، من مناورات و تدليس و محسوبية، و ذلك حتى يستطيع "القادة "من الاحتفاظ بمناصبهم.

4- كبت النضالية: حيث تعارض القيادات البورجوازية نضالات الطبقة العاملة من أجل تحسين شروط استغلالها، و تتآمر عليها مع الباطرونات و مع جهاز الدولة، كما تقوم تلك القيادات بخلق العراقيل أمام الطبقة العاملة، مثل فرض العزلة بين قطاعاتها المختلفة كما داخل كل مؤسسة، و هكذا لا تسمح هذه القيادات إلا بما قل من النضالات، و التي تستفيد منها في تحقيق بعض مصالحها، كما قد تستعمل في إطار المنافسة بين مختلف النقابات.

3- غياب الأداة السياسية البروليتارية المعبر الحقيقي عن الطبقة العاملة، و الطليعة التي تقود في مختلف المراحل نضالها، من أجل تحررها من الاستغلال و الاضطهاد، اللذان تتعرض لهما من طرف الامبريالية و النظام القائم في المغرب، و تقودها تلك الأداة إلى إنجاز الثورة الديموقراطية الوطنية ذات الأفق الاشتراكي، و غياب تلك الأداة يجعل الطبقة العاملة عرضة لتكالب كل الطبقات البرجوازية مما يضعف من نضاليتها.

4) الجنود و ضباط الصف:

إن هذه الفئة الكادحة مرتبطة ارتباطا كبيرا بالطبقة العاملة، حيث أنها بالإضافة إلى العمل العسكري تقوم في كثير من الأحيان بعمل إنتاجي، كما أنها مرتبطة بالبادية، حيث أن معظم الجنود من أصل بدوي، دفعهم انتزاع الأراضي و البطالة لأن يلتحقوا بالجندية، و هم يعيشون، بالإضافة إلى الشروط الاقتصادية المتدهورة، حياة جد قاسية و مرهقة، حيث يجبرون على العمل ليل نهار في معظم الأحيان و خارج حالة الحرب، كما أنهم يعانون من قانون للعقوبات جد قمعي و فوق طاقة البشر. و بالإضافة إلى ذلك، فإن بيروقراطية خانقة تسود علاقات رؤسائهم بهم، و فوق ذلك يستخدمهم النظام في قمع باقي الجماهير الكادحة، و يعمل بشتى الوسائل لعزلهم عنهم، مقدما لهم تناقضا وهميا بين مدنيين و عسكريين، و هذا يغذي لديهم الإديولوجية الانقلابية التي تفصل تحركاتهم عن نضال باقي الكادحين.

••••••••••••••••

المنظمات الجماهيرية:

تشكل المنظمات الجماهيرية سواء كانت مهنية أو اجتماعية أو ثقافية أو رياضية، صلة وصل ما بين الطلائع الثورية و القطاعات الواسعة من جماهير الشعب، ثم إنها تعد بمثابة مدرسة لتكوين أطر الشعب في معمعان النضال السياسي و الاقتصادي و الثقافي.و بإمكانها أن تلعب دورا إيجابيا في النضال الديموقراطي الوطني أكثر فأكثر، كلما تطور داخلها شرطا النضالية و الديموقراطية، إلى جانب الالتزام

الجدي بالهدف المباشر الذي من أجله تشكلت المنظمة، و تواجه هذه المنظمات في إطار أدائها لمهماتها، أخطار المنع و التضييق من طرف جهاز الدولة القمعي، و أخطار الاحتواء و التمييع من جانب الأحزاب البرجوازية، و أخطار الانحرافات اليمينية و اليسارية من داخلها.

إن الحفاظ على وجود هذه المنظمات (في شكلها العلني و السري) و اتساعها، و كذا تحقيق استقلالها عن الأحزاب البرجوازية، و وضعها في مسار صحيح، كلها أشياء تتم من خلال ربط النضال و النشاط الخصوصي لكل منظمة، بالنضال السياسي العام للشعب المغربي، و من خلال الارتباط بأوسع الجماهير، و هذا الارتباط لن يتأتى إلا بواسطة عمل دعائي و تحريضي ، لكن أيضا من خلال تحقيق مكاسب ملموسة، و تقديم خدمات للجماهير و بمشاركتها.

التعبيرات السياسية للطبقات الثورية

أما على صعيد التعبير السياسي ، فإن الطبقات الثورية تتوزعها عدة تيارات، و من ضمنها التيار الماركسي -اللينيني ، و المقصود به المنادي و الساعي إلى إيجاد الحزب الثوري الماركسي - اللينيني المغربي ، و الحزب الذي يحسن دمج الحقيقة العامة للماركسية-اللينينية بالواقع الملموس للثورة في المغرب، و ربط مضمونها الأممي مع شكلها الوطني، و الذي يحسن الارتباط مع أوسع الجماهير الشعبية، الحزب الثوري الملتزم بالحقيقة الملموسة، القادر على تصحيح أخطائه و ممارسته النقد الذاتي، و كل هذا على أساس التحليل الطبقي الملموس للوضع الاقتصادي و السياسي في شموليته وطنيا و عربيا و دوليا.

و إلى جانب هذا، هناك تيارات بورجوازية صغيرة، ديموقراطية سياسيا، غير إصلاحية أسلوبا، و انتقائية على المستوى الإديولوجي، و غير معادية للماركسية- اللينينية، إلا أنه توجد ضمنها بعض النزعات الفوضوية و "اليسارية".

و هناك تيار يميني متطرف، يمثل " يمين اليمين" يدعي الغيرة على الإسلام، و يعتمد أساليب فاشية لفرض مواقفه على أفراد الشعب، سيؤدي إلى عزلته خصوصا و أنه يجعل من التناقض الثانوي داخل صفوف الشعب، بين المتدينين و غير المتدينين تناقضا رئيسيا، غاضا الطرف عن التناقض الرئيسي الحقيقي بل متواطئا مع طرفه الرجعي.